وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا

كتاب

(لسان الصدق جواباً لكتاب ميزان الحق)

« في الرد على النصارى »

﴿ تأليف ﴾

العالم الجليل والفاضل النبيل جناب الشيخ (على البحرانى)

﴿ طبع مع جودة التصحيح ﴾

(من الاصل الهندى المطبوع ببمباى سنة ١٣٠٧ هجريه)

﴿ يبيعه ﴾

بمكتبة ملتزم طبعه الشيخ « محمد على المليجى » الكتبي بمصر

الطبعة الاولى

(بمطبعة الموسوعات بباب الخلق بمصر سنة ١٣١٩)

« لصاحبها اسماعيل حافظ »

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ



الحمد لله الذى تفرد بالتوحيد . وتوحد بالازلية والتأبيد . وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد . وتنزه فى ذاته عن التكثير والتعديد . وجل ذاتاً وصفة وفعلاً عن الضد والمعين والشبيه والنديد . خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد . بلا هامة ولا فكرة ولا تروّ ولا ترديد . القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد . الذى لا تنفد خزائن رحمته ولا يزول ملكه ولا يبيد . سبحانه وتعالى عما يقوله في قدرته كل معطل مريد . وعظم شأنه عما يتفوه به فى صفاته كل مشبه عنيد . فهو الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو ولا نظير ولا يدرك كنه ذاته بتوصيف ولا تحديد . الذى نور قلوبنا بأنوار القرآن المجيد . وشرح صدورنا ببيان الفرقان الحميد . وهدانا بمنه ولطفه الى الدين السديد . والقول الرشيد . وأنقذنا بنبيه الهادى من الضلال المبين والجهل المبيد . (والشكر له) على نعمه التى لا تزال على عباده في سبوغ ومزيد . حمد مقر باستحقاق جلال ذاته للتقديس والتمجيد . وشكر عارف بأن منه العون على الطاعة والتأييد .

(والصلاة والسلام) على أفضل الخلائق فى جميع الخلائق . وأعدل أهل العدل في الشواكل والطرائق . وأكرم صادع بالحق وداع الى صراط الخالق . وأفصح متكلم بالاعـذار والانذار وناطق . وأبلغ مبلغ العباد ومبشر صادق . وأعرب مفصح في القول وموضح للحقائق والدقائق . نبينا (محمد) بن عبد الله أظهر الانبياء حجة وأبينهم برهاناً . وأرجحهم في العلم والفضـل ميزاناً . وأصدقهم لهجة وأكثرهم بياناً . وأكملهم في الاخبار عن الشرائع والاحكام ايضاحاً وتبياناً . خاتم النبيين . وتمام عدة المرسلين . وعلى آله الاطهار مصابيح الظلم وينابيع الحكم . ومعـادن الجود والكرم . وعلى أصحابه الذين بذلوا أنفسهم في رضاه . وشيّدوا ما أسسه وبناه . وعملوا بموجب قرآنه ومقتضاه . وأرضوا بذلك الرب الاله . الذى أيده بالوحي وأولاه . صلاةً وسلاماً بلا انقطاع ولا نفاد . الى أن يبعث الله العباد للجزاء فى يوم المعاد

(أما بعد) فيقول المفتقر الى رحمـة القادر الغنى . (على بن عبـد الله بن على البحراني) . إن أهم ماتصرف فيه الهمم . وأحق مايسعى اللبيب الى اقتنائه على ساق وقدم . هو معرفة الدين . الذى يدين به المكلف لرب العالمين . ويكتسب به رضوانه والنجاة من عذابه المهين . ليدخل فيه على تثبت ويقين . لا على تخرص وتخمين . (وانى لمـا) نظرت في أديان البشر . وسبرت أقوال أهل الاستدلال والنظر . وعرفت مافيها من العلل والغير . وما يناله الداخل فيها من القدر والخطر . يوم يجازى العباد على أديانهم وأعمالهم خالق القوى والقدر . (رأيت) دين الاسلام أقواها دليلا . وأهداها سبيلا . وأولاها للعاقل تحصيلا . فان أصله قد تحقق وثبت بنير البرهان . وتوطدت بالحجج الزاهرة منه القواعد والاركان . وشيد بالادلة الظاهرة منه البنيان . وتمت فروعه حتى انتشرت

في كل مكان • وارتفعت أعلامه حتى تجاوزت كيوان • فاخترته على علم لي مذهبا • ولم أقلد في اختياري اياه أما ولا أبا • اذ كان التقليد في مثل هذا عند العقلاء مذموماً • ومرتكبه عندهم بالعجز عن النظر موسوما • وبالجهل والنقص موصوماً • وفاعله عند الله ملوما • فلا أبتغي به من الاديان بعد قيام الحجة بدلا • ولا اجد لي عنه الى غيره بعد سطوع البرهان معدلا • وانتحلت من مذاهبه مذهب الامامية لان حجته أقوى الحجج • وطريقته مستقيمة ليس فيها ميل ولا عوج • وبرهانه منير واضح • وسبع أهله رابح • فلا أريد به تبديلا • ولا أرى عنه تحويلا • فبينا انا أرتع من الاسلام في رياضه المعشبة المونقه • وأتمتع بالنظر الى أنوار أشجاره المزهرة المورقه • وأجتني من ثمرات جناته المونقه • على طمأنينة وثقه • اذ وقفت على كتاب بعث به الي بعض خواص الاصحاب • وأجلة الاخوان والاحباب • من مؤلفات بعض متعصبي النصرانيين • محتو على كل غث وخال من كل سمين • وجامع لكل كاسد من متاع القول وعادم لكل ثمين • رام فيه تنكيس علم الاسلام واخفاء مناره • وحاول فيه إطفاء نوره وإخماد ناره • بتشبيهات افتعلها وافتراها • وتمويهات اخترعها ومراها • لكنه أكثر الحز واخطأ المفصل • ولم يأت على مرامه بشيء عند أهل الحذق في النظر يرضى ويقبل • ولم يقم دليلا على مقصده يصغى اليه عند العقلاء ويحمل • بل للمحالات الممتنعة تمحل • وبالتزويقات الزائلة تجمل • وبسرابيل العناد والعصبية تسربل • وبأطواق الافتراء وخلاخل الامتراء تطوق وتخلخل • وبأردية الزور وأغطية الغرور تردى وتجلل • وللاوزار المبهضة والآثام المجهضة تحمل وترحل • والى غضب الله وسخطه تقرب وتوصل • وما رمى من الاسلام غرضاً • ولا أزال عن نصرانيته مرضاً • وقصاري

همته فى الهذيان • وغاية مرامه فى الجولان• اظهار شرك النصارى • وبيان انهم فى دينهم حيارى • لايبصرون فيـه موطئ أقدامهم • ولم يميزوا بين إحجامهم فيه وإقدامهم • (فانه صرح) فى ذلك الكتاب • بان المسيح عنـده وعند قبيله هو رب الارباب • ومالك الرقاب . ومذلل الصعاب • وهـذا يقتضى أن رتبة المسيح فى الربوبية فوق رتبـة جبار السموات • وبارئ النسمات • وهو الكفر الصريح • والاعتقاد القبيح • بغير شك ولا ارتيـاب • وادعي مرة ثانية ان المسيح هو ابن الملك الوهاب . وانه مستكن في ذاته ازلا حتى اخرجه من ذاته وفصله كما تخرج الاولاد منفصلة من الاصلاب • وهذا يثبت الكثرة لمن تبتت له الوحدة بالذات • والتفرد بالصفات • مع استلزامه ان البارئ جل وعلا حادث • لانه محل للحوادث • اذ كل مولود فهو حادث • والقديم الذاتى لايخرج من القدم الى الحدوث • فهذا الوجه فى تحقق كفر قائله قريب من الاول (وقرر) مرة اخرى ان المسيح انسان من ولد اسحق يفتقر الى الطعام والشراب وهذا يدل على انه بشر مربوب . وانه عن الالهية وبنوة الاله مبعد محجوب . اذ لا يكون للانسان أبوان وأثبت مرة رابعة ان المسيح صلب وضرب وسمر جسده بالمسامير وعذب اعظم العذاب . حتى مات ودفن فى التراب . وهذا يوجب عليه الحكم بان المسيح اضعف خلق الله حيلة . واقلهم فى الغناء عن نفسه وسيلة . وانه لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يستطيع ان يدفع عنها سوءاً ولا شراً . والا لدافع اعداءه عن نفسـه ومانع . وبايع انصاره على رد كيد العدو عنه وشايع • ونازل من اراد قتله حتى يموت كريماً فان دفع الضرر عن النفس واجب عقلاً وسمعاً • لايستطيع عاقل لرده دفعاً • وهذا الاختلاف الواضح • والتناقض الفاضح • فى أقوالهم دليل صحيح • وبرهان صريح . على انهم لم يعرفوا

عيسى المسيح حق معرفته • ولم ينزلوه في منزلته • ولم يدروا ما كنه حقيقته . فهم فى وصفه تائهون وبنعته جاهلون وانهم دخلوا فى الدين • بمجرد الظن والتخمين . من غير تحقيق ولا يقين .ويشهد بان طريقهم ظاهر الاعوجاج . ومسلكهم مظلم المنهاج . وهو كاف عند أولى الالباب فى فساد عقيدتهم • وشاف لذوى الحجى في بطلان مقالتهم • فأبعد بدينهم دينا. وأكذب بتخمينهم تخميناً . لايحتاج فى إزالة أسه الى اكثر مما ذكرناه . ولا يضطر فى اجتثاث فرعه الى ازيد مما افدناه . ولايفتقر فى اجتياح شبهاته الى أبين مما بيناه . (الا ان ذلك الصديق المخلص التمس منى) ان اكتب نقضاً على ذلك الكتاب. مؤثرا فيه للايجاز على التطويل والاطناب (فاجبته) ابتغاء للثواب • من ديان العباد في يوم الحساب. وشرعت فى تحرير النقض على ذلك المتنصر . وتقرير الرد لشبهه من غير صدود عن الحق ولا تكبر • لكنى لم اعمد الى ذكر كل كلامه لان اكثره قايل الحاصل • وجله ليس فيه من طائل . وانما اصمد الى زبد مخضه الخاثر . ومخ مقاله البائر . فاذيبهما بلهب شهاب ثاقب . ينقدح من فكر صائب • وأبعث عليهما صرصر عذاب واصب • فأذهبهما جفاء بعون الملك الواهب . حتى يصيرا كأمس الذاهب . وانا فى ذلك كما قال عمرو بن الاطنابة .

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بَلَائِي ... وَأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي ... وَضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
أُدَافِعُ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ ... وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

بيد أني ملازم في مناقضته للانصاف • ومباين في مباينته للاعتساف • (وسميت الكتاب) المحتوى على هذا النقض (بلسان الصدق) الموضح بجواب الكتاب الذى سماه جامعه (ميزان الحق) ورتبته على مقدمة

ومقالات . مغلقــة لابواب الجهالات . وخاتمة تعوج بمتقها الى أصح المعتقدات . ومن الله أستمد العون والهداية . والارشاد الى السداد في المبدأ والغاية . متوسلا اليه فى ذلك باكرم الخلق عليه . وأقربهم اليه . محمد الامين . وآله الطاهرين . والله حسبي ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

﴿ المقدمة وفيها تأسيسات ثابتة ﴾

(الاول) فى اثبات الصانع ببيان احتياج العالم الي المؤثر.

ضرورة العقل السليم قاضية بان كل مركب خارجيا كان أو عقلياً من مختلفين أو من متفقين فهو مسبوق بالغير وحاصل بعد العدم (اما) مسبوقيته بالغير فلتقدم اجزائه التي تركب منها عليه كما هو المشاهد فى مثل السرير والجدار (واما) مسبوقيته بالعدم فلانه مسبوق بعدم التركيب وكل مسبوق بالغير وموجود بعد العدم فهو حادث البتة وكذا قضت الضرورة بحدوث كل متغير من حال الى حال لان الانتقال من حال الى أخرى اما خروج من سكون الى حركة أو من حركة الى سكون وكلاهما حادثان لان الحركة هي الخروج من حيز الى حيز فهو مسبوق بعدمه او السكون فى الحيز الاول والسكون عدم الحركة عما من شأنه فهو مسبوق بالحركة ومحل الحادث حادث لامحالة فاذاً كل متغير حادث والعالم باسره من العلويات والسفليات مابين مركب عقلى كالماهيات المتعقلة وما بين مركب خارجي كالاجسام المؤلفة من متباين كالحيوان والمعادن والنبات او متماثل كالفيئ والعناصر الاربعة ومابين متحرك وساكن فيكون برمته حادثاً والضرورة قاضية ايضاً بان كل حادث فهو مفتقر في وجوده الى موجود وهو صانعه لامتناع

أن يوجد نفسه للزوم ان يكون الشيء لو كان ذلك متأخراً عن نفسه متقدما عليها بمرتبة ولانه ان كان أوجد نفسه بعد الوجود فهو تحصيل الحاصل وان كان في حال عدمه فالمعدوم يستحيل منه الفعل فاذاً كل حادث فهو محتاج الى صانع فالعالم محتاج الى صانع لانه حادث

(الثاني) في بيان وجوب وجود الصانع (عز وجل)

الموجود اما أن يكون وجوده لا من علة مطلقاً وهو واجب الوجود لذاته واما أن يكون من علة وهو ممكن الوجود لذاته وقد يعرض للممكن الوجوب بالغير فصانع العالم ان كان واجباً لذاته فهو المطلوب والا كان مفتقرا الي صانع لاحتياج الممكن الى المؤثر ثم ننقل الكلام الى هذا الصانع فاما أن يكون واجبا والالزم اما انتهاء سلسلة الممكنات الى مالا نهاية له أو كون الشيء علة لنفسه وكلاهما مستحيل فلا بد من الانتهاء الى صانع واجب الوجود فصانع العالم اذاً واجب الوجود لذاته ووجوب الوجود بالذات يقتضى القدم والازلية والسرمدية لانه لو لم يكن قديماً لكان مسبوقا بالعدم فيكون حادثا والحادث ممكن بالذات واجتماع الوجوب بالذات والامكان بالذات ممتنع بالضرورة ولو جاز عليه العدم في حال لكان ممكناً لان العدم بعد الوجود يحتاج الى مؤثر والواجب لا مؤثر فيه ويقتضى أيضاً استحالة التركيب والزمان والمكان والتحول من حال الى حال عليه لاستلزام هذه الاشياء المسبوقية بالغير والواجب غير مسبوق بغيره واستحالة التركيب تقتضى انتفاء الكثرة والتعدد فينتفي الشريك ضداً كان أو نداً فيبطل به التعدد في الآلهة الذى ادعاه النصارى والمجوس والوثنيون وتقتضى انتفاء حلوله تعالي في شيء او حلول شيء فيه لان كلا منهما تركيب مستلزم للحدوث الذى هو صفة الممكن وبه يبطل الاتحاد الذى ادعاه النصاري والصوفية من المسلمين وقول من يقول بزيادة صفاته

الباري تعالى على ذاته وانها معان قديمة قائمة بذاته واستحالة الزمان والمكان عليه تقتضى انتفاء الحركة والسكون والحلول فتنتفي الجسمية التي ادعاها له المجسمة والحلول والاتحاد اللذان ادعاهما النصارى والغلاة أيضاً لانهما حركة وسكون مستلزمان للزمان والمكان وامتناع التحول من حال الى حال عليه يقتضى امتناع التغير عليه فى ذاته وصفاته تعالى فيمتنع حلول الاعراض والمعاني في ذاته فلا يكون محلا للحوادث فلا يتصف بصفة في وقت وبضدها فى وقت آخر وبه يبطل قول المعتزلة بحدوث صفاته ولحوقها لذاته وقول النصارى بالحلول والاتحاد بذات عيسى وروح القدس وقول مشبهيهم أيضاً كالغلاة والصوفية لاستلزامهما اتصافه تعالى بصفة بعد أخرى مضادة الأولي جل الله وعلا عما يقوله الجاهلون بشأنه علوًّا كبيراً (فنتج) مما برهنا ان وجود صانع العالم لا من شئ ولا فى شئ ولا على شئ فهو الغنى المطلق عما سواه المتوحد في ذاته وصفاته وأفعاله لاشريك له ولا يشبهه شئ من خلقه ولا يشبه شيئاً منهم فهو خارج منهم بغير مباينة وداخل فى الاشياء بحكم الشيئية لا بالممازجة فهو اذاً لم يلد ولم يولد والا لكان مشبهاً لخلقه ومشابهة الحادث تستلزم الحدوث المنافي للقدم الثابت لذات البارئ تقدس اسمه فبطل قول النصارى ان المسيح ابن الله لان الابن مشبه للأب ومشابهة البارى لغيره ممتنعة كما عرفت ومن ذلك كله تعلم انتفاء تعدد القدماء لاستلزام التعدد التركيب في الواجب الذى ثبت له التفرد بالذات ولان القديم لو كان متعدد الاشخاص لكان نوعا متحصلا بالجنس والفصل والمتحصل بغيره معلول لذلك الغير فهو حادث فيكون القديم حادثا وهذا تناقض بيّن فبطل قول المجوس بقدم خمسة وبطل أيضاً قول النصارى بوجود المسيح وروح القدس فى الازل لان

وجودهما ان كان من غيرهما كانا حادثين البتة وان لم يكن من غيرهما كانا ضدين للواجب أو ندّين فيتركب الواجب من ثلاثة والتركيب فعل يفتقر الي فاعل والمركب مفعول يستلزم وقوع فعل الفاعل عليه فيكون حادثا به فافهم ذلك واعتمده تسعد

(الثالث فى بيان بعض صفات البارى تعالي)

العقل السليم يقضى بان صانع العالم وهو الله جل شأنه وعظم برهانه عالم قادر حىّ مختار حكيم كامل الحكمة لاستحالة الصنع من غير عالم به وقادر عليه واستحالة العلم والقدرة من الجماد الذى ليس بحىّ ولشهادة تأخر بعض المصنوعات عن بعض فى الزمان بان صنعه تعالي ليس بالايجاب وشهادة مافى العالم وأشخاصه من اتقان الصنع والتركيب العجيب الذى تحير فيه عقول العقلاء على كمال حكمة صانعه لامتناع صدور مثل هذا الاتقان والتركيب من غير حكيم كامل الحكمة الي حد ينتهي اليه الكمال وصفاته تعالي عين ذاته فهو عالم وقادر وحي بالذات لا بعلم وقدرة وحيوة زئدات على ذاته لاستلزام الزيادة تعدد القدماء على فرض أزلية الصفات وكون ذاته محلا للحوادث على فرض حدوث صفاته وكلا الامرين قد بينا استحالته وقس على هذا سائر صفاته الذاتية كالوجود والوجوب والقدم والازلية وغيرها واما المشيئة والارادة والكراهة فهى بالمعنى المصدرى معان راجعة الي العلم والقدرة وبالمعنى الاسميّ هى المشاء والمراد والمكروه فهي صفات فعل وكذا الكلام فانه راجع الي العلم والقدرة اذا كان مصدراً (فاذا) قلنا الله متكلم فالمراد انه قادر على انشاء اصوات مشتملة على حروف مفهمة عالم بكل لفظ ومفاده (واذا) كان اسما فهو نفس تلك الاصوات المذكورة فهو صفة فعل فيكون حادثا كالخلق في المعنيين واما الكلام النفسى أعنى صورة تلك

الاصوات الحاصلة في الذهن فهو مستحيل على البارى تعالى لاستحالة التركيب فى ذاته وبهذا يبطل تعلق من يدعي أزلية المسيح بقوله تعالى فى كتابه المبين المنزل على سيد المرسلين (إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) لان الكلمة مفعول بمعنى المتكلم به والروح مصنوع فهي كذلك وكل مفعول حادث (وهذا) المقام لغموضه ودقته تاه فيه اكثر الناس وتحيروا وتحققه أهل البصائر النافذة والافهام المتوقدة فآمنوا به ففازوا عند الله تعالى بمعرفة حقيقة وحدانيته فوزا عظيما

(الرابع فى بيان وجه فعله تعالي)

قدثبت بما أسلفناه من الدليل ان صانع العالم جل وعلا حكيم كامل الحكمة وغني بالذات عما سواه والحكيم الغني عن غيره يستحيل منه العبث أعني فعل مالا مصلحة فيه ويمتنع صدور القبيح منه لغناه عنه فاذاً البارئ تعالى لايفعل فعلا الا لمصلحة واقتران الفعل بالمصلحة ينفي عنه القبح والمصلحة قد تكون ذاتية للفعل كما فى العدل والانصاف وقبول توبة النادم المقلع عن المعصية بصدق النية قبل معاينة العقوبة فيكون الفعل حسناً مطلقاً وقد تعرض للفعل في حال دون حال فتختلف باختلاف الاشخاص والازمان بل في الشخص الواحد باختلاف الاحوال كالعفو عن المسيء بدون التوبة فانه في حال مقدرة العافى على المعاقبة وكون المسيء ممن يشكر النعم يشتمل على نفع عظيم أدناه زيادة وثوق صديق العافي بخيريته وصفاء سريرته وجلب المسيء الى محبة العافي وصداقته وفي حال العجز عن المعاقبة أو كون المسيء من أهل كفران النعم يشتمل على ضرر عظيم أقله نفور أصدقاء العافي عنه وجراءة المسيء على الاساءة مرة أخرى وهذا من الامور المشاهدة المعروفة وامثال هذا وسابقه كثيرة ولهذا المعنى انزل الله في

كتابه العزيز (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) يعني بغير التوبة في الامرين وأنزل تعالى (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) واذا انتقش في صفحة ذهنك ماصورناه علمت انه لامانع من تغيير التكليف فيما تختلف فيه المصالح باختلاف أشخاص المكلفين وأزمانهم وأحوالهم بل ربما كان ذلك واجباً لان الحكيم تعالى يراعي في افعاله مصلحة المكلفين فاذا اختلفت المصلحة في بعضهم باعتبار زمانه اوحاله وجب في الحكمة تغير الفعل والا لكان الفعل عريا عن المصلحة فيكون عبثاً وهو مناف للحكمة (ويستنتج) من هذا انه يجوز على خالق العباد جلت عظمته نسخ شريعة نبي بشريعة نبي آخر ونسخ حكم في شريعة ثابت في زمان أو حال بحكم آخر في تلك الشريعة في زمان آخر أوحال أخري بل ربما كان ذلك واجبا اذا اقتضته الحكمة لحصول مصلحة للمكلفين فيه وهو أيضاً واقع وسنوضحه بعد انشاء الله تعالى ففسد بهذا الدليل قول المعطلة من اليهود والنصارى بعدم جواز النسخ

(الخامس) ان مما اقتضته حكمة الحكيم المطلق لمصلحة المكلفين بعث رسل منهم اليهم مبشرين ومنذرين يدعونهم الى تطهير بواطنهم بتوحيده وخلع الاضداد والانداد عنه والايمان بوعده ووعيده وثوابه وعقابه وتطهير ظواهرهم بالطاعات والاعمال الصالحات واستقامة نظامهم بترك الظلم والبغي والفساد ليكونوا له متذكرين ولعظمته غير ناسين ومن تصور كبريائه غير ذاهلين ليحصل لهم بذلك التخلق بأخلاق أهل الملكوت من الملائكة الكرام ويخرجوا به عن شبه الانعام التي همها مجرد الشراب والطعام فيستحقوا بذلك دخول جنته وينجوا من أليم عقوبته ونصب لكل رسول

من رسله علامة تدل على ثبوت نبوته ورفع لكل منهم مناراً يعلم به صدق دعوته ولما كان المكلفون أحوالهم مختلفة وصفاتهم غير مؤتلفة دعت الحكمة الالهية الى مخالفة أنواع بينات الرسل لاختلاف مصلحة المكلفين فجعل مع كل رسول بينة عادلة عند قومه تشهد بصحة دعواه ولم يجعل بيناتهم جميعاً من نوع واحد لفوات الغرض المقصود فان نوحا عليه السلام لو أتى قومه باليد البيضاء كموسي عليه السلام أو بابراء الأكمه والابرص كعيسى لامكنهم أن يقولوا ان هذا من الشعبذة والطب ولسنا نعرفهما ولو تعلمناها لفعلنا مثل فعلك فمن أين نعلم انه من فعل الله تصديقاً لك ولو ان ابراهيم خليل الرحمن أتي قومه السريانيين بكتاب عربي مبين كالقرآن العظيم لكان أيضاً يمكنهم القدح فيه بأنه بلسان العرب وأنت أخذته منهم ولو تعلمنا العربية لقلنا مثل ما تقول فلم يثبت عندنا انه كلام الله أنزله شاهداً على صدقك وكذا القول في موسى وعيسى لو جاء كل منهما بكتاب عربي ولو ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم جاء العرب بعصا تنقلب ثعباناً أو الاخبار بالمغيبات فقط لامكنهم أن يقولوا إنه سحر أو شعبذة ولو كنا سحرة أو مشعبذين لفعلنا مثل مافعلت وفي الثاني انه كهانة وهؤلاء الكهان يخبرون بالغيب كما تخبر ولو كنا كهاناً لصنعنا كما صنعت فلم تقم له عليهم حينئذ الحجة الظاهرة فلذا أقام الله جل جلاله مع كل نبي برهاناً يقطع عذر المبعوث اليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة فبعث الكليم موسى بن عمران عليه السلام بما يشبه السحر ويعجز عن مثله كبار السحرة ليعلموا بعجزهم انه لو كان سحراً لقدروا على مثله لاحاطتهم بوجوه السحر فينقطع عذرهم وذلك لانتشار السحر فيمن بعث اليهم وكثرة السحرة فيهم وبعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بما يشبه الطب والحكمة ويعجز حذاق الاطباء

والحكماء عن الاتيان بمثله لوفور الطب والحكمةوتوافر أهلهما فيمن بعث اليهم ليتحققوا انه لوكان ماجاء به طباً صناعياً أو حكمة نظرية لقدروا على مثله لشمول عامهم لانواع الحكمة والطب فينقطع عذرهم وبعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بكلام يشبه كلام العرب ويعجز مناطيق فصحائهم ومصاقع بلغائهم عن التكلم بمثله لان من بعث اليهم ابتداء هم أهل الفصاحة وأرباب البلاغة ليتيقنوا انه لو كان كلام رجل منهم لم يعجزوا عن الاتيان بمثله لبلوغهم الى منتهى بلاغة كلام البشر فينقطع عذرهم وتقوم له الحجة البينةعليهم وكذا الحال في كل نبي ولسنا نقول إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ليس له معجز غير القرآن وانه لم يخبر بالمغيبات فان له غير القرآن كثيراً من المعاجز وقد أخبر عن غيب كثير وسنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى (وانما) أردنا ان القرآن اعظم معجزاته وبه توطدت قواعد نبوته وبغيره شيد بنيان رسالته وهكذا كل نبي يكون له معجز يؤسس له النبوة ومعاجز أخر تؤكد ذلك الاصل وتقويه فالمعجز المؤسس لنبوة موسى عليه السلام هو العصا واليد البيضاء وما أظهره الله على يديه بعدهما من المعجزات مؤكد لهما وقس على هذا سائر الانبياء(فظهر) مما ذكرناه ان مجرى نبينا صلى الله عليه وسلم في اقامة البرهان المصدق لنبوته مجرى من تقدمه من الانبياء لم يخالف طريقتهم في ذلك قيد شعرة

(السادس)انك قد علمت مما مضي ان صانع العالم هو المنعم على الخليقة بسوابغ النعم وأعظمها ابرازهم الى حيز الوجود واخراجهم من كتم العدم وشكر المنعم واجب عقلا لتقبيح العقلاء مجازاة المحسنين بالاساءة وترك الثناء عليه ولا يكون الفعل شكراً البتة الا اذا وافق ارادة المشكور والانسان مدني بالطبع لا يستغنى في معاشه عن غيره ونفوس البشر

مجبولة على حب الغلبة وهو يؤل الى التظالم المؤدي الى الفساد فمست لذلك الحاجة الى نصب قانون يعرف به شكر واهب النعم جل وعلا ويرتفع به الفساد وهو التكليف الذي أمرالله أنبياءه بتبليغه الى أممهم من الاوامر والنواهي والتكليف يستلزم المشقة وهو ظاهر وتحميل المشقة بغير عوض ظلم مناف للعدل والمدح فقط على الطاعة لايقوم بعوضها والذم على المعصية فقط لايكفي في الزجر عنها لاستسهال اكثر الناس الذم بعد قضاء الوطر فوجب بمقتضى العدل والحكمة ترتب مثوبة على الطاعة ومعاقبة على المعصية معتدا بهما ولا يجوز اجتماع التكليف وجزائه في دار واحدة لادائه الى رفع الاختيار والامتحان في التكليف وثبوت الجبر المنافي للحكمة فيه فوجب لذلك جعل دار اخرى تكون محلا للجزاء على العمل (هذا) في الطاعة وأما المعاصي فلما كان الغاية من النهي عنها أمرين أحدهما ازالة الفساد والثاني تطهير المكلف نفسه عن دنس القبائح وأرجاس الفواحش وجب للامر الاول جعل عقوبات دنيوية لاترفع اختيار المكلفين على كل معصية بحسبها وهي الحدود والتعزيرات الشرعية ومنها مسخ بعض المكلفين والخسف بهم لردع الباقين عن ارتكاب القبائح واقتناء الرذائل وللثانى اثبات عقوبة أخروية وهي دخول النار الذى استحقه المكلف بعصيانه المنعم عليه وتدنيسه نفسه بأدناس الفواحش (فثبت) من الدليل ثبوت التكليف ووجوب المعاد الجسماني وتحقق الجنة والنار فبطل بذلك قول منكري التكليف من جميع الكفار ومنهم النصاري وبطل قول من جحد عود المكلفين بعد الموت مطلقاً كالدهريين والوثنيين واخوانهم النصارى فانهم أنكروا الثواب والعقاب بعد الموت مطلقاً كما يفهم من ظاهر كلام النصرانى صاحب الكتاب في بابه الثالث بل من صريحه وهو

مستلزم لانكار الجنة والنار مطلقاً وبطل به أيضاً قول جماعة من الفلاسفة في انكارهم المعاد الجسماني خاصة وانكارهم الجنة والنار الحسيّتين واثباتهم المعاد الروحانى والجنة والنار العقليتين فقط فتدبر

﴿ ارشاد • فيه تحصيل مراد ﴾

قد تحقق مما أسلفناه من الادلة ان خالق العبادلم يخلقهم ليتكثر بهم من قلة ولا ليتعزز بهم من ذلة ولا ليأنس بهم من وحشة لانه الغنى المطلق عن جميع ماسواه من الموجودات وانما خلقهم وأوجد لهم كلما يحتاجون اليه وبصّرهم في التصرف والتقلب فى تحصيل المعاش وجعل لهم جوارح تامة وعقولا وأفهاماً ليعرفوه ويوحدوه ويطيعوه ويعبدوه ويؤمنوا بملائكته وكتبه ورسله ويصدقوا الرسل فيما يبلغون عنه من الاوامر والنواهي وغيرهما وفرض عليهم من الاعمال البدنية دون المقدور ورضى منهم بالميسور ولم يكلفهم المعسور لتطهر بواطن ذواتهم من الارجاس وتصفو ظواهرها من الادناس وشرع لهم شرعاً عاماً وشرعاً خاصاً فجعلهم جميعاً فيما لاتتغير مصلحته ولا تزول مفسدته كالتصديق بأنبيائه الاتقياء ورسله الاصفياء وكتبه المنزلة من السماء والاقرار بثوابه وعقابه وترك الظلم والفساد والزنا واللواط وشرب الخمر وما جري مجراها شرعاسواء وفيما تتغير فيه المصالح كالجهاد وإعداد الصلوات ومقادير الصيام وشبهها خصص بعض الامم دون بعض بشرع مقوم لاودهم وصالح لهم مناً منه عز وجل عليهم ورحمة منه لهم وقد أبان عن هذين المعنيين المتعقلين فى القرآن الكريم والفرقان العظيم بقوله تعالى فى موضع (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) وفى موضع آخر (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) وقوله تعالى (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) فالبشر كافه في وجه من التكليف متفقون وفي وجه آخر مختلفون وليس لأحد أن يقول لِمَ اختلف التكليف لان الله أعلم منهم بما يصلحهم فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فالواجب) على كل العباد لدلالة العقل السليم على وجوب شكر المنعم طاعة بارئهم في الشرع العام والخاص العلمى والعملى فمن خالف في واحد من الوجهين استحق بحكم العقل البعد عن ربه وتعرض لأليم عقابه وشديد عذابه وان كان خلافه في أحد جزئيات الامرين لتحقق المعصية منه لمن تجب عليه طاعته (وقد اعترف) بهذا النصراني فيما نقله في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابه عن الانجيل بزعمه من رسالة يعقوب (قال) من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل ومن الرسالة الى أهل غلاطية جميع الذين هم من أعمال الناموس تحت لعنة لانه مكتوب ملعون كل من لايثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به وقد أورد الكلامين مستدلا بهما على قوله إنه يجب على الانسان أن يحفظ الشريعة الآلهية حفظاً تاماً

ومن هذا يعلم هلاك النصارى وأنهم ملعونون لتركهم فرائض التوراة وتحريمهم ما أحلتها وهم مكلفون بما فيها لأقرارهم بأن عيسى وإنجيله أمراهم باتباع التوراة وأنهما لم يخالفا منها حرفاً واحداً وسيأتي إقرار الخصم بهذا صريحاً وارتكبوا مخالفة ناموس التوراة بدعوى أنه يكفي عن ذلك كله تطهير الباطن باعتقاد ربوبية المسيح كما صرح به هذا النصراني فى كتابه وستسمعه مع الكلام عليه فيقال لهم آللهُ أَذِنَ لكم (في ذلك) أم

عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ

(وتبين) أيضاً بما أصّلناه وفصّلناه بطلان قوله في مقدمته ان من أهم شروط الوحي الصادق ألا يكون فيه تناقض أعني أن تكون أهم معانيه وأحكامه مطابقاً بعضها لبعض وغير متناقض ولا مخالف له فانه متى تناقض فيه معنيان لايمكن أن يكون أحدهما حقاً فتناقض المعاني والاحكام في أيّ كتاب كان هو دليل على عدم كونه من عند الله لان الله هو كامل الصفات منزه عن العجز والنقص والتناقض في كلامه العزيز انتهى

وأنت اذا أنعمت النظر في كلامنا متبصراً في مبانيه متأملا لمعانيه وعرفت أن الخالق القديم إنما يكلف العباد على حسب مصالحهم وأنها تختلف باختلاف الازمنة وأحوال المكلفين علمت يقيناً أن التغير في معاني الوحي الالهي غير مستحيل مطلقاً ولا محظور وأن تبديل الاحكام غير ممتنع دائماً وليس فيه من محذور وأن كلا الحكمين المختلفين حق من عند الله إلا أن أحدهما مخصوص بوقت والآخر مختص بوقت آخر وهذا هو النسخ بعينه ولا مناقضة بين الحكمين اذا اختلف زماناهما كما اذا قلنا زيد قائم صبحاً وقاعد ظهراً وانما يكون التناقض في الحكمين اذا كان زمانهما واحداً واختلفا (١) بالنفي والاثبات كقولنا زيد قائم وقاعد صبحاً وأين هذا من الاول والنسخ من قبيل الاول لا من قبيل هذا وأظن أن النصراني لا يعرف قواعد التناقض فهو يتكلم بما لا يعلم

(فاتضح) أن كمال الله في الصفات وتنزهه عن العجز والنقص لا يقتضي اتفاق الأحكام في كل أمة أو كل حال بل تقتضي قدرة الباري تعالى على كل مقدور تغيير الاحكام وتصريف الامور لان ذلك من جملة المقدور فتغيير الاحكام

---

(١) النفي والاثبات بين القيام والقعود معنوي لان وجود أحدهما يستلزم نفي الآخر اهـ منه

من مقتضيات كمال الصفات لا من لوازم النقص والعجز لو كان النصراني ... فلا تناقض في كلام الله أصلا يشعر (على أنه) يكفينا في حل قضيته وإفساد نتيجته ما قال في الفصل الرابع من الباب الثاني في جواب اعتراض ذكره ما لفظه فلا سبيل لنا نحن العبيد العاجزين الى الاعتراض على ما أعلنه يعني الله من غوامض حكمته الالهية بل علينا أن نعتقد بكل ما أعلنه لنا ونتبع كلما أمرنا به في كلامه العزيز ولو لم يمكننا فهم أسبابه وإدراك ما فيه من الحكمة انتهى

(وقال) أيضاً في الفصل المذكور فانه أي الله تعالى إله غير منظور قادر على كل شيء لا يعتريه عجز ولا تقصير هو الملك والمالك بلا شبيه وليس لأحد عليه اعتراض بلِمَ وكيف ولكن له الحكم والامر في كل أفعاله وما لأحد الا التسليم والنظر الى صنعه والرضا بقضائه انتهى

ومثلهما في كتابه كثير وهو حاكم عليه أن التزم بحكم نفسه على نفسه بإبطال ما ذكر في مقدمته بالتصريح والمقول الفصيح ومع ذلك يلزمه ان التزم بمضمون كلامه المردود أن يحكم أيضاً ببطلان رسائل اصحابه التي زعم أنها أناجيل وأنها كتبت بوحي او الهام لما فيها للتوراة من المناقضة الشديدة والمخالفة البعيدة بل يلزمه إبطال أصل الانجيل لدعواه أنه مصرح برفع عبادات التوراة وذلك مناقضة بينة ومعارضة واضحة فبطل الكتابان على قوله معاً ومتى رفع التناقض عنهما بادعائه تجديد فرائض التوراة بما قبل نزول الانجيل لزمه رفع التناقض عن الحكمين المتقابلين باختلاف الزمان ايضاً كما قلنا وسوف تقف على ما ذكرناه عنه وتراه فظهر الحق وبطل ما أملاه والكلام المذكور هو من مقدمته وقد أذهبناه فلم يبق فيها بعده الا عظام نخرة لا يلتفت اليها ذو بصيرة ومقدره

﴿ إيقاظ وتنبيه ﴾

اعلم ايها الناظر الخبير والناقد البصير نوّر الله قلبك بأنوار الهداية وأزاح عن لبك غواشيَ الغواية وجلا عن بصيرتك ظلمات العماية أن النصارى شاركوا كل كافر فى كفره وكل مشرك في شركه وكل جاحد فى جحوده وزادوا على الكل بأضعاف مضاعفة وفاقوا الجميع فى سلوك سبيل المجازفة فشاركوا أهل الاوثان في اتخاذ آلهة مع الله فان الوثنيين اتخذوا لهم أصناما فعبدوها وزعموا أنها تضرّ وتنفع وتعطى وتمنع وتنصر وتدفع وأنها تشفع لهم عنـد الله فتشفّع (وقال) قوم منهم إن الملائكة بنات الله والنصارى اتخذوا المسيح وأمه وروح القدس آلهة يعبدونها وقالوا فيهم ماقاله الوثنيون فى أوثانهم وزعموا أن عيسى وروح القدس ولدا الله وزادوا عليهم بدعواهم أنه تعالى متحد بهما فتارة يزعمون أنهما حالاّن فيه وأخرى بانه حل فيهما بل زادوا على هذا المحذور نغمات في الطنبور فزعموا أنهم جميعاً أبناء الله ومتحدون به والوثنيون لم يدعوا هذا لاصنامهم وزادوا عليهم أيضاً بان ادعوا أن المسيح رب الارباب (ونص هذه القضية) أن المسيح رب الله ومالكه وإخوانهم الوثنيون لم يدعوا لاوثانهم هذه الدعوى بل اعترفوا بان الله هو المـالك كما تصرح به تلبية مشركى العرب فى حجهم وهي قولهم (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريكا هولك تملكه وما ملك) وشاركوا المجوس في قولهم بتعدد القدماء وأن النار بنت الله لان النصارى أيضاً زعموا أن عيسى وروح القدس فى الازل مع الله وأنهما ولدا الله فحصلت المشاركة فى أصل المذهب واختلفت في المتعلق كالاول وشاركوا اليهود في إنكار النسخ وكف يد الله جل جلاله عن التصرف فى خلقه

بالامر والنهى ورفع قدرته على المحو والاثبات وإنكار نبوة نبينا سيد الانبياء وزادوا على القبيلين بدعوى الاتحاد المتقدم وربوبية المسيح وغير ذلك (فان المجوس) لم يدعوا لاحد منهم الاتحاد بربهم واليهود لم يدعوا ربوبية نبيهم موسى ولا بنوّته لربهم ولا اتحاده به وشاركوا الدهرية فى إسقاط العبادات البدنية بزعمهم أنه يكفي عنها الايمان بخلاص المسيح الذى ليس بمفهوم وزادوا عليهم بما ذكرناه من دعاويهم الاتحاد وغيره فأىّ كفر أبين من كفرهم وأىّ شرك أظهر من شركهم ولعلك تجد في نفسك شكا مما قلناه واليهم نسبناه فهلمّ اسمعك الآن من كتاب خصمنا النصرانى بعض مايصرح بذلك وينص عليه حتى تحقق مافيه من التُّرّهات اليوابس وتبصر ماهناك من وجوه الكفر العوابس

(فمن) ذلك قوله في الفصل الرابع من الباب الثانى فمن هذه الآيات يستفاد أن الذى أعلن لنا ذات الله المحجوبة عن الابصار التي لاتدركها الافكار وبيّنها هو الابن وأن الابن هو متحد بالاب ومساو له وللروح القدس فى القدرة والكمال والحكمة والجلال وهم إله واحد له المجد والسجود الي أبد الآبدين (وقال) أيضاً فى الفصل المذكور ومن ثم يعبر المسيحيون عن الذات الالهية بلفظ التثليث فى التوحيد الى أن قال إن الاب والابن والروح القدس هم ذات واحدة وجوهر واحد وإله واحد لاثلاثة وأن بينهم تمييزا حقيقيا انتهى (فانظر) مع ماذكرناه عنه الى التناقض في كلامه بين قوله اب وابن وروح وان بينهم تميزا حقيقيا وبين قوله ذات واحدة الى آخره وكيف تحصل وحدة بين ثلاثة مع التمييز الحقيقي لكل منهم عن الآخر وليس يحصل التمييز الحقيقي الا بتمام الانفصال أعنى انفصال كل منهم عن الآخر ولاتحصل وحدة الثلاثة الابالتركيب والامتزاج وهما متوقفان على كمال الاتصال والانفصال

والاتصال ضدان فلا يجتمعان ولا تحقق الوحدة مع الكثرة لما بينهما من شدة التناقض والتضاد فتأمل (وقال) فى الفصل الخامس من الباب الثانى ومن خصائص المسيحى الحقيقى أيضاً أنه لاتحاده هكذا مع الله تكون أفكاره وإرادته موافقة لافكاره وارادته الي آخر ماقال وانظر الى حكمه بأن لله تعالي أفكاراً تجده مصرحا بأنه جل وعز عند النصرانى بمنزلة الانسان الذى تعرض له الافكار ويتوقف في أفعاله على التروى والتأمل وفيه من تصغير كبرياء الله مالا يخفى على الفطن اللبيب

(وقال أيضاً) فى الفصل المذكور المسيحى الحقيقي لايفتقر الى رسوم خارجية وعبادات معينة بل يصلي ويدعو اليه تعالى بمابداله بحسب احتياجه في أيّ زمان وحال كان متيقناً أن الله الاب السماوى يسمع صلاته ويستجيب دعاءه انتهي (فتدبر) في لغوه تعرف منه التصريح بسقوط الصلاة البدنية وجميع العبادات الظاهرية كالصوم وغيره ونسبة الله الى أُبوة أمثاله وأشكاله والابن لامحالة مشابه للاب فأين قوله اذاً فيما أسلفناه عنه من قريب ان الله هو الملك والمالك بلا شبيه وأين قوله أيضاً ان من ترك شيئاً من أعمال الناموس فهو ملعون وقد سبق أيضاً ذكره ومن تناقض أقواله تعلم انه اذا ضاق عليه العذر أتى بالهذيان وان لم يجد للباطل سبيلا عبر بعبارات أهل الايمان فهو ملبّس ومدلّس وهذا عين التعصب الظاهر لكل مبصر ناظر

(وقال) في الفصل الثالث من الباب المذكور ثم إننا من الآيات التى أوردناها اعلاه تحقق أيضاً أن تسمية المسيح باله وابن الله لاتطلق عليه على سبيل المجاز تعظيما وإجلالا له بل على وجه الحقيقة بناء على ألوهيته اذ كان متحداً بالله حقا بل هو الله لامحالة انتهي

(ويقال) له مع تبين الكفر من قوله اذا كان المسيح عندك هو الله حقيقة فلِمَ قلت انه ابن الله والابن البتة غير الاب فأنت اذاً جعلته بكلاميك

ابن نفسه فهو الله وهو ابن الله وهذا تناقض واضح ومقال فاضح وكذلك قولك انه متحد بالله فانه أيضاً مناف لقولك هو الله لان المتحد بالشي ليس هو ذلك الشيء بعينه بل هو غيره بالحقيقة فامتزج به فمعنى كلامك أن عيسى متحد بنفسه وهذا من أبين الاقوال فسادا وأوضح المعانى كسادا ونعلم من ذلك أنك مخطيء لمرادك فى كل أقوالك وانك جاهل صرف لاتعرف اختلاف المعاني واتفاقها (وقال) في الفصل المذكور أيضاً ناقلا عن رسالة المسيح هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فانه فيه خلق الكل مافي السموات وما على الارض مايرى ومالايرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل انتهى

فتبصر جيداً فى هذا الكلام وتصريحه بأن عيسى هو جميع العالم وانه صورة الله وأن كل العالم فيه وتأمل المناقضة بين قوله فيه خلق الكل وبين قوله هو قبل كل شيء فان مفاد القضية الاولي مقارنة خاق جميع العالم لتكون المسيح ومفاد الثانية تأخر تكوّنهم عن تكوّنه والمتناقضان باطلان ويلزم على قوله إن عيسى خلق فيه الكل وفيه يقوم الكل وانه هو صورة الله ان الكلاب والخنازير والسباع الصائلة والحمير والابل والوحوش والحشرات كالحيات والعقارب والنصارى واليهود والكافرين بالمعبود والقرود والفهود وغيرهم مما لايقدر على احصائه هم عيسى وهم صورة الله وحالّون في ذاته لان عيسى كل العالم وهو صورة الله وهو الله على ما حكم به ذلك المسلوب الفؤاد فالعالم هو الله فاين العبيد المربوبون اذاً ويلزم أيضاً على قوله ان عيسى هو الآكل والمأكول والشارب والمشروب واللابس والملبوس والذكر والانثى والناكح والمنكوح والخالق والمخلوق والرب والمربوب والرسول والمرسل والوالد والولد والقديم والحادث

والمتحرك والساكن والبسيط والمركب والمؤمن والكافر والماء والنار والارض والسماء واليابس والرطب الي غير ذلك من المتناقضات والمتغايرات التي يطول بذكرها الكتاب ويبلغ بتعداد جميعها بل أكثرها الى غاية التطويل والأسهاب (وانت) اذا تبصرت فيه أبصرت يقينا احتواءه على كفر عجاب فاق كفر كل كافر مرتاب لايدانيه كفر دهرى ولا وثني ولا مجوسي ولا صابئي ولا غيرهم من أهل الجحود والاستكبار

(وانظر) أيضاً مناقضة قوله ألله غير منظور اليه لقوله قبل إن عيسى هو الله حقا لامحالة وهو يقر أن عيسى منظور اليه مرئي وانه صلب وقتل وعلى هذا يكون الله منظورا اليه وعيسي منظورا اليه وغير منظور اليه وهذا تناقض عظيم ويلزمه أيضاً ان عيسى هو الذى صلب نفسه وقتلها بل يلزمه ان الله هو المصلوب المقتول وانه هو الذى فعل بنفسه ذلك لان عيسى كما سمعت في كلامه هو الله وعيسى قد فعل به ما ذكره معتقداً بوقوعه من الصلب والقتل وقد صرح به أتم تصريح في الباب الثاني وأشار اليه اشارة بينة في بابه الاول وهذا هو غاية الضلال البعيد والجحود الشديد نعوذ بالله منه

(ونقل) في بابه الثالث من خرافات يوحنا في وصف عيسى بزعمه ان له على ثوبه وعلى فخذه اسما مكتوبا ملك الملوك ورب الارباب وهذا أعظم ضلالا من سوابقه لاستلزامه ان يكون عيسى رب الله سبحان الله وعلا عن مقال هؤلاء الكفرة الجاهلين هذا كله مع نقضه قضاياه هذه كلها بأسرها بحكمه ان المسيح من نسل يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم الخليل فقد نقل في الفصل الاول من الباب الثالث عن رسالة يزعم أنها إنجيل وأما المواعيد فقيلت في ابراهيم وفي نسله لايقول وفي الانسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي

هو المسيح انتهى والخطاب بالكاف لأسحاق أو ليعقوب واذا كان المسيح من ذرية يعقوب فكيف يكون ابن الله ويكون قبل كل المخلوقات ويكون هو العالم برمته والمخلوقات بأسرها جل الله العظيم وكرم عيسى روح الله عما يقوله هذا الجاهل البحت وأضرابه من الاغبياء وكتابه مملوء بامثال ما نقلناه فلنقتصر منه هنا على ما رسمناه ففيه الكفاية لمن يعي ويسمع فما أغناه عن كشف عورات النصارى لأبصار المسلمين ونصب سوءآتهم غرضاً لسهام المحمديين واظهار عيوبهم للناظرين فليته اقتصر على ما قصد اليه من الطعن في الاسلام والتكذيب بنبوّة نبينا سيد الانام وخاتم الرسل الكرام وانكار معاجزه المنتشرة في الآفاق بين الخاص والعام ليكون الجدال بيننا وبينه والخصام في هذا المقصد والمرام ولم يبد هذه الفضائح ولم ينوّه خاطباً بتلك الشنائع والقبائح ولم يعان ناطقاً بتلك المقالات الفواضح ولقد حق لى في قلع أساس عقيدته وأمانيه وثل عروش دينه وهدم مبانيه واظهار معائبه وايضاح مخازيه أن أخاطبه بقول الشاعر

مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ رَوَانِفُ إِلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

وحسن لى في مقامي مقام أهل ملتنا في ازالة شبهه وتمويهاته ودفع أكاذيبه وتزويراته ان أتمثل بقول الفرزدق

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذِّمَارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

والصبح بيّن للبصير وضياء الشمس متميز عن الدياجير وان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا

﴿ إشارة فيها بشارة ﴾

كأني بك أيها الطالب للحق المنوّر قلبك بنور الايمان بعدم ملاحظة

ما حررناه من البرهان وقررناه والاستبصار فيها من الدليل القاطع أتقناه والتبصر فيها أجملناه وفصلناه قد آن لك ان تعلم علماً جازماً فساد قول هذا النصراني وغلطه وتعرف يقيناً ميله عن منهج الحق وشططه وانه فيما حاول إثباته قد زلت قدمه وفيما رام تحقيق حقيقته قد أخطأ قلمه وفيما بذل جهده فيه من نصر النصرانية قد نكس علمه وانه فيما جاء به من المنكر والمين رجع بخفي حنين وانه قد زال ماشبه به واندفع جميع ما تفوّه به ولم يبق علينا من رد مزوراته وازاحة تقديراته الا إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على التفصيل وإبطال ما أنكرها به من الاباطيل ولكنا تشدداً في نصر الاسلام والمسلمين وتشييداً لبنيان دين نبينا الامين وتسديداً لاراء أهل اليقين وتثبيتاً لقلوب المؤمنين نفي بما وعدنا به في أنف هذا المؤلف ونفصل ما أشرنا اليه إجمالا في صدر هذا المصنف من جمع أمخاخ كلمات النصراني وإرهاقها والتقاط أرواح كتابه وإزهاقها فلنشرع الآن فى عقد المقالات لاغلاق أبوابه وإبطال حسابه مبتدئين بذكر خطبته لنوضح من معناها عظيم زلته لتعلم أن دينه في اضمحلال وقوي عقيدته في انحلال وقواعد بنائه في زلزال وما جمعه وعدده في زوال فنقول

المقالة الاولى

لاغلاق بابه الاول وفيها مناطق

المنطق الاول في الكلام على مبدأ كتابه

قال الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لايفنيه الابد ولا يغيره الامد (اقول) الله اسم للذات الواجب الوجود والنصراني يحكم بأنه المسيح الذى ليس هو قبل امه مريم بموجود كما سمعت فى كلامه

السابق والواحد بالوحدة الحقيقية هوماليس فيه تركيب اصلامن جميع الوجوه لاذهني ولا خارجي وبالوحدة الشخصية الحصة المندرجة تحت كلّي مقول على كثيرين متفقين بالحقائق ولا يمتنع عليه التركيب لاذهناً ولاخارجا بل الاول لازم له دائماً كزيد مثلا الذى هو شخص من الانسان الكلي لمقوليته على زيد وغيره من أشخاص الانسان وهنا وحدات لا يليق بهذا المقام ذكرها فهذا المتكلم ان أراد الواحد بالمعنى الاول كان قوله مناقضاً لمذهبه لانه يزعم جازما كما تقدم فى تقوّلاته أن ذات البارى تعالى مركبة منه ومن المسيح ومن الروح القدس بل متحدة بالنصارى بل بجميع العالم فأين الوحدة على هذا بالمعنى المذكور وان جنح الى اختيار المعنى الثانى كما هو نص كلامه فى كتابه ومقتضى طريقته لزمه الحكم بحدوث ذات البارى تعالي وجواز الفناء عليه لان المركب مسبوق بعدم التركيب جائز أن يحل تركيبه وترجع اجزاؤه الى أصولها فينعدم حينئذ المركب ويفنى وهذا مشاهد فى المركبات فحصل التغيير والفناء وهذا مناف لقوله هنا لا يفنيه الأبد ولا يغيره الأمد ويلزمه أيضاً الحكم بمشابهة الله لغيره لانه على هذا الوجه فرد نوعىّ فأين اذاً قوله فيما سبق نقله عنه ان الله هو الملك والمالك بلا شبيه وقوله أيضاً في كلام تقدم ذكره ان ذات الله لاتدركها الافكار ومن المعلوم أنّ ما لا تدركه الافكار لا يشبه شيئاً مما تدركه واتحاد ذات البارى تعالى بعيسى والروح القدس لاتزيل المشابهة بل تقويها لأن المتحدَين متشابهان فيما اتحدا فيه من المعانى بل متماثلان وهو ظاهر ولا مخلص له عن هذا الالزام على الوجهين الا برفضه دينه وتبديله تظنينه ورجوعه الى اعتقادنا الحق الحقيق بالتصديق على ان اتحاد الثلاثة وصيرورتهم ذاتاً واحدة كما زعم يستلزم جسمية الجميع والجسمية على

الله سبحانه مستحيلة وصيروورة الجسمين جسما واحدا مع بقاء حقيقة كل منهما ممتنعة أيضاً وتداخل الاجسام بعضها في بعض أشد امتناعا ومع كل هذا فيبطله أيضا نقله مراراً عن المسيح أنه قال انى ذاهب الى الأب ومن الواضح المكشوف أن الشئ لايذهب الى المتصل به وإنما يذهب الى المنفصل عنه فلو كان المسيح متحداً بالله لم يصح كلامه المذكور ويبطله أيضا نقله كثيراً عن المسيح أنه وعد الحواريين بارسال الروح القدس عليهم بعد ذهابه وأنه أرسله بعد عشرة أيام أو تسعة فلو صح هذا الاتحاد لكان الرسول هو المرسل نفسه وهو الله بنفسه ويكون ذات الله المركبة من الثلاثة قد حلت فى الحواريين فوجب أن يكونوا أرباباً لاتحاد كل منهم بذات الرب فما أكثر الأرباب والآلهة على مذهب هذا النصرانى فهنيئاً للنصارى بأولئك الارباب الناقصين والآلهة العاجزين الذين هم على كثرتهم لم يغنوا عن أنفسهم غناء وإن عاديقول إن الثلاثة يتحدون تارة فيكونون ذاتاً واحدة شخصية وينفصل أحدهم عن الآخر تارة كما يظهر من كلامه فى مواضع من كتابه أبطلنا قوله بوجوه

الاول لزوم التغيير في ذات الباري تعالى بالاتصال بغيره والانفصال عنه وهو مخالف لقولك بلا شبيه ولا تدركه الافكار ولا يغيره الأمد

الثانى لزوم حلول ذات البارى تعالى فى شئ منفصل عنه وحلول شئ منفصل عن ذاته فيه وانتقال كل منهما عن الآخر والتحول والانتقال حركتان بينهما سكون وهما يستلزمان الحدوث وهو ينفيه عن البارئ ويثبت له القدم كما مضى في كلامه وصرح به هنا فى قوله لايفنيه الأبد فما أشبه رب النصارى على هذا بعقعق يقع فى مكان يلتقط منه الحب ثم يطير عنه اذا شبع ثم يعود اليه اذا جاع وهكذا تبارك ربنا وتقدس عن هذا المقال وتعالى عن ذلك المحال

الثالث ان اتحاد ذات البارى بالمسيح والروح اما من فعله بذاته واما من فعل الغير به والثانى باطل لامحالة لاستلزامه كونه تعالي حادثا مغلوباً مدبراً مربوباً وعلى الاول اما أن يكون فعله لحاجة اليه أولا لحاجة والثانى باطل لاستلزامه العبث المستحيل صدوره من الحكيم وعلى الاول اما أن تكون الحاجة هى تقوم ذات الله جل وعلا وحياته بالاثنين أو تقوية ذاته على ايجاد مايزيد من الافعال بهما ولا يعقل في الاتحاد غرض غير هذين الامرين وعلى الاول يلزم موت الله وفناؤه عند انفصال الاثنين عنه لمفارقته مابه حياته وقوامه وعلى الثانى يلزم نقص البارى وعجزه عند الانفصال ويلزم على الوجهين افتقار البارى جلت عظمته الي غيره واللوازم الثلاثة باطلة مستحيلة على ذات الغنىّ المطلق عمن سواه وفي كلام الرجل اعتراف به صريح فبطل الاتحاد مطلقاً (ثم) نقول له أخبرنا عن كل واحد من الثلاثة عند انفصال كل منهم عن الآخر أتبقى الربوبية في كل واحد منهم أم تزول عن الجميع وتعود فيهم بالاتصال ثانيا أم تبقى لله خاصة فان قلت بالاول لزمك القول بتعدد الارباب وأنت تنفيه وتحاول ارجاع الثلاثة الى الواحد وتقول الحمد لله الواحد الاحد وان قلت بالثانى لزمك نفى الربوبية وإنكار الرب بالكلية لانك اعترفت بالافتراق المزيل لها باقرارك ان المسيح ظهر في الارض وبقي زماناً وانه صلب وقتل وانه ارسل الروح القدس على الحواريين بعد أن بعث من قبره ورفع الى السماء بأيام وان الروح بقي مع الحوريين ولادليل لك يقطع العذر على عود اجتماع الثلاثة وصيرورتهم ذاتاً واحدة مرة ثانية لتعود الربوبية ولايثبت ذلك ما ادعيته على المسيح انه قال انى ذاهب الي الاب لانه قول غير بارّ ولا مصدق ولو صح لم يدل على ماتدعى لأن الذهاب الى الشىء التوجه اليه وهو أعم من الاتحاد به وفي القرآن

حكاية عن ابراهيم خليل الرحمن انه قال (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) يعنى متوجه اليه بالعبادة ثم لو صح دلالته على ذلك لم يثبت اتحاد الثلاثة لأن روح القدس بمقتضى خرافاتك مع الحواريين وانتم لم تزوّروا عليه بأنه قال انه ذاهب الى ابيه كما زورتم على المسيح فالثلاثة اذاً لم يجتمعوا ابدا فلا ربوبية على قولك ولا رب فاين الفرد الصمد الذى لا يفنيه الأبد وايضاً انك قلت ان المسيح هو الله لا محالة فاين الله الثاني الذى هو ابو المسيح حتى يذهب مسيحكم اليه واذا نزلنا عن هذا كله وسلمنا لك عود اجتماع الثلاثة لم يزل المحذور لوجهين

الاول ان الربوبية صفة ذاتية لازمة لا تذهب تارة وتجيء اخرى ولا انقطاع لها اصلا وانت بقولك أثبت انقطاعها

الثانى ان الرب تجب له السرمدية وقولك مبطل لها فكلامك يا نصرانى متعارض متناقض ودينك رابض غير ناهض وان قلت بالثالث اقررت بأن عيسى والروح عبدان مربوبان فهما مستمران على العبودية لأن العبد لا ينقلب ربا فبطل دينك من أصله (واعلم) ان هذه الامور الشنيعة والاقوال الفظيعة اللازمة لمذهبه تدل باوضح دلالة على فساد مقالته وتبصّر البصير فى بطلان ديانته مضافا الى تناقض اقواله فى جميع احواله كما بيناه فتبين من ذلك كله ان بين الوحدة والتثليث غاية التنافي والتضاد ونهاية التخالف والعناد فاجتماعهما من اشد المحال ومدعيه من أجهل الجهال وان القول بالاتحاد موجب لزيادة البطلان وكثرة الفساد وان القائل به قد صغّر عظمة الله وجلاله وحقّر كبرياءه وكماله ونقص قدرته العامة وغناه المطلق وجحد جوده وإفضاله واستحق سخطه وعذابه ونكاله نعوذ بالله من الاقتحام فى مهاوى الغواية والضلالة والغرق في لجج العماية والجهالة ونستغفر الله من التقصير فى شكر نعمه

على كل حال جل وعلا وتقدس عن كل ماقاله الجاحدون لعلو مجده والناقصون في نعته وحمده وقد تحقق ان الله سبحانه هو الواحد الحق الذى لاتجزؤ فيه لاخارجا ولا ذهنا وهو عكس ماقصده النصرانى من معنى الواحد (والاحد)هو الواحدالذى لايكون له ثان وهذا المفهوم مناقض لقول النصراني بالتثليث والفرد الحقيقي هو الذى لايقبل القسمة في جهة من الجهات ولا نظير له ولا شبيه وهـذا المفهوم أيضاً مناف لقول الرجل بانقسام ذات الله الى اب وابن وروح (والصمد) له معان كثيرة منها انه الذى لايحتاج الى غيره وكل من سواه محتاج اليه ومنها انه المصمود اليه فى الحوائج يعني أن كل ذى حاجة يقصده فى قضاء حاجته ومنهاانه الذى لاجوف له يعنى الذى لايحتاج الى طعام ولاشراب وهذه المعانى صادقة على ذات البارى تعالى على الوجه الذى نذهب اليه من انه واحد حقيقي غني عمن سواه وأما على مايصرح به النصراني من انه متحد بغيره وانه عيسى فلا تنطبق عليـه بحال لان عيسى يأكل ويشرب ويحدث وينام وهو محتاج الى الله تعالى فى كل وقت ولايسع النصرانى انكار شيء من ذلك لاسيما حاجة المسيح الى الله جل شأنه بل يثبت للمسيح ماهو أعظم من ذلك وهو استيلاء اعدائه عليـه حتي صلبوه وسمروا جسده بالمسامير وقتلوه وأين هذا من الصمد الذى لايفنيـه الأبد ولايغيره الأمد كما قال وهاتان القضيتان في كلامه ايضاً لاتصدقان على الله تعالى على مذهبـه من الاتحاد لان التغيير فى الذات حصل بالتركيب والانفصال بعده فان الرجـل يصرح تصريحا بينابأن عيسى وروح القدس انفصلا عن ذات البارى تعالى فهبطا الى الارض والفناء لازم بعد الانفصال لان انفكاك اجزاء المركب بعضها عن بعض مقتض لزوال ذاته بالمرة وذلك هو الفناء واما مايشـبه به ويموه في مطاوى

كتابه في معنى هذا التركيب مما لاتجوّز العقول السليمة وتقتضى أدلتها استحالته فهو هباء منثور لايلتفت اليه ولا يعرج عاقل لبيب عليه وسيأتي توضيحه في محله وباقى ألفاظ خطبته على هذا المنوال يصح إطلاقها عليه تعالى على ماقلنا لا على ماقال ومن ذلك كله يعلم انه يصف ربه بما لايصح عليه فى ديانته ولا يصدق عليه فى عقيدته وان تلك الصفات ان صدقت بالحقائق على ذات الرب الجليل وهي صادقة عليه كذلك كانت مناقضة لطريقته وان كانت مجازات فقد وصف ربه بما ليس من حقيقته ويتضح فساد دينه من الرأس وانه اخذه بالظن والقياس ولم يبنه على أصل ثابت ولا اساس

﴿ المنطق الثانى ﴾

في تزييف فصله الاول من بابه الاول ذكر هــذا الرجل فى الفصل المذكور ماحاصله ان المسلمين يجب عليهم الاقرار بان التوراة والانجيل كلام الله لانهم يصدقون بالقرآن وهو يشهد بصحة الكتابين المزبورين واستدل على ذلك بآيات من القرآن لانحتاج الى ايرادها لاننا لانناقضه فيها واستنتج من ذلك وجوب مطالعة ذينك الكتابين على كل مسلم وإمعان النظر فيهما وهــذا مفاد فصله كله

(اقول) لاشك عندنا معاشر المسلمين فى صحة نبوة موسى وعيسى وانزال التوراة والانجيل عليهما وانما الكلام في الطريق الذى حصل لنا منه القطع بذلك فنحن نقطع بصدق القضية المذكورة من جهة إخبار القرآن الذى صح انه كلام الواجب القديم بها كما هو مقتضى استدلاله علينا في ذلك بقرآننا ومن إخبار نبينا الصادق الامين صلى الله عليه وسلم بذلك ايضاً ولا نقطع بها من جهة إخبار اليهود والنصارى لعدم إفادة خبر كل منهما القطع

لفقدان التواتر فيه (وتوضيح) المقام أن من شروط الخبر المتواتر ليكون متواتراً فيفيد القطع حصول التواتر فى جميع طبقات المخبرين به

وسنبين حقيقة الخبر المتواتر وشروطه ان شاء الله تعالى وهذا الشرط مفقود فى خبر الفريقين بتلك القضية

(أما اليهود) فانهم لما استأصلهم (بخت نصر) فقتل رجالهم وأتى بجماعة من ذراريهم الاطفال الى بابل لم يبق من أهل العلم والدراية منهم من يبلغ العدد المعتبر فى التواتر وقد بقوا على هذه الحال مدة من الزمان تقارب سبعين سنة وقد اعترف بهذا المضمون خصمنا فى موضع من كتابه بل مواضع فانقطع التواتر فى تلك الطبقة مع طول المدة فلا عبرة بعد ذلك بالكثرة الحادثة فى تحقق التواتر

(وأما النصارى) فانهم كانوا فى زمان عيسى ووقت نزول الانجيل عليه فى غاية القلة لا يبلغون عشرين رجلا وبقوا على هذا زمانا بعد أن رفع الله عيسى الى السماء وقد اعترف بهذا أيضاً صاحب الكتاب فى فصل كيفية انتشار دين المسيح فلم يحصل فى خبرهم شرط التواتر (والكثرة المتجددة) لا تنفع فى اثبات تواتر ما تخبر به عن القلة المتقدمة فانتفى التواتر فى خبر الفريقين وبانتفائه ينتفى القطع بخبرهما (ولم نستفد) أيضاً صحة الكتابين من جهة أنفسهما لو وقفنا على أصلهما المنزلين على موسى وعيسى لانه ليس فيهما من البلاغة فى لسانهما ما يعجز أهل لغتهما عن الاتيان بمثلهما فى النظم والاسلوب ليحصل العلم بانهما ليسا من كلام البشر فيؤدى ذلك الى اليقين بانهما كلام الله كما كان هذا في قرآن نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اعترف الخصم في كتابه بالمقدمة فلزمه الاقرار بالنتيجة (ومن هذا يتضح) انا لو كنا في زمان موسى أو عيسى لم نجزم بأن الكتابين كلام الله من جهة النظر في نظمهما

وأسلوبهما وانما يثبت ذلك عندنا من جهة ثبوت نبوّة الرجلين بمعجز متقدم على نزول الكتابين عليهما وحكم العقل بعصمة النبي عن التقوّل على الله سبحانه ومن المعلوم أن أصحاب موسى أو عيسى لم يؤمنوا بالكتابين الا من هذا الوجه فان كلا من الكتابين ليس بمعجز لمن أنزل عليه لان التوراة أنزلت على موسى عليه السلام بعد خروجه مع قومه من البحر ومضيه الى مناجاة ربه في طورسيناء وذلك بعد ثبوت نبوته بسنين متعددة وانما كان معجزه المصدق لدعواه في أول مبعثه العصا واليد البيضاء وكذلك عيسى عليه السلام انما أنزل عليه الانجيل بعد برهة من بعثه وزمان من ثبوت نبوّته فلا يكون معجزاً له وهو متأخر عن أول زمان الدّعوة وانما كان معجزه المثبت لدعواه كلامه فى المهد وإبراؤه الاكمه والابرص وخلقه من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فكان طيرا باذن الله (ومن هذا) يعلم صحة ما قلناه في مقدمة كتابنا من وجوب اقتران دعوة كل نبي بمعجز يدل على صدق دعواه فى أول بعثه ليكون ما بعده من معاجزه مقرر المعجزه الاول الموطد لقاعدة نبوّته والمؤسس لاصل دعوته (وليس للنصرانى) أن يدعي أن صحة الكتابين عند أهل العصرين من جهة اشتمالهما على الاخبار عن الامور المتقدمة والمتأخرة كما يظهر من كلماته في غير هذا الفصل (لأنا نجيبه) عن الاول باحتمال أن يكون موسى وعيسى أخبرا بذلك من طريق التعلم من العلماء بأخبار الماضين في زمانهما كما أدعي هذا الرجل في أخبار القرآن بالامور المتقدمة مثل هذه الدعوى في فصله الثالث من بابه الثالث وأعظم منها مع ظهور كذبها كما ستعرفه من الكلام عليها عند انتهائنا الى موضعها بخلاف دعوانا هنا فانها لاتدفع الاباثبات حقية التوراة والانجيل بدليل آخر غير ماذكره وعن الثاني بوجهين

(الاول) أن العلم بأن هذه الاخبار من الله متوقف على وقوع المخبر عنه على طبق الخبر والتصديق بالكتابين والعمل بهما لازم فى زمان نزولهما على أهل عصريهما والاول متأخر عن الثانى بأزمان متطاولة ولا يجوز أن يتوقف التصديق بشئ فى زمان على أمر أو أمور متأخرة عن ذلك الزمان بسنين وأزمان اذ لا يصح عقلا تقدم المشروط على الشرط وأى حكيم يجعل الدليل على وجوب الايمان بشئ ولزوم العمل به متأخراً عن عصر الوجوب بدهور وأعصار لا يدركه المكلفون بذلك الواجب ويعاقب المستدلين على ترك التصديق والعمل قبل أن يقيم لهم الدليل على صدق ذلك الشئ حتى هلكوا هذا غاية الظلم والله مبرأ عن الظلم

(الثانى) على تقدير وقوع بعض تلك الاخبار فى زمان المخبرين باحتمال أن يكون قد وقع الخبر بحسب التخمين وقصد المخبر به إمالة المخبرين الى اتباعه فوقع من جهة الاتفاق كما ادعى الخصم فى الباب المذكور ذلك فى اخبار القرآن بالامور المتأخرة عن زمان الاخبار وليس له أن يدفع عن نفسه ما احتج به على غيره الا بدليل ولا دليل له على الدفع فان وجده فليأتنا به فانه يكون حجتنا فى تكذيب ما ادعاه فى اخبار القرآن حرفاً بحرف (والحاصل) أن الاخبار عن الامور المتأخرة لا يدل على صدق الخبر وصحة ما تضمن الخبر بمجردها وانما تدل على ذلك بعد الوقوع والمطابقة مع انتفاء الوقوع اتفاقاً فاخبار التوراة والانجيل عن الامور المتأخرة عن نزولهما لا يدل على أنهما كلام الله حين نزولهما فلا قطع لاهلى عصرى نزولهما بصحتهما من هذا الوجه وانما يحصل ذلك لهم من الطريق الذى ذكرناه وهو ثبوت نبوّة صاحبيهما قبل نزولهما ببرهان متقدم (فتبين) أنه لا قطع لنا بصحتهما الا من اخبار القرآن المنزل على نبينا المرسل بأنهما منزلان من عند الله

(واذا تحقق) من منطقنا هذا أن صحة الكتابين انما ثبتت عندنا وحصل القطع بها لدينا من اخبار القرآن الكريم واخبار نبينا الرؤف الرحيم وجب أن نثبت للكتابين المذكورين ما أثبته لهما القرآن الناطق والنبي الصادق وننفي عنهما مانفياه (فاتضح) من هذا استغناؤنا بالقرآن عن مطالعة التوراة والانجيل لان مافيهما ان كان موافقاً له ففيه الكفاية عنهما في ذلك وان كان مخالفاً له فهو مرفوع الحكم عنا ففسدت حجة الخصم وبطلت قضيته وزال إلزامه وسقطت نتيجته وهذا بحمد الله ظاهر مكشوف (ومنه يعلم أيضاً) انه ليس كل مافي أيدى اليهود والنصارى اليوم من كتاب يزعمون أنه توراة أو انجيل يلزمنا الاقرار به وبصحة مافيه وانما يلزمنا ذلك اذا رأينا فيه ما أخبرنا القرآن أنه فيه ولم نر فيه ما أخبرنا القرآن أنه ليس فيه فأى حاجة لنا بعد هذا الى مطالعة التوراة والانجيل (وأما القرآن فانه حجة في نفسه) وبينة لمن بعث به ومعروف عن كل كلام بنظمه وأسلوبه حتى أن الآية منه اذا أدخلت في خطبة أوحديث طويل عرف السامع أنها من القرآن وأن ذلك الخطيب أو المحدّث أدخلها في كلامه وحلاّه بها وفي هذا الاكتفاء والشفاء

﴿ المنطق الثالث ﴾

(في تمزيق فصله الثاني الذى حاول فيه نفي النسخ عن التوراة والانجيل)

(قال) ألفصل الثانى في أن التوراة والانجيل لم ينسخا البتة فى وقت من الاوقات (إننا قد بينا) فيما تقدم أن التوراة والانجيل هما حسب شهادة القرآن نفسه منزلان من عند الله الاأن علماء المسلمين يزعمون أن التوراة قد نسخت بنزول الزبور والزبور بنزول الانجيل وكذلك الانجيل بظهور القرآن وأنه من ثمّ لايجب الانقياد لاحكام الكتب

الثلاثة الأُول فزعمهم هذا لاريب أنه ناشئ عن عدم بحثهم عن حقيقة تعاليم التوراة والانجيل واحكامهما حق البحث الى آخر ماقال من الكلام في ادّعاء ارتباط الكتب الثلاثة بعضها ببعض مما لايهمنا ثبوته فلا يعنينا ذكره

(أقول) أول مايقال لهذا المتطفل انّ ماأُدعيته على علماء المسلمين من نسخ التوراة بالزبور باطل عندهم بأوضح البطلال فان أحداً منهم لم يدع هذه الدعوي قط وكلهم مجمعون على أن داود عليه السلام ومن بعده من الانبياء الى أن بعث الله عيسى ليسوا بأصحاب شرائع وانما كانوا تبعاً لموسى عليه السلام ومكلفون بشرعه وكذلك لم يقل أحد منهم بأن الانجيل ناسخ للتوراة بمعنى أنه رافع لاحكامها بل كلهم متفقون على أن شرع عيسى موافق لسنة التوراة (نعم يقولون) ان نبوّة عيسى ناسخة لنبوّة موسى من جهة أن أتباع موسى مأمورون باتباع عيسى فيما يقول وافق حكم التوراة أوخالفه وهذا المعنى غير الاول وانما نسخ التوراة بالانجيل لازم قول هذا الرجل في كتابه في هذا الفصل وغيره وسنوضحه أتم ايضاح (وأما) نسخ الكتب السالفة بالقرآن المجيد فهم مجمعون عليه وقاطعون به وهو الحق اليقين

(اذا تبينت هذا) فاعلم أنا نفتتح المقال في نقض كلامه اذ كان من أهم مقاصدنا في كتابنا هذا ببيان معنى النسخ ونُثَنِّي بأيراد الدليل على جوازه عقلا وشرعاً ونثلّث بإثبات وقوعه في الشرائع وفي شريعة واحدة ونثبت جملة من ذلك من كتاب خصمنا في فصله هذا وغيره ثم نعطف على أدلته الملفقة فنمزقها حتى نجعلها باذن الله هباءً منثوراً فمنطقنا هذا اذاً يشتمل على أربعة مقاطع

﴿ المقطع الاول فى بيان معنى النسخ ﴾

وهو فى اللغة العربية الازالة يقال نسخت الشمس الظل أى أزالته وفي اصطلاح أهل الشرائع هو رفع حكم شرعيّ ثابت فى زمان بحكم شرعيّ آخر ثابت في زمان آخر (والحكم الشرعى) اما أمر من الله واما نهى أوما في معناها فهو على هـذا خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين أو هو النّسب الخبرية المنسوبة الى الموضوعات كالوجوب والتحريم وغيرها فهو على هـذا مفاد الخطاب المذكور

﴿ المقطع الثانى فى ايراد الدليل على جواز النسخ ﴾

وهو من وجهين (الاول) ما أثبتنا في المقدمة أصله وشيدنا قواعده وتقريره هنا تذكرة لما مضى ان الله جل وعلا الحكيم المطلق الكامل الحكمة فأفعاله لامحالة منوطة بالمصالح العائدة الى المكلفين لا اليه لاستغنائه عن جميع من سواه ومصالح المكلفين يجوز اختلافها عقلا وبالمشاهدة أيضاً باختلاف أشخاص المكلفين وأحوالهم وأزمانهم فاذاً يجب تغيير الحكم عند تغير المصلحة لأناطته بها والا لزم خروج الحكيم الكامل جل وعلا عن كمال الحكمة وهو باطل فاللازم مثله (وقد صرّح) خصمنا فى هـذا الفصل بتعلق الحكم بالمصلحة قال في أثنائه ثم أحل الطلاق لليهود في شريعة التوراة وذلك لقساوة قلوبهم وقال بعده بلا فصل وكذلك قيل في التوراة (أوف للرب أقسامك) وذلك لانه كان من عادة اليهود أن يحلفوا على أدنى ما يكون من الامور انتهى فاذا أقر بأن الاحكام تابعة للمصالح لزمه الحكم بتغيرها اذا تغيرت المصالح الا أن يدعي أن المصالح لا تتغير وهذه الدعوى يكذبها العقل والوجدان ويعلن بردها مقاله فى كتابه وستسمعه (الثاني) انا بينا فى المنطق السابق أن قطعنا بأن التوراة والانجيل

من كلام الله انما حصل لنا من اخبار القرآن واخبار نبينا صلى الله عليه وسلم وانه ليس لنا الى القطع بهما طريق سواه وهو مضمون ما ذكره الخصم في أول الفصل ملزماً ايانا به واذا كان حكمنا بصحة الكتابين انما هو من خبر القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم لزم ان نثبت للكتابين ما أثبتاه وننفي عنهما ما نفياه وقد أثبت القرآن نسخ الكتابين وأعلن به لايجابه على اصحابهما متابعة نبينا بصريح المقال في قوله تعالى (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

فأوجبت هذه الآيات على أهل الكتابين وعلى الناس جميعاً الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم واتباعه ولا يتم ذلك الا بنسخ جميع شرائع الكتب التي قبله وأخبرت أن اهل التوراة والانجيل يجدون اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصفته فيهما ومثل هذه الآيات غيرها لانطيل بذكرها لمعلومية المطلب (وقد صرح) نبينا صلى الله عليه وسلم في جملة من أقواله أيضاً بنسخ ماقبله من الشرائع منها قوله صلى الله عليه وسلم (لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي) ومضمون هذا القول التصريح بنسخ شريعة

التوراة بشرعه ورفع نبوّة موسى عليه السلام بنبوته صلى الله عليه وسلم وعيسى في ذلك بحكم موسى واذا كان القرآن والرسول قد أعانا لنا بنسخ التوراة والانجيل لزمنا الحكم بنسخهما اذ لاعلم لنا بصحتهما الا من خبر القرآن والرسول

وبالجملة فالقرآن ان صح ثبت به عندنا صحة التوراة والانجيل ونسخهما وان لم يصح لم يثبت عندنا بغيره توراة ولا انجيل كما أوضحناوجهه سابقاً لكنه صحيح البتة فنسخ الكتابين به صحيح قطعاً فشهادة القرآن بنزولهما من عند الله كما ذكره النصرانى لا يستلزم بقاء حكمهما اذ ليس كل حكم ثبت وجب استمراره ولا يتم له الحجة على بقاء أحكام التوراة والانجيل لشهادة القرآن بصحتهما الا باثبات هذه المقدمة بدليل قاطع وهذا أصعب عليه من صعود السماء

﴿ المقطع الثالث ﴾

(فى بيان وقوع النسخ في الشرائع وهو من وجوه)

الاول ان أهل الملل من اليهود والنصارى والمسلمين قد اتفقوا على أن الله جل اسمه أمر الخليل ابراهيم بذبح ابنه اسمعيل أو اسحق على اختلاف القولين وان ابراهيم أضجع ولده والمدية بيده وهَمَّ بذبحه وجعله قرباناً لربه طاعة للامر الصادر من الرب الجليل القادر فحينئذ نزل الامين جبريل بنسخ الامر المذكور بالنهي عن ذبحه وأنزل معه فداءه فذبحه قرباناً في مكان مضجع الغلام بعد ما أقامه جبريل وهذا نسخ صريح لايرده تمحل التأويل

﴿ تأييد وتأكيد ﴾

أصح الروايتين أن الذبيح هو اسمعيل عليه السلام لأمارات

(منها) قول النبي صلى الله عليه وسلم (أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ) والحقيقة مقدمة على المجاز فلا اعتراض بتسمية العم أبا في القرآن كما في لغة العرب فالذبيح الاول اسمعيل والثاني أبوه عبد الله بن عبد المطلب (ومنها) ان الذبح وقع في منى وهي من مشاعر مكة المشرفة واسحق عليه السلام لم يحضر منى مع أبيه (ومنها) أن العرب من بني اسمعيل ومن هو على مثل طريقتهم كجهم وخزاعة وغيرهم ما زالوا من زمان اسمعيل الى أن جاء الاسلام ينحرون الابل والبقر والغنم بمنى في عاشر ذي الحجة تجديداً لذلك العهد لان الذبح وقع في ذلك اليوم ويجعلون ما ينحرون ويذبحون قرابين لله تعالى مستشعرين بها الفدية لاسمعيل (ومنها) ما أظهره الله من كرامة اسمعيل عليه زيادة على أخيه اسحق فانه أنبع له زمزم وجعلها له سقاية ولحاج بيته الى آخر الدهر وأسكن مكة معشراً من الناس يجاورونه ويؤنسونه وكانت من قبل لم يسكنها أحد فلما بلغ مبلغ الرجال أمر الله ابراهيم أباه وأمره معه ببناء كعبته التي شرّفها وعظمها وأمر ابراهيم أن ينادى في الناس بالحج اليها وجعل ولايتها لاسمعيل عليه السلام فكان يقوم بمصالحها واصلاح أمور قاصديها فيضيفهم ويعلمهم المناسك والاحكام والفرائض والسنن فكان مبعوثا للعرب في زمان أبيه ولم يكن لاسحق اخيه مايشبه هذه الكرامات الظاهرة فليكن الذبح من جملتها

(وكل هذه التشريفات) الصادرة من باري الارضين والسموات لاسمعيل عليه السلام توطئة وتمهيد لنبوّة ابنه اجلّ المخلوقات نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الكائنات فانها كلها صارت مؤكدة في شرعه المطهر ومحققة في دينه الانور وهذا من أدل الادلة على صدق نبوته واستقامة طريقه الازهر ولكن أهل الجهل لا يفهمون الحقائق وأهل العصبية والعناد يطرحون الوثائق ولذا ترى الاسرائيليين قديماً وحديثاً لا يعظمون

البيت الذى بناه أبوهم الخليل بأمر الملك الجليل حسداً منهم لعمهم اسمعيل والله المستعان على ما يصفون

الثاني ان الله سبحانه وتعالى أحل لابراهيم ومن قبله من الانبياء لحوم الابل وشحوم سائر الحيوانات المحللة وحرم في شرع موسى عليه السلام لحم الجمال وشحوم البقر والغنم الا ما حملت الظهور أو الحوايا أو المختلط بالعظم وحرم أيضاً كل ذى ظفر وهذا مثبت فى التوراة الموجودة بايدى اليهود حتى الآن والنسخ فى هذا أوضح من الاول

الثالث ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يخرج بقومه من مصر لما كثر ايذاء فرعون وقومه لهم فخرج بهم فلما أدركهم فرعون وجنوده أمر الله موسى عليه السلام أن يدخل بهم البحر وجعل لهم فيه طريقاً يبساً فلما خرجوا من البحر أمر الله موسى أن يقيم بهم في الصحراء فظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنّ والسلوى فلما سار موسى الى ميقات ربه بطور سيناء صنع لهم السامري العجل من الذهب وادعى انه الههم واله موسى ودعاهم الى عبادته فعبده جملة منهم فلما رجع موسى اليهم وعرفوا أنهم ضلوا باتباع السامري وعجله جنحوا الى التوبة فأوحى الله الى موسى أن يخبرهم ان توبتهم لاتقبل الا بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وأن عابديه يسلمون أنفسهم للقتل فوطنوا أنفسهم على ذلك حين أخبرهم وأمرهم بالاجتماع فى موضع معين يأتي القاتلون بسيوفهم ومن وجب عليهم القتل يأتون متلثمين لا يعرفون بأعيانهم ثم قام موسى ووعظ وأمر أهل السيوف بقتل لخو أنهم عبدة العجل فوثبوا عليهم يقتلونهم فقتلوا منهم جماعة فنزل الوحي على موسى بأن يأمرهم بالكف عن الباقين فحرم قتلهم بعد ما أوجبه ثم ان بنى اسرائيل كرهوا الاقامة فى الصحراء والصبر على

طعام واحد فامر الله موسى وهارون أن يهبطا بهم الى مصر ويتخـذ الهم بها بيوتا فمكثوا بها زمانا طويلا ثم أمر الله موسى ان يرحل بهم الى الشام ويقاتل بهم القوم الجبارين فرحلوا من مصر الى الشام مزمعين للقتال ودخول الشام فلما قربوا من البلد جبنوا عن الحرب خوفاً من القوم الجبارين وهم العمالقة وعجزوا عن منازلتهم ودافعوا موسى عن ذلك لوما منهم وخوروا فحرم الله عليهـم القتال ودخول تلك الاطلال وأوجب عليهم التيه أربعين سـنة ثم أمرهم بعدها بالحرب ودخول هاتيك الديار مرة أخرى فقـاتلوا مع يوشع بن نون وفتح الله عليهم أرض الشام فسكنوا فيها وهذه السيرة محققة في كتب اليهود والنصارى وقد ذكر خصمنا فى مواضع من كتابه جملا منها حيث دعته الحاجة الى ذكره وهى كما ترى تشتمل على أحكام متخالفة متناقضة فوجوب قتل عبـدة العجل جميعهم رفع بوجوب الكف عن بعضهم والاقامة بالصحراء رفعت بالهبوط الى مصر واتخاذ البيوت بها والاقامة فيها رفعت بايجاب دخول الشام وقتال القوم الجبارين وهذان الامران رفعا بتحريم القتال وايجاب التيـه المدة المذكورة وهما رفعا بايجاب القتال والدخول تارة أخرى بفتح البلد ولاسبيل الى رفع التناقض فى هذه السيرة الا بالحكم بان الامر اللاحق ناسخ لسابقـه وخصمنا اذ حقق فى آخر مقدمته ماحاصله ان التناقض فى الاحكام دليل على بطلانها وانها ليست من عند الله وقد ذكرناها سابقاً يلزمه أحد الامرين اما الحكم ببطلان نبوة موسى وشرعه واما الحكم بوقوع النسخ فى شريعة التوراة والاول معلوم البطلان عنده وعندنا فلا منـاص له من اثبات النسخ الذى نفـاه والاقرار به بعد ماأنكره ولو اختار الاول لكان سهمنا فيـه أنفذ فاذا جاز نسخ بعض أحكام التوراة ببعض جاز نسخ أكثرها بل كلها بغيرها

لاتحاد العلة في الامرين وهى مراعاة المصلحة فى الاحكام فثبت المطلوب

الرابع المعروف من سيرة اليهود قديماً وحديثاً الى هذه الغاية المحافظة على السبت وتقريره انه قدصح فى شريعة التوراة تحريم العمل في يوم السبت وترتب العقوبة على المخالفة باتفاق وقدصرح بذلك خصمنا فيما نقله من تعاليم التوراة وهؤلاء النصارى في جميع ازمنتهم قدخالفوا ذلك فأحلوا العمل يوم السبت وأبدلوه بيوم الاحد فحرّموا فيه العمل فان كانوا فعلوا ذلك بحكم الانجيل فقد لزم مخالفة الانجيل للتوراة ونسخها به وثبت ما أنكره الخصم في اول كلامه من دعوى علماء المسلمين نسخ التوراة بالانجيل البتة وان كانوا أخذوا ذلك بآرائهم فقدثبتت عليهم مخالفة موسى وعيسى وكتابيهما ثم لايؤمن عليهم بعد ذلك مخالفة جميع الاحكام الثابتة في الكتابين بشهواتهم اذ علة مخالفة الكل هى بعينها علة مخالفة البعض وهى عدم تقيدهؤلاء القوم باحكام التوراة والانجيل ويلزم من ذلك خروجهم من الوثاقة فيما ينقلونه من احكام الكتابين وقصصهما فلا يصدقون في شئ من نقلهم عن الكتابين مطلقاً لعدم عدالتهم في دينهم وكفى بهذا لنا انتصاراً عليهم واى الوجهين اختاره خصمنا فقد امكن الرامى من ثغرة نحره وذبح نفسه بخنجره

الخامس مايصرح به الخصم في كتابه في فصله هذا وغيره من مخالفة احكام الانجيل لاحكام التوراة وسقوط فرائض التوراة بالمرة فمن ذلك قوله الذى جعله اصلا في انكار نسخ التوراة ودعوى موافقة الانجيل لها قال بعد كلام سنشير اليه فى الاثناء ان شاء الله تعالى

ثم ان احكام التوراة وأوامرها على قسمين قسم يضم الاحكام الظاهرية المختصة بامة اليهود فقط اعنى المسائل الشرعية المتعلقة بكيفية اجراء عباداتهم وتدبير امورهم السياسية وقسم يضم الاحكام الباطنية المقصود

بها البلوغ الى معرفة الله وتطهير القلب وتهذيب النفس واخلاص المحبة واصلاح السيرة فالقسم الاول الذى انما خص به الله تعالى امة اليهود غاية ما كان مقصوداً به امران الى آخر ماقال مما لاحاجة الى ذكره (اقول) من كان له ادنى فطنة بجهات الاستدلال يعلم ان هذا الكلام مناقض لفرض مورده بأبين مناقضة

(واول مايقال له) ان اختصاص احكام التوراة الشرعية بامة اليهود علمته من التوراة نفسها أم من الانجيل أم من رأيك ولا رابع للثلاثة (فان أجاب بالاول) قلنا له فهؤلاء اليهود يكذبون زعمك ويدعون أن أحكام التوراة لازمة لكل مكلف وان مخالفها مخطىء وهم أعرف منك بالتوراة وانت لاتسطيع ان تقيم بينة من صريح التوراة أو ظاهرها على بطلان زعمهم (وان اجاب بالثانى) قلنا له فقد اعترفت بامرين كنت تحاول انكارهما ونفيهما (احدهما نسخ التوراة بالانجيل) لانك اذا أقررت بان الانجيل رفع عنكم فرائض التوراة الشرعيـة حكمت بانه ناسخ لهـا البتة لان النسخ رفع الحكم الشرعي الثابت على بعض المكلفين عن البعض الآخر وهذا بعينه هو نص قولك ان الانجيل رفع عنكم شريعة التوراة الثابتة على امة اليهود فأثبتّ مانفيته من النسخ من حيث لاتعلم ويصرح بما قلناه قولك آخر التقسيم ومن ثم نقول ان احكام هذا القسم فقط وهى كما قلناه آنفاً احكام العهد القديم الظاهرية التي لم تكن مفروضة الا على شعب اليهود وذلك الى حين ظهور المسيح فقط قد بدلت فى العهد الجديد محولة الى أحكام روحية هـذا قولك وتبديل الاحكام وتحويلها الى احكام اخر هو النسخ بعينه ان كنت تعقل فكلامك مصرح بنسخ التوراة تمام التصريح فكيف تنكر دعوى المسلمين به (الثانى مخالفة الانجيل للتوراة) وبيان هذا انه اذا كان الانجيل دالا

على رفع شرع التوراة عن أمته وتخصيصه بأمتها دل ذلك صريحا على ان شرعه غير شرع التوراة وحكمه غير حكمها فتحققت المخالفة بين الكتابين يقيناً لان الموافقة بينهما لاتحقق الا بأن يكون كل من الكتابين يثبت على امته ما أثبته الآخر على امته وينفي عنها مانفاه الآخر عن امته وهذا مفقود على قولك في الكتابين فما زدت بقولك على ان صححت النسخ الذي أبطلته وأقررت بالمخالفة التي أنكرتها وكذبت نفسك في دعوى الموافقة بين الكتابين وكفاك بذلك نقضا (وان أجاب بالثالث) قلنا له ان رأيك في أحكام الله من التخصيص والتعميم وغيرهما غير مقبول لانه افتراء على الله وتقوّل عليه بغير علم فهو مشبه لتقول الوثنيين (ويقال له ثانيا) انك اذ حكمت بتخصيص شرع التوراة باليهود ولازم حكمك استمرار ذلك الشرع عليهم جعلت لهم الحجة في تكذيب نبوة عيسى ورد كتابه لانهم لايتمسكون في ابطال الانجيل والتكذيب بصاحبه الا بزعمهم بقاء حكم التوراة عليهم واستمراره الى آخر الابد ويروون في ذلك عن موسى عليه السلام أنه قال لهم (تمسكوا بالسبت أبدا) لان هذا كناية عن دوام شرع التوراة واذا ثبت دوامه بطل غيره مما يأتي بعده وانت بقولك قويت حجتهم وقررتها على تكذيب نبيك وكتابك فأى جاهل أجهل منك (ويقال له ثالثاً) ان تقسيمك هذا باطل من اوله وزائل من اصله لان العبادة الباطنية التي تذكرها وهي تطهير الباطن عبارة عن الايمان بوحدانية الله وعدله وحكمته والتصديق بكتبه ورسله وشرائعه مطلوبة من جميع المكلفين لايختص بها مكلف دون مكلف ولا شريعة دون أخرى ولا يتطرق اليها النسخ لعدم اختلاف المصلحة فيها لانها اصل العبادة الظاهرية المأمور بها في الشرائع فهي مطلوبة من اليهود مع العبادة البدنية كما هي مطلوبة من غيرهم فلاوجه لتخصيصهم بالعبادة

الظاهرية ونفيها عنهم واختصاصها بأمة الانجيل كما زعمت وهـذا المعنى هو مفاد مقدمتك وحاصلها وصريح مواضع كثيرة من كتابك ولو كان تطهير الباطن بالاعتقادات الحقة عن ارجاس الكفر والشرك غير مطلوب من الامم اليهود وغيرهم وأنه مختص بأهل الانجيل كما هو ظاهر زعمك للزم منه معذورية أهل الأوثان والدهرية وغـيرهم فى شركهم وكفرهم لعدم طلب الايمان منهم وبطلان هـذا من أوضح الواضحات (ويقال له رابعاً) لاتنافي بين العبادة الباطنية التي هي اخلاص الايمان بالله وصدق النية في تصديق أوامره ونواهيه ووعده ووعيده وبين العبادة الظاهرية من صلاة وصيام وطهارة وختان وغيرها حتى يكون اثبات احداهما رفعا للاخرى كما هو مرامك ومحاولتك فى كلامك لتثبت ان الانجيل اذ أمركم بالعبادة الباطنية قد رفع عنكم شريعة التوراة الظاهرية بل العبادة الظاهرة دليل على حصول العبادة الباطنية أوهي من آثارها والباطنة شرط في صحـة الظاهرة فهما متلازمتان لاتنفك احداهما عن الاخرى وقد اعترفت بهذا المضمون في ثاني الامرين اللذين جعلتهما غاية تكليف بنى اسرائيل بالعبادة الظاهرية حيث قلت الثاني ان تكون عبادتهم مثالاً ظاهرا يدل على العبادة الروحية (ويقال له خامساً) انك زعمت ان احد الامرين اللذين هما غاية اختصاص اليهود بالعبادة الظاهرية تميزهم وتجنبهم عن الامم الوثنيين لئلا يسلكوا مسلكهم فاخبرنا من اى وجـه كفاكم أنتم الايمان بالمسيح عن العبادة الظاهرية ولم يكف بنى اسرائيل ايمانهم بنبيهم موسى وبكتابه عنها واى فرق بينكم وبينهم في ذلك ولأى علة لم يكف سائر الامم اليهود وغيرهم ايمانهم بأنبيائهم عن العبـادات الظاهرة ولم يتميزوا به عن الوثنيين وكفى ذلك النصارى عن العبادة الظاهرية وتميزوا به عن أهل الأوثان فانا لانجـد لك على ذلك الا محض الدعوى

بلا بينة ومقتضى قولك ان النصارى لم يتميزوا عن الوثنيين بل سلكوا مسالكهم ومالوا ميلهم اذ تركوا فرائض الله الظاهرية فهم منهم لامحالة قتبالكم فيما صنعتم (فان كان الأنجيل) كما زعمت قدرفع العبادة الظاهرية فهو أدل دليل على بطلانه واختلاقه لانه فرّق بين أمرين مجتمعين شرعا وفكّك بين متلازمين عقلا وسمعا ولا شيء أعظم عليك من بطلان انجيلك وقولك مستلزم له بأوضح الاستلزام ولا مخرج لك من هذا اللزوم ان كنت تفهم فان كان لك مخرج من هذه الورطة فجئنا به ان كنت تعلم والا فعض بنانك أسفاً واقض نحبك تلهفاً (ويقال له سادساً) إن عيسى وان كان نبياً مرسلا الا أن شرعه موافق لشريعة التوراة ظاهرها وباطنها لم يخرم من فرائضها وسننها قيد شعرة وهذا الامر ثابت عندك وها أنت ذا في فصلك هذا وفي غيره من كتابك تحاول اثباته وتجهد نفسك في تصحيحه وقولك ان الانجيل بدّل أحكام التوراة وحوّلها الى غيرها مناقض لاثباتك غاية المناقضة ومعارض لتصحيحك تمام المعارضة ومكذب لدعواك أصرح التكذيب فنراك تروم اثبات شيء فتأتي بنقضه وتدعي شيئاً فتكذبه وذلك اما لشدة غباوتك أو لتمحلك الباطل ومرتكب هذا تضيق عليه المسالك وتنسد عليه المذاهب وقد انصرح من مقالنا بطلان تقسيمه ودعواه والحمد لله (ومنه قوله) بعد التقسيم فاننا نرى مثلا انه تعالى أمر في التوراة بتضحية بعض الحيوانات وتقديمها قرباناً له وكفارة عن الخطيئة ولكننا نعلم يقيناً ان الخطيئة لاتغفر بتضحية الحيوانات الى أن قال فلما أتى المسيح وقدّم جسده ذبيحة وكفارة عن الخطيئة وصنع فداء أبديا كان لاحاجة فيما بعد الى تضحية حيوانات هذا زبدة محضه (أقول) اشتمل هذا الكلام على مطالب

(الاول) نسخ الامر بالتضحية الثابت فى التوراة باعتراف القائل بعدم التضحية والدليل عليه قوله لاحاجة بعد الى تضحية حيوانات وهذا هو

عين مطلوبنا من ايرادكلامه لتكذيب انكاره نسخ التوراة وهو مستلزم لمخالفة الانجيل للتوراة وهو مطلوبنا الثاني لتكذيب دعواه موافقة الكتابين

(المطلب الثاني) رد حكم الله الثابت في التوراة وتكذيب خبره فيها بدعوى النصراني العلم بكذب الوعد (وتوضيحه) أن الرجل أخبر أن الله أمر في التوراة بتضحية بعض الحيوانات ووعد أنها تكون كفارة للذنب ثم ادعى الرجل كما سمعت في كلامه أنه يعلم أن الخطيئة لا تغفر بتضحية الحيوانات (وهذا) مع كونه من أظهر الكفر يبطله أمران

(اولهما) أنه يستلزم أن ما كان يفعله الأنبياء من لدن موسى الى انتشار دين النصارى من تقريب القرابين عبث وباطل لانه مسلوب المصلحة وعديم الفائدة

(وثانيهما) معارضة هذا الكلام لما صرح به الرجل فى مواضع من كتابه مما مفاده أن حقائق أحكام الله لا تدركها عقول البشر القاصرين وأن الواجب التسليم لله فيما حكم والانقياد لأمره على كل حال وقد أسلفنا بعض كلامه المصرح بذلك (وها هو هنا يرد حكم الله) ويكذب وعده بادعاء العلم بأن ما وعد الله به من غفران الخطيئة بالتضحية لا يكون أبداً فهو اذاً أعلم من الله بما يفعله بعباده فما أشد جهله أو تجاهله بما في كلامه من التعارض والتناقض وما أعظم جراءته على تصغير عظمة الله جل وعز (ومع هذا كله) يقال له من أين علمت أن تضحية الحيوان لا تكون كفارة للخطيئة والتوراة تخبر بذلك والانجيل بزعمك لا يخالفها فلم يبق الا انك عرفته من وساوس الشيطان الرجيم والافأي استبعاد من مغفرة الله تعالي حطيئة عبد من عباده أطاعه في امر من أوامره فضحى امتثالا منه لأمر خالقه والطاعة يترتب عليها الثواب لا محالة فنفيه عنها من أعظم الجهالة

(المطلب الثالث) أن عيسى عليه السلام ذُبِحَ وصار ضحية للنصارى وهو ظاهر فى كلامه وحيث ان هذا الرجل يصرح دائماً بان عيسى هو الله حقيقة وقد سبق هذا في كلمات له نقلناها عنه فيلزمه الحكم بان الله ذبح وصار ضحية للنصارى ثم انه صرح ان عيسى كل العالم فكل العالم على قوله صاروا ضحية لانفسهم فما أشنع هذه المعتقدات وأقبحها نعوذ بالله من الضلالات (ثم يقال له مع هذا) أخبرنا ما حاجة الحكم المسيح الى ذبح نفسه فان كان لنجاتكم فهو قادر عليها بزعمكم فلا حاجة الى ذبحه نفسه لتحصيل امر هو في قبضته وان كان لنجاة كل العالم ممن يكذب به او يصدق بانه عبد الله ورسوله فلا مزية لكم فى اعتقاد ربوبيته بل في اتباع دينه على المكذبين به عنده وما أَجْوَرَ ربا مصدّقوه ومكذبوه عنده بمنزلة واحـــدة فتعس عابدوه وانتكس حامدوه (ومنه قوله) وكذا نرى أنه فرض فى التوراة الوضوء والغسل وما لحق بذلك من انواع التطهير (ثم ان النصرانى) عقّب كلامه هذا بما يصرح بسقوط الفرائض المذكورة (ومنه قوله) وكذلك فرض الله جل شأنه الختان على بنى اسرائيل ثم قال بعد كلام محصوله ان الانجيل مصرح بان الطاعة القلبية قد صارت عوضاً عن الختان ثم ان في التوراة تحريم القتل والزنا وان القاتل يستحق الحكم وصرح بان المسيح جعل الغضب بحكم القتل والنظر بشهوة بحكم الزنا (ومنه قوله) ثم احل الطلاق لليهود فى شريعة التوراة ثم قال ان المسيح قد حرّمه الا لعلة الزنا (ومنه قوله) وكذلك قيل في التوراة (أوف للرب أقسامك) ومفاد الكلام أن القَسَم جائز والوفاء به واجب ثم ذكر أن المسيح منع من القسم (وقال أيضاً) وعلى هذه الصورة يوجد كثير من السنن والعبادات الظاهرة ثم أنه زعم تبديلها كلها بالباطنة وذكر فى غير هذا الفصل أيضاً هذا وغيره مما يصرح بانه في التوراة مشروع ومفروض وان مسيحهم

أو انجيلهم رفع حكمه والكلام على الجميع كما مر عليك في نقض التقسيم من أن صحة دعاويه هذه مثبتة لنسخ التوراة بالانجيل لان النسخ رفع الحكم وقد حصل على قوله وتحقق ومستلزمة لمخالفة الانجيل للتوراة والامر ان نقيض مايحاوله من اثبات موافقتهما وعكس ماستدل به على الموافقة وعدم النسخ من قول المسيح بزعمه لليهود (لاتظنوا أنى جئت أنقض الناموس والانبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل الى ان تزول السماء والارض لايزول حرف واحد أونقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) انتهى فان من المعلوم الذى لايرتاب فيه ذو فطنة أن المكمل للشئ هو مبقيه على حاله الزائد عليه شيئاً آخر وأن الرافع له من أصله ناقض له لامكمل فالمسيح ان كان اسقط عبادات التوراة كما زعم المستدل وبدّلها بغيرها كان ناقضا لها ومبطلا لا مكملا ومتمماً (وأيضاً قوله) لايزول حرف واحد الى آخره صريح في بقاء جميع احكام التوراة واذا صح ما ادعاه النصرانى من اسقاط المسيح جميع فرائض التوراة وسننها الظاهرة فقد ازال منها حروفا وحروفا بل أزالها كلها واذهب ناموسها فاين بقاء التوراة حينئذ بل كان هذا غاية النقض لها فالدليل كما ترى يناقض دعوى المستدل به وينافيها تمام المنافاة وهذا دأب الرجل في مناقضة أدلته لمدعاه (ويقال له بعد هذا كله) أخبرنا عن مسيحك أذكراً كان ام انثى ام ليس بواحد منهما فان كان ذكراً فاخبرنا أكان مختونا ام لاوعلى كل حال فهو يتطهر ويصلى ويصوم وتنعبد على حسب عبادات التوراة أم لم يكن مختونا ولايفعل مما ذكر شيئاً (فان قلت)انه مختون وانه يفعل ذلك فقد أبطلت دعواك بأنه رفع عنكم تلك العبادات وأسقطها وثبتت عليك وعلى قبيلك مخالفة مسيحكم عليه السلام في حكمكم بسقوط العبادات البدنية عنكم وبعدم فعلها (وان قلت) انه لم يفعل شيئاً من ذلك فقد حكمت عليه بأنه

نقض الناموس وأبطله وأزاله من أصله وهو عكس مانقلته عنه فاللازم
على هذا اما كذبه فى قوله انه لم يأت لنقض الناموس والانبياء واما كذبك
فيما نقلته عنه مع انك قد صيرته بذلك بمنزلة البهائم الراتعة التى لاتؤدى
فريضة ولا سنة وأخرجته من قانون الانبياء لانهم مدأبون في العبادات
البدنية وهذا بخلافهم (وان قلت) انه كان يصلى بصلاة النصارى بالزمزمة
وضرب الناقوس فقد نسبته ايضاً الي مخالفة التوراة لان الصلاة المفروضة
فيها على غير هذه الصفة بيقين وهذه الهيئة شبيهة باللهو والغناء فانت بذلك
جعلته كعبّاد الكواكب وعبدة البحر من الكفار فان صلاتكم المذكورة
قريبة الشبه بعباداتهم فقل ماشئت تخصم (ومما بيناه) يعلم بطلان قوله
فمما ذكرناه يتضح جليا أن الانجيل يوافق التوراة ويطابقها اشد المطابقة
ولا ينسخ كتبها ولا يبطلها الى آخر مقاله فيستحق أن يقال له اعكس
تصب فانك ابطلت فرائض التوراة واحكامها جميعاً بالانجيل ثم تدعى
أن الانجيل يوافقها ويطابقها وهل هذا مك الاهذيان واختلاق زور
وبهتان (واما قوله) فى اوائل الفصل ان عبادات العهد القديم يعنى التوراة
ورسومه انما وضعت الي زمن محدود وانها كانت مزمعة عنـد انقضاء
هذا الزمن اى متي ظهر الانجيل ان يعوّض عنها بعبادات روحية باطنية
الى آخره فهو من المضحكات العجيبة لان قائله اورده لبيان موافقة
الانجيل للتوراة وهو كما ترى ينادي برفيع الصوت وصريح القول باسقاط
الانجيل لعبادات التوراة وهذا هو النسخ الصريح والمخالفة الاكيدة
فايراده معاكس لمراده وهكذا سجيته (ثم يقال له هنا أيضاً) أتراك عرفت
التحديد المذكور من التوراة ام من الانجيـل ام من تلقاء نفسك
والثالث لاعـبرة به والثانى مناقض لدعواك موافقة الكتابين والبينة
المناقضة للدعوى باطلة فلم يبق الا الاول واليهود الي آخر الدهر يبطلون

دعواك فيه وينكرون انجيلك ويكذبون بمسيحك ويقولون فيه أسوأ الاقوال (فالواجب عليك اولا) ان تبدأ بمخاصمتهم بكتابهم اذا كان ماتدعيه في منطوقه اومفهومه فتقول لهم ياهؤلاء ان الموضع الفلاني من توراتكم ينطق بأن عباداتها محدودة بظهور الانجيل وبعث صاحبه فما بالكم تكذبون بهما واللازم عليكم اذ كنتم مصدقين بالتوراة التصديق بهما وبسقوط عباداتكم وما تراك خاصمت اليهود في حكمهم ببقاء عبادات التوراة بهذا بل عدلت عنه الى مجادلة المسلمين الذين يصدقون أن عيسى نبي وأن انجيله حق ويقولون فيهما احسن الاقوال به في دعوى نسخ التوراة بالانجيل التي صدقتها في مجادلتك ووثقت بينتها في محاولتك فلماذا تركت الواجب الى غيره وعدلت عنه الى سواه فعجزك عن مخاصمة اليهود في مدعاك دليل واضح على انه ليس في توراتهم ما يشعر بما ادعيت من التحديد بعض الاشعار فضلا عن التصريح به فأنت في عدولك عن منازعة اليهود بكتابهم في مطلبك الى مشاغبة المسلمين وملاحاتهم فيه كما قال زهير بن أبي سلمي المزني

بَغياً عَلَيْنَا وَجُبْناً عَنْ عَدُوِّكُمْ
لِتَسْتَوِى الخَصْلَتَانِ البَغْيُ وَالْجُبْنُ

فنكّس رأسك وغض طرفك فان خدك الاسفل وانك في هذا الميدان من السلاح أعزل (وأما استدلاله) على ذلك بقول أرمياء النبي (ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهودا عهداً جديداً ليس كالعهد القديم الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول

الرب أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم آلها ويكونون لي شعباً)انتهى بدوى المستدل أن العهد الجديد انما هو الانجيل فضحكة أخرى مردودة لأن هذا الكلام ان كان من قول أرمياء عليه السلام وان معناه ما ذكره فَلِمَ لايحتج به على اليهود في تصديق الانجيل وان كان معناه غير ما ذكر فلا حجة فيه له على مطلبه هنا من التحديد وأيضاً ان الكلام يصرح بمغايرة أحد العهدين للآخر والمغايرة بين الكتابين مخالفة صريحة معناها النسخ والخصم يدعي موافقة كل من الكتابين للآخر فبينه مكذبة لدعواه ثم ان الكلام يعلن بهداية بني اسرائيل الى ذلك العهد وهم لم يصدقوا بالانجيل فلو كان المراد بالعهد الجديد في كلامه الانجيل لكان الوعد كذباً وهذا محال فايس اذاً العهدان المذكوران في كلام أرمياء ان صح عنه هما التوراة والانجيل (واذا استوضحت) ذلك فاعلم ان العهد الجديد في كلامه اشارة الى ما أحدثه الله تعالي لبني اسرائيل من التأييد والتمكين في أرض الشام بعد اذعانهم لطاعته وانقيادهم لأمره مع يوشع بن نون وصيّ موسى الكليم عليه السلام فقاتل بهم القوم الجبارين وأظفره الله بهم وأظهره عليهم ففتح البلاد وملّكها الله بني اسرائيل وذلك بعد أن كانوا عبيداً لفرعون وقومه في مصر وبعد أن تركهم الله تائهين في الارض حائرين لايقر لهم قرار حين نقضوا عهد الله وعصوه وخالفوا نبيهم موسى في قتال القوم الجبارين بعد خروجهم من مصر كما شرحناه اولا ويصرح بهذا قوله يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر وما بعده (ويشهد) لصحة هذا التأويل كلام النصراني في الفصل الثانى من الباب الثانى فى ذكر سفر يشوع بن نون يعني يوشع فانه بعد ايراده محصول ما ذكرناه قال وبالاختصار نقول انه يخبرنا عن انجاز الله تعالى وعده الامين الذى وعد

به آباءهم يعني بني اسرائيل حين أخرجهم من أرض الغربة والعبودية التي كانوا مستعبدين فيها مدة طويلة واعطائه اياهم أرض كنعان ميراثاً لهم انتهى • ويجوز أن يكون المراد به ما جعله الله لبني اسرائيل من التمكين العظيم والملك الظاهر بعد استيلاء العمالقة عليهم وذلك في نبوّة (اشموئيل) وملك طالوت فقتل طالوت جالوت ملك العمالقة على يد داود ومكّن الله لبني اسرائيل في البلاد خصوصاً أيام سليمان بن داود الذى ملّكه الله العباد ودانت له الصعاب الشداد وبقي لهم ذلك التمكين مدة طويلة ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى ماحصل لهم من التمكن بعد رجوعهم من بابل الى بيت المقدس بعد اقامتهم ببابل سبعين سنة من استئصال (بخت نصر) اياهم وكان الذى رد اسراءهم الى الشام (يهمد بن اسفنديار) وملّك عليهم دانيال فان ذلك كان في زمان ارمياء النبي وقد ذكر الرجل في الفصل المقدم ذكره مختصر خبرهم وصرح بأن ذلك قبل المسيح بستمائة سنة والظاهر أنه اقل من هذه المدة واذا كان الكلام مصرحا ببعض هذه المعاني ومحتملا لبعضها احتمالا ظاهراً لم يبق للخصم تعلق به فى مطلبه (وأما استدلاله) على فهمه بقول عيسى للسامرية ففاسد من وجهين

(الاول) انه مصرح بتسمية الله أباً وقد أبطلناه وسنزيده ابطالا ونزه عيسى عليه السلام عن القول به

(الثانى) ان الكلام لا اشارة فيه الى أن العهد المذكور فى كلام أرمياء هو الانجيل بوجه من الوجوه فبطل استدلال النصرانى به على ذلك (فتبين) من جميع ما حررناه وقررناه من الادلة جواز النسخ عقلا ووقوعه شرعا وأن التوراة والانجيل قد نسخا بالقرآن ولم يبق علينا فى ذلك الا اثبات أن القرآن كلام الله ليتحقق به نسخ الكتابين

وهذا المطلب قد أشرنا اليه فى مواضع وسنثبته بأوضح الاثبات في المقالة الثالثة ان شاء الله تعالى

﴿ احتج الخصم على عدم نسخ التوراة والانجيل بشبه ﴾

(الاولى) أن الكتابين متفقان وهذا فى أول فصله مذكوروفي أثنائه (وتقريره) أن يقال الكتابان متفقان وكلّ متفقين يمتنع نسخ أحدهما بالآخر لأن الناسخ يجب ان يكون مخالفاً للمنسوخ فاحد الكتابين لم ينسخ بالآخر

(وجوابه) من وجهين (الاول) منع الصغرى باثبات مخالفة الانجيل للتوراة وقد أوضحناها أتم إيضاح من كلام الخصم وسيرة قبيله وان كنا نعلم أنهم مخطئون في ذلك لكن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم والاثبات المذكور متصل بهذا الكلام فلينظر اليه من عرض له الذهول عنه (والثانى) بالقدح في الكبرى فان مفادها عدم نسخ المتفقين بعضهما ببعض ولاتفيد امتناع نسخهما معاً بما لايخالفهما و مدعانا نسخ الكتابين بالقرآن والقضية المذكورة لاتجديه نفعاً في رد هذه الدعوى فبطل دليله

(الثانية) ان نسخ التوراة والانجيل بالقرآن يستلزم الافضاء الى نتيجتين مستحيلتين (حاصل احداهما) أن الله أنزل التوراة لهداية الناس فلمالم يحصل بها مطلوبه أنزل الزبور فلمالم يتم به قصده أنزل الانجيل فلمالم يحصل به الغاية أنزل القرآن ونسخه به كالكتابين السابقين وأن مثل هذا مناف لحكمة الله وقدرته (والثانية) انه تعالى كأنما قصد انزال الكتب المذكورة مع علمه بعدم فائدتها وان الله منزه عن مثل هذا

(والجواب) عن الاولى بان مبنى النسخ ليس على ماتوهمه هـذا الرجل من عدم علم الله عظمت قدرته حين إنزال التوراة بعدم حصول فائدتها فأنزل الزبور بعد أن استبان له ذلك وهو أيضاً لايعلم بلوغ الغاية به وهكذا الى ان أنزل القرآن كما هو مفاد شبهته ومبنى اعـتراضه فانه لايبني النسخ على هذا الاصل المنهار الاكل ظلوم كفار وانما بناؤه على مابيناه فى اول هذا المنطق وحققناه في مقدمة الكتاب من أن مقتضى الحكمة الالهية إناطة الاحكام بالمصالح وأن المصالح تتغير بحسب أشخاص المكلفين وأزمانهم وأحوالهم وذلك معلوم فوجب لتغير المصلحة تغـير الحكم بمقتضى الحكمة ومصالح العباد لما لم تزل من لدن آدم عليه السلام الى مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم تتغير وتتبدل أوجبت الحكمة الربانية لذلك تغيير الشرائع وتبديل الاحكام وهذا هو النسخ ولما وقفت المصالح قبل وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم بزمن قليل على مقطع واحد استقر الشرع الانور على حد واحد لايتعداه لوقوف المصالح من لدن ذلك الزمان الى آخر الدهر عن التغيير فلذا لايبعث رسول بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يشرع شرع بعد شرعه فكل كتاب أنزله الله تعالى إنما أنزله بعلم وحكمة اقتضت إنزاله وشرع شريعته وحصول فائدته فالنسخ من مقتضيات الحكمة الآلهية لامنافٍ لهـا كما تصور النصراني لقصور فهمه

(والجواب) عن الثانية يعرف مما ذكرناه على أن الفائدة في ارسال الرسل وانزال الكتب ليست منحصرة في ارادة هداية الناس فقط بل تكون أيضاً لارادة اقامة الحجة وقطع العـذر مع العلم بانتفاء الاهتداء كارسال الله موسى الى فرعون وقومه وهو يعلم أنهم لايهتدون وكارساله عيسى الى اليهود وهو عالم انهم لايصدقون وهـلم جراً وقد بين الله جل

جلاله هذه الحكمة وأخبرنا عن هـذه الفائدة بقوله فى القرآن المجيد (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) وغيرها من الآيات

(وأما توهم النصرانى) أن الكتب السابقة كلام الله فيمتنع عليه النسخ كما أشار اليه في المقام فمدفوع بان الله تعالى لكمال حكمته وعموم قدرته له أن ينسخ من كلامه مايشاء بما يشاء ويثبت مايشاء ويمحو مايشاء ويقدم مايشاء ويؤخر مايشاء لانه على كل شئ قدير وليس لقدرته حد تقف عليه ولا تتعداه الى غيره فيستحيل أن يصدر عنه اثبات ممحو أو محو مثبت فلايجوز نسبته تعالى الى العجز عن تغيير الاحكام وتبـديل الامور تلك مقالة الضالين المكذبين بعموم قدرة رب العالمين فلا امتناع لنسخ كلامه بكلامه وانما يمتنع نسخ كلامه تعالى بكلام غيره كما فعله النصراني وأصحابه اذ أسقطوا عبادات التوراة عن أنفسهم مع اعـترافهم بأن انجيلهم لم يخالفها وأن مسيحهم لم يغير منها حرفاً واحداً لكسلهم عن اقامة العبادات الشرعية وعدم اعتنائهم بأوامر الله ونواهيه وتكبرهم عن الاتيان بفرائضه واحكامه فسقطت نتيجتاه ووقعت جنبتاه (وأما) ما اعترض به على نفسه فى توجيه النسخ من تخصيص الله كل عصر بديانة توافق أحواله مراعاة لترقى العلوم والمعارف فنحن في غناء عن الاحتجاج به على ثبوت النسخ وان كان فيه وجه من الحجة فنحن إذاً عن ذكر ما أجاب به عنه اعظم غناء لانه تكرير لما قدمه عديم الفائدة فاقد المحصول في المقام مضافاً الى ما فيه من الاعوجاج عن جادة المنهاج

(الثالثة) ماورد فى الكتب السالفة مما يدل على عدم نسخها بحسبانه (قال) فمن ذلك قول المسيح (السماء والارض تزولان ولكن كلامي لايزول) وقوله (الى أن تزول السماء والارض لايزول حرف واحد أو

نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) (أقول)هذا الكلام قد تقدم وبينا أن النصارى بزعمهم اسقاط الانجيل عبادات التوراة عنهم قد أسقطوا شريعة التوراة بالمرة ونسخوها عن أنفسهم وهم يدعون موافقة الانجيل للتوراة والامران متنافيان ثم قال وقول الرسول(أنتم المسيحيون مولودون ثانية لامن زرع يفني بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية الى الأبد) وقول أشعياء النبي (ييبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة آلهنا فتثبت الى الأبد) وقدر بحسبانه أن هذه الكلمات تدل على عدم نسخ الكتب (والجواب) بعد تصديق الناقل فى نقله هذه الأخبار من مواضعها من وجوه

(الاول) القدح فيها بعدم موافقتها لمضمون نسخة الانجيل الاصلية النازلة من السماء لان العبرة بما تنطق به تلك النسخة أوما يطابقها من النسخ يقيناً لا بكل مايدعي أنه موافق لها من غير بينة عادلة والنصراني لم ينقل تلك الأخبار منها لعدم وجودها عند أحد من النصارى فانها مفقودة من أيديهم في قديم الزمان ولامن نسخة يحصل العلم انا وله بمطابقتها لها وانما نقل الاول من بشارة لوقا والثاني من بشارة متي والثالث من رسالة بطرس والرابع من قول أشعياء وهذه الكتب مشتملة على كثير من المناكير المخالفة لصريح التوراة وسنوضح ذلك منها فى المقالة الثانية ومخالف التوراة باطل عند النصراني بصريح كتابه ومقتضى مذهبه فلا يتجه له الاحتجاج بها علينا وسيأتي تصريحه بأن هذه الكتب لم تكتب على نسخة الانجيل فمن أين يعلم أنها موافقة لها ونحن انما أقررنا بصحة الانجيل لا ... القرآن بها لا بكل كتاب كتبه النصارى بأهوائهم وهذا ظاهر لاسترة عليه

(الثانى) على تقدير صحتها وسلامتها من مخالفة معنى أصل الانجيل

حمل الكلام والناموس في الخبرين الاولين على أحكام المعارف التي هي أصل الدين التي يجمعها الايمان بوجود الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وعدله وحكمته وغير ذلك من صفاته الجلالية والكمالية والتصديق بملائكته وكتبه ورسله ووعده ووعيده وبالبعث والنشور والجنة والنار وما جرى هذا المجرى مما لا تختلف فيه المصالح ولا تتبدل فيه الشرائع ولا تتغير فيه الاحكام وهذه هي أصول جميع الديانات الثابتة في كل شرع الى آخر الدهر وتقضي زمان التكليف وماسواها من العبادات الظاهرة انما هو تكميل وتزيين لظواهر المكلفين يتميزون به عن صفات الحيوانات العجم وعن بطلة المنكرين للصانع جل اسمه وتذكرة لهم عن نسيان نعمه ليكونوا متذكرين له غير غافلين فيستوجبوا بها عظيم الزلفى عند بارئهم يوم الجزاء فعلى أى هيئة كانت لا يتغير بها أصل الديانة ولا يزول بتغيرها أحكام أصل الشرع فرفع بعض هيئات العبادات أو مقاديرها أو أوقاتها أو بعض شروطها أو بعض أحكام المعاملات وبعض أحكام السياسات الشرعية الى غيرها لا يزيل تلك الاصول فصدقت القضيتان وهما عدم زوال كلام عيسى وعدم زوال الناموس مع الحكم بأن القرآن ناسخ للكتب السالفة لان موضوع النسخ غير موضوع البقاء ولا مناقضة بين القضيتين مع اختلاف موضوعيهما وليس للنصراني أن يطعن في جوابنا هذا وهو يحكم في صريح كلامه بأن الانجيل رفع عن النصارى عبادات التوراة مع تصريحه بأن الكتابين متفقان لاتفاقهما في أصل الديانة وأنه لم يزل الناموس ولا كلام عيسى بزوال تلك العبادات (فنحن) نقول له ان القرآن وان رفع كثيراً من كيفيات عبادات التوراة والانجيل وأحكامهما وكثيراً من أحكام معاملاتهما وأحكام سياساتهما على ما أشرنا اليه في مقدم الوجه لكنه لم يرفع ما فيهما من أصول الديانة وما يجرى مجراها

كايجاب جنس العبادات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الظلم كقتل النفس المؤمنة بغير حق وغصب أموال المؤمنين وسرقتها وتحريم الزنا واللواط والمساحقة وشرب الخمر والملاهي المشغلة عن ذكر الله وما أشبهها من الامور التي تحصل بفعلها أو تركها الفساد ولا تختلف فيها المصالح باختلاف أحوال العباد وأزمانهم وهذه هي الناموس وكلام عيسى بل قررها القرآن وأكدها وزادها تثبيتاً (فصح) أن ناموس التوراة وكلام عيسى مازالا مع نسخ القرآن لشرع الكتابين الفرعي فعلى هذا يكون مراد عيسى من الكلامين أن ما جاء في التوراة وكلامي من أصل الدين لايزول ففيه دلالة على تكذيب النصارى فيما ادعوه لعيسى من الربوبية وبنوّة الله لان التوراة تصرح بنفي آلهة غير الله ولا تشير الى أن لله ولداً فلو ادعى عيسى ذلك لكان ناقضاً لاصل الناموس فتفطن

(الثالث) على تقدير شمول كلام عيسى والناموس لاصول الدين وفروعه توجه النفي في كلامه الى المجموع لاالى الجميع والمعنى أنه لايزول كلامي كله ولا الناموس كله بل بعضهما وليس المراد أنه لايزول كل فرد من أفراد كلامي ولا كل فرد من أفراد الناموس لان العبارة لاتدل صريحاً على هذا المفاد لدى أهل المعرفة بأساليب الكلام وتراكيبه (والدليل) على ذلك أنه لو صرح بما ذكرناه من زوال البعض لم يحصل تناقض بين القضيتين فصدق عدم زوال الكل لبقاء البعض (وهذا) مثل قول القائل لايدخل كل الناس النار فانه لانزاع في صدق هذه القضية مع العلم الجازم بأن أكثر الناس يدخلون النار لعصيانهم لان بعضهم لايدخلها فلم يثبت الدخول للكل من حيث انتفائه عن البعض فيصدق انه لم تزل جميع أحكام التوراة والانجيل بالقرآن لبقاء البعض وهو

ما ذكرناه من أصول الديانة وتوابعها فرجع النفي على هذا الوجه الى سلب العموم في القضيتين لاعموم السلب واستدلاله لايتم الاعلى تعين الثانى من القضيتين وهو غير مراد فضلا عن كونه متعيناً

(الرابع) على تقدير الشمول أيضاً جواز أن يكون مراد عيسى عليه السلام انه لايزول ناموس التوراة فى شرعى والمعنى أنى لم آت بشرع ينقض جميع شرع التوراة وأن كلامي لايزول يعنى لايبطل بما فى التوراة لانى أوافقه والمتوافقان لايزيل أحدهما الآخر فلا يلزم من عدم اتيان عيسى بشرع يخالف شريعة التوراة عدم اتيان غيره من الانبياء بشرع مخالف لشريعتها فلم يدل الكلام بوجه من وجوه الدلالات على نفى نسخ التوراة والانجيل بغيرها وهذا من الواضحات

(الخامس) على التقدير المذكور احتمال أن يكون المراد بعدم زوال الناموس وكلام عيسى بقاءهما زمنا طويلا فانه يعبّر عنه مجازاً بعدم الزوال كما يقول انسان لغيره لاأكلمك أبداً أو حتى تزول الجبال ويريد به المدة الطويلة وهذا شائع في جميع اللغات ومنه قول العرب فى حرب الجمل وحرب مرج راهط كان العسكران كالجبلين لايزولان وأرادوا من ذلك طول بقائهما فى المنازلة زيادة على ماجرت به العادة في بقاء غيرهما من الجيوش عند المقابلة والمقاتلة فلا ينافي نسخهما بالقرآن بعد زمان طويل لحصول الصدق في القضيتين مع النسخ بعد طول المدة وهذا التأويل لازم للنصارى ان صدقوا اليهود فى روايتهم عن موسى (تمسكوا بالسبت أبداً) لتأيدها باطلاق كلام التوراة فى تحريم العمل في يوم السبت ودعوى النصارى موافقة الانجيل للتوراة وتأكدها بقول عيسى الذى يحتج الخصم به علينا فان كذبوا اليهود فى روايتهم عن موسى فنحن أولى بتكذيب روايتهم عن عيسى لأنا لاندعي موافقة شرعنا لشرعه

ومطابقة ملتنا لملته من كل وجه بل مدعانا المخالفة من وجوه

(السادس) وهو يكفينا عن جميع الوجوه مع نهوض كل واحد منها برد حجة الخصم أن طريق صحة الكتابين عندنا هوالقرآن وقد دل على نسخهما فلا التفات لما دل على خلاف ذلك وقد أوضحنا هذا الطريق فى المنطق الثانى من هذه المقالة واذا احتمل الكلام هذه الوجوه لم يبق له تعلق به في مطلبه (وأما) قوله بطرس انتم المسيحيون الى آخره فليس فيه شئ من الدلالة على مايريد المستدل به وانما قصاراه بيان أن العالم لايفنى فناء محضا وأن المكلفين لايعدمون عدماً صرفاً بل ينتقلون من دار التكليف الى دار الجزاء باقين أبدالأبد بقدرة الله الباقية التي لاتموت أبداً فليس الكلمة فى كلامه موسى ولاعيسى ولا كتابهما بل المراد بها قدرة الله وعلى هذا فالكلام من بليغ المواعظ في الحث على العمل الصالح وعلى ما فهمه النصرانى منه فهو ساقط المعنى والكلمة فى قول أشعياء أيضاً فى معناها فى قول بطرس وهذا ظاهر من الكلامين غاية الظهور فلا حجة للخصم فيهما على مراده أصلاً فتأمل جيداً (وأنت) أيها اللبيب المنصف اذا تأملت فيما أفدناه حق التأمل انصرح لك منه زوال شبه الرجل وانقلاعها من أساسها تمام الانصراح وزال عنك الشك والريب فى ذلك ولم يبق عندك توقف فى بطلان قوله بعدانه يثبت مما قدمه كون تلك الكتب لم تنسخ قط ولم تنسخ البتة لتحقق فساد ماقدمه لديك بما أوضحناه من الادلة القاطعة للعذر (قال) وأمازعم بعض العوام الاغبياء بأن الله تعالى قد رفع الانجيل الى السماء فهو مما لايلتفت اليه اذ كان زعما باطلا لا أساس له يناقض القرآن نفسه (أقول) أما أنا فلا افتقر فيما أردت ثبوته الى هذا الزعم لاستغنائي عنه في تحصيل مرادى باليقين لكنى أقول لوأن ذاك العامىّ قال لهذا النصراني أيها القس الكبير ان

الانجيــل لم ينزل على قلب المسيح كما نزل القرآن على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم وانما نزل في صحائف سماوية مكتوبة بقلم القدرة الآلهية كالتوراة والزبور فانا أريد أن تحضرني تلك الصحف بعينها حتى أنظرها لم يستطع احضار تلك الصحائف لانها مفقودة من أيدى النصاري من حــين رفع عيسى ولهذا لم يذكر الرجــل في كتابه شيئاً منها ولا من نسخة منسوخة عليها يقيناً وانمــا يذكر ماينسبه الى الانجيل من بشارة لوقا وبشارة يوحنا ومتّى ورسالة بطرس ورسالة فلان وفلان فاذا عجز عن احضار أصل الانجيل قال له ذلك العامي أخبرنى عن الانجيــل اذفقد من أيديكم معاشر النصارى أين الآن هو فان أجابه بأن تلك الصحف تمزقت وتلك الكتابة زالت وذهبت قال له العــامي فقد أثبت زوال كلام الله وتمزيق الصحف السماوية وذهاب الكتابة الآلهية وهذا كفر ظاهر ونسخ حكمها مع بقاء جسمها أولى بها وأحرى اذ لامحذور فيه أصلا لان ناسخها هو منزلها وله الخيرة فى حكمه وأمره فان قال له قد صارت فى الارض واستقرت فى باطنها قال العامي المذكور فرفعها الى السماء أجدر بها من استقرارها فى باطن الارض لانه ينبغي أن تكون الصحف السماوية في المحل الرفيع والمنزل العلي ولا يصلح أن تكون فى الموضع الاسفل الدنى فحينئذ يبقى النصرانى باهتاً حائراً لايدرى بمــاذا يجيب ولا يجد له من دون مازعمه ذلك العامي من رفع أصل الانجيل الى السماء مركضاً فعند ذلك يقول له ذلك العامي أنت يانصرانى العامي الغبيّ وأما أنا فالفطن الالمعي والاديب الذكي (وكذا يقال له ولليهود) فى أصل التوراة حرفا بحرف (وبهذا يثبت) أن ما فى أيدى اليهود والنصارى من الكتب غير معلوم مطابقته لاصل التوراة والانجيل فالاحتجاج به ساقط من أصله (وأما) دعواه مناقضة القرآن للزعم المذكور فواضحة

البطلان لان القرآن دلّ على أن الله أنزل الأنجيل على عيسى ولم يدلّ بواحدة من الدلالات على أن أصل الأنجيل المنزل من السماء باق في أيدي النصاري ولا مستكن في الارض فأولى به اذاً أن يكون في السماء والزعم هو هذا لا أن الله لم ينزل الأنجيل على المسيح فأين مناقضة القرآن للزعم المذكور ومن هذا التوضيح يعلم اتجاه القول برفع الأنجيل الى السماء وكذلك أصل التوراة (ولنا معاشر الامامية) في هذه المسئلة حكم خاص ليس في هذا الكتاب يستحسن بيانه (ومن ثبوت) نسخ الكتب القديمة بالقرآن يتضح اجتثاث قوله في آخر فصله ان المحافظة على شرائعها وتميم أحكامها فرض عين على أمّة محمد وسائر طوائف العالم ويتعين أن المفروض عينا على كل من في حيّز الوجود من المكلفين من ذرية آدم اتباع شريعة القرآن العظيم لانه نسخ شرائع تلك الكتب بيقين

ثم واعجباه من هذا الاهوج يسقط عن نفسه عبادات التوراة ويوجبها على طوائف العالم فما أهجن ما يأتى به من الاقوال وبهذا تم تمزيق فصله والحمد لله رب العالمين

﴿لطيفة طريفة﴾

اعلم أيها المتبصر العارف أن القرآن الشريف وان تضمن من الاحكام الشرعية والمعارف الدينية والعلوم الآلهية واشتمل من التعاليم الجليلة والمواعظ والنصائح الجميلة وبيان كيفية السلوك الى سبيل النجاة مايزيد على ماتضمنه التوراة والأنجيل وغيرهما من الكتب السابقة واشتملت عليه من ذلك بأضعاف مضاعفة ونسخ شرائعها بشرعه لكنه لم ينسخ منها الا ماكان من قبيل أحكام الفروع التى لم تستقر فيها مصالح المكلفين في حيّز واحد وأماما كان من قبيل أحكام أصول

الدين أو من أحكام الفروع التي لاتخرج فيها مصالح المكلفين عن حيزها الاول كما أشرنا الى جملة منها في الوجه الثاني من ردشبهة الخصم الاخيرة وكذلك المواعظ والنصائح فلم ينسخ القرآن منها شيئاً بل أكدها وقوّاها واما الاخبار والقصص فلا يدخلها نسخ لاختصاصه بالاحكام (والدليل) على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً مايخاصم اليهود ويحتج عليهم فيما أنكروه من أحكام القرآن بما في التوراة كما يصرح به قوله تعالى (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وغيرها من الآيات (وهذا) من جهة موافقة شرع القرآن لشرع التوراة فيما لم توجد فيه علة المخالفة لامن جهة كون القرآن تابعاً للتوراة ولامن جهة أن صحته متوقفة على مطابقتها فان الوجهين منتفيان عنه لانه اصل مستقل وشرع جديد أنزله الله جل أسمه على نبيه محمد سيّد الرسل نوراً وهدى للناس والموافقة في جميع الاحكام لاتستلزم المتابعة فكيف في البعض مع المخالفة في كثير (وقد) دلّ القرآن الكريم على موافقة ملته لملة ابراهيم خليل الله كما في قوله تعالى (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وقوله تعالى (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) ومع هذا لم يكن نبينا صلى الله عليه وسلم تابعاً في الشرع لابراهيم وان كان مبعوثاً بملة توافق ملته وهكذا نقول في عيسى عليه السلام انه بعث بدعوة مستقلة وشرع جديد الا أنه لما كان شرعه موافقاً لشرع التوراة أمر هو وأمته بالعمل بما فيها من الفرائض والاحكام بأمر جديد لا من حيث التبعية لموسى عليه السلام والا لكان من أمته وأتباعه كما كان من قبله من الانبياء مثل زكريا ويحيي وسليمان وداود وغيرهم عليهم جميعاً السلام

واللازم معلوم الانتفاء فالملزوم مثله (ومثال) ماذكرناه اتفاق المجتهدين على حكم واحد فانه من جهة تطابق النظر في توجيه الدلالة لا من جهة المتابعة

(فاتضح) من كلامنا أن مخالفة القرآن للكتب السالفة لا تقدح في صحته وأن موافقتها ليست بشرط فى ثبوته لانه ليس فرعا عليها بل هو أصل ثابت لا يزول وركن قوي لا يتزعزع ولا يحول ومنار هدًى يهتدى به أهل المعرفة والعقول وأن ما في تلك الكتب من القصص والاخبار يطابق مافيه منهما من كل الوجوه فما يوجد في أيدى النصاري واليهود مما يسمونه الآن توراة وانجيلا يخالف القرآن فى القسمين أو في أحكام أصول الدين فهو محرّف عن أصله الاصيل ومغير عما جاء في التنزيل

وأنت أيها الاخ الرشيد اذا أتقنت محصّل هذه الفائدة نفعك فى الردّ على النصرانى صاحب الكتاب في مواضع كثيرة سوف تمر بك الاشارة اليها في كلامه فتذكر

﴿ المنطق الرابع ﴾

(في تخريق فصله الثالث في دعواه أن التوراة والانجيل لم يقع فيهما تبديل أو تحريف أصلا)

(قال) ان علماء المسلمين يدعون بأن المسيحيين واليهود قد حرّفوا كتبهم الدينية وبدّلوها منتزعين منها الآيات الدالة على نبوّة محمد وواضعين عوضاً عنها آيات أخرى الى أن قال فنقول ان المسلمين مع ادعائهم بتبديل الكتب المقدسة وتحريفها منذ زمن طويل هذا مقداره قد عجزوا حتى الآن عن اثبات ذلك ولو بدليل واحد ولم يمكنهم أن يجيبوا عن هذه المسائل الاربع وهي (أولا) في أي عصر وقع التحريف في كتب العهد القديم والعهد الجديد (ثانيا) من هم الذين تصدوا لهذا العمل (ثالثاً) على أي

وجه وأسلوب تمّ ذلك (رابعاً) ما هي الآيات التي وقع فيهاالتحريف بل يكتفون عن الجواب وتقديم الادلة والبراهين بمجردالادعاءانتهى

(أقول) لاشك أن المسلمين ينسبون الى الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى التحريف والتبديل عن أصولها لا في جميعها بل في الأبعاض واما ان المنتزع منها هي الآيات الدالة على نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص فلا أعرف من المسلمين من ادّعاه ولا سمعت بأحد من فضلاء أهل ملتنا يدعيه وكيف يدعون ذلك وهم قديماً وحديثاً يحتجون على أهل الكتابين من اليهود والنصارى في اثبات نبوّة نبينا صلى الله عليه وسلم بما في كتابيهم اللذين هما في أيديهما الآن من الآيات التي ذكر صلى الله عليه وسلم فيها ببعض نعوته وصفاته ويثبتون أن الموجود في أيدي الفريقين من التوراة والانجيل مبشّر به وناصّ عليه وقد أورد هذا النصراني في الباب الثالث من كتابه جملة من آيات الكتابين وذكر أن المسلمين قد احتجوا بها على أن التوراة والانجيل قد أخبرا بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يذكر مما يحتج به المسلمون على ذلك من آيات الكتابين الااليسير فأنّي يدّعون إسقاط الآيات المبشّرةبالنبى صلى الله عليه وسلم من الكتابين وأنت تراهم يستدلون على البشارة به بآيات كثيرة صريحة في ذلك منها

(هذا) والقرآن ينطق مصرّحا بأن مافي أيدي اليهود والنصارى من بقية التوراة والانجيل مبيّن فيه نبوّة نبينا صلى الله عليه وسلم ومعرّف فيه صفاته كما في قوله تعالى (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) الآية وقد قدمنا ذكرها ومثلها غيرها وهي صريحة فيما نقول وليس من سجية المسلمين مخالفة نص القرآن المبين في مثل هذا الامر فيدعون نقيض ما يعلن به القرآن وينص عليه مما فيه الحجة الواضحة لهم على صحة دينهم فدعوى النصراني عليهم ذلك كما سمعت في كلامه مباهتة محضة

(نعم) هم يدعون على أهل الكتابين أنهم يجدون اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيهما فيكتمون ذلك وينكرونه عن أهل دينهم وهذه الدعوى قد شهد بها الوجدان وصدقها القرآن في مواضع كثيرة منها قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) وقوله تعالى (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ) فان المراد بما عرفوا وبنعمة الله نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وضمير الجماعة في الآيتين كناية عن أهل الكتاب وقوله تعالى (يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقوله تعالى (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَٱتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) الآية والآيات في ذلك أكثر من أن تحصر هنا والذي دعا علماء الفريقين الى كتمان ما يجدونه في الكتابين من البشارة بنبينا صلى الله

عليه وسلم حب الدنيا ورياستها وكراهة أن يخرجوا من كونهم متبوعين الى كونهم تابعين فان حب الرياسة يلبس القلوب ويميل بصاحبه عن الحق وسيجيء توضيح هذا الوجه وغيره مما دعا القوم الى الكتمان في المقالة الثالثة

(وبما ذكرناه) يبطل ما حاصله من قوله ان التحريف في الكتب السابقة لم يقع قبل زمان محمد وانما وقع في عهده وفي بداية دعوته زاعماً أن آيات القرآن تدل على ذلك ويبطل أيضاً قوله بعد نسئل المسلمين ماذا ألجأ النصارى أو اليهود الى تحريف كتبهم المقدسة واستدلاله على عدم التحريف المذكور بما ذكره من رؤيا يوحنا عن التوراة لان ذلك كله بناء على ما نسبه الى المسلمين من ادعاء اسقاط الآيات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم من الكتابين دون غيرها وليس هذا مدّعانا كما وضح لك بل المدعى غيره وقد بيناه وليس اليهود بمعصومين عن مخالفة توراتهم وتبديل أحكامها بشهواتهم وقد بدّلوا معناها في عيني بزعم النصراني وقد نسب اليهم العصيان العظيم في مواضع من كتابه ومن ذلك قوله في بابه الثاني وان بني اسرائيل كانوا كلما أعرضوا عن الله تعالى وتركوا أوامره وأحكامه وسقطوا في عبادة الاصنام يحل عليهم غضبه تعالى فيسلمهم في أيدي ملوك الوثنيين فيظلمونهم ويجورون عليهم بالعذاب انتهى فمن وصفهم بهذه الاوصاف القبيحة التي من جملتها عبادة الاصنام وهو الكفر العظيم كيف يبرئهم مما قلناه فيهم من كتمانهم ما في التوراة من البشارة بنبينا صلى الله عليه وسلم فزال ارجافه وسؤاله واستدلاله بتوضيحنا كما زال ظلام الليل بضياء الشمس فلا ينفعه بعد ذلك جميع ما الفظ به من (كيف وثمّ وزد وبالاجمال) لتبيّن ان ذلك كله خارج عن معارضة الدعوى ومقابل لامر يدعيه هو لا نحن

(وأما قوله) فلو وجد اليهود أو النصاري في كتبهم أقل دلالة أو

أدني اشارة الى صدق نبوة محمد لآمنوا به لامحالة فهو باطل مردود بوجهين (الاول) ماذكرناه عنهم وصححناه فيهم من كلامه من ارتكابهم كبائر الذنوب وعدم اجتنابهم المعاصي حتى الكفر الذي هو أعظم من كتمان نبوة نبي ورسالة رسول (الثاني) انه قد ادعى في مواضع من كتابه أن التوراة تصرح بصدق نبوة عيسى تصريحاً بيناً وتخبر عن ربوبيته اخباراً ظاهراً وأن اليهود يعرفون ذلك من بيانها ومع ذلك لم يؤمنوا به ولم يصدقوه ولم يقتصروا على تكذيبه من دون أن يقولوا فيه وفي أمه مانستعيذ بالله منه فان كان عدم ايمان اكثر اليهود بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم دليلا عند النصراني على عدم وجود البشارة به في التوراة فليحكم بعدم وجود خبر عيسى فيها لان اليهود لم يؤمنوا به وطعنوا فيه وقتلوه بزعمهم وزعم النصاري ويكذب نفسه في دعواه تصريح التوراة بنبوة عيسى بل بألوهيته ويلزم باتباع اليهود في التكذيب به لانكارهم وجود صفته وخبره في التوراة لانه جعل انكارهم وجود صفة نبينا صلى الله عليه وسلم فيها دليلا على عدمه وهذا مثله بلا ريب وهو أشق له وأوهن لمذهبه والا فايبين لنا الفرق في تعديلهم في تكذيب أحد النبيين وتفسيقهم في تكذيب الآخر (والنصاري في كتمان الحق) ليسوا بدون اليهود ولا بأبر منهم فليس تكذيب أحد الفريقين بنبوة احد من الانبياء يدليل على عدم وجود وصفه في الكتب المنزلة من السماء وهذا ظاهر بيّن لا غطاء عليه (ثم مع هذا كله) نعارضه بايمان من آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصاري وصرح بان الذي دعاه الى الايمان به وجوده في الكتب السابقة اسمه وخبره ووصفه بالنبوة فبأي شيء يجيب عن هذه المعارضة (وسنذكر) جملة ممن آمن على هذا الوجه في المقالة الثالثة ان شاء الله تعالى (فبطل) جميع مارتب على هذا

القول المردود من الأراجيف الزائلة جميعها واذا تحققت كذب دعواه وزوال ماأرجف به على المسلمين وشنع به عليهم مما هو مبني عليها وعلمت أن الداعي لليهود الى كتمان أخبار كتابهم بنبينا صلى الله عليه وسلم شبيه بداعيهم الى كتمان مافيه من الخبر عن عيسى فنرجع الآن الى فساد بقية لغوه والكلام في ذلك يقع في موضعين

(الموضع الاول في معنى تحريف الكلام وتبديله في اللغة العربية)

فتحريف الكلام هو تغييره والعدول به عن جهته وتبديله هو تغيير صورته فالتحريف أعم من التبديل من وجه ومفهومه يشتمل أموراً أربعة (الاول) النقص من الكلمات (الثاني) الزيادة عليها اذا كان كل من النقص أو الزيادة مغيراً للمعنى فحذف لام الكلمة من نحو يدٍ ودمٍ وغدٍ وزيادة الالف في واو الجماعة كقالوا والواو في عمرو مفتوح الاول ساكن الثاني فرقا بينه وبين عمر مضموم الاول مفتوح الثاني ليسا من التحريف لعدم تغيير كل منهما للمعنى (الثالث) اظهار بعض الكلام واخفاء بعضه مع عدم دلالة المذكور على المستور فيخرج عنه حذف متعلق الفعل في مثل قوله تعالى (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) وحذف الفعل في مثل قولك زيداً في جواب من قال من اكرمت والمبتدأ نحو زيد جوابا لمن قال مَنْ هــذا والخبر في مثل لولا عليّ لهلك عمرو أمثال ذلك لدلالة القرينة عقــلا أو لفظا على تعيين المحذوف (الرابع) في التأويل وهو حمل الكلام على غير معناه في لسان أهله كحمل النصارى لفظ (البار قليط)الذى معناه في لغة الانجيل الاصلية (احمد) على روح القدس توصلا لانكار بشارة الانجيل بنبينا صلى الله عليه وسلم فيخرج عنه تأويل اللفظ بمرادفه في لغة أهله كتأويل

لفظ هَلُمَّ بلفظ تعال ولفظ أسد بلفظ ليث في العربية لان كل واحد من اللفظين بمعنى الثاني فلا يكون ابدال أحدهما بالآخر تحريفاً فاما التحريف في التوراة والانجيل بالمعنيين الاولين فسوف نبين وجهه في الموضع الثاني وأما تحريفهما بالمعنيين الأخيرين فقد أخبر به القرآن الشريف في قوله تعالى حكاية عن أهل الكتاب (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) فهذه الآية أخبرت عن تحريفهم التوراة بالمعنى الثالث وفي قوله تعالى في موضع (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) وفي آخر (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) وهو اشارة الى ماغيروه من حكم التوراة برجم الزاني المحصن ذكراً أو أنثى أو قتل القاتل ظلما وأبدلوه بالجلد والدية وغير ذلك من الاحكام التي غيّروها بأهوائهم

(ومن أوضح التحريف) بهذا المعنى تغيير النصارى معاني الانجيل ودعواهم أنه دل على سقوط فرائض التوراة عنهم مع اعترافهم بان المسيح لم ينقض من ناموس التوراة حرفا واحداً ولا نقطة وقد تقدم بيان ذلك واذا تحقق منهم تغيير معنى الانجيل في الامر المناقض لدعواهم الظاهر الشناعة عليهم لضعف عزائمهم عن أداء فرائض الله فكيف يستبعد منهم كتمان البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل وتغيير معنى ألفاظها الى معنى آخر وهذا أمر أسهل عليهم من الاول وأحق فبطل ماقاله النصرانيّ من استبعاد ذلك عليهم كما قدمنا نقله وبطل به كثير مما صال به في فصله على المسلمين وجال

﴿ الموضع الثاني في زمان وقوع التحريف في الكتابين ﴾

فنقول أما وقوع التحريف في التوراة فهو بعد غزو (بخت نصّر) ملك العراق بيت المقدس وقتله الاسرائيليين فيه بمائة سنة وبيان هذا المرام أن أصل التوراة وهي الالواح التي نزلت من السماء على موسى عليه السلام فقدها قومه بعد وفاته وبقيت في أيديهم النسخ المنسوخة عليها الى أن غزاهم الملك المذكور وقتلهم قتلا عاماً وأسر أطفالهم وحملهم الى بابل ففقدت من أيدي اليهود نسخ التوراة بأسرها ولم يكن فيهم من يحفظها بجملتها على ظهر قلبه فبقوا سبعين سنة في بابل وثلاثين عاماً بعد رجوعهم الى بيت المقدس فهذه مائة سنة وليس عندهم فيها نسخة واحدة من التوراة ولا فيهم من يحفظها كلها وبعد المائة سنة أحيى الله تعالى عزيرا وكان قد أماته تلك المدة فأتى عزير بعد أن أحياه الله الى بني اسرائيل وقال لهم إني عزير فكذبوه وقالوا ان عزيراً مات منذ مائة عام وهموا عند ذلك بقتله فلما عرف منهم التكذيب لقوله والعزم على قتله قرأ التوراة عليهم من ظهر قلبه فصدقوه وكتبوا عنه نسخاً منها فجميع ما في أيدي اليهود والنصارى من نسخ التوراة من ذلك الوقت الى هذا الزمان مما كتب من إملاء عزير وهذه القصة معلومة لدى علماء اليهود لاينكرها منهم أحد وعزير لم يكن نبياً فيؤمن عليه فيما قرأه من التوراة الزيادة والنقصان عن أصلها وعلى فرض كونه نبياً فالنبي عند خصمنا النصراني وجماعته غير معصوم عن الخطأ لا سهواً ولا عمداً الا في التبليغ عن الله وقد صرح بذلك في بابه الثاني فقال أما اعتقاد المسيحيين بالانبياء والرسل فهو انهم تحت امكان السهو والنسيان الا فيما أمرهم الله تعالى بتبليغه وإعلانه فانهم معصومون فيه من كل سهو ونقص انتهى

وعزير في حال قراءته ماقرأه لم يكن في مقام التبليغ عن الله لبنى اسرائيل أوامر الله ونواهيه وانما كان في مقام تلاوة لكلام متقدم فمن أين يعلم بسلامته من الغلط والنسيان والزيادة والنقصان في قراءته عن أصل ماقرأه لو كان نبياً حتى يحكم بأن ماذكره مطابق لما في ألواح التوراة حرفاً بحرف بلا زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل فما ظنك ونبوته لم تثبت بدليل قاطع ولا برهان ساطع ولم يكن في القوم من يحفظ التوراة جميعها ليعرف مواضع المخالفة فيما قرأه عزير لاصل التوراة فيرده عن الغلط فنحن نقول للنصراني أخرج لنا أصل التوراة لنقابل به نسخها التى فى أيديكم وأيدى اليهود فان طابقته من كل وجه فأنت صادق في دعواك عدم التحريف والتبديل فيها والا فلا دليل لك على هذا المدعى الا مجرد العصبية وترك الانصاف ومحض الميل عن طريق الهدى والتهافت في الاعتساف وهذا طريق لا يوصل الى الغاية المحمودة ولا تقوم به على الدعوى الحجة (ولهم أيضاً) وقت ثان حصل فيه تغيير آخر أعظم من الاول وذلك لما غزا ملك فارس بنى اسرائيل بعد رفع عيسى الى السماء فقتلهم قتلا ذريعاً وانتهب أموالهم وأخرب مدينتهم ومسجدهم وخرج بقيتهم من بيت المقدس صاغرين ففقدت من أيديهم نسخ التوراة المكتوبة من إملاء عزير أيضاً ولم يبق بأيديهم منها نسخة كاملة فأقبل علماؤهم على جمع التوراة من حفظهم وغيره فوقع فيما جمعوا تغيير وتبديل عما كان من النسخ منسوخا من املاء عزير وحصل أيضاً بينهم اختلاف فى التفسير والتأويل فمن أين يحصل العلم الجازم بعد هذا كله بأن النسخ الموجودة فى أيدى اليهود من التوراة مطابقة للاصل الاول النازل من السماء فى الالواح وقد قدمنا عن النصرانى إقراره بواقعة (بخت نصر) وأقر بهذه الواقعة أيضاً فى أوائل بابه الثانى صريحاً فانه بعد ماذكر

تسليط الله (بخت نصر) على بنى اسرائيل من اليهود لعصيانهم وما فعل بهم من الأسر ورجوعهم بعد سبعين سنة الى بيت المقدس وعمارته ثانياً (قال) ثم بعد المسيح بنحو أربعين سنة اذ حل غضب الله تعالى على اليهود لقساوة قلوبهم وعدم طاعتهم لأوامره وأحكامه ولا سيما رفضهم المسيح وعدم إيمانهم به هدم هيكلهم وأخربت مدينتهم وشتت شملهم متبددين في جميع أقطار العالم ولم يزالوا على هذه الحال الى يومنا هذا انتهى

(وأقول) من ينسب الى اليهود قساوة القلب وعدم طاعة أمر الرّب حتى حل عليهم غضبه كيف يتجه له أن يقول إن اليهود لو وجدوا أدنى اشارة في التوراة بصدق نبوّة محمد لآمنوا به لو عقل وأنصف مع تصريحه بأنهم لم يؤمنوا بالمسيح والتوراة قد بشرت به كما بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وما إنكار أحدهما الا كانكار الآخر لكنه عادم الانصاف وفاقد العقل (واعلم) أن هاتين الحادثتين لبنى اسرائيل قد أخبرنا بهما القرآن الكريم في قوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) الآيات

(ومن البيان المذكور) اتضح أن التوراة الموجودة الآن مغيّرة عن أصلها ومبدّلة فتكون محرّفة لا محالة فانحل بما عقدناه ما استظهر به على

المسلمين في تصحيح دعواه بالنسخ التي عدّدها في المكتبة الفلانية والمملكة الفلانية وما قبله من زخارفه وما أردفه به من قوله وزد على ماتقدم دليلا آخر الى آخره وقوله لعل قائلا يقول بتمامه وقوله ثم انا نعلم من التواريخ الي منتهاه وقوله ثانياً لايخفى الي أقصاه وقوله وزد على ذلك الي غايته وغير ذلك من كلامه لان النسخ الموجودة التي عددها قد نسخت على المغيّر ولم تنسخ على الاصل فتطابقها الوصح لايوجب موافقتها للاصل كما لايخفى مع أن بطلان ما أشرنا اليه من كلامه قد تحقق بما أفصحنا عنه في أول المنطق

على أنا نزيد على ماذكرنا ونقول ان التوراة قد وقع عليها النقص في عهد موسى عليه السلام وذلك أنه قد روى الثقاة من أصحابنا عن مستحفظي العلم الآلهي من أوصياء نبينا صلى الله عليه وسلم ماحاصله أن موسى عليه السلام لما رجع الي قومه من المناجاة ومعه ألواح التوراة وكانوا قد عبدوا العجل في غيبته عنهم ألقى تلك الالواح غضباً لله وأخذ برأس أخيه هارون يجره اليه فرفع عند ذلك من الالواح جملة وبقيت جملة أخرى فيها مايحتاج اليه أمة موسى عليه السلام وفي المرفوع من الالواح علم كثير (وما أظن) أهل الحذق والأطلاع التام من علماء اليهود يخفى عليهم ذلك ولا ينكرونه

وأما استناده في نفي تحريف التوراة في زمن جلاء بابل الى أنه لو وقع من ذلك شيء لكان المسيح يوبخهم على انغالهم (أى افسادهم) اياها ويبين لهم مواضع التحريف والتبديل الى آخر ماقال فاستناد ضعيف ومقال سخيف لان الاستدلال به على مرامه يفتقر الى ضم مقدمة أخرى اليه وهي أن اليهود كانوا يصدّقون المسيح ويطيعونه لانهم اذا لم يكونوا كذلك لم ينجع فيهم توبيخه ولم يصدقوه في بيانه بل يزيدهم ذلك تكذيباً به وطاعة اليهود لعيسى وتصديقهم له معلوم الانتفاء بيقين وقد اعترف بنفيه الرجل

في مواضع متعددة من كتابه قد ذكرنا عنه بعضها من قريب (وروى) أيضاً قبل الاستناد المذكور بأسطر عن بشارة يوحنا قول المسيح لليهود (لانكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدّقوني لانه هو كتب عني فان كنتم لستم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامي) انتهى ومع هذا كيف يتمكن المسيح من توبيخهم كما توهم النصراني وهم لا يصدقونه ولا يصدقون موسى (وتبصر أيها الاخ) في مناقضته روايته هذه لما ذكره قبل من أن اليهود لو وجدوا في التوراة ادنى اشارة بصدق نبوة محمد لآمنوا به فانه يوثقهم غاية التوثيق ويجعل تركهم الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم حجة ودليلا على عدم بشارة التوراة به وهنا يروي عن مسيحه نسبتهم الى تكذيبه وتكذيب نبيهم موسى (فشهادته) لليهود بالوثاقة مكذبة لشهادة ربه المسيح لهم بالفسق بل بالكفر ومبطلة لنبوة مسيحه أيضاً فضلا عن ربوبيته (وهل رأيت) أكفر ممن يكذب ربه ويرد شهادته فانهدم مستنده وزال معتمده ووضح بطلان قوله ان اليهود طاعة لله كانوا يحافظون على كتبهم لشهادته عليهم مرارا بعصيان الله على أن محافظتهم على كتبهم لا يلزم منها عملهم بكل ما فيها ولا عدم تغييرها قبل المحافظة بالسبب الذي ذكرناه واشار هو اليه ثم انه لو تم له ما توهم في الجلاء الاول لم يتم له في الجلاء الثاني اذ لا مسيح حينئذ فيوبخهم ولا ممسوح فيبين لهم مواضع التحريف والتبديل والامر في كل ما بيناه واضح (وما استظهر به) على ترويج زيفه من أمر عمر بن الخطاب باحراق ما وجده جيوش المسلمين في بلاد الشرك بعد فتحها من الكتب المقدسة بزعمه ليس بشيء وجوابه من وجوه (الاول) ان وجودها في أيدي المسلمين لو كانت نسخ التوراة والانجيل لا تجديهم نفعاً في معارضة خصومهم لأنها مطابقة لما في أيدي الخصوم من النسخ المحرفة فاعدامها لا يضرهم (الثاني) ان عمر لم يعلم يقيناً انها نسخ

التوراة والانجيل ورجح انها كتب فلاسفة اليونان التي ليس لها حرمة في النصرانية ولا في الاسلام واتلاف هذه الكتب من أعظم مصالح الدين

(الثالث) انه بين الوجه في الامر باحراقها فيما كتب الى أمراء جيوشه وهو مضمون ما أسلفناه من أن ما في تلك الكتب ان كان موافقاً لما في القرآن فنحن مستغنون عنها به وان كان مخالفاً له فمخالف القرآن باطل وهذا وجه وجيه (نعم) الاولى بعمر والانسب له أن يعتمد في تلك الكتب غير ما اعتمده من إحراقها لاحتمال أن يكون فيها شيء من كلام الله أو أسمائه الحسنى فكان الأحرى أن يأمر بمحوها في الماء ولكنه عجل وكان ذا عجلة فلا اعتراض علينا بخطائه في ذلك لو أخطأ فكيف وانما ترك الاولى والاحرى (١) (فتوجه) من كلامنا أنه لا حاجة للمسلمين في التوجه الى بلاد أوربا لمطالعة نسخ التوراة والانجيل كما ذكر فتأمل

وأما استدلاله على عدم التحريف في التوراة بما عن بشارة يوحنا من قول المسيح (فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي) وما عن بشارة متى من قول المسيح (ماجئت لأنقض بل لأكمل)وقول بولس (كل الكتاب هو موحى به من الله) فهو استدلال بارد واهن (وجوابه) انا معاشر المسلمين نقول ان التوراة حرفت وبدلت بالنقص عن أصلها النازل من السماء وتغيير بعض ألفاظها عن صورته الاولى وزيادة بعض وبالعدول عن معناها بالتأويل الباطل ورواية يوحنا تدل على التحريف بالمعنى الاخير كما ترى ولم نقل انها أسقطت بالمرة وأبدل منها غيرها من جميع الوجوه بل نقول ان

---

(١) أثبت السيد محمد مجدى بك فى كتابه المسمى (ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر) عند الكلام على مكتبة الاسكندرية انها احرقت قبل زمن (عمر) بعدة قرون وهو مطبوع بمصر فليراجع انتهى مصححه

كثيراً منها يطابق الاصل القديم ويوافقه وذلك بحسب ما أخبر به القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) وهذه الآية موافقة لشهادة المسيح على اليهود بمخالفة حكم الله ومصدقة لها ومكذبة لما قدمه النصراني من توثيقهم ومنها قوله تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهذه الآية مثل الأولى فيما ذكرناه وقد اشتمل بياننا على هذا المضمون

وأقصى مايدل عليه كلام عيسى إن صح عنه أن في التوراة ذكر نبوّته والبشارة به وليس فيها بقاء نبوّة موسى الى آخر الأبد كما تأول اليهود بظنهم ونحن لانضائق في هذا بل نصحح أن في التوراة البشارة بعيسى والبشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر خبر كل منهما وأوصافه لكن وجود هذين الامرين فيها لايستلزم عدم التغيير في جميع كلماتها بوجه من الوجوه بل لايدل على عدم تغيير كلمات تلك الآيات المبشرة بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم عن صُوَرِها الأُول بوجه من وجوه الدلالات لجواز أن تكون في الاصل على صُوَر يفهم معانيها كل من له أدني فهم وهي الآن لايفهم المقصود منها الاذووا الفطن الوقادة

وأما قوله (ماجئت لأنقض) فقصاراه الاخبار بأنه لم يجيء لنقض أحكام التوراة الموجودة فيها وهذا لايقتضي عدم التحريف على الاطلاق بوجه ما (وأما بولس) فان نبوته لم تثبت بدليل ليكون كلامه حجة بل الثابت عندنا غير ذلك ولو ثبتت نبوته فكلامه ليس فيه تصريح بارادة التوراة فاعله عنى غيرها من كتبهم ولو فرض ارادته اياها فغاية كلامه

الشهادة بصحة مافى التوراة من الأحكام لاينفي التحريف فيها من كل وجه ولو فرض ذلك لم يدل على أن اليهود لم يتأوّلوها على غير معانيها الحقيقية فان من جملة ما فيها الأخبار بنبوة عيسى وقد أنكروه فأين هذا من الشهادة بعدم التحريف في التوراة بجميع معانيه وباقي ماذكره النصراني في المقام من الاخبار لاتعلق له بالمطلب أصلا فلا حاجة الى الأسهاب بذكره فانه تطويل بغير طائل وهذا محصل القول في بيان تحريف التوراة

﴿ واما تحريف الأنجيل بالمعاني الاربعة ﴾

فنثبته من كلام خصمنا ففيه الكفاية فانه قال في الباب الثاني وأما كتب العهد الجديد أو الأنجيل فقد كتبها بعض الحواريّين بعد عروج المسيح الى السماء بمدّة قليلة وذلك بوحي من الله وأدرجوا فيها ذكر صفات المسيح وأعماله ومعجزاته وتعاليمه الى آخر ماقال والدلالة على المدعى من كلامه في موضعين

(الموضع الاول) تصريحه بأن تلك الكتب كتبها بعض الحواريّين بوحي من الله فانه صريح فى الشهادة بفقدانهم حال الكتابة لأصل الأنجيل وأنه اذ ذاك ليس فى أيديهم والاّ فما حاجتهم فى نسخه من أصله الى الوحي وهم انما ينقلون كلاما مزبوراً في صحائف الى صحائف أخر وماحاجة ناسخ كلام من أصله الى الوحي أو الالهام حتى يحتاج ناسخوا الانجيل وهم متى ويوحنا وبولس وبطرس ويعقوب ويهوذا الذين ذكرهم الرجل في نسخه لو كانوا ينسخون ما كتبوا من أصله الى الوحي

(فقد تحقق من ذلك) أنهم كتبوا ما كتبوه من حفظهم وأدخلوا فيه ما شاؤا من تلقاء أنفسهم وثبت منه أن أصل الأنجيل مفقود من أيديهم وهؤلاء لم يثبت أنهم أنبياء حتى يحكم بعدم تعمّدهم للزيادة والنقصان وتغيير ألفاظ الانجيل ولم يصح أنهم يحفظونه حفظاً صحيحاً (ولو ثبت) انهم أنبياء

لم يؤمن عليهم على مذهب الخصم الغلط والنسيان فمن أين يعلم صحة جميع ما كتبوه ومطابقته لاصل الانجيل لو كان خصمنا يسمع و يعي

(وأما دعواه) كتابتهم بوحي من الله فيبطلها وجوه (الاول) أنهم لو كانوا كتبوا ما كتبوا بوحي لكان ذلك غير الانجيل وكان كل منهم بذلك مرسلا من الله بغير ما بعث به عيسى اذ لا حاجة الى الوحي في نسخ الكلام المتقدم وهذا خلاف مدعى الخصم (الثاني) ان مكتوباتهم لو كانت هي الانجيل بعينه للزم كونهم أفضل من المسيح لان المسيح لم ينزل الانجيل على قلبه وانما نزل في صحف وهؤلاء نزل على قلوبهم واللازم باطل بلا ريب (الثالث) أن الامر لو كان كما ذكر الخصم للزم أن الانجيل أرتفع بعد رفع عيسى ثم أوحي بكلماته الى أولئك القوم مرة أخرى والخصم لا يرضى بذا وهو لازم قوله بلا ارتياب (الرابع) انهم لو كتبوا ما كتبوه بوحي لما اختلفوا فيما لا يجوز فيه الاختلاف لكنهم اختلفوا في مواضع كثيرة من أصل الديانة ومن قرأ كتبهم متبصراً فيها وجد الاختلاف المذكور في عدة مواضع منها

ومن أقبح ما اختلفوا فيه وأوضحه ضلالة اختلافهم في نسبة عيسى عليه السلام (فان متى قال) ان المسيح بن داود بن ابراهيم بن اسحق ابن يعقوب بن يهوذا بن حضرون (وقال مرقس) في نسبة عيسى انه كلمة الله أحلها في جسد الآدمي فصارت انساناً (وقال لوقا) ان عيسى وأمه كانا انسانين من لحم ودم فدخلهما روح القدس

فهذا مقالهم في نسبة عيسى مختلف غاية الاختلاف مع أنه صح في أناجيلهم أن عيسى قال شاهداً على نفسه (حقا أقول لكم انه لا يصعد الى السماء الا ما نزل منها الا راكب البعير خاتم الانبياء فانه يصعد الى السماء وينزل) واذا كان كلام القوم مخالفاً لما شهد به عيسى على نفسه

وبعضه مخالفاً لبعض كيف يكون ما كتبوه بوحي من الله أو الهام وهل يجوز في الوحي أو الالهام الاختلاف فى مثل نسبة عيسى ليكون اختلافهم فيها مسبباً عن الوحي واذا كانوا قد اختلفوا في هذا الامر الذى ليس هو من موارد الاختلاف فما ظنك بهم في سائر الامور فلم يكن ما كتبوه إذاً بوحي من الله ولا تسديد بل بغواية من الشيطان المريد فغيّروا وبدّلوا وزادوا ونقصوا فضلّوا وأضلوا (على أن الدّاعيَ لكتابة الانجيل) غير ماذكره الخصم وانما سببه أنه لما افتقد الانجيل الاول اجتمعت النصارى الى علمائهم وقالوا قتل عيسى ابن مريم وافتقدنا الانجيل وأنتم العلماء فما عندكم فقال لهم لوقا ومرقس ان الانجيل فى صدورنا ونحن نخرج اليكم سفراً سفراً (فى كل أحد) فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فانا سنتلوا عليكم فى كل أحد سفراً سفراً فقعد لوقا ومرقس ويوحنا ومتّى ووضعوا لهم هذا الانجيل الموجود الآن وهذا غير خفي على علماء النصارى وان كتموه حذرا عن قيام حجة المسلمين به عليهم وليس بنافعهم الكتمان فاين كتابتهم على اصل الانجيل وأين منهم الوحي او الالهام (واعلم) ان فيما ذكرناه وفي لازم قوله هنا ردًّا لانكاره سابقاً رفع الانجيل الي السماء وتشنيعه على مدّعيه فتذكر

(الموضع الثاني) قوله وأدرجوا فيها ذكر صفات المسيح الي آخره فانه ناطق بفصيح النطق بأن الاوصاف التي وصفوا بها المسيح في تلك الكتب وما أخبروا عنه فيها من دعوى الربوبية وأنه ابن الله وغير ذلك من مفترياتهم وخرافاتهم ليس من أصل الانجيل ولا نزل من الله فيه وأنه زيادة ظاهرة عليه من قبل أنفسهم وأن كل واحد كتب ما عنّ له من الزيادة وقال عن المسيح وفيه ما اشتهى وزعموا أن الجميع انجيل نازل من السماء افتراء على الله جلّ وعلا فأيّ تحريف أعظم

من هذا وأين (واذا تحقق) منهم تعمّد الزيادة على أصل الانجيل فبأي حجة يبرؤن من النقص منه (فوضح من ذلك) ان الانجيل محرّف بالمعاني الاربعة (واذا ثبت) أن البشائر الاربع التي زعم أنه يفتتح بها العهد الجديد وهي عمدة كتبهم غير موافقة لاصل الانجيل (ثبت) أن غيرها من الكتب والرسائل التي أشار اليها أولى بالتحريف والبطلان لكثرة ما فيها من الزور والبهتان واستلزامها عدم وجود جنان ونيران لأهل الطاعة وذوى العصيان كما ينبه عليه تمام كلامه فى تعداد رسائله (وقد استبان) من تحقيقنا ثبوت التحريف في التوراة والانجيل بما لا يحتمل التأويل (وثبتت) به دعوى المسلمين (وتحقق) منه الجواب عن ثلاث من مسائل الخصم (وأما مسئلته الرابعة) فجوابها ساقط عنا لان المسلمين لايدّعون العلم بعين الكلمات الساقطة من الكتابين حتى يلزمنا اقامة الحجة على صحة دعواهم وانما يدّعون حصول التحريف فيهما بالمعاني التي ذكرناها (ونحن) قد أقمنا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوى وبينا أوقات وقوع التحريف وأزمنته وخرجنا من العهدة فى ذلك

وأما احتجاجه على عدم وقوع التحريف فى الكتابين بقوله تعالى في القرآن فى سورة الانبياء (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) وقوله تعالي في سورة يونس (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) مقدّراً أن فحواها يدل على عدم التحريف فى كتبه فغلط منه أو مغالطة (فان الآية الاولي) ردّ على المشركين اذ أنكروا نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه بشر زعماً منهم أن البشر لايجوز أن يرسله الله اليهم وأنّ الواجب أن يبعث اليهم ملائكة وقد

أخبر الله عن قولهم هذا فى آيات كثيرة منها قوله تعالى (وَقَالُوا مَالِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) وقوله تعالي (وَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ) الآية فقال جل وعلا ردًّا عليهم (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) يعني من الرسل السابقين (فَاسْأَلُوا) يامعاشر المنكرين (أَهْلَ الذِّكْرِ) الاول هل بعث الله اليهم ملائكة أو رجالاً منهم (ومن المحقق) عند اليهود والنصارى أنه لم يبعث الله اليهم الا رجالاً منهم وان حرفت كتبهم وأين هذا المفاد من شهادة الآية بعدم التحريف في الكتب المتقدمة (ومن هذا يعلم) أن عيسى رجل موحى اليه وليس بابن الله ففى الآية التي جعلها الخصم دليلا له تكذيب له بأبلغ وجه (وأما الآية الثانية) فالخطاب فيها على معنى (اياكِ اعني واسمعي ياجاره) والمراد منها وان كنتم أيها الناس في شك مما قصصناه في هذه السورة من أنباء السابقين فاسئلوا الذين يقرؤن الكتاب من قبلكم يخبروكم أن هذا حق لانه موجود في كتابهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا فيما انزل اليه كيف وهو يدعو الناس اليه صادعا به وأين هذا المحصَّل من الشهادة بصحة الكتاب من كل وجه وعدم التحريف فيه وهذا ظاهر لايحتاج الي تكثير القول فيه (وأما ادعاؤه الباطل) وقوله ان محمداً اضطر الي ذلك يعنى الي دعوى التحريف في الكتب القديمة لازالة التناقض الواقع فى كلامه لانه كان من الجهة الواحدة يقرّ بأن التوراة والانجيل هما كلام الله ومن الجهة الأخرى يعرض على الناس ديناً مخالفاً لما فيهما فللتخلص من هذا التناقض احتج بتحريفهما انتهى فهو من أسمج الاقوال وأهجنها (ونقول فى جوابه) اننا لاننكر

أن النبي أخبر عن وقوع التحريف في تلك الكتب بالمعاني المذكورة سابقاً على حسب ماأخبر به فرقانه الحميد عن ذلك في الآيات التي قدمنا ذكرها وغيرها ولكن لم ينقل ولم يسمع أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لما ذكره النصراني من ازالة التناقض عن كلامه وكيف يكون ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم ما زال يخاصم اليهود والنصارى ويحاجّهم فى صدق نبوّته وصحة ما جاء به من أصول الديانة والاحكام المستمرّة بالتوراة ويتحدّاهم في ذلك بما فيها ويبين كذبهم فيما ينكرون من أحكامه بها ويكفيك في ذلك قوله تعالى على لسانه معاجزاً لهم (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وغيرها كثير ومن يحتج على أولئك في صحة أحكامه بكتابهم كيف يتجه لعاقل نسبته الى الاضطرار الى دعوى التحريف في ذلك الكتاب لتصحيح دينه لولا العناد وقلّة الحياء (وأما معارضتهم) له في أول الامر فانهم قصدوا بها إعجازه فلما تحقق عندهم علمه بكتابهم وبما يخفون بألسنتهم من أحكامه وأخباره كفّوا عن معارضته عجزاً لانه أظهر كذبهم وتقوّلهم على كتابهم مرّة بعدأخرى حتى أسلم منهم جماعة طوعا ورغبة(كعبدالله بن سلام) وأضرابه وكان أعلم حبر بالتوراة في الحجاز ولم يكفّوا عن المعارضة خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم لما قويت شوكته كما توهم النصراني فانه صلى الله عليه وسلم لسعة حلمه وكمال رأفته لايمنع أحداً عن معارضته ولايدعو أحداًالا مع اقامة الحجة ودعوى الرجل أن القرآن يظهر منه ما قال كاذبة فليس في القرآن ما يومي الى هذا المعنى بعض الايماء فضلا عن التصريح بهفانزاحت باذن اللهعلله وانقطع رجاؤهوخاب أمله وانصرح فساد قوله إنه ثبتبالادلة الكافية والبراهين أن كلما يدعى بهالمسلمون

من الدعاوى السابق ايرادها هو باطل لا أصل ولا أساس له وأن التوراة والانجيل لم يقع فيهما تحريف مّا ولا تبديل أصلا لا في عهد محمد ولا قبله ولا بعده الى آخر كلامه بل انكشف جليا بما أقمناه من الحجج اللامعة والبراهين الساطعة صدق ما يقوله أهل ملتنا من وقوع التغيير والتبديل في التوراة والانجيل بالمعاني الاربعة وعرف وقتهما بالاجمال والتفصيل وتبين زوال تزويق الخصم وتزويره بواضح الدليل وعلم أن ما يخالف القرآن من تلك الكتب مما لا يدخله النسخ محرّف عن أصله فهو من جملة الاباطيل والاضاليل كما في رسائل أصحاب النصارى من نسبة عيسى الي أنه الرب تارة وأخرى الي أنه ابن الرب الجليل وأنه قتل وصلب وسمّر بالمسامير وما فيها من الزخارف والمخارف من أنه أرسل بعد رفعه الى السماء روحَ القدس الى الحواريين وغير ذلك مما هو للمذكور شبيه ومثيل وذكر جميعه يخرج بنا الى غاية الاطناب والتطويل (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ولم يبق علينا من زبرج فصله الا ما موّه به في أمر القرآن على ضعفاء العقول والاذهان وقد آن لنا أن نتكلم عليه بما هو مقرر عند أولي الالباب وكاملي الايمان (قال) بعد كلامه المذكور في أول المنطق الا أنه يسوغ للمسيحيين بالاولى أن يدعوا بأن القرآن كما هو الآن لا يطابق أصله اذ كان قد وقع فيه التحريف والتبديل كيف لا وهم أدلة واضحة تثبت صحة مدّعاهم ثم ذكر روايات من كتاب أبي عبد الله محمد بن اسمعيل (البخارى) من جملتها روايته عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) وقال بعد نقلها فمن هذه الاحاديث نحقق أولا أنه وجد اختلاف في

قراءة بعض آيات القرآن حتى في نفس أيام محمد وكان الواحد يقرأ بقراءة والآخر يقرأ غيرها الى آخر مقاله

(اقول) يتوقف الكلام في هذا المقام على رسم مقدمات

(الاولى) ان القرآن الشريف عندنا معاشر الامامية واحد نزل من عند إله واحد وأنه لا اختلاف فيه أصلا لا في كلماته ولا في اعرابه كما قال الله تعالى مخاطباً لنبيه (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) وحجتنا على ذلك قوله تعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (اذَا أَتَاكُمُ الْخَبَرُ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا خَالَفَ فَاضْرِبُوا بِهِ عَرْضَ الْحَائِطِ) فدلت الآية على ان القرآن غير مختلف بوجه من الوجوه ودل الخبر على أن مايخالف مفاد القرآن مماينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم من الاخبار مكذوب عليه وأن الواجب على السامعين الاعراض عن العمل به واسقاطه مالم يكن له وجه صحيح في التأويل يخرج به عن معارضة القرآن الكريم (ومن هذا يعلم يقيناً) أن الاخبار التي تضمنت ان القرآن نزل على سبعة احرف لايمكن الحكم بصحتها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بحمل الاحرف السبعة فيها على غير مافهمه أهل الظاهر الذين لاتحقيق لهم ولا تدقيق نظر في معاني الحديث والخبر من اختلاف حروف الهجاء أو الأعراب الذين يختلف باختلافهما المعنى والمرادفان ذلك معارض لما أخبر به الله في القرآن من نفي الاختلاف فيه ومستلزم لما تشهد ضرورة العقل بانتفائه اذ ليس لآخر الاسم والفعل الا ثلاث حالات من الاعراب

فأين الاربع الباقية وكذا لا يعقل أن في محل الحمد لله رب العالمين مثلا ست جمل غيرها متخالفة اللفظ والمعنى (وأى بصير) ثابت الفهم يتصور صحة هذا ولذا تأوّل المحققون والمدققون من الامامية وغيرهم تلك الاخبار على وجوه صحيحة لا تعارض دلالة القرآن ولا تناقض ضرورة العقل السليم قصدا منهم لابقاء الاخبار على السلامة مادامو يجدون فيها الى الصحة سبيلا وعلى الصدق محملا (فمنهم) من حمل الأحرف السبعة فيها على اختلاف اللغات فقال إن المراد منها أن القرآن نزل على سبع لغات من لغات العرب وهي لغة قريش ولغة هذيل ولغة هوزان ولغة أهل اليمن الى تمام سبع وهو المنقول عن أبى عبيدة قال وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه واستدل على ذلك بما روى عن ابن مسعود أنه قال انى سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم انما هو كقول أحدهم (هَلُمَّ وتعال وأقبل) واختار هذا القول جماعة من أهل العلم (ومنهم) من حملها على أنواع الكلام ووجوهه فقال ان المراد من الحروف السبعة أقسام الكلام وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل (وروى) هذا العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم والخاصة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. واختاره كثير من أهل الفضل (ومفاده) أن القرآن نزل على سبعة معان أمر ونهى ووعد ووعيد ووعظ وقصص وأمثال وكل منها كاف شاف (ومنهم) من حملها على البطون وأن المعنى إن لكل آية ظاهراً وباطناً في المعنى الى أن ينتهى الى سبعة معانٍ وهو مروى أيضاً عن علماء أهل البيت عليهم السلام الى غير ذلك من التأويلات الصحيحة التي يطول بذكرها الكلام والكل محتمل وإن كان الأظهر الأوسط وأما

ما احتمله أهل الظاهر فقد عرفت بطلانه واعتراض الخصم علينا بدعوى اختلاف القراءة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لايتم الا على فرض صحته وقد بينا استحالتها فزال اعتراضه من هذا الوجه

(الثانية) ان المحقق عندنا أن القرآن لم تغير كلماته ولم تبدل فلا تحريف فيه أصلا وأنه الآن على ماانزل أولا ولنا على ذلك دليلان سمعي واعتباري (فالاول) قوله تعالى (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) وقوله تعالى في وصف القرآن (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ولو أن القرآن غيرت ألفاظه وبدلت لكان الباطل قد أتاه من جميع جهاته وتحقق كذب خبر واجب الصدق عقلا وسمعاً وهو محال ومثل الآيتين في المعنى غيرها (والثاني) انا قد علمنا عجز بلغاء العرب عن إنشاء كلام يشبه القرآن في نظمه وأسلوبه ويشتمل على معنى معتد به مع بذل جهدهم في ذلك وتوفر دواعيهم عليه وذلك يقضي بعدم قدرتهم على ذلك وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا بأبلغ منهم فلو غير أحدمنهم ألفاظ القرآن لتغير أسلوبه ونظمه بذلك لسلب اقتدار البشر على الأتيان بمثله في الامرين وهذا معلوم الانتفاء لأن نظم القرآن العزيز وأسلوبه الآن مخالف لجميع أساليب كلام العرب ونظمه كما هو في وقت تنزيله فلايكون لفظه مغيراً البتة ولما قلنا حمل أولوا الافهام الصافية من أصحابنا الامامية ماورد من الاخبار عن أئمتنا عليهم السلام التي ظاهرها أن القرآن حرّف على التحريف في التأويل والمعنى وان المراد ان أكثر الناس تأوّلوا القرآن على غير معانيه الحقيقية لورود هذا في بعض الاخبار المعتبرة كما في رسالة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الى سعد الخير من قوله فيها (وكان من نبذهم الكتاب أن

أقاموا حروفه وحرّفوا حـدوده فهم يروونه ولا يرعونه والجهـال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية) فصرح الخـبر كما ترى بحفظ كلمات الكتاب العزيز عن التغيير والتبديل وينصر هذا الخبر في معناه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السـلام (إِنَّكَ تُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ أَنَا عَلَى تَـنْزِيلِهِ) والقول المذكور متواتر أو مشهور وهو صريح في المطلوب اذ لم يقل صلى الله عليه وسلم إنك تقاتل على تحريف ألفاظ القرآن بل خصّص المقـاتلة بالتأويل وإبقاء تلك الاخبار على ظواهرها موجب لردهـا واسقاطها لمخالفتها لصريح القرآن (وقد ورد) عن أئمتنا متواتراً معلوماً أنهم قالوا (لاتصدقوا علينا ماخالف القرآن وما خالف كتاب الله فأنا لم نقله) فصيانتها عن الكذب عليهم لاتحصل الا بحملها على ما ذكرناه فيكون واجباً فلا عبرة اذاً بما يعوّل عليه الظاهريون الذين لايبصرون تعارض الادلة فيصرفوها عن ظواهرها الى ما يرتفع به التنافي عنهـا (ويحتمل قوياً) حمل التحريف في الاخبار المشار اليها على تغيير ترتيب النزول فانّا لانشك أن القرآن الموجود الآن مغير في جمعه وتأليفه عن ترتيب تنزيله لأنّا نرى سورا مدنية مكتوبة في المصاحف قبـل السور المكية وآيات من قصـة مرسومة في سورة وآيات من تمام تلك القصة مثبتة في سورة أخرى وهـذا تحريف لا محالة لكنه غير مغير لمعنى القرآن ولا مخرج له عن الاعجاز ولامبطل لحجيته كما قصد الخصم

(الثالثة) أن القرآن عندنا هو مابين الدفتين وهو كما أنزله الله على نبيه لم يزد فيه شيء بالاجمـاع ولم ينقص منـه ولنا على ذلك وجوه (الاول) قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

وصريحه حفظه عما يشتمل الزيادة والنقصان وصدق الخبر واجب البتة فلو أن القرآن غيّر وبدّل وزيد فيه ونقص منه لم يكن محفوظاً وتحقق عدم صدق القضية وهو محال وقوله تعالى فيما سبق (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) الآية وقد مرّ تقريرها (الثاني) الاخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأوصيائه في لزوم التمسك بالقرآن مثل قوله صلى الله عليه وسلم (إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ مَا انْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي)ومن البيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم لايأمرنا بالتمسك بشيء يعلم أنه يغير ويبدل وينقص منه (ومن هذا) يعلم أن ما ذكره النصراني من اختلاف القراءة في القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم باطل ان أراد بها المغيرة للمعنى كما هو مرامه لان من الواضح أن التمسك بالقرآن انما هو لرفع الاختلاف والتمسك بالشيء المختلف فيه لا يرفع الاختلاف ولا يعصم من الضلال لان ما زاد على واحد من الوجوه فهو باطل والحق من تلك الوجوه غير متميز اذ لو تميز لارتفعت المخالفة فكيف تحصل العصمة بالتمسك بالقرآن وهو مختلف فيه فوجب لوجوب التمسك به أن يكون متفقاً عليه وبالاشارة اليه أن يكون معروفا بين المأمورين بالتمسك به غير مجهول ومن لايعلمه يأخذه من العالم به (وان أراد) بالاختلاف ما لايغير المعنى كملك يوم الدين ومالك وغيرهما من الالفاظ المترادفة ومن يرتدّ ويرتدد عن دينه ومن يشاقّ الرسول ويشاقق بالادغام أو الفك وغيرها مما يقتضيه قواعد الصرف أو الخطاب والغيبة في مثل لاتحسبن الذين كفروا ولا يحسبن لم ينفعه في مطلوبه لوجوّزنا وجوده على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لا اختلاف في المعنى المراد

ولا خلل في المقصود (الثالث) الاخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم والائمة من أهل بيته في لزوم عرض الاخبار على القرآن والعمل بموافقه منها ورد مخالفه وهي كثيرة (منها) ما قدّمناه من قول النبي صلى الله عليه وسلم (إِذَا أَتَاكُمُ الْخَبَرُ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا خَالَفَ فَاضْرِبُوا بِهِ عَرْضَ الْحَائِطِ) ومن المعلوم الذى لايعتريه ريب أن القرآن لو كان مختلفاً فيه وغير معروف ومغيّراً ومبدّلا ومنقوصاً منه لم يكن لعرض الاخبار عليه واستعلام حالها في الصحة والبطلان منه وجه ولا فائدة أصلا لأنه عرض على غير صحيح ولا متحقق المعنى والعرض على مثل هذا لاتحصل به معرفة الصحيح من الباطل والصدق من الكذب وهذا منكشف غيرمستورعلى أن الزيادة منتفية عن القرآن مع الاجماع والادلة المذكورة بتيقن عجز كل البشر عن الاتيان بما يشبه القرآن من الكلام وإدراجه فيه (ولذا قال) امامنا جعفر بن محمد (إن القرآن لم يزد فيه الا حروف أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال) واراد بذلك مثل زيادة الالف فى واو الجماعة والواو في لفظ الربوا وأمثال ذلك (فتحقق) من جميع ما رسمناه أن كتاب الله لم يكن فيه اختلاف ولا تغيير قط ولم يزد فيه ولم ينقص منه وأنه الآن كما أنزل (وهذا القول) هو الذي عوّل عليه أهل البصائر النافذة والافهام الناقدة من فضلاء علمائنا كالشيخ أبي جعفر محمد بن على الصدّوق والسيد أبي القاسم علىّ بن الحسين المرتضى علم الهدى وشيخ الطائفة المحققة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وأمين الاسلام الشيخ أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي وجماعة كثيرة ممن كان قبلهم ومن بعدهم «وهؤلاء» المذكورون وغيرهم منهم من

ردّ الاخبار المروية عند بعض الامامية والحشوية من العامة الدالة على أن القرآن نقص منـــه وأبطلها لانها أخبار آحاد مخالفة لصريح القرآن وماكان هــذا شأنه فقد ورد الامر عن النبي صلى الله عليه وسلم برده واسقاطه ومن متأخري أصحابنا من حملها على أن المراد منها أنهم نقصوا منه في التفسير والتأويل واستظهر على ذلك ببعض ماذكرناه من الادلة وبما رواه العامة أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ قال ومعلوم ان الحكم بالنسخ لايكون الا من قبيل التفسير والبيان ولايكون جزأ من القرآن انتهى وهو أقرب من الأول لامكان هذا التأويل ورجحان تصحيح الاخبار على ردها اذا وجد لها محمل صحيح وتأويل مرضيّ على أن المحدثين من أصحابنا لايعلم منهم اختيار ظواهر تلك الاخبار والجمود عليها لانهم رووا مايعارضها كما رووها فلعلها محمولة عندهم على ماذكرناه اوغيره وان لم يبينوه كما لم يبينوا غيره وهذا أولى بهم من الاعتقاد فيهم الجمود على ظواهرها لانهم من ذوي الفطن والذكاء (ومن هذا البيان) يعلم أن ماذكره النصراني من أن رأى أصحاب جعفر بن محمد أن عثمان رفع من القرآن الآيات الواردة في شأن علي باطل ونقله ذلك عن الكتاب الذي سماه (بدبستان فانى) غير ملتفت اليه على فرض صحة نقله عنه لان هذا الكتاب مجهول عند الامامية ومؤلفه أيضاً غير معروف بينهم فلعله رجل من المدغلين أراد بما ذكره عن أصحاب أبي عبد الله توهين أمر القرآن وإضعاف الاسلام وهيهات أن تقوم بكلام مثل هذا الذي لم يعرف حجة على المسلمين (ثم كيف) يتصور عاقل لبيب أن عثمان أسقط الآيات الواردة في شأن علي عليه السلام مع كونها معروفة بين الصحابة ولم ينكر عليه في اسقاطها احد منهم حتى أمير المؤمنين علي عليه السلام وخواص شيعته مثل سلمان وابي ذرّ والمقداد وعمّار وخزيمة وحذيفة

وأضرابهم مع انكار الناس عليه فيما هو أدنى من هـذا وليس يسوغ لاحـد أن يزعم أن تلك الآيات لم تكن معروفة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسـلم لوجهين (الاول) أنها اذا لم تكن معروفة بين الصحابة انها من القرآن لم تكن منه يقيناً فلا يقال انها اسقطت منـه (الثاني) ما اشتهر في الروايات وأقرّ به النصراني من أن عثمان لم يحرق (١) العُسَب واللخاف وانما أحرق مصاحف مجموعة مؤلفة فان كانت تلك الآيات فيها ثبت ماقلناه وان لم تكن فيها علم انها ليست من ألفاظ القرآن وانما هي من باب التفسير والبيان كما أسلفنا بيانه وبعد فكيف يقال ان عثمان قصد تعمدا لاسقاط الآيات الواردة في شأن على عليه السلام وها نحن نرى في المصحف الموجود مايقارب مائة آية كلها صريحة في مدح امير المؤمنين على عليه السلام واكثرها مما أجمع المسلمون على نزوله في مدحه فكيف يترك عثمان هذه الآيات تتلى مع قصده لما ذكرتم هذا غير مصوّب ولا مسوّغ (نعم) ان عثمان وغـيره من ظالمي أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حملوا أهل الرواية على تأول تلك الآيات على غير معانيها المقصودة كما تأول المتعصبون من اليهود والنصارى الآيات الواردة في التوراة والانجيل في صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على غير معانيها المرادة وهذا مما لاننكره ولا يضرنا ثبوته في مرامنا ولا يخل بمطلوبنا (وأيضاً) المعروف في الرواية أن عثمان لم يحضر نسخ تلك المصاحف وانما أمر جماعة أن يكتبوا نسخاً متعددة على مصحف زيد بن ثابت كما هو المشهور في الخبر أو على مافي الصحف المجموعة في زمان ابى بكر وعمر كما في بعض روايات النصراني عن البخاري وما في تلك الصحف مطابق لمصحف زيد بمضمون تلك الاخبار فمن أين جاء الاسقاط المذكور

---

(١) العسب جرائد النخل واللخاف الخزف اه منه

في (دبستان فاني) الذى تعلق به النصراني (وأما) ماذكر عن (عين الحياة) من قوله روى أن سورة الاحزاب كانت أطول من سورة البقرة لكنهم اختصروها وحرّفوها فمن الخرافات المستغربة والاماني المكذبة فليست بشيء ينظر اليه ولا يعوّل عليه (فاتضح) مما وضحناه اندفاع قوله (ولا ريب انه اذا كان بين أهل السنة والشيعة مثل هذا الخلاف في عدم تحريف القرآن وافساده كان لكل أحد أن يشك بمطابقة النسخ المتداولة الآن بين أيدى المسلمين للنسخ الاصلية .وعدم وجود اختلاف بيّن بينها وارتفاعه) لانا بينا انه لاخلاف بين الطائفتين في صحة القرآن وعدم وقوع التغيير الذى يختلف به المعنى في ألفاظه وكشفنا عما يعول عليه فى ذلك أكابر علمائنا ومن يعتمد عليه من فضلائنا وعرفناك أن من روى أخبار التغيير والنقص من قدماء محدثي أصحابنا لم يظهر منهم ظهوراً بينا الاعتماد على ظواهرها لانهم رووا أيضاً ما يعارضها صريحاً وما يستلزم القدح في صحتها كاخبار التمسك بالثقلين وأخبار عرض الاحاديث علي القرآن والاخذ بموافقه ورد مخالفه والعمل بظواهر الجميع غير ممكن لتقابلها وتنافيها فلا بد أن يكون لتلك الاخبار عندهم محمل صحيح يرتفع به التنافي اما ما ذكرناه أو غيره ولكن ليس من عادتهم توضيح التعارض بين الاخبار وبيان ما يندفع به من وجوه الحمل والتأويل ولا بيان المردود منها من المقبول وانما همتهم جمع ما وجدوه متفرقا من الاحاديث ليسهل اطلاع من يأتي بعدهم عليها فشكر الله مساعيهم الجميلة وعظم مثوباتهم الجزيلة ولا يقدح في الاجماع شاذ منهم جمد على ظواهر تلك الاخبار الضعيفة لغفلة عن المعارض عرضت له فلا تعلق للنصراني بما ذكر الا كتعلق الساقط من شاهق بريشة في الهواء اذ الخلاف الذى رام اثباته غير معروف بين المحققين من علماء الفريقين والشاذ لاعبرة به (وأما قوله) فلم

أحرق عثمان النسخ القديمة بأسرها (فجوابه) عندنا معشر الامامية أن عثمان قصد بما فعل أن لا يكون بين المسلمين مصحف ينسب الى غيره تجبرا وتعظماً وقدر أن ذلك مما ينال به فخراً عند الناس حيث لامصحف بأيديهم غير المصحف المنسوب اليه لا لكونها مخالفة للمصحف المجموع بأمره (ولا خفاء) في أن هذا غرض يطالبه مثله لكننا نخطئه فى ذلك وننسبه بأحراق تلك المصاحف الكرام الى الفسق الظاهر (١) وما هو أعظم منه لاحراقه كلام الله الذي يجب تعظيمه وتبجيله مع مافيه من أسماء الله الحسنى وأسماء أنبيائه الاشراف التى يلزم احترامها واكرامها لا لمخالفة تلك المصاحف للمصحف الموجود في الالفاظ والمعانى وقد أنكر عليه فى ذلك صلحاء المسلمين من الصحابة وغيرهم وكان إحراقه المصاحف من جملة الاسباب الداعية الى خلعه وقتله كما هو معلوم ومعروف (وأما أهل السنّة) فلهم ان يجيبوه عن سؤاله بأن عثمان أراد بما فعل جمع الناس على قراءة واحدة وان كانت تلك المصاحف لاتخالف المصحف الموجود مخالفة تغير المعنى الاّ أن إحراقها أحسم لمادة الاختلاف في قراءة القرآن (وهذا الجواب) وان لم يعذر عثمان به لكنه يرد عادية النصراني (فتبين) من ذلك بطلان قوله بعد السؤال ألا يثبت ذلك

(١) اذا دقق الناقد فى هذه العبارة يتضح له ان قصد المؤلف انها اذا صح وثبت ان (عثمان) رضى الله عنه حرق تلك الاصول لحب نفسانى أو ميل منه الى التظاهر والاستبداد دون خدمة الحق والدين والاصلاح لحال المسلمين فحكمه مناسب لقضيته ولكن لم يثبت بحال من الاحوال صحة هذه الدعوى على (عثمان) رضى الله عنه وانما المؤلف مال به اعتقاده الخاص الى القول باعتبار مذهبي نشأ فيه وهو غير الواقع والمعروف عند المسلمين (أما وجه) احراقها بالنار فلأن النار أصدق سبل الاعدام بل وأكرمها لانها ليست مشوبة بأى نجاسة وليس فيها من شك وهى أنسب لاستئصال تلك المواد من غيرها اه

صحة مدعانا فيقال له لم يثبت مدعاك بذلك لان الغرض به غير ماتوهمت ولايكون فيه أدنى دلالة على ماظننت من مخالفة المحرق للمبقي فضلا عن كونه دليلا واضحاً عليه كما قدرت فزال بحمد الله ما قدره من القيل والقال والنزاع والجدال (واذا تقرر ماحققناه) فنعود الآن الى الكلام على ما أورده من الاخبار التى حاول بها الغلبة على المسلمين والانتصار فنقول

(أما الرواية الاولى) المتضمنة لسماع عمر هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة وأنه لببه بردائه وانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فباطلة يقيناً بما حققناه في المقدمة الاولي وذكرناه عن فضلاء العامة من أنه ليس المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف اختلاف الالفاظ المغير للمعنى بل اختلاف اللغات أو أنواع الكلام ولاشك أن هذه الرواية لم يروها عمر وأنها كانت مفتعلة عليه من بعض من لاورع لهم للتوسعة على أنفسهم في الاختلاف لطلب العلو والرفعة والشرف والسمعة ليقال هذه قراءة فلان وتلك قراءة فلان وتلقاها بالقبول الحشوية من العامة الذين لا إدراك لهم ولامعرفة بوجوه الكلام ومعارضاته كالبخارى وأشباهه مع قصدهم ماقصده مفتعل الرواية أيضاً وكم في كتاب البخارى من رواية معلوم عندنا كذبها واختلاقها وليس كلامنا هنا في هذا الشأن حتي نوضحه بالبيان (والحاصل) أن الرجل حشوىّ محض لاعبرة عندنا بما تفرد به من الروايات كما لاعبرة عندنا برواية النصرانى عنه حتى نقف عليها في كتابه

(وأما الرواية الثانية) المنسوبة الي زيد بن ثابت فليس فيها تعلق للنصراني فى مطلبه أصلا لان غاية مافيها ان عمر أشار على أبى بكر بجمع

القرآن لما استحر القتل يوم اليمامة بقرائه حذراً من ان يقتل جميع من يقرؤه فيذهب كثير من القرآن وليس في الرواية دلالة ما على الاختلاف في القراءة أو نقص القرآن عن أصله (وآخرها) وهو قول زيد (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال) الي آخره دليل على استقصائه في جمعه حتى استوعبه كله بحيث لم يبق شيء منه الا جمعه في الصحف وفيه اشارة الي أن القرآن قبل ذلك لم يجمع في مصحف واحد(والاول)نقيض دعوى الخصم (والثاني) لاحجة له فيه لانا وان قلنا ان القرآن كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم معلوماً معروفاً لكنا لانقول انه مجموع في مصحف واحد فالرواية لاتنفي شيئاً مما نقول بل تثبت جميعه فزال تعلل الخصم بها (هذا) والمعروف في الرواية عند أهل الدراية أن السبب في طلب أبي بكر وعمر جمع القرآن هو غير ما ذكر في الخبر (وبيانه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي في المرض الذي قبض فيه (يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقُرْآنَ خَلْفَ فِرَاشِي فِي الصُّحُفِ وَالْحَرِيرِ وَالْقَرَاطِيسِ فَخُذُوهُ وَاجْمَعُوهُ وَلَا تُضَيِّعُوهُ كَمَا ضَيَّعَتِ الْيَهُودُ التَّوْرَاةَ) فانطلق علي عليه السلام وجمعه في ثوب وختم عليه فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم أقبل علي عليه السلام على جمعه وتأليفه في مصحف واحد حتى أكمل جمعه على حسب ما أنزله الله مرتباً الاول فالاول وكتب معه بيان تأويله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وكان عليه السلام يحفظه ويضبط حدوده على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يحفظ جميع القرآن على ظهر قلبه اذ ذاك احد غيره من الصحابة باجماع أهل النقل واتفاق أهل الفضل فلما فرغ من جمعه على ما وصفنا لفه بثوب وأتى به الى مسجد رسول الله وهناك أبو بكر وعمر والملأ من الصحابة

فقال لهم هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وقد جمعته بين اللوحين فقالوا هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لاحاجة لنا فيه (وفي رواية) ان عمر بن الخطاب ابتدر عليا بالكلام فقال اذهب به لاتفارقه ولا يفارقك فلا حاجة لنا فيه فما أغنانا عنه بما عندنا من القرآن فأخبرهم أمير المؤمنين أنهم لايرونه بعد ذلك اليوم وانطلق به الى منزله واخفاه اذ أبوا أن يقبلوه فاضطر أبو بكر وعمر بعد ذلك الى جمع القرآن في مصحف واحد ليوازنا عليًّا عليه السلام في جمعه ولمَّا كانا غير حافظين لكل القرآن ولم يكن جميعه عندهما مكتوباً افتقرا الى جمعه مما في أيدي الصحابة فأمرا من ينادي فيهم ألا من كان عنده شئ من القرآن فليأتنا به فانّا نريد أن نجمعه فأتاهم كل من عنده شئ من القرآن بما عنده وأمرا زيداً أن يكتبه في الصحف ويجمعه فكتب زيد بن ثابت على غير ترتيب النزول لعدم اطلاعه على الترتيب ولما لم يكن عندهم علم تامّ بتأويله ولا معرفة جازمة بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه كتبه زيد مجرداً عن بيان ذلك كله ثم كتبه أخيراً بأمر عثمان مطابقاً لما في تلك الصحف فالمخالفة بين ما كتبه زيد وبين ما جمعه أمير المؤمنين فى الترتيب والتفسير خاصة لا فى الزيادة والنقص ولا فى تغيير الالفاظ ولذا كانت المخالفة بين الفريقين فى التأويل فهذا كان السبب فى طلب الشيخين جمع القرآن لكنّ البخاريّ أو من كان قبله لما تصوروا في السبب المذكور نقصاً في الشيخين وقصوراً في العلم غيروا السبب وصفة الجمع الى ما ظنوا انه يزيل طعن الشيعة عليهما بقلة العلم وليس فيما عدلوا اليه من الامرين مزيل للطعن المذكور بل هو باق بحاله كما لايخفى على الفطن العارف

(وأما روايته الثالثة) عن أنس بن مالك (فصدرها) المتضمن

لاشارة حذيفة على عثمان بما فعل مخالف لما اشتهر عن حذيفة فى الرواية عند أرباب التاريخ فانهم لايختلفون فى أن حذيفة كان من الطاعنين على عثمان والقادحين فيه وناسبيه الى ما هو فوق الفسق لاحراق المصاحف وغيره من أفعاله وكيف يطعن حذيفة على عثمان فى شئ هو المشير به عليه وهذا يؤكد أن السبب فى جمع عثمان القرآن فى مصحف واحراقه سائر المصاحف ليس هو ما ذكر فى أول الخبر من إرادة رفع الاختلاف فى القراءة بل هو ما أشرنا اليه سابقاً فى جواب قول النصراني (لِمَ أحرق عثمان المصاحف) ليضاهى بما فعل جمع امير المؤمنين عليه السلام للقرآن وانّى له ذاك وليجارى ابا بكر وعمر في ذلك (ووسطها) المتضمن لقول عثمان للرهط الذين امرهم بنسخ المصاحف اذا اختلفتم انتم وزيد في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش يصرح بأن الاختلاف في القرآن بينهم إنمـا هو من جهة اللغات كأقبل وهلم مثلا وهذا هو الوجه الذي اسلفنا ذكره عن ابي عبيدة وتابعيه ونقل ايضاً عن ابن الاثير فى نهايته وهو عكس مرام النصراني (وتمامها) المرويّ عن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابيه من قوله فقدت آية من الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن الانصاريّ (مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَـدُوا اللهَ عَلَيْهِ) فألحقناها بسورتها في المصحف يدل على غاية استقصائهم في جميع القرآن وعلى أن آياته كانت معروفة عندهم ولولا المعرفة بها لمافقدوها عند النسخ فالتمسوها ويشعر أنهم كتبوا بتثبت ومراجعـة ولم يقتصروا على اثبات ما حضرهم من القرآن ولا على مجرد حفظهـم للآية بل ينسخون ما كتبوا ممـا هو مكتوب قبل ذلك وهـذا منتهى الضبط لكلمات القرآن وآياته وهو عين ما أفاده الصادق عليـه السلام في كلامه الذي

ذكرناه عن رسالته الى سعد الخير ومقتضاه مطابقة القرآن الموجود الآن لأصله وهو نقيض مطلب النصراني

(وأما روايته) عن ابن عباس قول عمر أُبيّ أقرؤنا وانا لنـدع من لحن أبيّ الخ فليس فيها ما يشعر بمطلوبه ان صحت لان أقرأنا معناه أعرفنا بوجوه القراءة والمراد باللحن ما ذكره أهل علم التجويد من التفخيم والترقيق والغنـة والامالة وتطويل المد والوقوف في مواضع الوقف وبيان الحروف واشباع الحركات من دون أن يتولد منها حروف وغير ذلك مما ذكروه هناك (وقد روي) عن ابن مسعود او غيره انه قال اقرؤا القرآن بألحان العرب يعنى طريقتهم في القراءة من تحسين الصوت وبيان الكلمات فاللحن غير تغيير الالفاظ واين ذلك مما اراد النصراني ثم ان اقرار عمر ان صح يمضي على نفسه يعنى يثبت من قوله ان أبياً اقرأ منه وهو كذلك ولا يمضي على غيره فلا يثبت منه أن أبياً أقرأ جميع الصحابة فتأمل

(وأما روايته) عن ابن مسعود من قوله أفأترك ما أخذته من في رسول الله الخ فهى معارضة بما رواه ابو عبيدة وابن الاثير عنه من قوله انى سمعت القراء فوجدتهم متقاربين الى آخر كلامه وقد قدمناه فان صحت رواية البخاري عنه كان مراده بالاختلاف غير المغير للمعنى او الاختلاف في الترتيب ولا حجة فيه للخصم (واما قوله) أخيراً ان محمداً قال خذوا القرآن من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وابيّ بن كعب فهو خبر غير صحيح وقول غير رجيح لمعارضته مع كونه آحادا ضعيفاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في خـبر التمسك بالكتاب والعترة المتواتر (فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ)فان صريحه الحكم بأن علم القرآن ومعرفته على الحقيقة عند العترة وهم عليّ

ابن أبي طالب عليه السلام واطائب ذريته لا سالم ولا معاذ ولو صح الخبر لم يفد النصراني شيئاً مما قدر لجواز أن يراد علم القرآن او لحن قراءته لا اختلاف الكلمات فانه بعيد من عبارة الخبر فبطل بما اوضحناه في الاخبار ما استفاده الخصم منها بزعمه وهوّل به على المسلمين من قوله تحقق اولا وثانياً وثالثاً ورابعاً وصار هباء منثوراً

(فان سأل سائل) فقال انكم نفيتم الاختلاف في القرآن والاختلاف في القراءة موجود معلوم فكيف يستقيم لكم ماذكرتم (اجبناه) بوجوه

(الاول) انا نفينا مخالفة مافي المصحف الموجود الآن من القرآن لأصله فيما يختلف فيه الحكم ووجود الاختلاف بين القراء من العامة في قراءة الموجود الآن لايثبت مانتفيه

(الثاني) أن الاختلاف المذكور بين القراء هو في هذا القرآن الموجود الآن وهو غير متغير به ولا مقتضٍ لتحريفه فهو غير مايدعيه الخصم لأن مدعاه مغايرة مافي المصحف الموجود الآن لاصله واختلاف القراء الذي ذكرته لايجديه نفعاً في مدعاه ونحن لاننكر ذلك الاختلاف ولا يضرنا الاعتراف به فيما قلناه من مطابقة مافي المصاحف الموجودة للاصل الذي نزل به جبرئيل الأمين على قلب سيد المرسلين

(الثالث) ان اختلاف القراء معظمه (إما راجع) الى حكم الاعراب كنصب يكون أو رفعه في قوله تعالى (وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ) وشبه ذلك (وإما راجع) الى قواعد التصريف كيرتد او يرتدد في قوله تعالى (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) وكاعادة الياء المحذوفة من نحو هادٍ وقاضٍ في الوقف أو عدم الاعادة وامثال هذا (وإما راجع) الى التجويد كالامالة في مثل جاء وتطويل المد في نحو السماء وليس في هذا كله تشبث لمتشبث وما يكون

فيه اختلاف مما في المعنى مرجعه الى الاختلاف في الغيبة والخطاب نحو قوله تعالى(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ) الآية أو ولاتحسبن بالتاءالمثناة فوق وامثاله وهذا لايتغير به حكم اصلا فلا ايراد بمثله ولو وجد فى اختلاف القراءة ما يختلف به الحكم لكان الاختلاف في حكم فرعى لايختلف به أصل الديانة على أن مرجع مثل ذلك الى الاختلاف في التأويل الذي سببه اختلاف الأفهام لا اختلاف الالفاظ ومنتجه اعراض اكثر المسلمين عن أخذ معاني القرآن عمن أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأخذه منهم وحثهم على التمسك بهم وهم عترته أهل بيته واكتفائهم بآرائهم فى استخراج معانى القرآن الدقيقة وليس مثل هذا الاختلاف مما يصلح به الاعتراض لمعترض في صحة القرآن (وقد أخبر النصرانى) عن أهل ملته في آخر بابه الثانى باختلاف فاحش مثير للعداوة الشديدة بينهم فى معانى كتابهم بقوله وظهر الخلاف بينهم في تفسير بعض آيات الكتب المقدّسة والتمسك ببعض العوائد والرسوم العرضيّة واضطرمت بينهم نيران الجدال والمنازعة وابتدأ ما كانوا عليه قبلا من الاتفاق والمحبة يحول الى انشقاق وبغضة كاشحة انتهى المقصود من كلامه ومع هذا لم يجعل اختلافهم قادحا فى صحة الانجيل لاتفاقهم بزعمه في أصول الدين فزال بما ذكرناه الاعتراض وارتفع السؤال (واقول) إن النصراني ماصدق في زعمه المذكور ولا برّ فان النصارى مختلفون في أصول الدين غاية الخلاف وكتبهم مختلفة فيه أيضاً أشد الاختلاف كما هو معروف ومشتمل عليه كلامه المنقول فلايوسي جرحه بما لايوسي به فان ذلك ليس بنافع والحق يعلو ولا يُعلى والحمد لله

﴿ المقاله الثانية ﴾

(فى اغلاق بابه الثاني المتضمن بزعمه لتعاليم التوراة والانجيل)
وهذا الباب ليس لنا في الكلام عليه غرض مهم لأن جميع مايشتمل عليه من الضلالات البيّنة مثل التصريح بربوبية عيسى وأنه ابن الله ومتحد به وأنه نزل عنه الى الارض ثم عاد اليه وما ضارع هذه المنكرات فقد بينا في المقدمة وفى المنطق الاول من المقالة الاولى بطلانه وفساده على أتم وجه وما تضمن من خرافات النصارى الباردة المستهجنة وحكاياتهم السخيفة المستقبحة مثل صلب عيسى وتسمير جسده بالمسامير وجلده والتفل في وجهه بعد قتله وموته ودفنه ثم احيائه وبقائه مع الحواريين وصعوده معهم على جبل وسماع صوت الرب ينا ديه وأشباه هذه المخرفات والمزخرفات (فقد أشرنا)فيما أسلفناه أيضاً من التحقيق الي ازهاقه وقلع أساسه وأوضحنا أن ما خالف ما أخبر به القرآن الكريم من أحوال عيسى وغيره باطل لا أصل له وأنه مما أدرجه النصارى بأهوائهم المضلة وزادوه في الانجيل وقد أخبر القرآن عن عيسى بخلاف كل ما أخبر به النصارى عنه في مزوّراتهم فقال تعالى (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) ولكننا نتكلم على مواضع من بابه المذكور استظهاراً عليه في ابطال دينه بالحجة واتماماً في افساد معتقده للمحجة فنقول

﴿ المنطق الاول ﴾

﴿ فى تكذيب دعواه اتفاق اليهود والنصارى في ماسوى نبوة عيسى ﴾

قال بعد أن ذكر أقسام التوراة وما ألحق بها وتسلم النصارى تلك الاسفار من اليهود ولا يخفى أن هاتين الطائفتين كلتيهما تؤمنان بالاله الواحد الحق وأن الخلاف الوحيد بينهما هو من جهة المسيح الذي يرفض اليهود قبوله

اقول (أول مايقال) للرجل ان كنت عرفت اتفاق اليهود مع النصارى من جهة ايمانهم بالاله الواحد الحق فالمسلمون ايضاً يؤمنون بالاله الواحد الحق حقيقة وينزهونه عن النقص وينفون عنه سمات الحدوث والامكان ولا يشركون به شيئاً ويصدقون بعيسى أنه نبي وبانجيله انه كلام الله ولكن النصارى حرّفوه بالزيادة والنقصان وتغيير التفسير والبيان فِلمَ لم تجعلهم من الموافقين لكم فيما ذكرت من الايمان فانهم اقرب اليكم قولا من اليهود لكن رجح عليهم اليهود عندك انكارهم القرآن ولم تعارضه بانكارهم الانجيل لتحصل الموازنة فلزمك الخطأ (ويقال له ثانيا) ليس دعواك أشتراك اليهود والنصاري في الايمان بصحيحة فان بين الطائفتين في ذلك غاية البعد والخلاف لان اليهود يعبدون رباً واحداً وآلهاً قديماً صمداً لا تركيب فيه ويؤمنون بوحدانيته الا انه عندهم (ابو عزير) ولا يقولون انه متحد به والنصارى يؤمنون بآله مركب من أجزاء ثلاثة كل واحد منهم آله ويجتمعون تارة ويفترقون أخرى ويؤمنون برب قتل وصلب بل يؤمنون بأن الآله هو عيسى لاغير لما ذكرناه سابقا من تصريح النصراني بأن المسيح هو الله لامحالة فالآله الذي يؤمن به اليهود غير الآله الذي يؤمن به النصارى وكل منهما لايشبه الآخر فاليهود يبرؤن من آله النصارى (عيسى أو أبيه) ويشتمونه شتماً قبيحاً فاين اتفاق الطائفتين على الايمان بآله واحد كما زعمت يانصرانى (وأيضاً) ان اليهود يلتزمون بفرائض التوراة ويحكمون ببقائها والنصارى يدّعون سقوطها وتبديلها بغيرها (فالفريقان) مختلفان فى اصول الدين وفروعه من الربوبية

وغيرها اوضح اختلاف واظهره وليس الخلاف بينهما مقصورا على تصديق عيسى وعدمه ولاان تكذيبهم بعيسى لعدم إتيانه بسطوة كما زعم اذ لايشترطون في كل نبي أن يأتي بقوة وقهر فبطل ماقدر (وانما دعاه) الى ادّعاء موافقة أحد الفريقين للآخر في الربوبية مع ظهور الخلاف بينهما اتفاقهما على انكار دين المسلمين ليستظهر بموازرة اليهود للنصارى في ذلك عليهم وليس هذا بمقيم له حجة ولا بقاطع عذرا

(وأما قوله) ثم لايقبل اليهود الانجيل ويؤوّلون ماورد في العهد القديم من النبوات بشأن المسيح تأويلاً مخالفاً لمرادها ومعناها الحقيقي فكذب به لنفسه في أمرين (أحدها) ان كلامه هنا يصرح بأن اليهود قد حرفوا معنى التوراة وبدلوه بغير مرادها الحقيقي تعمداً منهم لانه لايعذرهم في تأويلهم (ومقتضى) كلامه وقوع التحريف في التوراة بأحد المعاني المتقدمة وهذا عين ما أخبر به القرآن على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وغيرها من الآيات في ذلك والنصراني يزعم فيما سبق من كلامه أن التوراة لم تحرف بوجه من الوجوه وأن محمداً اضطر الى ادعاء التحريف فيها ويبالغ في الانكار أتم المبالغة فما نفاه هناك قد أثبته هنا اضطراراً فكذب نفسه بنفسه رغماً على أنفه (الثاني) أن قوله هنا يفصح بأن اليهود يخالفون نص التوراة ويعدلون عنه بمشتهى أنفسهم ولذا كذبوا بنبوّة عيسى وهم يعلمون صحتها من صريح التوراة ولازم هذا القول عدم تقيد اليهود بما تخبر به التوراة وعدم العمل به اذا لم يوافق شهواتهم وكان من قبل يقول إن اليهود لو وجدوا في التوراة أدنى إشارة بصدق نبوة محمد لآمنوا به وعلل ذلك بأنهم

لايخالفون التوراة لأنهم منهيّون فيها عن المخالفة والتغيير فهو يوثقهم تارة ويفسقهم تارة أخرى يتلوّن في أقواله (كما تتلون فى أثوابها الغول) اذا ضاق عليه الخناق كذّب نفسه وهو صاغر (فيقال له) ان أحدقوليك يكذّب الآخر فان صدقناك في نفي التحريف كذبناك في نسبته الي اليهود في شأن عيسى وان صدقناك في توثيق اليهود كذّبناك في تفسيقهم وبالعكس فأخبرنا أيها القس الاكبر والجاثليق الاعظم في أيّ الامرين تختار أن نصدقك وفى أيّهما تختار أن نكذبك قل ماشئت فانك المغلوب وقولك المكذوب (ويقال له ثانياً) ان إقرار اليهود بنبوّة عيسى أسهل عليهم مركباً وأوسع لهم منهجاً من اعترافهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن عيسى رجل من بني إسرائيل وقد جاءهم بما يوافق الشرع الذي هم عليه ويقتضي لزوم التعويل على كتابهم ووجوب دراسته وحفظه (والبقاء على المألوف مطلوب ومحبوب) ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم رجل من العرب من عليّة ذرية إسماعيل عليه السلام واليهود كانوا مبغضين لاسماعيل ومنكرين فضله فيكرهون اتباع رجل من نسله وقد أتاهم بشرع يرفع كثيراً من شرعهم وبكتاب يرفع الاعتماد على كتابهم ويقضي عليهم بترك التعويل على مافيه وهجر تدارسه وحفظه وهو من أشق الامور عليهم لأن ترك المألوف من أصعب الاشياء على النفوس فتحريفهم معاني التوراة وتأوّلها على غير مرادها الحقيقي في شأن نبينا أقرب لهم وفعلهم ذلك في شأن عيسى أبعد عليهم وأنت اثبت عليهم مخالفة التوراة في الامر الاسهل عليهم ونفيتها عنهم في الامر الاشق الاصعب وهذا لا وجه له أصلا ولا يصدر من عاقل فكيف من لبيب مخاصم وانما داعيك اليه العصبية المحضة والمكابرة الصرفة فأنت عن سعة العدل في مضيق وعن فسحة الانصاف في واد سحيق ولو عكست

لكنت أقرب الى الاصابة وأبعد عن الخطأ في الأجابة ولكن الانصاف من أمثالك مفقود والامتراء في الحق من أشكالك موجود وبالله المستعان على أهل التطفيف في الكيل والبخس في الميزان (وقوله أخيراً) ويحتّمون أن المسيح الموعود به لم يأت بعد بل مزمع أن يأتي ليس بشيء يلتفت اليه لان اليهود قديماً وحديثاً الى هذه الغاية لم يعترفوا بأن توراتهم تبشّر بنبي اسمه المسيح يبعث الى الناس حتى يرتقبوه وانما يقرون بنبيّ من العرب اسمه محمد يبعث الى كافة الناس فهم يرجون ظهوره وينتظرون بعثه لانه بزعمهم غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء علماء اليهود موجودون فليسئلهم من أراد الاطلاع على الحال (نعم) قد جاءهم من رجوه وانتظروه فكفروا به فخابوا فيما أملوه

(وأما قوله) المتصل بما ذكرناه عنه واما كتب العهد الجديد او الانجيل فقد كتبها بعض الحواريين الى آخره فقد أوضحنا دلالته على وقوع التحريف في الانجيل وبطلان ما ادعاه من كتابة بعض الحواريين ما كتب بالوحي في المنطق الرابع من المقالة الاولى بأتم ايضاح فلاحاجة الى إعادته (وأما ماذكره) عن رؤيا يوحنا من نزول المسيح وحبسه الشيطان الف سنة وان كل طوائف العالم يعترفون بأنه الرب فمن جملة وساوس الشيطان وزخارفه التي ألقاها الى يوحنا فى المنام لانه اذا كان المسيح هو الرب خرج الرب الحقيقى من الربوبية اذ لايجوز أن يكون للعالم ربّان اذ لو كان الامر كذلك لبطل قوله فيما بعد ان الكتب المقدسة تعلمنا وحدانيته يعنى الله واستدل بما عن تثنية الاشتراع وهو من أسفار التوراة من قوله (اسمع يااسرائيل الرب آلهنا رب واحد) انتهى فاذا كان الله هو الرب لم يكن عيسى رباً والا لكان مافي التوراة كذبا مع مطابقته للأدلة العقلية ودلالة القرآن المجيد في قوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا

أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ) وهو محال (فالواجب)الحكم ببطلان قول يوحنا لمخالفته دلالة العقل ودلالة التوراة المطابقة لصريح القرآن وسيأتى في المقام مزيد بيان

﴿ المنطق الثانى ﴾

في بيان مناقضة مافي أناجيل النصرانى ورسائله لصريح التوراةفي أصول الدين وفروعه ومناقضة بعضها لبعض ايضا (فالأول) المناقضة في الاصول (قال) في الفصل الاول من الباب المذكور في أول المقالة إن الكتب المقدّسة أى أسفار التوراة والانجيل تعلّمنا ان وجود الله ظاهر متحقق (اقول) هذا حق وبه تبطل الوهية المسيح (وقال) وكذلك تعلّمنا وحدانيته تعالى بغاية التصريح واستدل بما ذكرناه عن تثنية الاشتراع وما في نبوّة اشعياء من قوله (انا الرّب وليس آخر لاآله سواى) وهذا أيضاً من اسفار التوراة وبما عن الرسالة الاولى الى أهل كورنثوس من قوله (نعلم ان ليس وثن في العالم وان ليس آله آخر الا واحداً) وهذه الرسالة من اناجيله والكل موافق لما في القرآن الشريف كما ذكرناه من الآية المتقدمة وغيرها مثل قوله تعالى (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ واحدٌ) ومثلهما كثير في كتاب الله العزيز (قال) وتعلمنا أيضاً انه تعالى لا تدركه الابصار واستدل بما في الرسالة الاولى الى اهل تيموثاوس (المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الارباب الذى وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الابدية آمين) وهذا الكلام اشتمل على مقاصد (الاول) أن البارى تعالى ملك الملوك ورب الارباب والقرآن يصرّح

بهذا المقصد قال الله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقوله تعالى (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) (الثاني) انه تعالى وحده له عدم الموت واذا كان تعالى متوحداً بعدم الموت فمن يموت ليس برب وهذا محقق في القرآن قال الله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) (الثالث) انه تعالى لا يدنو منه احد لا في المشابهة ولا في المكان اذ لا مكان له لاستغنائه عنه والقرآن ينطق بهذا قال الله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقال تعالى (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (الرابع) انه تعالى لا يراه احد من الناس ولا يقدر على رؤيته لو أراد والقرآن يعلن بهذا قال الله جل جلاله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) وقال تعالى (لَنْ تَرَانِي) (الخامس) انّ له تعالى القدرة الابدية وذلك واضح في القرآن على كثرة قال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) وهذا أعظم كناية عن القدرة الأبدية وهذا الكلام بصريحه يدل على بطلان ربوبية غير الله (عيسى وغيره) لأن عيسى لم يكن مالك الملك وقد مات ورأته العيون وليس له قدرة يدفع بها عنه قاتليه ويدنو منه من أراد الدنوّ منه ويشابه غيره في الخلقة وولد من أنثى كما يولد غيره فأينه وأين الربوبية وهو انسان مدبّر (قال) وتعلّمنا

أنه تعالى قديم أزلي لا يتغير واستشهد على ذلك بما في مزمور (٩٠) من قوله(قبل ان تولد الجبال أوأبدأت الارض والمسكونة منذ الازل الى الابد أنت الله) انتهى والقرآن بذلك ناطق قال الله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (قال) وتعلمنا أنه تعالى حاضر في كل مكان عالم بكل المعلومات واستشهد بما عن نبوة أرمياء من قوله(العلي آله من قريب يقول الرب ولست آلها من بعيد اذا احتبأ انسان في أماكن مستترة أفما اراه أنا يقول الرب أما أملأ انا السموات والارض يقول الرب) ومثله عن مزمور (١٣٩) وعن أعمال الرسل (أقول) والقرآن ناطق بهذا على ابلغ وجه قال الله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقوله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)ومثله كثير في القرآن العظيم (قال) وتعلمنا انه تعالى قدير حكيم واحتج على ذلك بما في سفر أيوب من التوراة وهو قوله (عنده الحكمة والقدرة له المشورة والفطنة) وبغير ذلك من كلام الكتب والاسفار والقرآن مصرح بهذا قال الله تعالى(سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (قال) وتعلمنا أنه تعالى قدوس عادل صادق واستدل بما في نبوة اشعياء (ونادى ذاك أي أحد الملائكة وقال قدوس قدوس

قدّوس رب الجنود مجده ملأ كل الارض) وما في مزمور (١٤٥) من قوله (الرب بار في كل طرقه ورحيم في كل أعماله) انتهى والقرآن الكريم ناصّ على ذلك قال الله تعالى (هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وقال تعالى (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) وقال تعالى (قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ) وقال تعالى (وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وقال تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً) (قال) وتعلمنا انه تعالى رؤف رحيم طويل الأناة واحتج عليه بما فى سفر الخروج من التوراة من قوله (ونادى الرب الرب اله رحوم بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء) وبغير ذلك مما فى الكتب وفي القرآن جملة وافرة من هذا قال الله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) وقال تعالى (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) (قال) وتعلمنا أنه تعالى خالق جميع الموجودات وحافظ جميع الكائنات والمعتني بها واحتج بما في سفر التكوين من التوراة من قوله (فى البدء خلق الله السموات والارض) وذكر غير ذلك عن الكتب كمزمور وغيره والقرآن الشريف ناطق بهذا قال تعالى (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) وقال تعالى (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) وقال جل اسمه جامعاً لكل ماتقدم من الصفات صريحاً واشارة

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) (ثم قال النصراني) بعد ايراده تلك المطالب وبعد كلام ذكره انه رأى مما تقدم ان التوراة والانجيل فيهما ما اشترط من علامات الوحي والالهام الحقيقي

(قال) ومن ثم يتقرر أنهما منزلان من عند الله وموحي بهما منه تعالى

(أقول) جميع ما ذكره عن أسفار التوراة والانجيل من صفات الله الجليل فالقرآن ناطق به على أبلغ مقال وأحسن بيان فان كان اشتمال الكتابين على ما ذكر موجباً للحكم بأنهما منزلان من عند الله (فالواجب) على النصراني أن يحكم بأن القرآن منزل من عند الله لاشتماله على ما اشتملا عليه والا كان اقراره بصحتهما وانكاره لصحة القرآن ترجيحاً بغير مرجح وابطالا لعلة الحكم وهو عين التكبر عن قبول الحق والعناد ومحض النكول عن العدل والسداد (ثم انت ايها الاخ) اذا تبينت ما اعترف به الرجل من دلالة التوراة والانجيل على اتصاف الباريء جل وعلا بتلك الصفات الجليلة التي أعظمها توحده بها ويؤكد ذلك ما نقله النصراني عن سفر الخروج من التوراة من قوله (انا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله غيور) الخ وعن سفر اللاويين من التوراة من قوله (اني انا الرب الهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأني انا قدوس) انتهى (فاسمع الآن) ما يخالف ذلك ويعارضه صريحاً من كتبه التي زعم أنها اناجيل

«فمن ذلك» ما نقل عن الرسالة الى أهل افسس فى الفصل الثاني من الباب المذكور في كلام طويل قال (ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب شاكرين كل حين على كل شيء فى اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب) وقبله من الرسالة المذكورة (الذي هو عابد للاوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله) والكلامان يصرحان بالشرك كما ترى وعن الرسالة الى أهل كولوسى (وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به) وبعده بكلام يسير (انكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لانكم تخدمون الرب المسيح) وعن بشارة متّى في خرافات صلب المسيح وقتله في الفصل الثالث من الباب المذكور قال (فأجاب الملاك وقال للمرأتين لاتخافا أنتما فانى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو هٰهنا لانه قام كما قال هلمّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه) وعن بشارة مرقس قال (فتقدم يسوع فكلمهم ثم ان الرب بعد ما كلمهم ارتفع الي السماء وجلس عن يمين الله) والرب في كلامه يريد به عيسى وهو مصرح أو مستلزم لان لله مكاناً وأن رب مرقس يسوع جلس عن يمينه فيه ومثل هذا كثير في بشائره ورسائله ولا حاجة الى نقل جميعه لان مفاده واحد (فيقال له) حينئذ ما أراد أصحابك بربوبية عيسى ان أرادوا انه الرب المستقل ولا رب سواه. كما هو في بعض زعمك فهذا كفر ظاهر وأين اذاً الله الذى ذكرت صفاته في التوراة والذى جلس ربك المسيح عن يمينه بقول مرقسك وان أرادوا أنه رب مع الله كما هو صريح المذكور من كلماتهم فهذا شرك صريح فأين اذاً وحدانية الله التي صرحت بأن التوراة والانجيل علمنا كلها ومن يكون معه غيره

في مرتبته كيف يكون واحداً فيها وعلى كل وجه فتثبت مخالفة بشائرك ورسائلك للتوراة لتصريحهما بالكفر الواضح أو الشرك الجلي الفاضح اللذين صرحت التوراة ومواضع من كتبك بنفيهما (ويقال له ثانياً) انك اذ ادّعيت أن فى التوراة اشارة الى عقيدة أهل كتبك بربوبية المسيح فأخبرنا هل بلغك أن موسى ومن جاء بعده من الانبياء دعوا الناس الى عبادة المسيح من دون الله أو مع الله(فان قلت نعم) كذبك أهل ملتهم أعظم التكذيب للعلم الجازم بأنه لم يدع أحدمن الانبياء الكرام الى عبادة غير الله من لدن آدم الى زمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(وان قلت لا) فلايخلو اماأن تحكم بأن التوراة لاتشير الى عقيدة أصحابك فيبطل دعواك واما أن تحكم بأنها تشير الى تلك العقيدة فيلزمك الحكم بأن موسى عليه السلام وأوصياءه دعوا الى خلاف ماتدعو اليه التوراة أو جهلوا معناها وهذا ازراء بأنبياء الله ورسله العظام وهو من أعظم الكفر والجحود(ومن هذا يعلم يقيناً) أن عيسى عليه السلام لم يدع الى تلك العقيدة لانه لايخالف طريق الانبياء ولا ما فى التوراة من أصول الديانة فيتحقق بغاية التحقق بطلان عقيدتكم وأن تلك الكتب المصرحة بهذه العقيدة لاتوافق الانجيل النازل من السماء وأنها مزوّرة متقوّلة على الله قد حرفوا بها الانجيل وغيروه وأنه لم يقل عيسى أنه رب ولم ينزل ذلك فى انجيله ويشهد لهذا أيضاً اخبار القرآن عن تبرئ عيسى من هذه المقالة القبيحة حيث يقول الله جل جلاله فيه (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَايَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَافِي

نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَاأَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) الآيات فعقيدة القرآن موافقة لعقيدة التوراة والانبياء كلهم وعقيدة كتبك يا نصراني مناقضة للكل فتكون فاسدة وتلك الكتب كتب ضلال واضلال وهو المطلوب

ومما يزيد بطلان ربوبية المسيح وضوحاً قول النصراني في الفصل الثالث من الباب المذكور اذ قال والمسيح بالنظر الى ناسوته كان شبيهاً بنا حاوياً جميع الصفات البشرية ما عدا الخطية أي كان يأكل ويشرب وينام ثم يستيقظ من النوم ويشعر بالحزن والفرح مثل جميع الناس الا انه لم يكن مشاركا اياهم في الخطية انتهى واذا كان المسيح شبيهاً بالناس لم يكن ربًّا لان الله منزه عن الناسوت ومشابهة الناس كما تقدم في مفاد آيات التوراة وبعد فمن يأكل ويشرب فيبول ويتغوّط كيف يكون ربّا والربّ لايحتاج الى شيء لقيامه بذاته (هذا وجه) من وجوه المخالفة (والثاني) تصريح بشائره ورسائله بأن عيسى ابن الله وروح القدس ابن الله أيضاً وقد أسلفنا في المقدمة نقل ذلك ونذكر هنا منه شيئاً فعن بشارة يوحنا ناقلا عن عيسى بزعمه في كلام هذا لفظه (هذه الاعمال بعينها التى انا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني)

وعن بشارة متّى حكاية قول المسيح لاصحابه (فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) وعن بشارة يوحنا قول عيسى (الذى رآني فقد رأى الآب وأنا والآب واحد) ومثل هذا كثير وهو مخالف لصريح التوراة لشهادتها بوحدانية الله باعتراف الخصم ولا تتم الوحدانية الحقيقية الابنفي الشبيه ومن كان له ولدفله شبيه لأن الولد شبه أبيه ولهذا لزمهم ما سمعت من التزوير على عيسى

وهو قولهم عنه (انا والآب واحد) فأين وحدانية الله اذاً وله شبيه ومماثل (وأعظم) من هذا قبحاً ما في بشارة لوقا (قال) ثم لما قرب زمان انتقال المسيح من هذا العالم أخبر تلاميذه بما كان عتيداً ان يكابده من المصائب والآلام قائلا لهم (هانحن صاعدون الى أورشليم يعني بيت المقدس وسيتم كل ما هو مكتوب بالانبياء عن ابن الانسان لانه يسلم الي الامم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم) انتهي فتارة يكتبون ان المسيح ابن الله وأخرى يكتبون انه ابن الانسان ولازم ذلك اما الحكم بمخالفة كتبهم بعضها لبعض فتبطل أو الحكم بأن الله عندهم انسان وهو الكفر الاعظم وعلى كل حال فمناقضة كتبهم للتوراة ظاهرة والقرآن العزيز ينطق بمطابقة التوراة قال الله جل وعلا (مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(الوجه الثالث) من المخالفة حكمهم في تلك الكتب بأنهم أولاد الله وأنهم في عيسى وأنه كل العالم وقد أوضحنا ذلك في المقدمة ونذكر منه هنا بعضاً (فمنه) ماعن بشارة متى من قوله (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل) وعن رسالة يوحنا (أيها الاحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سيكون ولكن نعلم انه اذا ظهر نكون مثله لاننا سنراه كما هو) انتهي والمناقضة في هذا ظاهرة من جهة الحكم بأنهم أولاد الله وأنهم سيرونه والتوراة تنطق بأنه لا يقدر أحد أن يراه وأنه واحد لا يشبه أحدا (ومثل هذا في رسائلهم كثير) وعن الرسالة الي أهل أفسس في الفصل الثالث من الباب المذكور (الله اختارنا

فيه أي في المسيح قبل تأسيس العالم)وفي الفصل الثاني عن الرسالة الي أهل كولوسى (لاتكذبوا بعضكم على بعض اذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه حيث ليس يوناني ويهودي ختان وغرلة بربري سكيثي عبد حر بل المسيح الكل وفي الكل) انتهي ومن هذا النمط مالا يسع جمعه في كلامنا ومخالفة هذا لما في التوراة من وجوه متعددة واضحة لاتحتاج الى زيادة توضيح (والحاصل) ان المناقضة للتوراة في رسائله من وجوه كثيرة في أصول الدين ونحن نكتفي منها بما ذكرناه فان فيه الكفاية لمن كان له قاب أوألقى السمع وهو شهيد

وأما المخالفة فى الفروع فعديدة أيضاً نكتفى منها بايراد بعض يكون فيه تنبيه على الكل (فمن ذلك)ان النصراني ذكر عن سفر الخروج من التوراة قوله (اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك) انتهي وقد صرح النصرانى عن بعض رسائله ان المسيح نقض السبت وهذا هو المصطلح عليه عند النصارى من قديم الزمان الي الآن (والتضحية) فى التوراة مشروعة وذكر النصرانى عن رسائله سقوطها مع أن فى بشارة متي مشروعيتها قال (فان قدمت قربانك الي المذبح وهناك تذكرت أن لاخيك شيئاً عليك فاترك قربانك قدام المذبح) الي أن قال(وحينئذ تعال وقدم قربانك) هذا والنصرانى سابقاً يقول لاحاجة الي تضحية حيوانات لعدم النفع فيها وقد ذكرناه في مبحث النسخ فكتبه يخالف بعضها بعضاً (ومن ذلك) ماينقله عن بشارة متي من مخالفات التوراة وغيرها قال (قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما انا فأقول لكم ان كل

من يغضب على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم) أقول النصارى اليوم لا يعملون على مافي بشارتهم بل يكذبونها بأنفسهم ثم قال (وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فاقول لكم ان من طلق امرأته الالعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فانه يزني أيضاً سمعتم انه قيل للقدماء لاتحنث بل أوف للرب اقسامك وأما انا فأقول لكم لاتحلفوا البتة) ثم قال (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فأقول لكم لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً) ثم قال (سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما انا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم) الي أن قال (لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى في السموات) الي غير ذلك (وأقول) إن النصارى لايعولون على ماذكر متى ولا يلتفتون اليه ولا يعرجون عليه بل يظلمون الناس ويبتدؤنهم بالجور (واما الختان) فقدعرفت المخالفة في قوله المتقدم (ولا يهودى ختان) ثم ان اصحاب هذه الكتب وأتباعهم يعترفون بأن الانجيل لم يخالف شرع التوراة وأنه مطابق لها ومع ذلك يحكون عن الانجيل في كتبهم ماينا قض التوراة في الاصول والفروع وهذا تناقض بيّن وتعارض ظاهر فاي صحة تبقى لكتبهم واى اعتماد لعاقل لبيب يبقى عليها بل مقتضى ذلك وجوب اجتنابها وتحريم مطالعتها ودرسها لئلا تنزع بناظرها الى اعتقاد ماينافض ضرورة العقل ويخالف مافي الكتب السماوية من الاحكام وما دعا اليه الرسل الكرام من عبادة الله بالقلب والجوارح ونفى الشريك عنه خصوصاً على ما تفوّه به الخصم مراراً من أنه يشترط في صحة الكتب مطلقا مطابقة بعضها لبعض في جميع الاحكام والآن ثبت المعلوم وبطل المخالف والتوراة معلومة عنده فبطلت

كتبه لما فيها من المخالفة للتوراة وهذا بحمد الله واضح المنار ليس عليه غباوة ولا غبـار فلنقتصر على ماذكرناه فانه كاف وشاف في ايضاح ماقصـدناه لمن وعى وأنصف والمعاند لاينتفع بمواعظ الله ولا يهتدى بهدايته فاني ينتفع بمواعظ العلماء وهداية الحكماء

﴿ المنطق الثالث ﴾

في الـكلام على مواضع من كلماته المتفرقة في فصول بابه وان كان يكفي عن ذلك ماحققناه من أول الكتاب الي هنا لكننا نورده توضيحاً للمقام وتتميما للمرام (فمن ذلك) قوله في الفصل الثاني بعد ايراد مااورد من كتبه مما ذكرنا بعضه فمن هذه الآيات يظهر بطلان زعم من يزعم من المسلمين أنه لايوجد في الانجيل أمر ولا نهي

أقول (اول) مايجاب به عن قوله ان الاوامر والنواهي التى ذكرتهالم تأخذها من اصل الانجيل وانما ذكرتها عن الكتب التي يحكم المسلمون بمخالفتها للانجيل وقددللناعلى صحةماحكموابه فيهافمن اين يجه لك الاحتجاج عليهم بماتضمنته فان استطعت ان تخرج اصل الانجيل فنرى فيه ماذكرت سلمنا لك فيما ادعيت والا فلا (الثاني) أن مراد المسلمين أن الانجيل ليس فيه أمر ولا نهي يخالفان مافي التوراةلان من المعلوم أن الانجيل مطابق لسنة التوراة وأنت تقر بذلك وتدعيه وان كنت تخالفه وليس مرادهمأنه ليس فيهمن الكلام ماهو بصورة الامر والنهيوقصدهم مما نسبت اليهم بيان الحجة على بطلان كتبك (وتقريرها) ان الانجيل ليس فيه من الاوامر والنواهي ما يغاير شرع التوراة وكتب النصارى التي بايديهـم فيها أوامر ونواهي تخالف التوراة فليست بانجيل بل هي محرفـة مغيرة ومنقولة مزورة هـذا مرادهم ولـكنك تدعي على

المسلمين مالا يقولون ولا تفهم ما يريدون

(واما قوله) وليست يعني أحكام الانجيل كأحكام سائر الأديان مدارها بمجرد العبادات والاعمال الظاهرية ففاسد مع أنه كلّ عليه لأن (أول) مايقال فيه انك قد أقررت بمخالفة انجيلك للتوراة لأن دين التوراة مداره على العبادة والاعمال الظاهرية كما صرحت به فيما مضى وأنت تدعي اتفاقهما وتشترطه في صحة انجيلك فانجيلك باقرارك اذاً غير صحيح

(الثاني) أنه لادين من أديان الانبياء يكتفى فيه بالاعمال الظاهرية من دون الايمان الخالص وصدق النية وفي القرآن المجيد (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فلا معنى لقوله ان مدار سائر الاديان على الاعمال الظاهرية من دون العبادة الروحية لان العبادتين متلازمتان لاتصح احداها بدون الاخرى وانما يرد مثل هـذا عليه حيث ادعى ان ايمانهم بربوبية المسيح وشركهم بالله أسقط عنهم جميع فرائض التوراة وهم يقولون انهم على شرعها وحكمها وان دينهم دينها وهو بكلامه الآن يثبت لنفسه وأصحابه دينا غير دينها فقد كذب نفسه وأبطل اعتقاده (ومنه) قوله في الفصل الثالث ثم تري أن الانجيل لايقتصر على تسمية المسيح بابن الله ووصفه بصفات الالوهية بل يدعوه آلهاً بصريح اللفظ كما في قوله (ولهم أي للاسرائيلين الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل آلهاً مباركا الى الابد آمين) ونقل هذا اللفظ عن الرسالة الى أهل رومية ونقل مثل ذلك عن رسائله وبشائره

(أقول) هذا من أبين الادلة على بطلان تلك الكتب وكونها مزوّرة مكذوبة لاتوافق أصل الانجيل لاستلزام ماذكروه فيها الكفر أو الشرك والله لاينزل على أنبيائه كفراً ولا شركا ولمخالفتها لصريح

التوراة وما دعا اليه جميع أنبياء الله من توحيده وقد اوضحناذلك مراراً لكنه يكرر هذا الضلال كثيراً (ومنه قوله) بعد ذلك ولعل معترضاً يقول هل الاعتقادبألوهية المسيح لايناقض الاعتقاد بوحدانيةالله فنجيبه أنا من الانجيل نستدل على أن ألوهية المسيح لاتناقض وحدانية الله الذى هو واحد لاشريك له ولا مثل له (أقول) لينظر ذو العقل السليم الى سخافة هـذا الكلام واعوجاجه عن النهج القويم وميله عن الصراط المستقيم وتناقضه العظيم فانه قال أولا ان المسيح آله ثم هو يقول ان الله واحد لاشريك له ولامثل له وكيف يصح عند ذى بصيرة انتفاء الشريك لله والمثيل له مع ثبوت ألوهية غيره وثبوت أن المسيح مثله كما تقـدم النقل عن الخصم والامران ضدان لايجتمعان (وما الفرق) مابين هذا القول وبين قول المجوس الكفرة فى دعواهم ان النار آله مع الله وانها بنت الله (وما الفرق) بينه أيضاً وبين قول أهل الاوثان في ادعائهم ان اصنامهم آلهـة مع الله فان كان القول بربوبية المسيح لا يثبت الشريك والمثيل لله في الربوبية ولا ينافي الوحدانية فقول المشركين أيضاً لاينافى ذلك ولا يناقضه لانه مثله صريحاً (فالواجب على النصراني) ان يصحح قول المشركين لان قوله يوازن قولهم ويشاكله ولاشك انه بهذا القول قد دخل في زمرتهم وزاد عليهم بما زاد (ثم يقال) له أى انجيل يدل على ماقلت ان كان هو الانجيل النازل من السماء على عيسى فنحن لا نسلم دلالته على الشرك فاظهره لنا ان كنت صادقا وان كان هو كتب اصحابك فانا نحكم بفسادها لظهور الشرك منها و نعلم يقيناً أنها مخالفة لنص الانجيل ولضرورة العقل وبهذا يفسد اعتذاره عن المناقضة بعجز الانسان عن ادراك هذه الحقيقة (ويقال له) في ذلك ان الله جل وعلا لوفور حكمته لايفعل المستحيل في نفسه ولايكلف خلقه باعتقاده واجتماع الوحدانية

مع المماثلة أمر مستحيل فكل كتاب دل عليه فليس من الله لاستحالة أن يكلف الله عباده اعتقاد وحدانيته واعتقاد ربوبية غيره بل هو من نقوّل أهل الضلال فبطل جميع ما أتى به من القول في العذر وأطال (على أنه) ليس في كتبه مايشير أدني اشارة الى رفع التناقض بل كلها مقصورة على مجرد الادعاء فمن أين استدل بها على رفع التناقض بين وحدانية الله وربوبية المسيح (قال) فان اعترض أحد قائلا كيف يمكن تركيب اللاهوت مع الناسوت واتحادهما فنطلب منه أن يبيّن لنا كيف الروح مركب مع الجسد فى الانسان وكيف هما متحدان

(أقول) تركيب الشيء مع شيء آخر غيره وصيرورتهما شيئاً واحداً يفتقر الي انقلاب حقيقة أحدهما الي حقيقة الآخر كاستحالة الهواء الي الماء والماء الي الهواء بواسطة البرودة في الاول واسخان النار في الثاني وبدون انقلاب الحقائق لايحصل الاتحاد الحقيقي وانما تحصل المجاورة ومجرد الاختلاط كمزج الشعير بالبر واللبن بالماء وكل منهما يتميز عن الآخر دائماً كالاول أو بعد يسير من الزمان كالثاني وهذا معلوم بضرورة العقل ومعروف بالمشاهدة والمغالطة فيه لايصغى اليها لانها تشكيك في الضروريات وليس بشيء «فاللاهوت» لو تركب مع «الناسوت» للزم يقيناً انقلاب حقيقة احدهما الي حقيقة الآخر وانقلاب اللاهوت الي الناسوت محال وانقلاب الناسوت الي اللاهوت مثله لان المجرد لايكون ماديًا والمادي لايكون مجرداً فبطل بذا قوله بعد فمن الانجيل نستفيد أن تركيب اللاهوت مع الناسوت فى المسيح واتحادهما كان على وجه لم يستلزم استحالة اللاهوت الي الناسوت ولا اختلاطه به بل كان تركيباً خاصاً لا يشبه تركيب سائر الكائنات انتهي

(وأقول) ان الانجيل الذى عناه وهو كتب أصحابه لاتفيد عدم استحالة اللاهوت

الى الناسوت ولا عدم استحالة الناسوت اليه لان كلامها الذى مر بك وسمعته غايته التصريح بأن المسيح ابن الله وأنه آله فقط ولا زيادة فيها على ذلك وخصمه لا يقنع منه بأن هـذا تركيب خاص مخالف لتركيب سائر الكائنات بل يطلب منـه بيان حقيقته ومعناه كما يطلب هو من خصومه البيّنة على ما يدعون لان مجرد الدعوى لاتقوم بها حجة واذا لم يبيّن ذلك قال له خصمه أنت كاذب فيما ادعيت من وجود تركيب خارج عما تعرفه العقول من معنى التركيب فى الكائنات والموجودات فلا عبرة بدعواك

(وأما قوله) ان ذلك على موجب قواعد الاسرار الآلهية فمردود عليه بزعمه ان ذلك من الامور التكليفية ومن المعـلوم انه لايجوز أن يكلف الله خلقـه باعتقاد ما لايمكنهم تعقّله ولا فهم معناه ولا دفع مخاصمهم فيه عن أنفسهم بحجة لانه تكليف بما لايطاق فسقط ما موّه به النصراني في ذلك بكليته

(وأما سؤاله عن الروح) فان أراد بها الروح البخاري «فجوابه» أنه قوة منبثة في جسد الانسان يصدر عنها الحس والحركة مصـدرها القلب ومادتها الدم وفاعلها الحرارة باذن الله وببطلانها يحـدث الموت وتركيبها مع الجسد تركيب الاعراض مع معروضاتها «فان أراد» أن تركيب ذات البارئ جل وعز مع عيسى مثل هذا التركيب لزمه جعل أحدهما جواهرا والثاني عرضاً حل في ذلك الجوهر ولزمه الحكم بموت أحدهما عند مفارقة الآخر وكل من الامرين كفر لايخفى على ذي حجى على أن الروح المذكور من جملة قوى الجسد المستكنة فيه ولاتقوّم لهـا بدون الجسد كسائر قواه والله تعـالي ذاته قائم بنفسه وذات عيسى أيضاً مستقلة وتركيب المسـتقلين وصيرورتهما ذاتاً واحدة مستلزم لانقلاب أحـدهما الي الآخر لامحالة والناسوت لا يستحيل الي اللاهوت ولا الثاني

الي الاول فبطل التركيب قطعاً فتمثيله غير فصيح وجوابه عن الاعتراض غير صحيح (وان أراد بالروح النفس الناطقة) فالاصح عندنا أنها جوهر نوراني وهي مشرقة على الجسد اشراق الشمس على الارض متعلقة به تعلق التدبير والتصرف كتصرف الملك في مملكته بواسطة الروح البخارى وبانقطاع التعلق المذكور يعرض للانسان الموت فليست النفس مركبة مع الجسد فهذا جواب سؤاله ولا يجديه نفعاً فيما أراد كما ترى (فوجب) أن يقال له أنت الجاهل الاحمق اذ ادّعيت تكوّن ما لا يمكن أن يكون وجعلته شبيه حلول العرض في الجوهر وهو نقيض ما قصدته وعكس ما حاولته لا من نسبت اليه الحمق والجهل في نفيه ما ادّعيت ومن هذا بطل كل ما فاه به من أثمار الخلاص والمناص وغير ذلك من المزخرفات

(وأما قوله) في الفصل الرابع من الباب المذكور بأن الانسان لا يمكنه أن يدرك بعقله القاصر ذات الله الطاهرة الازلية اذ كان لا شبيه له بين سائر الكائنات ولا مثل بين كل المخلوقات فحجة عليه لا له لدعواه أن المسيح شبيهه ومتحد به وأنه على صورته بل انه هو هو حقيقة وأن النصارى أولاده وسيرونه والدعوى كما ترى مناقضة للحكم فاحدهما لابد أن يكون كاذباً اذ لا يمكن صدق المتناقضين معاً

(وأما تشبيهه) في كلامه المذكور تركيب ذات الله مع ذات عيسى والروح القدس بتركيب الانسان من روح ومن نفس ناطقة ومن جسد وانه مع هذا التركيب واحد وكذلك النار والنور فتشبيه فاسد وقياس جامد

وجوابه من وجوه (الاول) انا بينا في سؤاله عن تركيب الروح مع الجسد معنى هذا التركيب وأنه من باب تركيب العرض مع الجوهر والحالّ مع المحل وتركيب النور مع النار من هذا القبيل والبارئ تعالى منزه عن مثل هذا التركيب اذ لا يحل في شئ ولا يحل فيه شئ (الثاني)

ان هذا التركيب مستلزم لحدوث المركب اذلاخفاء في حدوث الانسان والبارئ جل اسمه برئ من الحدوث (الثالث) ان هـذا التركيب في معرض الانحلال والجسد بسبب انفكاك تلك المركبات في معرض الاضمحلال فان كان تركيب آلهة النصراني على هـذا القياس فقد فاز فوزاً عظيماً (الرابع) ان الانسان بواسطة هذا التركيب ليس بواحد حقيقي وانما هو واحد نوعي والفرد منه واحد شخصي وفوق هاتين الوحدتين الوحدة الجنسية وكل هذه الوحدات بواسطة التركيب تستلزم التعدد والمشاركة فان الانسان أفراده كثيرة وكذلك الحيوان (وزيد) مثلا مشاركوه في مفهوم الانسانية كثير ولايجوز أن تكون وحـدة البارئ تعالى مستلزمة للتعدد والمشاركة ولو كان ذلك جائزا لزم منه صحة قول المشركين بتعددالآ لهـة اذ لافرق بين قول النصارى وقولهم بل وحدته جل وعلا وحدة حقيقية لازمها عدم التركيب في ذاته تعـالى من جميع الوجوه لاخارجي ولاعقلي (وهذايبطل) قياس النصراني وتشبيهه ويزيل جميع مارتب عليه من التزويقات والتمويهات في القول فكلها مما لايعبأ به رشيد (وعليك) فى هـذه المطالب بمراجعة مقدمة الكتاب والمنطق الاول من المقالة الاولى فقد تكفلا بابطال جميـع زخارف الرجل على أكمل وجه وأوضح بيان وأودعا من ذلك مافيه مقنع لمن يعي ويسمع وما ذكرناه هنا فهو تذكرة لما سلف

(وأقول) ما أظن ذا عقل وفطنة يخطر بباله هذه القياسات الواهنة ويشبه الصانع القديم بخلقه المحدثين وهو يعترف بأنه لاشبيه له ولاشريك (ولا أشك) أن النصرانى وأصحابه النصارى قد سلبت عقولهم وزالت أفهامهم وزاغت أبصارهم عن التأمل في الحقائق بسبب التقليد لأسلافهم والركون الى ما افترعه واخترعه الضالون من قدمائهم والاعتماد على أهل

الغلوّ والالحاد فى الدين من أوائلهم فهم في ذلك كما حكى الله تعالى عن اخوانهم المشركين من قولهم (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (ثم نقول) لهم بعد جميع ماقررناه وحررناه في ازهاق عقائدهم (أخبرونا) عمادعاكم الى القول بان المسيح رب (ان كان) لتكوّنه من غير أب على خلاف ماجرت به العادة (فآدم عليه السلام) تكوّن من غير أب وأم فهو من هذا الوجه أولى بالربوبية من عيسى ولم تركم اتخذتموه ربا وخرق العادة انما يكون معجزا يقتضي صدق النبوّة لاموجبا للربوبية (وان كان) لاحيائه الموتي فأنتم رويتم أنه أحيي ميتاً أو اثنين (فابراهيم) خليل الله أحيي أربعة طيور بعد مادقّ لحمهم وهرسوا فى المهراس (وموسى) أحيي بقرة بني اسرائيل والسبعين الذين اختارهم من قومه لما هلكوا بالصاعقة بعد قولهم لموسى أرنا الله جهرة لننظر اليه (وعزير أو أرمياء) أحيي الله له حماره وأحيي (حزقيل) باذن الله ثلاثين الفاً أو خمسة وثلاثين ألف انسان بعد موتهم بستين سنة وخبرهم في التوراة مذكور وأنتم رويتم أن (الحواريين) أحيوا موتي ولم تتخذوا أحداً من هؤلاء ربا (وان كان) لانه صوّر مرة واحدة من الطين صورة الطير فنفخ فيها فكان طيراً باذن الله (فسليمان بن داود) كان يأمر بساطه فيطير به ويقع حيث أراد مراراً كثيرة وهذا اذ لم يكن أعظم من صنع عيسى فهو مثله ولم تقولوا بربوبية سليمان (وان كان) لابرائه الأكمه والابرص والمقعد (فابراهيم الخليل) أُلقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً وهي نار عظيمة جداً تأخذ الطير من الهواء بلهبها اذا حاذاها (وموسي الكليم) ضرب البحر بعصاه فانفرق فكان كل فرق منه كالطود العظيم وضرب الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عيناً

وهذه الاشياء أعظم من الاولى لانها تبديل لطبائع الاشياء فانّ تصيير النار باردة غير مضرة تبديل لطبعها وايقاف الماء عن الجريان وتصييره قائماً كالجبل أو كالجدار تغيير لطبعه وكذلك تفجير الحجر بالماء (وابراء الأكمه والأبرص والمقعد انما هو ازالة المانع من جريان ماهو بحسب العادة والطبع واعادة الشئ الي أصله ومقتضى طبعه وعادته فان الابصار واستواء البشرة والمشي من مقتضيات طبع الانسان ومن جملة ملكاته ومما جرت به العادة المستمرّة فيه وتلك الامراض موانع من اجراء ما اقتضاه طبعه ومزيلات الملكاته المذكورة ونواقض لعاداته وتبديل الطبع أعظم من ازالة المانع من مقتضاه بغير ريب فما جاء به (الخليل والكليم) واظهراه مما ذكرنا أعظم خطرا مما اظهره المسيح من المذكورات وما نراكم قائم بأن واحداً منهما أو كلاهما رب (والنبي اليسع) مشى على الماء وأبرأ الاكمه والأبرص وأحيي الموتى ولم تتخذوه رباً على انكم رويتم ان الحواريّين فعلوا من ذلك مثل مافعل عيسى فأبرؤا الكمه والبرص والمقعدين ثم لم نجدكم تتخذون أحداً منهم رباً (فعدم) اتخاذكم من أظهر من المعاجز أعظم مما أظهره المسيح منها أو مثله من نبيّ مرسل او وليّ مبجل آلهاً وعدولكم عن ذلك الى الحكم بربوبية المسيح واتخاذه آلهاً من دون الله لاظهاره دون ما أظهروه من خوارق العادات أو مثله مع مافيه من الترجيح بلا مرجّح ان لم يكن من ترجيح المرجوح دليل ظاهر وبرهان منير زاهر على شدّة حمقكم وزيادة جهلكم او على غلوكم في مسيحكم والحادكم في دينكم وادغالكم فى طريقتكم وعقيدتكم

وقد وردفي الرواية عن أهل الدراية من علمائنا أن قريشاً اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يُحيِيَ لهم موتاهم فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له اذهب الى الجبّانة فناد بأسماء

هؤلاء الرَّهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يافلان ويافلان ويافلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا باذن الله عز وجل فقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم أن محمداً قد بعث نبياً فقالوا وددنا أنا أدركناه فنؤمن به (وأنه صلى الله عليه وسلم) قد أبرأ الاكمه والأبرص والمجانين وكلمه الطير والبهائم والجن والشياطين ولم نتخذه رباً من دون الله كما اتخذتم أنتم المسيح من دون الله عز وجل رباً ولم ننكر لأحد من الانبياء فضلهم (نعم) قد وجدنا في من ينتحلون الاسلام فرقة تشبهكم وهم الغلاة لعنهم الله اتخذوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصيّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رباً وقالوا فيه مثل ماقلتم في المسيح من حلول ذات الله فيه واتحاده به جلّ الله وعلا عما قالوا وقلتم علواً كبيراً فهنيئاً لهم بموافقتكم وهنيئاً لكم بموافقتهم فانكم تحشرون معهم في محشر واحد نعوذ بالله منه (ثم ان كان المسيح آلهاً) فما حاجته الي إنزال الانجيل على نفسه وهل يحتاج الآله الي كتاب يقرؤه ويستفيد منه أحكام الدين ويحتجّ على الناس به لو كان النصارى يفقهون حديثاً أو يبصرون شيئاً ومتى اعترفوا بأن منزل الانجيل على عيسى هو الله تعالى لزمهم الحكم بأن الله غير عيسى وأنه هو الرب المالك لعيسى وأن عيسى عبد مدبّر مربوب اختاره الله لرسالته كما اختار غيره من الرسل وأن ما قالوه فيه من الربوبية كفر بالله العظيم أعاذنا الله منه

(وأما فصله الخامس)في حسن سلوك المسيحيّ فلا حاجة الى ذكر مافيه لبنائه على صحة تلك العقيدة وقد اتضح لديك بطلانها

(وأما فصله السادس) في ذكر بعض أدلة يثبت بها ان التوراة والانجيل كلام الله فقد أوضحنا حقيقة الحال فيه فيما سبق خصوصاً في مبحث التحريف

(ونقول هنا) ان المسلمين لاينكرون أن أَصْلَيِ التوراة والانجيل كلام الله وكيف ينكرون ذلك والقرآن العزيز ناطق به ومخبر عنه وانما ينكرون بقاءهما الآن على أصليهما وعدم وقوع التحريف فيهما بمعانيه السابقة ونحن قد بينا وقوع التحريف عليهما حتى بالزيادة والنقصان بواضح الحجة والبيان وهو في الانجيل أظهر خصوصاً بالزيادة وتغيير صورة اللفظ فلا يجديه ما أتى به في الفصل المذكور من الادلة نفعاً

(وأما فصله السابع) في كيفية انتشار دين المسيح فنحن في غناء عن مخاطبته فيه اذ لاغرض لنا يتعلق به (نعم) نقول ان المنتشر فيما بين النصارى ليس هو دين المسيح الذى جاء به من عند الله ونزل به الانجيل وانما المنتشر بينهم الدين الذى أحدثه بعده الملحدون في دينه والغالون فيه من الشرك بالله واسقاط فرائضه وتصغير عظمته بحكمهم بحلوله في المسيح أوحلول المسيح فيه وغير ذلك من اللغو الذي مرّ عليك ببيانه وتحقق لديك زوره وبهتانه فهذا الذي انتشر بينهم لادين المسيح ولكن دين المسيح قد انتشر بيننا معاشر المسلمين ببركة نبينا محمد الامين صلى الله عليه وسلم لانه أتى داعياً الى مادعا اليه عيسى وغيره من رسل الله الاصفياء من توحيد الله وأداء فرائضه ونصب ميزان العدل واقامة عمود الانصاف وقد أخبر الله عن ذلك في الكتاب العزيز بقوله جل وعز (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) فنحن معشر المسلمين على دين عيسى وطريقته لا النصارى

وأما ادّعاؤه بأن الحواريّين رسل الله فنظور فيه وليس بصحيح

وكيف يكونون رسلا وقد اختلفوا في عقائدهم الدينيـة وتباينوا في مقالاتهم الأصولية حتى في نسبة عيسى كما مرّ عليك ذكره وزادوا في الانجيل الذي هو كلام الله من عند أنفسهم ما ينطق بالكفر ويصرّح بالشرك بالله جلّت عظمته ممـا هو في نفسه مستحيل ومناقض لما تدل عليه ضرورات عقول العقلاء ومعاكس لما تحققه بالقطع واليقين أفهام الكملاء ومخالف لمـا دعا اليه الرسل الاصـفياء والأنبياء الاتقياء وقد عرفت ذلك كله من كلامه وكلامنا مع انهم على شريعة واحـدة فمن أين تصح لهم النبوّة هذا بعيد عن التحقيق وناء عن العدل بواد سحيق

وأما احتجاج النصراني على ذلك بقوله تعالى في القرآن حاكياً عن عيسى (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) فاحتجاج ضـعيف جدًّا لأن الناصر لله لا يلزم أن يكون نبيا والا لزم أن يكون كل مؤمن نبيا فان جميع المؤمنـين حقاً هم أنصار الله لانهم يظهرون دينه ويصدّقون رسله (وفي القرآن) قبل الكلام المذكور خطابا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ) الى آخر المذكور فلو كان كل من نصر الله يكون نبيـا لكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم أو جلّهم أنبياء لانهم نصروا الله وهذا معلوم الفساد واحتجاجه بقوله تعالى في سورة يس (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) الى آخره قريب من الاول في الضعف اذ ليس في الكلام ما يصرّح بأنهم رسل الله وانما مفاده أنهم رسل عيسى أوحى الله اليه أن يبعثهم الى أهل انطاكية يدعونهم الى الايمـان بالله وهذا بعينه نص كلام البيضاوي الذي انتصر

به علينا فيما ادّعى وهو لا يوافق دعواه ولا يطابقها وليس يجب في رسل الانبياء ودعاتهم أن يكونوا أنبياء من غير خلاف بين أهل الملل وعلى هذا يكون معنى قولهم الذي أورده دليلا (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) و (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) و (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) يعني من عيسى وليس يلزم أن يكون رسل عيسى رسل الله ثم كيف يكونون رسل الله الى أهل تلك القرية وهذا يقتضي استقلالهم بالرسالة ويستلزم بأن عيسى ليس برسول الى أهل انطاكية من الله تعالى وأن أولئك الرهط أصحاب شرع مستقل وليسوا بتابعين لعيسى لأن مقتضى كون الانسان رسولا من الله هو ذلك وكل هذا متيقن العدم فليسوا اذًا برسل الله كما زعم الرجل وأما قوله (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فمن أضعف الشبه لأن أقصى ما يدل عليه اللفظ الشهادة لهم بالاهتداء وليس يجب في كل مهتد أن يكون نبيا مرسلا من الله والا كان كل مؤمن نبيا رسولا لأن المؤمنين مهتدون غير ضالين واللازم معلوم الانتفاء فبطل الدليل (فان قيل) انكم قد اعترفتم بدلالة الآية على هدايتهم وهذا يعارض ماقدمتم من القول فيهم الناطق بضلالتهم (قلنا) ان غاية ما تدل عليه الآية الشهادة لهم بالاهتداء في تلك الحال ولا تدل بشيء من الدلالات على استمرار اهتدائهم لأن اسم الفاعل المجرد عن ال لا يدل على الاستقبال ونحن نقول انهم كانوا على الهدى في زمان عيسى عليه السلام وانما أحدثوا ما أحدثوه من الزيادة في الانجيل المغيرة لمعناه وأصل مفاده والتخالف والتضاد في الاقوال الشنيعة والاعتقادات الفظيعة بعد مفارقتهم لعيسى وهكذا سائر الامم انما يقع بينهم الاختلاف بعد مفارقتهم لرئيسهم الأعظم وصاحب شريعتهم وقد أنبأنا الله في القرآن العظيم عن هذه

الحقيقة في قوله تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) وهي صريحة في المطلوب وليس كل من آمن كان معصوما عن الضلال والارتداد ومبرأً عن الابتداع وايقاع الفساد وقد ارتد كثير ممن آمن عن الايمان حتى على عهد الرسل الكرام (وأيضاً) ان قوله (وهم مهتدون) جملة حالية والاصل في الحال الانتقال فلا تفيد الاستمرار فسقط بعون الله السؤال (على انه لم يثبت) بدليل قاطع ان الرهط الذين بعثهم عيسى الى أهل القرية من القوم الذين تنسب اليهم كتب النصارى التي حرّف بها الانجيل واشتملت على المناكير لجواز أن يكون أولئك الرهط غيرهم وأنهم لم يغيّروا بعد عيسى ولم يبدّلوا واستمروا على الهدى الذي كانوا عليه فانا نعلم أن قوما من حواريّ عيسى قليلين بقوا على الحق ولم يحدثوا حدثاً في الدين منهم وصيّ عيسى (شمعون) وما ينسب اليه النصارى من القول بربوبية المسيح كذب عليه وتزوير غير صحيح كما كذبوا على عيسى في دعواهم عليه ادّعاء الربوبية وكذبوا على الله في دعواهم أنه أنزل في الانجيل أن عيسى ابنه وأنه آله معه والكذب على الله وعلى رسله وأوصياء رسله قد وقع من الناس كثيراً في كل أمة وكل ملة فلا سؤال أصلا (فان قيل) انكم رويتم أن أولئك الرهط أظهروا في القرية من خوارق العادات مالا يظهر الا على أيدي الانبياء فأحيوا موتى وأبرؤا أكمها ومقعدين فيكونون أنبياء

لظهور المعجز على أيديهم (قلنا) انا لا ننكر ما ذكرت من ظهور بعض الخوارق للعادة على أيديهم ولكن ليس ذلك معجزاً لهم لأنه لا يكون مثل ذلك معجز الانسان فيدل على نبوّته حتى يكون مستقلا في اظهاره أي ان ظهوره كان بدعائه خاصة لا بدعاء غيره معه (ولذا نقول) ان تلك الخوارق كانت معجزة لعيسي وحاصلة بدعائه لا بدعائهم على الاستقلال (وبيان) المقام أنا نحكم بأن عيسى عليه السلام حين أرسل أولئك الثلاثة الى أهل انطاكية داعين الى دينه بأمر الله أمرهم أن يجيبوا أصحاب القرية الى ما يقترحون عليهم من الأمور الخارقة للعادة ووعدهم بأن الله يستجيب لهم ما سألوه مما يقترحه عليهم القوم وسأل الله أن يفعل بهم ذلك اتماما للحجة على أهل القرية المذكورة وقطعاً لعذرهم ولم يكن ذلك بمجرد دعائهم من دون دخل لعيسى فيه فكانت تلك الخوارق معاجز له طلب من ربه اظهارها على أيدي رسله ليتم له الاحتجاج بهم على القوم في الدلالة على صدق نبوّة مرسلهم كما نعلم أن أحياء القوم الذين ناداهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الخبر الذي أسلفنا ذكره معجز للنبي محمد صلى الله عليه وسلم طلب من ربه أن يظهره على يده لا لعليّ وكما نعلم أن ما في قوله تعالى حاكياً عن يوسف الصديق (إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) ان رد بصر يعقوب كان معجزا ليوسف لا لحاملي القميص (ونظير هذا) ماروي في مشهور الاخبار مما حصله أن رجلا من ولد المطلب بن عبد مناف يسمّى ركانة وكان أشد قريش إيذاء لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شوارع مكة فقال له يا محمد أتدعي أنك رسول الله الى خلقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أَجَلْ فقال له ركانة فأقم لي بيّنة على ماتقول فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم اقترح ماشئت فنظر ركانة الى شجرة هناك فقال أريد منك أن تأمر هذه الشجرة بأن تحوّل من موضعها الى هذا الموضع وأشار الى محل هناك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت رسولي اليها قل لها ان محمد بن عبد الله يأمرك أن تحوّلي من موضعك الى ذلك الموضع فكلمها ركانة بكلام النبي صلى الله عليه وسلم فانقلعت من موضعها وأقبلت تخدّ الارض خدًّا حتى وقفت بالمكان الذي عيّنه ركانة وهو ينظر الى ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أيكفيك هذا فقال لا بل أريد أن تأمرها بالرجوع الى موضعها الأول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت رسولي اليها قل لها يقول لك محمد بن عبد الله ارجعي الى موضعك الأول فأبلغها ركانة فأقبلت تخدّ الارض كأول مرة حتى وقفت في منبتها وثبتت فيه فهذا معجز للنبي صلى الله عليه وسلم أظهره الله على يد ركانة وهو اذ ذاك كافر اقيام الحجة عليه لكنه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا بقوله (واذا جاز) ان يظهر الله معجز النبي على يد الكافر فما المانع من اظهاره على يد المؤمن فلا تثبت نبوّة أولئك الرهط بما ذكرت لتوقفه على شرط لم يحصل وهو ما ذكرناه من الاستقلال باظهار المعجز فزال الاعتراض

ومما يرشد الى عدم كون الحواريين أنبياء من كلام الخصم قوله في أول الفصل ان المسيح حال ما ابتدأ يعلّم الناس الدين القويم ويهديهم الصراط المستقيم ويظهر معجزاته الباهرة انتخب اثنى عشر رجلا من عوام الناس لكي يتبعوه ويكونوا شهوداً لكل أعماله وأقواله الى آخر ما قال (ومن المحقق) أن العامي هو الذى لا علم له ولا معرفة وليس له قوّة تمييز ولذا كان ثمرة ذلك اختلافهم وادعاء أكثرهم أن المسيح هو الله وادعاء بعضهم أنه ابن الله ومن كان عامياً فمن أين تأتيه النبوة والرسالة

وقوله في آخر الفصل حاكياً حال النصارى حيث قال وظهر الخلاف بينهم في تفسير بعض آيات الكتب المقدسة والتمسك ببعض العوائد والرسوم العرضية واضطرمت بينهم نيران الجدال والمنازعة وابتدأ ما كانوا عليه قبلا من الاتفاق والمحبة يحول الى انشقاق وبغضة كاشحة

(وأقول) ان كان الخلاف الموجب للنصارى ما ذكره الخصم ناشئ عن اختلاف الحواريين المذكورين أعني الاثني عشر في العقيدة وأصل الديانة فكيف يكونون أنبياء مرسلين وان كان منشأ الاختلاف ممن جاء بعدهم فمن أين يُعلم ان النصارى على عقيدة اولئك الحواريين وهم مختلفون غاية الاختلاف ومن أين علم الموافق لعقيدة الحواريين من فرق النصارى من المخالف لها ومن أين علم النصراني واصحابه ان ما كتبه علماء النصارى المختلفون من الكتب والرسائل موافق لما يقوله الحواريون (فعلم) من هذا بطلان ديانات النصارى من الرأس (ومن ذا) يبطل قوله بعد ولكنهم مع كل ذلك لم يزالوا متفقين في أصول الدين وكان الكتاب الذي يعتقد به جميع المسيحيين من أي طائفة وأمة كانوا الانجيل الشريف الذي تمت به شريعة التوراة ولم يزل بين ايدي المسيحيين الى الآن وكانوا كلهم مجمعين على الاعتقاد بالوهية المسيح الى آخر ماقال لظهور ان الخلاف في تفسير بعض الآيات الراجع الى جزئيات المسائل الفرعية لايوجب ماذكره من اضطرام نيران الجدال والمنازعة ولايقتضي تحوّل المحبة والاتفاق الى الانشقاق والبغضة الكاشحة كما لايخفى على لبيب حاذق وانما يوجب ذلك ويقتضيه الخلاف في أصول الدين والتباين فى أساس العقيدة وهذا معلوم بالمشاهدة فانا نرى كل فرقة متفقة فى أصول الديانة لايقع بينهم شيء مما ذكره من العداوة والبغضاء بسبب اختلافهم في حكم شرعيّ فرعيّ وانما يحصل ذلك بينهم اذا اختلفوا فيما هو من الاصول

التي يبنى عليها الدين فلو كان اختلاف النصارى على ما وصف وأنهم في أصول دينهم غير مختلفين لما حصل لهم من العداوة الشديدة ما كشف الرجل عن بعضه وأخفى أكثره ولما افترقوا الى اثنين وسبعين فرقة (وأي عاقل) يتصوّر حصول مابيّنه وأشرنا اليه من تفرقهم الي ذلك العدد بسبب اختلاف في بعض المسائل الفرعية (فثبت) من بيانه وما أوضحناه به أن اختلاف النصارى كان أولا في أصول الدين ولأجله وقع الخلاف والتباين بينهم في فروعه ثانياً وأن اختلافهم في الامرين مسبب عن اختلاف الحواريين فيهما فلا يجوز البتة أن يكونوا انبياء مرسلين من الله (ويتضح) من كل ذلك أن جميع فرق النصارى مخالفون لدين المسيح وحكمه الا فرقة واحدة فانهم مازالوا على الحق يتوارثونه حتي أدرك أواخرهم بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا به واتبعوه وكانوا أقل قليل (ففسد) قول الخصم وسقط احتجاجه وذهب سروره وابتهاجه ووضح عدوله عن الحق واعوجاجه وبذا انغلق بابه وبطل حسابه وخاب نصابه فزال ما ابداه وانخفض مارفعه وعلاّه ولم يدرك ما أمله ورجاه والحمد لله على التوفيق لاعلال ماصحّح النصراني وقلع ما أسسه وهدم مابناه والله حسبنا وهو نعم المولى ونعم النصير

﴿ المقالة الثالثة ﴾

فى اغلاق بابه الثالث الذي عقده في بيان دعوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة والوحي اليه بالقرآن وأن ادعاءه هل هو صحيح ام لا والكلام في سدهذا الباب هو الغرض الأهم والمقصد الأعظم وبه يتبيّن الصراط الاقوم والقول الأتم وفيه مقدمة ومناطق

(فالمقدمة) في الاشارة الى بعض أحوال سيدنا ونبينا شفيع الأمة

وسراج الظلمة وشمس الهداية وبدر الكمال المزيل لِدَيْجُور الجهل والعماية وكعبة المعارف وبحر العلم الذى لاينزحه نازح ولايبلغ الى ادناه عارف وطود الحلم الذي لاتميله العواصف وسحاب الرحمة والرضوان وغيث الرأفة والغفران الداعي الى توحيد الرحمن وطاعة الملك الديان بأبلغ مقال وأفصح لسان الذي نسخ الله بدينه جميع الاديان خيرة الله من ذرية اسمعيل وصفوته من نسل ابراهيم الخليل وأفضل من برأه من ولد آدم الرب الجليل وجلّله ببرد المجد الأثيل وتوّجه بتاج الشرف الاصيل وأوضح به السبيل وأقام به الحجة والدليل وصدق بكتابه التوراة والانجيل وقمع بحجته المشركين ودمغ ببرهانه عتاة الكافرين وعلاّ بعلوّه كعب المؤمنين وهدى بهداه الضالين وأبطل بحقه تمويه المكذبين وزرع محبته في قلوب الموحدين النبي المصطفى المهذّب والنور المشعشع الجالى لظلام الغيهب والجامع من أمر العرب والعجم ماتشتّت وتشعّب والمعمّر من دين الله ماتهدم وتخرّب بيد من أشرك بالله وكذّب وصعّد في أودية الكفر وصوّب وتصدّى لاضلال العباد وانتصب الموضّح طريق الحق لمن طاب

نَبِيٌّ أَتَى يَدْعُو إِلَى الرُّشْدِ وَالْهُدَى   وَيُنْقِذُ مِنْ مَهْوَى ضَلَالٍ وَبَاطِلِ

خاتم المرسلين وأكرم النبيين وسيد المخلوقين (محمد) بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشرّف وكرّم

(فنقول) إنه صلى الله عليه وسلم ولد فى سابع عشر ربيع الاول أو في ثاني عشره على اختلاف الروايتين عام الفيل وكان انزال العذاب على الملك النصرانىّ أبرهة صاحب الفيل وجنوده برهاناً على صحة دين الاسلام وعلى فضل الكعبة وشرفها عند الله وهو ارهاص لنبوة نبينا

صلى الله عليه وسلم وأمه آمنة بنت وهب من بني زهرة بن كلاب وهي من أعف نساء قريش وأجلهن نسباً وحسباً وتوفى أبوه بعد مولده بمدة يسيرة أو قبل ولادته صلى الله عليه وسلم على رواية أخرى وكفله جده عبد المطلب فلما مضى من عمره ثمان سنين توفى جده فأوصى به الى ابنه أبي طالب وهو عم رسول الله لأبيه وأمه فقام أبو طالب بكفالة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته أحسن قيام وكان استرضاعه في بني سعد بن هوازن أرضعته منهم حليمة بنت أبي ذويب وكانت من أعف نسائهم ذيلا وأنقاهن جيباً وشاهد بنوا سعد في أموالهم ومواشيهم النمو والبركة وأعشبت أرضهم وأخصبت بلادهم منذ قدمت عليهم حليمة من مكة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلموا أن ذلك ببركته فكانوا يعظمون قدره ويحبونه حباً شديداً (واتفق) أهل السير والتواريخ على أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ في قومه عاقلا لبيباً وكاملا أديباً ملازماً لحسن السمت والوقار مصيباً وأنه لم يعثر أحد من أهله منه على زلة ولا اطلع أحد من رهطه منه على هفوة ولا وقف قومه منه على طفولية ولا صبوة حتى بلغ مبالغ الرجال وبعد بلوغه ذلك الحد بقليل شاع بين قريش صدقه وأمانته واشتهر فيما بينهم عدله واستقامته وتحققت عندهم عفته وصيانته وانتشر في مكة وما حولها طهارته من النقص ونزاهته فعظم عند قومه قدره وظهر بينهم مجده وفخره حتى طفقوا يسمونه الصادق الأمين لما ثبت لديهم له من الصدق المستبين وتوطد له فيهم من الحلم الرزين فكانت قريش ومن يرد مكة من العرب يودعونه أموالهم وذخائرهم ثقة به واعتماداً على ما يرون من حسن سيرته وصحة مذهبه في الوفاء وسلامة طريقته ومازالت هذه صفته عندهم الى أن بعثه الله اليهم فكانوا يجادلونه في الدين ويأتمنونه على المال الخطير الثمين وتزوج خديجة بنت خويلد من بني أسد بن عبد العزى

ابن قصي بن كلاب وكانت من أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالا وقد رغبت فيه ووهبته ما ملكته يداها لما طرق سمعها من الأخبار عن الرهبان والأحبار من أنه النبي الموعود به في زبر الاولين الذي يختم الله به عقد النبيين ويكمل به عدد المرسلين فلما غدت من عمره أربعون سنة نزل عليه الوحي وأنزل الله عليه القرآن وبعثه بالرسالة الى جميع أصناف الانسان بدليل قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً) فكان أول من آمن به وصدقه من الذكور ابن عمه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومن النساء زوجته خديجة بنت خويلد ثم أمره الله أن يفتتح دعوته بأهله الأدنين فقال تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فجمع بني هاشم وبني المطلب وكانوا يداً واحدة فبلغهم ما أمر به وقال لهم أيكم يوازرني ويبايعني على ماجئت به من ربي فيكون أخي ووصيّ ووارثي وخليفتي فنكلوا عن ذلك الاّ علياً فانه بايعه ووازره ثم أمره الله بدعاء أهل مكة ومن قرب منهم فقال تعالى (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) فشمّر صلوات الله عليه وآله لتبليغ الرسالة والدعاء الى دين الله بالاعذار والانذار والوعظ والتذكير كما قال الله تعالى (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وأنزل عليه (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) فقام بالدعوة على الوجه المذكور غير وانٍ ولا مقصّر ولا خائف ولا متحذر مطيعاً لله في أمره بالغاً في التبليغ منتهي عذره فبادأته عند ذلك قريش والعرب المائلون ميلهم بالعداوة الشديدة وأظهروا له البغضاء وأضمروا في قلوبهم عليه الشحناء لأنه جاءهم من توحيد الله والامر بطاعته بنقيض ما وجدوا عليه آباءهم

من الشرك وضد ما الفوه من الجحود والكفر فأعرضوا عن الايمان به استكباراً وتولوا عن تصديقه نفاراً (وأجاب) دعوته وصدق نبوته جماعة من قومه وغيرهم من رجال ونساء وفيهم جملة من ذوى الشرف والرفعة في قريش من بني عبد مناف وغيرهم ومازالوا يزيدون حتى قاربوا أربعمائة انسان من رجل وامرأة واسماؤهم فى السير مذكورة وفي التواريخ مسطورة وكثير منهم معروف مشهور لايحتاج أهل العلم في معرفته الى ذكره هنا وقد دخلوا في دينه ارسالا بعد ماشاهدوا أعلام النبوة لائحة عليه وأبصروا دلائل الرسالة ظاهرة على يديه طائعين غير مكرهين وتحملوا في ذلك أذى قومهم والاضطهاد من عشائرهم واستسهلوا في الايمان بآيات الله الزاهرة والتصديق بمعاجز الرسول الظاهرة صعوبة المفارقة لديارهم ومحل قرارهم بالهجرة مرة الى الحبشة وأخرى الى المدينة (وكان القائم) بحماية النبي صلى الله عليه وسلم وكف أيدى مناويه عنه ودحر معاديه ومباديه بالبغض الكاشح ودفعهم عن الوصول اليه بأذية باذن الله عمه الصنديد ومحبه الاكيد أبوطالب بيضة البلد وحايف الشرف الأتلد مع ثلة قليلة من رهطه ثم هدى الله بمنه ولطفه الى اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم أهل المدينة من الأوس والخزرج وكان اقوى الاسباب في اصغائهم الى قوله مايسمعونه من أحبار اليهود من البشارة به فبايعه منهم فى أحد المواسم اثني عشر رجلا من ساداتهم وكان ذلك بعد وفاة أبي طالب عليه السلام (ثم بايعه) منهم في الموسم الآخر من عام قابل على الدين والطاعة والمتابعة والنصرة أثنان وسبعون رجلا فى سعبة منى واتخذ منهم اثنى عشر نقيباً عليهم وذلك في عام الهجرة والتمسوا منه الخروج معهم الى بلادهم فقال اني أنتظر في ذلك أمر ربي ووعدهم بقرب ماطلبوا فلما رجعوا الى بلادهم أمر النبي صلى

الله عليه وسلم المسلمين بالرحيل الى المدينة فهاجروا اليها متفرقين وبعد مدة يسيرة أذن الله له في الهجرة وأتاه جبرئيل يأمره عن الله بالتعجيل فاختفى في الغار ثلاث ليال وقريش يطلبونه ويصلون الى الغار فلا يبصرونه وبعد الثلاث خرج مهاجراً وتوجه الى طيبة بأسعد طالع وكان الانصار ينتظرون وصوله اليهم ويتطلعون طلوعه عليهم فقدم المدينـة فى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول وعمره اذ ذاك ثلاث وخمسون سنة فأحلّه الانصار المحل الرفيع وبوّأه الله المبوّأ المنيع فبقي عشر سنين داعيا الى دين الله بالمعجزات والبراهين مجاهداً في سبيل الله كادحا نفسه في طاعة الله مصدقا لمن مضى من الرسل موضحاً لما أُبهم من السبل حتى انتشر دينه واشتهرت دعوته وعلت كلمته ودخل العرب في الاسـلام افواجا وهذا مختصر أحواله وسيرته وشرح ذلك على التمـام بايراد الروايات وما صدر من المقاولات يحتاج الى كتاب مفرد ويخرج بنا سطره عن المراد والمقصد فلذا اكتفينا عن التفصيل بمـا أجملناه وما ذكرناه معروف عند أهل التاريخ والسـير مشهور بين أرباب الرواية والأثر متواتر بين علماء المسلمين لايرتاب فيه من أهل الملة ذو معرفة ونظر (فان قال قائل) لم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالسيف وجبر الناس على الدخول فى دينه ولم يقتصر في بعثه الى الخلق على الانذار والوعظ والتـذكير كما بعث الله بذلك بعض الانبياء مثل نوح وعيسى عليهما السلام (قلنا)هذا السؤال من أضعف الشبه وسيأتى تصريح به أواشارة اليه في كلام النصراني وتقدم تعريضه به في آخر بابه الثاني في قوله فهكذا كان انتشار دين المسيح ولم يداخل انتشاره جبر ولا اكراه كانتشار دين الاسلام (وجوابه) ظاهر ظهور الشمس فى رابعة النهار وان كان لايبصرها فاقدوا الابصار لأن العميان لايشاهـدون ضياء

الانوار وهو من وجهين (الأول) ان هـذا مما حكم الله به وحتمه وهو أعلم بوجه المصلحة وعنده حقيقة الحكمة ولا يُسئل عما يفعل فلا يقال لِمَ بعث فلانا بالوعظ والتذكير خاصة وفلاناً بالسيف والقهر لأن فعله تعالى على حسب مصلحة العباد وهو أعلم بها منهم فليس لأحد منهم الاعـتراض على خالقهم بل عليهم الرضاء والتسليم لأمره واعتقاد أن ما أمضاه من الحكم والتدبير حق وصواب وقد حقق الخصم النصراني هذه القضية وصححها مراراً واعتمد عليها في مطالب كثيرة من كتابه فليس له أن يردها علينا هنا بل الواجب عليه القبول (والثاني) ان الله سبحانه وتعالى قضى فيما قضى وقدّر فيما قدّر أن يختم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء والرسل وبشريعته جميع الشرائع وأن يظهر دينه على كل الأديان ويجعله مستمراً الى انقطاع زمان التكليف ووعده بذلك فيما أوحى اليه كقوله تعالي (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَـكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) وفي قوله تعـالى (هُوَ الَّذِي ارْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) وكان افتتاح دعوته بالعرب وهم كانوا أهل غارات ونهب وأصحاب اختـلاسات وسلب قد غلبت عليهم الفظاظة والجفوة واستحكمت في قلوبهم الغلظة والقسوة يقطعون الأرحام ويسفكون الدم الحرام ويرتكبون الآثام وكانت الحروب بينهم تتلظى قد استعرت نارها وتطاير شررها وقد جمدوا مع ذلك على عبادة الأوثان وطاعة الشيطان واصطلحوا على أشياء من الديانات الفاسدة من تحريم وتحليل جعلوها بمنزلة الأحكام كتحريم الوصيلة والسائبة والحام وغير ذلك من المذاهب التي اخترعوها بمجرد الظنون والأوهام وصارت بينهم

ثابتة يلتزمون بها تمام الالتزام وكل هذا معلوم من اخلاقهم وسيرتهم عند كل عارف بأخبارهم وطريقتهم وقد جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يزيل كل ما ألفوه ويبطل جميع ماعملوه وينكر من أفعالهم ماعرفوه والتحول عن مألوفاتهم من أصعب الامور وأشدها عليهم فلولم يكن في منعة منهم وتحصّن بناصريه عنهم لعاجلوه بقساوة قلوبهم وقتلوه وفات بقتله الغرض المقصود (ويدل على ماقلناه) أن قريشاً لما رأوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم قد استفحل وعظم وعلموا أن الخزرج والأوس قد شايعوه وبايعوه اجتمع الملأ منهم في دار الندوة يتشاورون في قتل رسول الله حتى اجتمع رأيهم على أن ينتخبوا من كل بطن من بطون قريش رجلا أو رجلين ويكون معهم رجل من بني هاشم فيكبسوا النبي صلى الله عليه وسلم في داره ليلا ويهجموا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد حتى يقتلوه فيتفرّق دمه في قريش ويذهب هدراً ولا يستطيع بنوا هاشم أخذثاره لأنهم شاركوا في دمه فانطلبوا دية عنه أعطوهم عشر ديات وكان ذلك منهم ارادة لقطع أصل الدعوة المخالفة لماهم عليه من الضلالة التى يحسبونها لشدّة عنادهم وعصبيتهم هدى فنزل عليه جبرئيل عليه السلام يخبره عن الله تعالى بما أجمع عليه القوم وتلا عليه قوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) وأمره عن الله جلّ وعلا بالهجرة الى الدار التي اختارها لأظهار عزه وجعلها مقر مملكته ومحل انتشاردعوته وأن يبيت ابن عمه علياً على فراشه ليتشاغل به المشركون عن طلبه في أول خروجه وخرج به الامين جبرئيل الى الغار بجبل ثور أول الليل والقوم محدقون بالباب

وهم لايرونه فدخل ذلك الغار ومعه أبو بكر بن أبي قحافة وبات عليّ عليه السلام متشحاً ببرد رسول الله (الحضرميّ) والقوم ينظرون اليه ويظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ينتظرون بقتله تنفس الصبح فجعلوا يقذفونه ليلا بالحجارة وهو لايكلمهم فلما جاء الوقت شدوا عليه ليقتلوه فوثب عليهم كالليث الغضبان فلما عرفوه كفوا عنه لأنهم ليسوا اليه قصدوا (١) وسقط في أيديهم واجتهدوا فى طلب النبي صلى الله عليه وسلم مذ أصبحوا في الشعاب والجبال ومعهم رجل يقص الأثر فأتى بهم حتى وقف بهم على باب الغار وقال لهم ماجاز محمد هذا المكان ولكن لا أدري أصعد فى السماء أم نزل في الارض فردهم الله بقدرته عن النبي صلى الله عليه وسلم خاسئين ولم يروه وكانوا باذلين جهدهم وكدّهم فى طلبه غير مقصّرين فى ذلك ولا وانين ولكن من غالب الرحمن لاشك مغلوب وبعد ثلاث ليال توجه بأمر الله الى المدينة كما ذكرناه أولا وما أوردناه محقق عند أهل السير والتواريخ وكتب الحديث والتفسير معلوم عندهم بالتواتر فلما علم القوم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد وصل المدينة وعرفوا أنه قد بلغ المأمن وأن الحيّ من الأنصار قد أجابوه الى مادعا وقبلوا دينه وأنه سيظهر عليهم فيقلع أس دينهم اجتهدوا في جمع الجيوش الى حربه وتأليب من يحوحوهم من العرب الى قتاله وقصدوه في داره وقراره مراراً ليستأصلوا شأفته ويخمدوا نيّر طلعته وعرض عليهم يوم بدر المسالمة وألاّ يعرض لهم بسوء ولا يعرضوا له به وأن يتركوه وسائر العرب فأبوا الا المناجزة والمنابذة فلولم يجالدهم مع أنصاره فى تلك المواقف بالصوارم ويقارعهم في تلك المشاهد باللهاذم لأراقوا دمه واستحلّوا محرمه وذهبت تلك الدعوة لعدم استقرارها بعد فى

(١) قوله وسقط في أيديهم أى ندموا ومنه قوله تعالى ولما سقط فى أيديهم اهـ

القلوب هباء منثورا وفات مطلوب الله من اظهار دينه واعلاء كلمته وهذا لا يسوغ فى ارادة الله وحكمته لكن دفع الله عنه كيدهم بمنازلة الأقران ومصاولة الشجعان فردوا بغيظهم وانقلبوا خاسرين وكان ما أراد الله ثم ان عامة العرب لفرط حمقهم وتوغلهم في غوايتهم وشدة قساوة قلوبهم لا يتعظون بوعظ ولا ينزجرون عن غيهم بزجر ولا يرجعون عن ضلالهم باظهار المعجزات واقامة البينات ولا يلتفتون الى الدلائل الواضحة والبراهين النيرة فلو اقتصر في دعائهم الى الاسلام على مجرد الوعظ والتذكير واظهار المعجز المنير لم يدخل في الاسلام منهم الا من يكون بالنسبة الى جميعهم كالقطرة في البحر والخردلة في القفر فلا يحصل مراد الله فأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يضاربهم بالسيوف الفواصل ويطاعنهم بالرماح الذوابل بعد الدعاء والاخبار والانذار والاعذار بقوله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) تتميما لمشيئة الله وابرازا لما أراده من اعلان دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعزازه فدخل عامة العرب لذلك في الدين وحصلوا فيه بعد التبصر على اليقين وتمت كلمة رب العالمين صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته (وأما أهل الكتاب) من اليهود والنصارى ومن لهم شبهة كتاب كالمجوس وكذلك بقية أصناف الكفار من الدهرية وعبدة الأوثان من غير العرب فقد تجبلوا على أديانهم وعقائدهم غاية التجبل وأشربوها فى قلوبهم نهاية الاشراب وكل فريق منهم يقدرون بحسبانهم أنهم على الحق وأن دينهم مستمر الحكم الى آخر الدهر ويعتقدون أن من دعا الى مخالفته مبطل مستوجب القتل ونبينا صلى الله عليه وسلم قد أتاهم بنقض ما تجبلوا عليه من العقائد الفاسدة والأحكام الباطلة وما اعتمدوه من الشرك أو الكفر فلو لم يكن ذا سلطان وقوة وبطش وسطوة لسارعوا الى قتله قبل استحكام الاسلام

وانتشار الدعوة كما بادر اليهود الى قتل المسيح بن مريم وقد جاءهم بأسهل عليهم مما جاءهم به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمراتب وقصدوا اليه فأخفاه الله عنهم ورفعه الى السماء وألقى شبهه على من دلّهم عليه فقتلوه وصلبوه كما أخفى نبينا صلى الله عليه وسلم عن المشركين ليلة الغار اذ جاؤا ليقتلوه كما شرحناه وقد قتل اليهود يحيى وأباه زكريا مع اعترافهم بأنهما نبيان من أنبياء بنى اسرائيل اذ أنكرا عليهم مخالفة بعض أحكام التوراة وكان اليهود يقتلون الانبياء ولا يبالون ولا يتحرّجون ولا يتأثمون وليس النصارى والمجوس بدونهم في استحلال دم من دعاهم الى عكس ماهم عليه من الديانة ولا بأبرّ منهم ولا أتقى وغيرهم من الكفار شر منهم ولو قتل النبي صلى الله عليه وسلم في أول اشتهار نبوّته للزم وقوع ضدما أحبّه الله من تعلية كلمته وذلك محال على أن اليهود الذين كانوا بالمدينة أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم سراً اذ لم يتمكنوا من ذلك جهراً فأرصدوا له مراراً ليقتلوه غيلة فى أيام مسالمته لهم وفى كل مرة ينزل عليه الوحي فيخبره بما أسرّ اليهود له من الغدر وما أضمروه به من الفتك ويأمره بالتمنع منهم والتحرّز عنهم وأراد بعض النصارى اغتياله في الشام حين صحبه عمه أبو طالب معه في سفره وهو حينئذ يافع لم يبلغ مبلغ الرجال ولم يدّع نبوّة الا أنهم عرفوا فيه الصفة المذكورة في التوراة والانجيل للنبي المبعوث من العرب فنهاهم عن ذلك بحيرا الراهب فصرفهم الله بقدَره عما عزموا عليه وهذا في السيرة وغيرها مثبت مبيّن وهو من جملة آياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة فهذا ما أراد به أعداء الله وهو فى قدرة ومنعة وقوة ورفعة فما ظنك بهم لو أبصروه فاقد العزة والاقتدار وعادم العون والانصار اذاً لعاجلوه بالقتل جهرة ولم يُنظروه ساعة من نهار ثم ان الطوائف الثلاثه

لارتكاز ما ألفوه من الاعتقادات والمذاهب الباطلة فى قلوبهم لا يعدل معظمهم عن الخطأ بحجة بيّنة ولا بدلالة واضحة ولا يميل الى الاستبصار ولا يجدى فيه نفعاً الوعظ والارشاد كما هو المشاهد من أحوالهم في جميع الاعصار فأمر الله النبي أيضاً بقتالهم كما أمره بقتال مشركي العرب وغيرهم ليفيئوا الى الحق ويقروا بالصدق الاّ أنهم لما كان البعض منهم متمسكا على جهة الظاهر بكتاب كاليهود والنصارى والبعض له شبهة كتاب كالمجوس أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم أولا الى الاسلام كغيرهم من المشركين والكافرين فان أبوا وتلكئوا دعاهم الى اعطاء الجزية والدخول في الذمة فان لم يجيبوا قاتلهم فقال تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) تكميلا لما أعلنه الله وشاءه من ظهور دين نبينا صلى الله عليه وسلم على الاديان واستمراره الى آخر الزمان ليكون أهل كل دين داخلين تحت حكمه وثابتين فى موطئ قدمه ولولا وقوع التشاجر والاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم المؤدي الى فقدانهم الرئيس السديد الذي يجمع كلمتهم ويلم شعثهم ويثقف أودهم ويقيم ميلهم لعلت كلمتهم على جميع أهل الملل والنحل حتى لم يبق أحد من أهل الاديان الا دخل في دين الاسلام (وسيكون) ذلك اذا نزل المسيح بن مريم موازراً لامام هذه الأمة ومظاهراً لآخر الائمة من أوصياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وليس بعيداً كل ما هو آت فما بيناه هو السبب الظاهر فى بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالسيف (وقد كان) موسى عليه السلام مبعوثاً بذلك وسيأتي بيانه وأحل الله له وللمجاهدين

معه غنائم أهل الشرك وجزية أهل الكتاب ليتقوّى هو وجنوده على الجهاد لاشتغالهم به عن اكتساب المعائش (وهذه) من المصالح الواضحة لدي أهل المعرفة والفطن فزال الاشكال واندفع السؤال ونرجع الآن الى تحقيق الحال في اجتياح مالفّقه النصراني في هذا الباب من المحال فنمحو أثره بالخسف والزلزال ونبطل رجرجته بصحيح المقال (فنقول)

﴿ المنطق الاول ﴾

في ازهاق مقدمة بابه التى هيأها للكلام
فيما تثبت به نبوّة مدّعى النبوّة وفيه مواقف

(الاول) في تغليطه في الشرط الاول (قال النصراني) في أوائل الباب انه في سنة ستمائة وعشر للمسيح ظهر في أرض الحجاز في مدينة مكة رجل اسمه محمد ودعا الناس الى اتباعه والاقرار بنبوّته ورسالته مدّعياً بأنه نبي ورسول وأن كتابه أي القرآن أنزل عليه من الله هدى للناس

(أقول) اني قد ذكرت في مقدمة المقالة نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله وحقيقة أمره بما فيه الكفاية عن اعادته هنا

(قال النصراني) ولكن اذ كانت النبوّة لا تقوم بمجرّد الادعاء بل يجب اثباتها بالبراهين الصادقة كان واجباً على كل منا أن يدقق في الفحص والتفتيش ليرى اذا كان محمد قد أثبت صدق نبوّته ورسالته ببراهين مقنعة أم لا

(أقول) أمّا تدقيق النظر في الفحص والتفتيش عن برهان مدّعي النبوة ليعلم بذلك صدقه أو كذبه فهو واجب قطعاً لكن التعصب والعناد والتأويل الباطل وتمحل المحالات وانكار الضروريات وتغطية الواضحات كما فعل الخصم غير جائز بيقين ولا مسوّغ بل الواجب الفحص مع ملازمة النصف وطلب الهداية فقوله بعد فلنطرح عنا كل تعصب وعناد وعد ما وفى به

ولا التزم بمقتضاه (قال) ان كل نبي جاء رسولا آتياً بكتاب موحى به يشترط لصدق ثبوت نبوته ورسالته وجود شروط فيه وشروط في كتابه

(أقول) توقف ثبوت النبوة على شرط وهو الامر الدال على صدق دعوى النبوة مما لاشك فيه لاكل ماذكره من الشروط الاربعة (فقال) وأما الشروط المطلوب وجودها فيه فهي (أولا) انه يجب عليه أن تكون أقواله وتعاليمه وكتابه مطابقة لاقوال من تقدمه من الانبياء وكتبهم وتعاليمهم في الاركان والقواعد الجوهرية (وذلك) لأن كلام الله هو صادق ثابت لايمكن وقوع أدنى خالل أو تناقض وتضاد فيه لامحالة (أقول) هذا هو الشرط الاول من شروطه ومجمل القول فيه انا قد بينا في المقدمة ومبحث النسخ أن الاحكام على قسمين أصولية وفروعية وأن الفرعية أيضاً على قسمين (أحدهما) ماهو ملحق بالاصول في استمرار الثبوت وعدم جواز التغيير (والثاني) ماهو جائز النسخ والابدال بغيره (فأما القسم الاول) ويجمعه الايمان بوحدانية الله وصفاته الجلالية والكمالية والتصديق بعدله وحكمته والاقرار بأنبيائه ورسله وكتبه والاعتراف بامامة أوصياء الرسل والاذعان بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار (وكذلك القسم الثاني) من قسمي الفروع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الظلم والجور والزنا واللواط وشرب الخمر وترك الفرائض والعبادات المفروضة وما جرى هذا المجرى فالناس في ذلك كله متساوون في التكليف فيجب فيه مطابقة جميع شرائع الانبياء وكتبهم بعضها لبعض (فان كان) مراده بالاركان والقواعد الجوهرية في كلامه هو هـذا فنحن نشترطه فمتى جاءنا من يدعي النبوة بشيء من ذلك يناقض قول من تقدم عليه من الانبياء علمنا انه كاذب وان كتابه باطل البتة (وبهذا الوجه) حصل لنا العلم الجازم واليقين بأن

مسيح النصارى الذى أخبروا عنه بأنه يزعم أنه رب من دون الله أو مع الله أو أنه ابن الله وأنه متحد به وأنه أسقط عبادات الله وفرائضه المكتوبة فى التوراة ليس برسول ولا نبي بل هو كذاب مفتر لادعائه نقيض ماجاء به من سبقه من الرسل من تمجيد الله سبحانه وتعالى والاقرار له بالوحدانية الحقيقية والاعتراف له بالعبودية وأمر أممهم بأداء فرائضه الظاهرة وعباداته البدنية وأن كتب علماء النصارى مثل بشارة يوحنا ومتّى وغيرهما من البشائر والرسائل التي سماها النصارى اناجيل باطلة مجتثة الاصل ومقطوعة الفرع لتصريحها بصحة تلك الدعاوي الفاسدة الكاسدة التي ما أنزل الله بها من سلطان المناقضة لما دعا اليه جميع رسل الرحمن بكل منطق ولسان وأن مصنّفيها ليسوا بأنبياء ولا بررة أتقياء لاعلانهم فيها بما يناقض قول الرسل الكرام وكتبهم فيما ذكرناه

(وانما نؤمن) بالمسيح عيسى بن مريم الذي أقر لله على نفسه بالعبودية وأمر أمته بعبادة الله وبشرهم بنبينا محمد بن عبد الله وهو الذى أخبرنا القرآن عنه بقوله (إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) وبقوله (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) وبقوله (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (ونؤمن) بانجيله الذى نزل عليه فغيّره النصارى وحرّفوه بأهوائهم والتصديق به يستلزم التصديق بنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه بشّر به (ونؤمن) بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن لموافقتهما في جميع ذلك ما جاءت به الرسل ونطقت به الكتب وقد ذكرنا جملة منه في المقالة الثانية صريحاً وكل ما أبرمناه

بين تصديق القرآن ومن جاء به وتكذيب مسيح النصارى وكتبهم هو مقتضى ما اشترطه النصراني في صدق النبوّة كما ترى فشرطه مبطل لدينه ومكذب لكتبه فصار كلاّ عليه (وأما الموافقة) في القسم الثاني من قسمي مسائل الفروع فليس بشرط في صحة النبوة لوجهين

(الاول) ما بيناه وأوضحناه في مقدمة الكتاب والمقالة الاولى من جواز نسخ ماتختلف فيه مصالح التكليف من الاحكام بحسب اختلاف أشخاص المكلفين وأزمانهم وأحوالهم بل وجوبه ووقوعه في الشرائع وفي شريعة واحدة (ومقتضاه) عدم وجوب مطابقة شرائع الانبياء بعضها البعض في جميع الاحكام الجارية هذا المجرى فلا تكون المطابقة في ذلك شرطاً في صحة النبوّة

(الثاني) ان المطابقة فى جميع الاحكام لو كانت شرطاً في ثبوت النبوّة لبطلت نبوّة عيسى وكتابه لتصريح النصراني فيما سلف من كلامه بأن عيسى رفع عنهم فرائض التوراة من الختان وغيره ونقض السبت وأبدله بالأحد وأوجب عليهم بدل عبادات التوراة من صلاة وصيام وغيرهما الزمزمة وتعليق الصليب وضرب الناقوس وأن كتابه نطق لهم بذلك وكل هذا مخالف لماجاء به موسى قومه ولما نزل فى التوراة وهؤلاء علماء اليهود يشهدون بأن توراتهم ليس فيها تعليق صليب ولاضرب ناقوس وأن فيها فرائض وعبادات بدنية (فبموجب) شرط النصرانى أن عيسى ليس بنبيّ وأن كتابه باطل لمخالفتهما ماجاء به موسى ومانطقت به التوراة وهو لايرضى بذا فأين شرطه ثم إن نبوة موسى أيضاً تكون باطلة وكذلك توراته لأن موسى جاء بتحريم أشياء كانت محللة في شرع ابراهيم الخليل وقد بيّن ذلك في سبب نزول قوله تعالى (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَاحَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَي نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ

التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فظهر كذب اليهود في دعواهم ان كل شئ من الاطعمة محرم في التوراة فهو محرم في شرع ابراهيم وكذلك تبطل نبوة ابراهيم خليل الله لأنه جاء بأشياء لم يأت بها نوح مثل الختان وغيره وهكذا تبطل نبوة نوح لأنه جاء بتحريم أشياء كانت محللة في شرع آدم كتحريم نكاح الاخوات المحلل في شرع آدم بزعم أهل الملل (فبموجب) شرط النصراني ان أراد بالأركان والقواعد الجوهرية في كلامه جميع الاحكام تبطل نبوات كل الأنبياء ولا تثبت نبوة نبي بعد آدم قط اذ لا نبي له شرع الا وفي شرعه مخالفة في بعض الاحكام لشرع من قبله ولو اتفقت الشرائع في كل حكم لاقتضى عدم بعث رسول بشرع جديد (وهذا) من أوضح الامور بطلانا وأظهرها فساداً فما أطلقه النصراني من الاشتراط متحقق البطلان والزوال لاستلزامه بطلان نبوات جميع الأنبياء مسيحه وغيره والرجوع الي الجهالات (وكيف) يصح شرط هذا مقتضاه وصريحه وفحواه (وأما) توجيهه شرطه بعدم امكان أدنى خلل أو تناقض وتضاد في كلام الله فليس بوجيه بل هو غلط منه أو مغالطة فان تغيير بعض الاحكام لتغير المصلحة الموجبة له لا خلل فيه بل هو مقتضى الحكمة كما أن تغيير الطبيب الحاذق الدواء للمريض بحسب تغير حال العلة ليس بخلل في طبابته ولا بنقص في حذقه بل هو دليل على تبحره في صناعة الطب وتعمقه فى الحذق والله سبحانه وتعالى هو المداوى لعباده بالتكاليف الشرعية من أمراض الغفلة ومطببهم بما اقتضت مصالحهم من الاحكام من علل الجهل والشقاوة لينالوا الصحة الأبدية والعلم الدائم بقدرته والسعادة السرمدية والتناقض والتضاد شرط حصولهما اتحاد الموضوع والمحمول والزمان فقيام زيد مثلا لايناقض قعود عمرو وقعود زيد

لا يناقض قيامه وقيامه صبحاً لا يناقض قعوده ظهراً وهكذا التضاد وتغيير الاحكام في الشرائع المعبر عنه بالنسخ من هذا القبيل ولا تناقض فيه ولا تضاد أصلا وقد أشرنا الى هذا في بعض مباحث مقدمة الكتاب وذكرنا ان داعي النصرانى للاحتجاج على عدم جواز النسخ بنفي التناقض فى كلام الله دليل على جهله بمعنى التناقض وعدم احاطته بشروط حصوله فهو يقول مالا يعلم ويحتج بمالا يفهم ويكرر ذلك مراراً ظنا منه انه أسكت خصمه وغلب مناظره كما طوّعت له نفسه اشتراط شرط يبطل به جميع رسالات الرسل لفرط غباوته وعدم تفطنه لما يقتضيه شرطه وهذا من الجهلة الاغبياء مثله غير بدع ولا مستنكر على ان مانفاه من امكان الخلل والتناقض والتضاد فى كلام الله قد أثبته بزعمه أن المسيح أسقط عنه وعن أصحابه النصارى فرائض التوراة مع اعتقاده ان كلاً من الحكمين كلام الله فشرطه مبطل لزعمه فتأمل

(الموقف الثاني) في دعائه بالحكمة والموعظة الحسنة في بيان الشرط الثاني

(قال) ثانيا انه يجب عليه أن يكون قادراً على اظهار المعجزات والاخبار عن المغيبات أى الحوادث قبل وقوعها (اقول) اما اشتراط القدرة على اظهار المعجز فى ثبوت النبوّة فهو معلوم لاشك فيه ولا شبهة

(ولما كان) الرجل ترك بيان معنى المعجز فنحن نبين حده وتعريفه

(فنقول) المعجز في اللغة هو مالا يقدر الانسان على فعله وفي اصطلاح أهل الشرائع هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدى والمراد بخارق العادة ماليس فى وسع البشر الاتيان به وبمطابق الدعوى مايوافق دعوى المدعي ليكون بينةله والمقرون بالتحدى مايؤتى به للاعجاز ابتداء أو بعد الاقتراح نخرج (بالاول) ماكان من الامور العادية ككثرة الاكل وقلة النوم مثلا والحذق فى الصناعات كالصياغة والخياطة وغيرها (وبالثاني)

المخالف للدعوى كبعض ماجرى على يد مسيلمة بن حبيب الكذاب فقد روى أن قومه أتوه برجل أعور فقالوا له ان اخاقريش يعنون نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يتفل في عيون العميان فيبصرون فاتفل في عين هذا العوراء لتبصر فتفل فيها فعميت عين الرجل الصحيحة وقالوا له مرة ان أخا قريش يتفل في البئر القليلة المـاء فيكثر ماؤها ويجيش وعندنا بئر ماؤها قليل فاتفـل فيها ليكثر ماؤها فتفل فيها فغاض ما فيها من المـاء وجفت ومن البيّن أن عمى عين مبصرة بسبب تفلة في عين عمياء وغور ماء بسبب تفلة انسان فيه من الامور الخارقة للعادة لكنه غير مطابق للدعوى ولا موافق للمطلوب (وبالثالث) الكرامات التي تظهر على أيدى أولياء الله فانها وان كانت خارقـة للعادة الا انها لم يؤت بها للاعجـاز (ودلالة) ظهور هذا الامر على صدق دعوى النبوة يحصل من مقدمات عقلية (الاولى) وجود صانع للعالم عالم بكل شيءٌ قادر على كل مقدور حكيم فى أفعاله مستغن عن غيره (الثانية) ارادته تبليغ أوامره ونواهيه الى خلقه وهى التكاليف الشرعيـة (الثالثة) تنزّهه عن فعل القبيح والاخلال بمـا وجب في الحـكمة (الرابعـة) قبح الكذب على الله (الخامسة) قبح تصديق الكاذب من القادر على تكذيبـه فبملاحظة هذه المقدمات الثابتة بضرورة العقل يعلم العقلاء يقيناً انه متى ادعى رجل النبوة وظهر على يديه المعجز أن اظهاره من الله تصديقاً لدعواه لأن أحداً من البشر لايقدر على فعله حتى يحتمل أن المدعي فعله فهو صادق اذ لو كان كاذباً لم يظهر الله على يده ما يدل على صدقه فيكون نبيا لامحالة ومحصـل ذلك أن كل من ادعى النبوة وأظهر المعجز فهو نبيّ كائنا من كان ولا يتوقف ثبوت النبوة على أكثر من ذلك مثـل مطابقة أحكامه لاحكام من سبقه من الرسل كما قدم الرجـل اذ لو

توقف على ذلك لم تثبت رسالة موسى على بني اسرائيل حتى يقفوا على جميع ماجاء به من الاحكام ويحققوا مطابقتها لشرع ابراهيم ولكان فرعون وقومه معذورين فى عدم ايمانهم بموسى بعد اظهار المعجز حتى يعلموا ذلك ولكان كل من كذب الرسل من الكفار معذوراً حتى يتحقق ذلك أيضاً واللوازم بينة الانتفاء فالملزوم مثلها على ان الالتزام بما ذكره مقتض لعدم ثبوت النبوة بالمعجز فلا تبقى فى اظهاره فائدة لمدعى النبوة وهذا باطل قطعاً (وأيضاً) ان قبول حكم النبي صلى الله عليه وسلم وجوبه فرع على ثبوت نبوته والاصل لايتوقف على فرعه فلو توقف ثبوت النبوة بعد اظهار المعجز على موافقة حكم النبي صلى الله عليه وسلم لحكم من قبله لتوقفت نبوته على فرعه وهذا واضح الفساد (ووجه آخر) وهو ان النبي تجب له الطاعة على أمته مطلقاً فلو توقف ثبوت نبوته على موافقة شرعه لشرع غيره لم يكن واجب الطاعة مطلقاً بل كانت الطاعة لذلك الغير وهذا تناقض بيّن فلا يتوقف ثبوت النبوة اذاً على غير اظهار المعجز وبعده يجب على الامة طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقبول حكمه كائناً ما كان ثم ان المعجز اذا ثبت من وجه ثبت من جميع الوجوه (وتفصيل هذا الاجمال) ان مدعى النبوة اذا اظهر لمعاجزيه مايعجز عن فعله الذين من شأنهم أن يفعلوه لو كان مقدورا للبشر وكان مطابقاً لدعواه تحقق كون ذلك الامر معجزاً على الاطلاق ولزمت به الحجة من ليس من شأنه ذلك ومن بلغه اظهاره بالتواتر أو الاشتهار التام ولم يتوقف الاعجاز فيه على موافقة جميع من يتوهم قدرتهم على الاتيان بمثله لو كان في وسع البشر أن يأتوا بمثله ولم يعذر في ترك تصديق مظهره من لم يكن من أهل ذلك الشأن من العوام (وذلك) مثل ما أظهره

موسى بن عمران من التقاف عصاه عصيّ السحرة الذين جمعهم فرعون لمعارضته وحبالهم فانه ثبت كونه معجزاً بالنسبة اليهم من جهة علمهم لاحاطتهم بوجوه السحر بأن ما أتى به موسى من التقاف عصاه ماموّهوا به واذهابه حتى لايرى له اثر أصلا ليس بسحر وأنه من فعل الله وثبت أنه معجز في حق غيرهم من الخواص والعوام لثبوت ذلك بالنسبة اليهم لحصول العلم لمن لايعرف السحر بأن ما فعله موسى لوكان سحراً لقدر السحرة على الاتيان بمثله ولولا ذلك لم تقم لموسى حجة على فرعون وقومه بما أظهره لهم ولم ينقطع عذرهم لان لهم على عكس ماقلناه أن يقولوا لموسى خصوصاً العامة الذين لايعرفون السحر بالمرة ولايفهمون معناه لعل ماجئتنا به نوع من السحر لم يبلغ اليه علم سحرتنا وبلغه علم غيرهم من أهل هذا الفن وفي العالم سحرة كثيرة كبابل العراق وغيرها فلا نقطع بأنّما أظهرته لنا هو من فعل الله تصديقاً لك في دعواك حتى نعلم عجز كل السحرة في أقطار الأرض عن الاتيان بمثل فعلك فحينئذ ينقطع موسى عليه السلام ولا يبقى لما أتى به وضوح في الحجية عليهم (وكذا) يقول العوام الذين لا معرفة لهم بالطبابة لعيسى عليه السلام انا لا نعرف الطب ونحتمل أنّ ما أظهرته من ابراء الاكمه والابرص وغير ذلك نوع منه لم تصل اليه معرفة أطبائنا وفى أصقاع الارض كثير من الاطباء ولعل بعضهم يفعل مثل ماتفعل فلا نقطع بأن ما أظهرته من فعل الله ليصدقك فيما تدعيه حتى نعلم عجز جميع الاطباء في كل صقع عن الاتيان بما يشبه فعلك فكان ينقطع عيسى ولا تقوم عليهم له بما اظهره حجة بالغة (وهكذا) يقال لجميع الانبياء بعد اظهار الخوارق فلا تثبت على هذا لنبي نبوة لعدم تحقق الاعجاز فيما أظهره اذا كان يتوجه عليه مثل هذه التشكيكات ومن أبين البينات انتفاء هذا اللازم ولا مخلص

منـه الاباثبات ماقررناه من ثبوت المعجز على الاطلاق اذا ثبت من وجه وفي عدول فرعون وقومه عن موافقة موسى عليه السلام بذاك الاعتذار الى مجرد الاعراض والاستكبار دليل واضح على تحقق ماحققناه فاذاً صح ماقلناه من ان المعجزاذا ثبت كونه معجزا من وجه ثبت له ذلك على وجه الاطلاق والعموم

فعلى هذا نقول ان القرآن تحقق عند بلغاء العرب أنه ليس من كلام البشر لعجزهم عن الاتيان بمشبهه من الكلام العربي فيكون كلام الله جل وعز وتحقق ذلك عند عامتهم وعند من لايحسن العربية من أهل كل لسان أنه ليس من كلام الناس لحصول العلم الجازم لهم بأنه لوكان من كلام أحد من العرب لأمكن بلغاءهم ان يعارضوه ويأتوا بمثله فيحصل العلم بذلك لهم أنه من كلام الله وتلزمهم حجته ولا يعذرون في ترك الايمان به وعدم التصديق لمن جاء به مبشراً ومنذراً وكل من بلغه ذلك بتواتر أواشتهارلزمه من ذلك مثل مايلزم الحاضر المشاهد

(وبهذا التحقيق) زال ماموّه به النصراني فى فصله الثاني وشكك به في اعجاز القرآن من قوله بعد كلام فى المعنى فعلى هذا لو فرضنا أن فى القرآن بلاغة تتخذدليلا على كونه موحىً به من الله لكانت دليلا قاصراً لايقنع العوام من العرب ولا من يجهل اللغة العربية من غيرهم ولا يزول به ارتيابهم ولا تطمئن به قلوبهم انتهى (لأنا نجيبه) بأنه لم يبق من الناس كلهم من له أدني روية في جميع أقاليم الارض لاسيا بعد انتشار دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جهات العالم الا وبلغه خبر القرآن وعجز العرب جملة عن الاتيان بكلام مثله حتى جنحوا اذ عجزوا عن معارضته باللسان الى قرفه بأنه سحر أو شعر أو شبه ذلك مما ليس بشيء يصغى اليه ذو عقل أوَ ليس فى هذا مايقنع العاقل ويطمئن قلبه بأن القرآن ليس من

كلام البشر وأى عاقل منصف لايطمئن قلبه بمثل هذا الدليل الزاهر ويبقى عنده تردد أوتشكيك والعقلاء يقنعهم فى المطالب المهمة وتطمئن قلوبهم فيها بدون هذا الدليل في الظهور والوضوح والمشاغب المعاند لايزيح علته الا السيف وسيأتي لهذا مزيد تحقيق في محله فترقب

وأما الاخبار بالمغيبات المستقبلة والحاضرة بل وعن الامور الماضية فهى مندرجة تحت عموم المعجز وداخلة في حيزه يقيناً اذا طابق الخبر المخبر عنه دائماً ولم يكن الاخبار عن سبب ظاهر كالرواية عن الكتب والعلماء ولاعن صناعة معروفة كالكهانة والجزاءة التي يتوقف اخبار الكاهن والجزّاء من قبلها على نصب علامات معروفة عندهما يستدلان بها على ما اخبرا به ولذا كانا يصيبان تارة ويخطئان أخرى وخطؤهما اكثر من اصابتهما ومثل الامرين المذكورين القيافة والتنجيم وليس الاخبارعن الغيب قسما آخرخارجا عن حد المعجز ولاقسيما له ولايختص بالامور المستقبلة كما يظهر من كلام النصراني حيث عطف الاخبار بالمغيبات على المعجزات وقيد الحوادث بقبلية الوقوع فتفطن

(الموقف الثالث) فى مجادلة النصراني بالتى هي أحسن فى بيان شططه فى شرطه الثالث والرابع (قال) ثالثاً انه يجب عليه أن تكون جميع أقواله وأعماله لائقة بشأن النبوة وأن يكون فى كل تصرفاته طالباً تمجيد الله وباذلا جهده فى تتميم أوامره تعالى السنية (اقول) لاريب فى أن النبي يجب أن يكون متصفاً بما ذكره من لياقة أقواله وأعماله بشأن النبوة وكونه في كل تصرفاته طالباً لتمجيد الله وباذلا جهده فى اتمام أوامره تعالى الاأن ذلك ليس بشرط فى ثبوت النبوة بحيث كلما وجد في رجل وجب ان يكون نبياً كما هو مرام النصراني من جعل ذلك شرطاً لانا نجد كثيراً من العلماء المتقين والاولياء الصالحين متصفين بهذه الصفات ولم يكونوا انبياء

لعدم قدرتهم على اظهار المعجز فلو كان كل من اتصف بذلك يكون نبيا لكان كل أولئك انبياء واللازم باطل فالملزوم مثله ومن ذكرناهم موجودون في كل أمة بل يلزم أن يكون النصراني نبيا لأنه يزعم أن أقواله وأعماله مطابقة لأقوال الأنبياء وأعمالهم وأن تصرّفاته في طلب تمجيدالله وبذل جهده في تصنيف كتابه لأتمام أوامره وهو لايدّعي ذلك فبطل شرطه (واعلم) أنّ بين كون الشيء شرطاً لثبوت النبوّة وبين وجوب اتصاف النبيّ به فرقاً كما أنانقول ان النبي يجب أن يتّصف بالعصمة عن الخطأ مطلقاً أو في التبليغ عن الله خاصة كما يقوله النصارى وطائفة من المسلمين ولا نقول ان ثبوت نبوّته موقوف على اتّصافه بالعصمة (وبعبارة أخرى) نقول ان الحكم باتّصاف النبي بتلك الصفات المذكورة متأخر عن الحكم بثبوت نبوّته ولا يكون المتأخر شرطاً لوجود ما قبله لعدم جواز تقدم وجود الشيء على شرط وجوده ولغموض الفرق بين شرط الشيء وبين صفاته الواجبة له وقع النصراني في الشطط ولجهله بذلك تهجّم على الحكم فاختبط فاشترط في تحقّق النبوّة ما ليس فيه بمشترط فطاش سهمه وزلّت قدمه ثم ان شرطه يخرج مسيحه عن النبوّة لأنه أخبر عنه أنه يفعل ما يليق بشأن الربوبية واللائق بشأن الربوبية من قول أو فعل غير لائق بشأن النبوّة وأخبر عنه بأنه يدّعي الربوبية فلم يطلب تمجيدالله بتصرّفاته لأن تمجيد الله يقتضي نفي الشريك والمثيل عنه وأخبر عنه بأنه أسقط عن النصارى جميع الفرائض والعبادات التي أمر الله بها في التوراة فلم يكن باذلا جهده في تميم أوامر الله بل اجتهد في ابطالها فأين هذا المجترئ على الله والنبوّة لو تبصّر النصراني وميّز

(قال) رابعاً انه يجب عليه أن لايكره الناس ويجبرهم على قبول دينه اذ كان ذلك مما لايقودهم الى الايمان والمحبة والطاعة لله الصادقة بل

أن يدعوهم الى ذلك بالرفق واللين واعظاً ومعلّماً اياهم انتهى
(أقول) لاشك أن النبي يجب عليه بذل جهده في طاعة أمر ربه ونهيه ولا يجوز له التخلّف عن مقتضى الامر والنهي وهذا بعينه مفاد قول الخصم في شرطه الثالث ان النبي يجب عليه أن يكون باذلا جهده في تميم أوامر الله تعالى السنية ثم لاريب أن الله تعالى له التصرّف في خلقه والتوحّد في ملكه ولا يجوز لأحد من العباد الاعتراض عليه في حكمه فهو يأمر أنبياءه بفعل ما تقتضيه مصلحة الخلق في التكليف بموجب الحكمة من كفّ عن القتال والاقتصار على الوعظ والتعليم ومن جهاد من استكبر عن الحق وأعرض عن قبول الوعظ واستنكف عن الالتزام بالحجة وجبره على الدخول في الدين بعد الدعاء والاعذار اليه باقامة البيّنة على صدق النبوّة وعلى النبي طاعة الله في الأمرين الكف أو الجهاد وليس للنصراني وغيره أن يحجر على الله في ملكه ويدفعه عن التصرف في خلقه ويرد نافذ أمره ويعترض في حكمه ولا أن يمنع الرسول عن امتثال أمر مرسله ولا أن يرفع يده عن التصرف في امضاء حكم ربه بجهاد الكافرين والغلظة على الجاحدين المتكبرين (وقد احتجّ الخصم) بهذه المقدمة مراراً فليس له أن يطعن فيها هنا بيقين فان فعل كان فيما صحّحه من الكاذبين فليس اذاً عدم اجبار النبي صلى الله عليه وسلم الناس على الدخول في دينه بشرط في صحة نبوته كما قدّر النصراني بجهالته بل الواجب على الرعية بعد اقامة مدعي النبوة المعجز على صدق دعواه سمع قوله وطاعة أمره وانفاذ حكمه من كفّ أو قتال وليس لهم أن يردّوا غايه فيما يقول ويفعل لحصول اليقين بعد قيام البراهين انه لايقول ولا يفعل الا بأمر الله ولا يضع ولا يرفع الا بحكمه لأن الردّ عليه في الحكم رد على الله سبحانه وهو كفر وقد أمر الله موسى عليه السلام

بقتال القوم الجبارين فصرف الهمة في قتالهم لولا نكول قومه العاجزين فعاقبهم الله على ترك طاعة نبيهم فى القتال بالتيه في الأرض اربعين سنة ثم قاتل القوم الجبارين بعده وصيّه يوشع بن نون وقاتل اشموئيل وطالوت وداود وسليمان وكلّهم على شريعة موسى وسنته فلوكان قتال الكفار وجبرهم على الايمان بوحدانية الملك الجبار مبطلا للنبوّة لبطلت نبوّة هؤلاء الانبياء الأطهار واللازم معلوم الفساد وبيّن السقوط عن درجة الاعتبار (وأما) اعتذار النصراني في فصله الخامس عن اعتراض المسلمين بما أشرنا اليه بما حاصله ان الله لم يأمر عبده موسى أوّلا بدعاء الكنعانيّين الى الايمان واذا لم يؤمنوا يجاهدهم بل أمر بني اسرائيل ابتداء باستئصالهم جميعاً لسوء أعمالهم وكثرة معاصيهم وأن تلك الحروب لم تكن من أجل الدين بل محض مجازاة من الله للكنعانيين على أفعالهم وتنفيذ الغضب الالهى فيهم فهو زخرف من القول ظاهرة سخافته وميله عن المنهج القويم والصراط المستقيم وهو مردود مع ذلك بوجوه (الاول) حكم ضرورة العقول السليمة بقبح معاقبة الغافل قبل تنبيهه وقطع عذره وازاحة علّته باقامة الحجة عليه بالدعاء والانذار بالأدلة الواضحة والبارئ تعالى وتقدّس منزّه عن فعل القبيح فلا يجوز عليه لوفور حكمته وعموم رحمته أن يأمر بقتل قوم من خلقه واستئصالهم قبل أن يبيّن لهم ما يريد منهم ويحذّرهم عما يكرهه على لسان رسله وقد قدّم النصراني في بابه الثاني عن بعض كتبه من كلام الله بزعمه ما مضمونه (اني لا أسر بموت الشرير بل برجوعه عن الشر) ومفاد هذا كراهة الله أن يموت الشرير على ماهو عليه ولاز . وجوب تنبيهه على الله تعالى وأمره بالطاعة ليرجع عن الشر لأن ما يكرهه الله يجب في حكمته أن يأمر بضدّه أو بسبب ضدّه فأمره بقتل الشرير

قبل دعائه الى الايمان واقامة البرهان مستحيل عليه لمنافاته الحكمة وكراهة الله موته على الشر (الثاني) انه لوجاز في حكمة الله جل وعلا مجازاة الكفار على كفرهم ومعاقبتهم على سوء أفعالهم قبل دعائهم الى الايمان والاقلاع عن الكفر والتحوّل عن العصيان الى الطاعة وقبل اقامة الدليل على ثبوت صدق الداعي لهم الى ذلك وأنه يدعو الى الله بأمره لم تكن حاجة في بعث الانبياء وارسال الرسل الأصفياء الى الخلق لأن الله سبحانه وتعالى عالم بمن يطيعه من خلقه وبمن يعصيه اذا أمرهم ونهاهم فكان يعاقب البعض ويثيب البعض الآخر منهم على حسب علمه فيهم ولا يرسل اليهم رسلا لأن ارسال الرسل يكون على هذا الوجه عبثاً وهو باطل قطعاً لأن كل عاقل يعلم علماً جازماً لايشوبه ريبه ولا تردّد بأن الله جلت عظمته لم يرسل المرسلين مبشّرين ومنذرين الاّ لاقامة الحجة الزاهرة على العباد لئلا تكون للناس عليه حجة بعد الرسل وتكون له على العباد الحجّة البالغة فيعاقب من يستحق العقوبة على بيّنة نيّرة ويثيب من يستوجب الثواب على حجّة مقررة (ومقتضى) الوجهين أنه لايجوز في حكمة الله تعالى أن يأمر نبيه موسى ومن بعده من الانبياء بقتال الكنعانيين وغيرهم من الكفار قبل دعائهم الى الايمان والدخول في الدين ولازمه أنهم لم يقاتلوهم الاّ بعد الدعاء الى ذلك وإباء أولئك الكفرة عن الدخول في الدين وهذا هو الجهاد الذي أنكره النصراني بعينه وهو جبر للناس على الدخول في الايمان وهو مماثل لما كان يصنعه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع المشركين على أن علة الجهاد في نبوّة نبينا أوضح وسبب لزومه أظهر كما أشرنا اليه في مفتتح المقالة (الثالث) انه قد علم كل عالم وفهم كل فاهم أن الله عزّ وجل لم يحلّ عقوبته على أحد من الجاحدين والمعاندين الاّ بعد ارسال

رسول اليهم ظاهر المعجزة واضح الحجة يدعوهم الى ما يوجب لهم المثوبة وينذرهم ويحذّرهم حلول العقوبة وبعد التأني والامهال والرفق بهم وتوسيع المجال فقوم نوح عليه السلام لم يغرقهم الله بالطوفان الاّ بعد اقامة نوح فيهم يدعوهم الى الله مدّة طويلة من الزمان وعاد لم يهلكهم الله بالريح العقيم الاّ بعد لبث هود عليه السلام فيهم زماناً طويلا يحذّرهم على كفرهم من العذاب الاليم ويدعوهم الى ما يستحقون به جنات النعيم وكذلك ثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وغيرهم من الامم لم ينزل الله عليهم العقوبات والنقم الاّ بعد بعث الرسل اليهم ومكثهم فيهم يدعونهم الى دين الله عمراً يتذكّر فيه من تذكّر ويتبصر فيه من تبصّر ولم يغرق الله فرعون وقومه الاّ بعد أن أرسل اليهم موسى بآيات بيّنات ومعاجز ظاهرات يدعوهم الى دين الله القويم ويحذّرهم من عذابه العظيم وبعد اقامته فيهم على ذلك مدة وهم به من المكذبين وعلى هذا استقرّ حكم الله في عباده واستمرّت عادته في خلقه فليس يجوز في حكمة الله أن يأمر موسى وأوصياءه بقتل الكنعانيين قبل دعائهم الى الايمان والدخول في الدين وازالة معاذيرهم بنصب الادلّة الموصلة الي اليقين وإبائهم عن الاجابة واستكبارهم عن الطاعة فينقض حكمه ويخرق عادته اذ ليس هذا من الاحكام التي يعرض فيها النسخ لأنه من الاصول فلم يأمر الله اذًا بقتلهم الاّ بعد ما ذكرناه وهو كجهاد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للكفار من غير فرق (الرابع) أن نقول متى تحقق من الكنعانيين العصيان الموجب لغضب الله عليهم وأمره رسوله موسى باستئصالهم (ان كان)قبل دعائهم الى الايمان والطاعة واقامة الحجة عليهم بارسال الرسول الداعي الى الدين فهو محال لعدم تحقق العصيان منهم حينئذ لأن المعصية لاتحقق الاّ بمخالفة الأمر والنهي واذا لم يكن دعاء

لم يكن أمر ولا نهي واذا لم يكن أمر ولا نهي فلا معصية (وان كان) ذلك بعد دعائهم الى الايمان واقامة الحجة عليهم ببعث الرسول اليهم واستكبارهم عن الاجابة والطاعة فالأمر بقتلهم بعد ذلك هو الجهاد الذى أنكره النصراني بعينه وهو مثل قتال نبينا للكفار لايفترقان قيد شعرة فان وجب على مرام النصرانى جحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم لذلك وجب عليه به انكار نبوّة موسى ومن بعده من الانبياء وذلك الكفر العظيم على أن بين قوله ان الله لم يأمر موسى بدعاء الكنعانيين الى الايمان وقوله ان الله أمر بني اسرائيل باستئصالهم لسوء أعمالهم وكثرة معاصيهم تناقضاً بيناً لأن المعصية مخالفة الأمر والنهي وهما متفرّعان على الدعاء الى الايمان والطاعة لايحصلان الاّ بعده فمفاد قول النصرانى ولازمه ان الله أمر موسى بقتل الكنعانيين لكثرة عصيانهم قبل عصيانهم ولا خفاء في بطلان هذا المفاد وفساد هذا اللازم فتأمل (ثم يقال للنصرانى) بعد هذا كلّه أخبرنا لو أن الكنعانيين حين أظلّتهم جيوش الاسرائيليين مع يوشع ورهقوهم أظهروا الايمان وأعلنوا بتوحيد الله مذعنين للطاعة مقلعين عن المعصية منقادين للحكم الشرعيّ أكان يقتلهم يوشع (فان قال يقتلهم) فقد أبطل وأحال لانه نفى عن الله ما وعد به من قبول التوبة وجعل المؤمن والمكذب سواء في استحقاق العقوبة وهو قد صرّح في مواضع من كتابه بما مفاده ان الله يقبل توبة العاصي اذا تاب ورجع عن العصيان وأناب (وان قال لا) دحضت حجته وزالت شبهته

(وقوله) بعد الكلام المتقدّم وكذلك حروب داود مع أعدائه لم تكن جهاداً لاجل الدين بل اذ كان داود ملكاً كان يقاتل من يقاومه من الاعداء محاماة عن دولته وصيانة لاستقلال سلطته (هذا لفظه) وهو ظاهر الخلل مستبين الزلل لاقتضائه أن داود عليه السلام ليس

بني طاهر وانما هو ملك جائر يقهر الناس بالسيف ليكونوا له رعية ويتسلط عليهم بالجبروتية لحصول مجرّدالرياسة الدنيوية ولم يكن يقاتلهم ليطيعوا الله ويدينوا بدينه فمنزلته على هذا عند النصراني بمنزلة الملوك الوثنيين الذين همتهم اصلاح دنياهم وتقوية دُوَلِهم خاصة وأي مأثم وبهتان أعظم مما ادعاه هذا الرجل على نبي الله داود حيث جعل بذله جهده في غير تميم أوامر الله وتصرفاته في غير طاب تمجيد الله وأن قتاله لم يكن عن أمر الله بل لمشتهى نفسه وميل هواه نعوذ بالله من ارتكاب الضلال وتمحّل المحال (والذي) دعا النصراني هنا الى ايراد ما يبطل نبوّة داود بعد اقراره سابقاً بنبوّته وأن الله أنزل عليه الزبور ضيق المسلك عليه في جحود الحق الذي جاء به نبينا الصادق المصدّق صلى الله عليه وسلم وهيهات هيهات أن تغلب شبهة الكذب برهان الصدق (والذي) يطابق العقل والشرع أن قتال داود وسليمان لأهل الكفر والطغيان على ماجرت به السيرة من موسى ويوشع من الدعاء الى دين الله والجهاد في سبيله اذ لايجوز للانبياء غير ذلك عقلا وشرعا وليس ملك داود وسليمان ملكاجبروتياً فيدبراه تدبير الملوك الجائرين وانما هو ملك شرعي يعملان فيه بمقتضى الشرع الذى هما عليه ويقفان على ماحدد الله فيه من الحدود والاحكام

(ثم لو سلمنا للنصراني) مفاد كلامه من أن داود ليس بنبي تصرفاته عن أمر الله بل كان ملكاجباراً محامياً على دنياه فالمشاهد من الملوك الجبابرة في كل عصر وأوان أنهم لايقاتلون أحداً حتى يدعوه الى طاعتهم والنزول على حكمهم فان أبى قاتلوه ولم يكونوا يقاتلون أحداً ابتداء (فالدعاء) قبل القتال لابد منه على كل حال والنصراني نسب الى موسى وأوصيائه خصوصاً داود من قبيح الفعل مالايفعله الملوك المتجبرون العتاة الكافرون

بجبار السموات (ثم يقال للنصراني) بعد هـذا اخبرنا عن داود اذا قاتل الكفرة وغلب عليهم وملكهم أيتركهم على كفرهم ويقرهم عليه ويرضى منهم بالطاعة الدنيوية أم يلزمهم بالايمان ويجبرهم عليه

(فان أجاب بالاول) فقد نسب الى نبي الله داود الرضا بالكفر وترك تميم أوامر الله ونواهيه وهذا من جملة الكفر (وان أجاب بالثاني) فقد أقر لنا بصدق مقالنا واعترف بصحة ما أنكره من سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم في المشركين وهو المطلوب (والحاصل) أن كلامه هذيان منحل القواعد والاركان لاينبغي ان يستند اليه انسان على انا نزيد على مضمون ما أفدناه من أول الموقف الى هنا ونقول ان الانبياء كلهم مأمورون من الله بجهاد الكفرة أمراً معلقاً على وجود الانصار والاعوان لامطلقاً فمن وجد منهم المعين والناصر تنجز في حقه التكليف بالجهاد ومن لم يجد منهم ذلك فالجهاد ساقط عنه لعدم وجوده شرط التكليف به (ويكفينا) في الاستدلال على هذا المطلب ترك موسى عليه السلام قتال القوم الجبارين بعد ماجاء مع قومه لقتالهم لما وهن قومه وضعفت عزائمهم عن حربهم وقتال يوشع لأولئك القوم حين أطاعه بنوا اسرائيل وأجابوه الى ذلك وكف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن قتال المشركين مع شدة تعنتهم مدة اقامته في مكة لعدم حصول من يقوم بقتالهم فلما وجد الاعوان عليهم غزاهم في عقر دارهم ومحل قرارهم كما فعل يوشع بعد موسى بالكنعانيين (فلذا نقول) ان نوحا وهوداً وصالحاً وابراهيم وعيسى وغيرهم من أنبياء الله لم يتركوا قتال الضالين المكذبين بعد الدعاء واظهار البراهين الا لعدم وجودهم الاعوان والانصار ولم يكن الله ليكلف أنبياءه مالايتمكنون منه (وكذلك) لم يدع موسى عليه السلام محاربة فرعون وقومه الا لضعف بني اسرائيل عن قتالهم وعجزهم عن نزالهم لقلتهم

بالنسبة الى قوم فرعون وتمكن هيبة القبط فى قلوبهم فسنة الله واحدة فى هذا المعنى جارية فى جميع رسل الله الكرام وليس في العقل ولا في الشرع مايعارض ماذكرناه من هذه الجملة (وبما حبرناه) في منطقناهذا بطلت شروط النصرانى وانحل عقده وزالت مقدمة بابه وانهزم جنده (وبذلك) فسد أكثر ماموّه به في فصوله مما هومبني على مفاداشتراطه ومحصوله ولم يبق علينا من محو تزويقه الا اليسير ونحن نستعين على ازالته باعانة الله العليم الخبير

﴿ المنطق الثانى ﴾

فى صدع فصله الاول باثبات أن التوراة والانجيل قد بشرا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما هو معروف لدى كل عارف منصف وان جادل فيه بالباطل من هو معاند متعسف وفيه مجادلات

(الاولى) فى ردماقدمه من المحاولات (قال النصرانى) انه من أعظم مايورده علماء المسلمين من البراهين لاثبات صدق رسالة محمد هودعواهم بأن المسيح أشار الى محمد فى انجيله واعداً باتيانه ويستشهدون بقول القرآن في سورة الصف حكاية عن المسيح (مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) والحال أن المسيح انما أخبر تلاميذه باتيان أنبياء كذبة محذراً اياهم من تصديقهم «بشارة متّى» (اقول)اراد بقوله بشارة متّى ان مضمون قوله والحال الى آخره استفاده من الكتاب المذكور (ومن المعلوم) ان استدلال المسلمين على بشارة المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم باخبار القرآن صحيح صريح لثبوت صحة القرآن بنيّر البرهان ولولم يجد المسلمون الآن فيما يسمى بالانجيل شيئاً من ذلك لانا نحكم والحال هذه بعد اخبار القرآن ببشارة الانجيل بنبينا صلى الله عليه وسلم أن

ذكره أُسقط من الانجيل في جملة ما اسقط أو غير فيما غيّر حين عمد بعض أصحاب المسيح الى تحريفه بعده وقد أثبتنا عليهم هذا في المقالة الأولى. فكيف لا وذكر النبي صلى الله عليه وسلم موجود فيما يسمّونه الآن بالانجيل ولا عبرة بعدم فهم الرجل ذلك منه بل هو يفهمه ويعدل عنه ويماري فيه بالعصبية التي ملأت قلبه وجوارحه (واما) المدّعون للنبوة كذبا فلا نضائق في اتيانهم ولا يضرنا وجودهم في صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كما لا يضرنا شرك النصارى اذ قالوا بربوبية المسيح في ثبوت وحدانية الله عندنا لان الكذب لا يبطل الصدق والباطل لا يفسد الحق. (فقد صح) عندنا أنه جاء كذابون يدّعون النبوة وتُدّعى لهم (منهم) متّى ولوقا ويوحنا ومضارعوهم (وهؤلاء) بعد رفع عيسى الى السماء (ومنهم) مسيلمة وسجاح التميمية والاسود العنسي بالنون بعد العين المهملة وطليحة ابن خويلد الاسدى (وهؤلاء) في زمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبقوا بعده فمنهم من قتل ومنهم من استتيب والصدق متميز عن الكذب بالبرهان والمسيح انما عيّن لأصحابه الرسول الذى يأتى بعده بقوله (اسمه احمد) ليميزه لهم بالاسم عن الكذابين ويرفع عنهم الاشتباه فيه باليقين

(قال) فلو فرضنا أنه في الحقيقة كان مزمعا أن يأتي بعد المسيح نبي صادق صاحب كتاب لكان الانجيل مضطراً أن يشير اليه ولو بأقل رمز لكي يمكننا تمييزه عن الانبياء الكذبة المنهى عن تصديقهم

(أقول) أول ما قال لهذا الرجل هنا انّ ثبوت دعوى النبوة لمدعيها لا يشترط فيه اخبار من قبله من الانبياء باتيانه وهو أيضاً لم يجعله من جملة الشروط التى اشترطها فى النبي ثم على تقدير حصول البشارة به في الواقع لا يشترط في تحقق صدقه عند من أرسل اليهم ان يبلغهم الخبر بالبشارة ممن يعتقدون نبوّته ولو كان ذلك شرطاً (لم تصح) نبوة آدم على بنيه اذ لا نبي قبله فيبشرهم

به (ولماصحت) نبوة ابراهيم على قومه لعدم اطلاعهم على البشارة به ممن قبله من النبيين لأنهم كانوا كفرة لايصدّقون الأنبياء ولا وقوف لهم على علومهم (ولما صحت) نبوة موسى على القبط لعدم علمهم ببشارة من قبله من الرسل به لأنهم لايعرفون علوم الرسل لأنهم مكذبون بهم من أول الامر فيكون الفريقان معذورين في تركهما التصديق بالنبيين (وهذا) لايخفى بطلانه والاّ فليقم لنا النصرانى دليلا واضحاً على اطلاع السريانيين والقبط على البشارة بابراهيم وموسى من نبيّ يقرون بنبوته في كتاب يعترفون بصحته وأنّى له بذلك (فان جنح) اضطراراً الى ما أشار اليه القرآن من قتل فرعون ابناء بني اسرائيل واستحيائه نساءهم (اجتناه) بأن فرعون انما فعل ذلك اعتماداً على قول المنجّمين له انه يولد في بنى اسرائيل فى هذا العام ولد يكون زوال ملكه على يده وليس يشترط فى مزيل الملك أن يكون نبياً بل الغالب أن يكون مزيل ملك الملك ملكا أقهر منه وأقوى شوكة وعلى كل حال فهو غير المدعي (وهكذا) القول في بقية الانبياء حرفا بحرف (نعم) ان البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم عمن قبله فيها زيادة توضيح وتوكيد لا أنها شرط ثم نرجع الى تزييف قوله (فنقول) ان حكمه باضطرار الانجيل الى الاشارة الي النبي الصادق ليتميز عن الكاذب حكم أبتر مجدوع الأنف بالدليل المحقق الأنور والبرهان المصدق الأزهر وهو أن الله بمنه ولطفه قد نصب لنا دليلا مبينا قطعيا وبرهانا منيراً ضروريا في عقولنا نميز به الصادق في دعوى النبوة عن الكاذب وهو اظهار (المعجز) فمتي أظهر المدعي على دعواه ذلك (وجب) تصديقه ولم يتوقف لزوم الايمان به على بشارة الانجيل به أو غيرها من الأمور فأى حاجة لنا بعد ذلك الي تعرّف البشائر وأي باعث لاضطرار الانجيل الي

الاشارة بالبشارة والمطلوب حاصل بغيرها وتمكننا من تمييز الصادق عن الكاذب متحقق من دونها (والذى) يدل على هذا أن المسيح بن مريم اذ آمن به من العوام من آمن بعد اظهاره المعجزات لم يقل لهم لا تؤمنوا بي حتى تقفوا على اشارة التوراة الي نبوتي (فلو كان) الايمان بالنبي بعد اقامته دليل النبوة متوقفاً على العلم باشارة كتاب النبي الذى قبله اليه ليتميز به عن الكذبة لبينه المسيح لمن آمن به ولم يغفله لكنه لم يبين ذلك فلا يتوقف عليه الايمان بالنبي (فليوضح) لنا الخصم من أى وجه يضطر الانجيل الي الاشارة الي النبي الصادق ليتميز بذلك عن الكاذب (وليقم) لنا الدليل على دعواه هذه ان كان من الصادقين (ولما قلناه) بعينه بادر أولوا العقول السليمة من العرب الي الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد مشاهدتهم معاجزه ولم يتوقفوا في ذلك علي قراءة التوراة والانجيل والوقوف على البشارة به فيهما لحكم ضرورة العقل بعد اظهاره المعجز بوجوب تصديقه ولم يعذر فرعون وقومه في وقوفهم عن تصديق موسى بعد اظهاره المعجز لعدم علمهم بالاشارة اليه في كتب سابقيه من الأنبياء ولم يعذر من لم يعرف التوراة ولم يؤمن بها في تركه الايمان بعيسى لعدم معرفته الاشارة اليه في التوراة بعد اظهاره المعجز وكذلك كل من تقاصر عن الايمان بالرسل الكرام لذلك بعد اظهارهم المعاجز (كلّ ذلك) لحكم العقل بوجوب التصديق بعد ظهور المعجز وكون ذلك حكم الله تعالى في جميع خلقه فأين الاضطرار الذي ذكره النصراني بموجب شهوته وعدم بصيرته (ثم يقال له) على ما ذكرت يلزمك الحكم ببطلان نبوة عيسى لأن اليهود ينكرون وجودها في التوراة مثل ما تنكر أنت وجود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ويؤوّلون ما تستدل به من التوراة على البشارة بعيسى بغير ما تؤوّل مثل

ما تؤوّل أنت مايستدل به المسلمون من الأنجيل على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم بخلاف مايتأوّلون ويقولون لو كان عيسى نبيا لاضطرت التوراة الى الاشارة اليه ولو بأدنى رمز وليس انكارك بارجح من انكار اليهود ولا تأويل جنابك بأصح من تأويلهم فاذا أردت منا أن نصدقك في انكارك وتأويلك لزمك تصديق اليهود في انكارهم وتأويلهم والا فأتنا بمرجّح لك عليهم فى ذلك وليس هذا عندك بموجود فاللازم عليك انكار رسالة المسيح فما ظنك بربوبيته فأنت لاتزال تبطل دينك بلوازم أقوالك ومقتضيات أفعالك (واعلم) أيها الناظر المتفطن انه ليس مرامنا من كلامنا موافقة النصراني فى انكاره اشارة الأنجيل الى نبينا صلى الله عليه وسلم لأن الاشارة اليه فيه واضحة بينة وسنذكرها ولا مرادنا أن الاشارة الى نبيّ فى كتاب نبيّ قبله خالية عن الفائدة لأن الفائدة العظيمة فيها موجودة وهي زيادة حجة النبي المشار اليه فى ذلك الكتاب على أهله بحيث يلزمهم الايمان به من غير طلب اظهار المعجز منه لأن اخبار كتابهم بنبوّته قائم فى حقهم مقام اظهاره المعجز فى حق غيرهم وانما مرادنا من تحرير ما حررناه من المقال بيان ان النصراني مبطل فى دعواه اضطرار الأنجيل الى الاشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم ليتميز بتلك الاشارة عن الكذبة التي لازمها عدم كفاية اظهاره المعجز في وجوب تصديقه وتبيان ان دعواه هذه يكذبها العقل والشرع فتبصّر

(قال) وأما اسم احمد أو محمد فلا وجود له في الأنجيل لا في أصله اليوناني ولا فى احدى ترجماته ولا يوجد فيه حرف واحد يفهم منه أو يستدل به على صدق نبوة محمد ورسالته وذلك واضح لمن أمعن النظر في مطالعة الأنجيل فلا صحة اذاً لما يدعي به القرآن من أن الكتب المقدسة تشهد لصدق نبوة محمد ورسالته (أقول) لم يدّع أحد من

المسلمين أن في أصل الانجيل اليوناني لفظ احمد أو محمد وانما يقولون أن فيه بشارة بنبي اسمه باليونانيــة أو غيرها من اللغات يطابق اسم احمد أو محمد بالعربية ولم يدّع بعد المسيح النبوة من اسمه احمد ومحمد الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يسمى بهـذين الاسمين الشريفين وفي أشعار قريش من مواليه ومعاديه وأشعار الانصار تسميته بهما معاً كثير ويكفي في ذلك قول عمه أبي طالب في قصيدته اللامية المشهورة اذ قال في تسميته محمداً

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ (١) نُبْزَى مُحَمَّدًا ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

وقال في تسميته أحمد في القصيدة نفسها

لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ ... وَأَحْبَبْتُهُ دَأْبَ الْحَبِيبِ الْمُوَاصِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي ٢ أَرُومَةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهَا ٣ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
٤ حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ ... وَدَافَعْتُ عَنْهُ ٥ بِالذُّرَا ٦ وَالْكَلَاكِلِ

فيكون هو المقصود فى الانجيل بذلك الأسم ولاشتهار ذلك عن الأنجيل على ألسن العلماء به سمّى جماعة من العرب أولادهم محمداً طمعاً فى هذه المرتبة فسمّى سفيان بن مجاشع الدارمى ابنه محمداً وسمى مسلمة حليف الأنصار ابنه محمداً وسمى عبد المطلب بن هاشم ابن ابنه محمداً وكذلك غيرهم ولم يكن هذا الأسم فى العرب معروفا فى القديم ولم يصدق الله رجاء أحد منهم الا رجاء عبدالمطلب حين قيل له سميت ابنك هذا محمداً وليس في آبائك من هو على هذا الاسم فقال ما معناه

(١) نبزى محمداً أى نغلب ونقهر عليه (٢) أصل (٣) بضم السين المنزلة وبفتحها السطوة (٤) تعطفت (٥) أعالى الشئ (٦) جمع كلكل كجعفر بمعنى الصدر

سميتــه محمداً رجاء لأن يكون محموداً في السموات والارض فكان كما رجا ولا شك أنه قال ذلك بعلم عنده يصح الاستناد اليه (ثم ان المسلمين) لم يقولوا ذلك لاثبات نبوّة نبينا محمد به لعدم ثبوتها بغيره لأنها ثابتــة عنــدهم باظهاره المعجز وهو الاصل المعتمد عليه في ثبوت النبوة كما أوضحناه جلياً من قريب (وسنورد) ان شاء الله تعالى بعــدُ جملة من معاجزه الباهرة وحججه القاهرة وانمــا قالوا ذلك تأكيــداً للحجة وتقريراً للبينة العادلة (وليس) للنصراني من الدليل في انكار ما قالوه الا الرجم بالغيب من مكان بعيد فان استطاع أن يأتي بأصل الانجيــل ليعارضهم به فليأت به ومن أين يستطيع ذلك والاصل المذكور مفقود من أيدي النصارى منــذ رفع المسيح الى السماء (ولو فرضــنا) عدم وجود هذا اللفظ في أصل الانجيل وأنه من قول عيسى خاصة ومن جملة تعاليمه فلم يكتبه تلاميذه عنه فيما كتبوه لم يكن علينا في ذلك وصمة لأن القرآن يخــبر بذلك عن عيسى لا عن الانجيل وهو صريح قوله (وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) وليس في هذا القول اخبار عن الانجيل بوجــه من الوجوه وليس كل كلام عيسى هو في الانجيل الأصلي وان كان كلامه عن الله جلّ وعزّ ثم انه ليس بمستبعد أن أكثر أصحــاب المسيح لم يكتبوه فيما كتبوا من تعاليمــه لغرض غير صحيح وكتبه منهم المخلصون الذين عدل النصارى عن طريقهم المستقيم الى طريق المضلّين فلذا لم يشتهر بين عامة النصارى وعرفه منهم الثــابتون على الحق واعتمدوه وأخبروا به أتباعهم زماناً بعد زمان وسيأتيك عن قريب برهان هــذا

البيان وكم قول صحيح من أقوال عيسى قد أسقطه أولئك التلاميذ فلم يكتبوه لمقصد غير رجيح وكتبوا عنه من الأباطيل مالم يقله (فالقرآن) لم يخبر عن عيسى وغيره من الأنبياء الا بما قالوه ولم يخبر عن الكتب المقدسة الا بما فيها والنصراني لعدم فهمه لمعاني القرآن ظن أن القرآن أسند القول المذكور الى الانجيل وليس كما ظن فالقرآن لم ينطق بخلاف الواقع قط كما زعم النصراني فى كلامه وأتى به فى هيامه فقدحه فى خبر القرآن زائل من أصله وعلى ما فرضنا فيكفينا فى الحجة على النصراني ما فى الكتب المسماة الآن عند النصارى بالانجيل من صفة نبينا ونعته مشهوداً له بالنبوّة فيها وأنه أفضل الأنبياء فكيف وما يدل على ذلك الاسم موجود فيها مصرحاً به وسيتضح أمره

(قال) ولعل معترضاً يقول كيف أمكن محمداً أن يسند دعواه على الانجيل ولا وجود لها فيه وأجاب عن الاعتراض بما حاصله أن محمداً كان رجلا أميّاً لا يحسن القراءة ولا علم له أصلا بلغتيّ التوراة والانجيل فربما أتاه أحد المرتدّين عن الديانة المسيحية متملقاً وقال ان المسيح شهد لك في انجيله فقال انه يأتي بعدي نبي اسمه احمد وهو من دون فحص اعتمد على كلام ذلك الكاذب ورام بذلك اثبات رسالته عند العرب وأنه لما شاع ذلك عنه اعترض عليه العارفون بالانجيل معلنين أن ليس فى الانجيل له ذكر ولا أدنى دليل على صدق نبوّته فاضطر هو وأصحابه حينئذ الى ادّعاء تحريف الكتب المقدسة محتجين بأن النصارى حذفوا منها خبر محمد

(أقول) هذا الكلام مماثل لما أخبر الله به فى الكتاب المقدس عن المشركين في قوله تعالى (يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) فلم يزل هذا القول يأتي به أشباههم حتى أتى به هذا الرجل وهكذا القرآن اذا نزل في قوم أوّل في آخرين لمشابهتهم لهم فى القول أو الفعل وهذا

معنى ما قيل ان لكل آية من آيات القرآن سبعة وسبعين معنى وهو الذي حار منه النصراني واندهش وارتاع من ذكره وارتعش لاما دار في خَلَدِهِ هناك وانتقش وقد جرى فيه التأويل مطابقاً للتنزيل (وجوابه) عن لغوه من وجوه (الاول) ما أجاب الله به اخوانه المشركين بقوله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (الثاني) أن نسأله مَنْ هذا الرجل الكاذب المرتد منكم عن دين النصرانية الذي أخبر محمداً أن اسمه في الانجيل ومن أي قبيلة هو صفه لنا ولو بأدنى وصف رافع للالتباس حتى نعرفه فانا لانقنع منك في مثل هذا الأمر بمجرد الدعوى كما انك لاتقنع منا فيما هو أدنى منه بها ومتى لم تفصح عن صحة ما ادعيت بدليل سقطت دعواك ونسبت فيها الى التزوير (الثالث) انا نطالبه أن يعرّفنا متى جاء هذا المتملّق وأخبر محمداً بما قال أقبل ادعائه النبوّة أم بعده فان كان قبله فذلك المرتد منكم لايعلم أن محمداً سيدّعي النبوّة حتى يتملّق عنده بما ذكرت ويتخذ عنده يدا بذلك وان كان بعد ادعاء محمد النبوّة وشيوع ذلك عنه فلا موضع للتملّق عنده بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم من حين ادعى النبوّة أخبر أن التوراة والانجيل يشهدان له بها كما أفصح عنه القرآن العزيز فاخباره بذلك سابق على اخبار المتملق عنده به فلا محل للتملق به عنده أصلا (الرابع) أن نقول له أخبرنا مَنِ القوم الذين اعترضوا منكم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في رد قوله ان اسمه في الانجيل مشهودًا له فيه بالنبوّة الذين ذكرت انهم يعرفون الانجيل وكيف اعترضوا عليه وفي أي وقت أقبل الهجرة أم بعدها وأيّ شئ قالوا وبأيّ شئ أجابهم ولو برواية ضعيفة تدفع بها عنك

نسبة الافتراء اليك ليحتمل ما قلت على أن مثل هذا الامر مما تتوفر الدواعي على نقله فلايقبل فيه الا المتواتر أوالمشهور وقد رضينا منك فيه بخبر ضعيف وما نراك استندت فيه الا الى محض الادعاء الذى لايسمن ولايغنى من جوع واذا كان هذا مستندك عرفنا حقا انك مبطل فى ادعائك (الخامس) ان اضطرار محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى ادعاء أن النصارى أسقطوا اسمه من الكتب وحرفوها كما زعمت قد أجبنا عنه في المقالة الاولى بما يبرد الغليل ويشفي العليل ونزيد هنا (فنقول) ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يزل يقرّع كل مكذب لقوله في النبوة وغيرها من كل فرقة من الفرق ويحاجّهم ان كانوا أهل كتاب بكتابهم مثل قوله تعالى على لسانه (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وقوله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وقوله تعالى (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وغير ذلك ولم نسمع ولم يُرْوَ لنا ولو خبراً ضعيفاً أن أصحابك النصارى أو اخوانهم اليهود جاؤا بالتوراة والانجيل وتلوهما بحضرته من أولهما الى آخرهما فأثبتوا أن ليس فيهما اسمه ولا نعته حتى يضطر الى مازعمت بل علمنا بالتواتر أنه اذ عارضهم بما أشرنا اليه وغيره رجعوا كلهم عن موافقته على ذلك خاسئين واندحروا عن احضار كتبهم داخرين واعتاضوا عن المقابلة في ذلك بالانكار باللسان مع معرفتهم صحة قوله بالجنان كما أخبر الله عنهم بذلك في صريح القرآن بقوله تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا) يعنى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) ومن كان شأنه مع خصمائه ومنكرى قوله ماوصفناه من الاحتجاج عليهم بكتبهم وعجزهم عن معارضته بها كيف يتصوّر عاقل غير متعصب

اضطراره الى الادعاء عليهم اسقاط اسمه منها فان كان لك يا نصراني على خلاف ماقلنا حجة فأقمها فان الادّعاء البحت لايدفع خصمك واذ اكتفيت بمحض الادعاء خاصة عُرِف أن ما قلت كذبة اختلقتها وفرية افتريتها والكذب لايقوم به المطلوب (السادس) معارضة قولك هذا لمضمون ماقلت بعده بلا فصل من أن المسلمين لم يزالوا يستشهدون على صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بآيات من التوراة والانجيل فتارة تدعي عليهم أنهم اتهموا النصارى بحذف اسم محمد من التوراة والانجيل اذ لم يجدوه فيهما وأخرى تقول انهم يستدلون على صدق نبوّته ورسالته بآيات منهما فكلامك متناقض والعناد لعقلك مزيل وباهض(١) فقولك خِداج (٢) وكلامك سِماج (٣) وأما كون النبي صلى الله عليه وسلم أميا لايقرأ الكتاب وأنه لا يتكلم بالعبرانية واليونانية وهما لغتا التوراة والانجيل فلا يستلزم عدم علمه بما فيهما من الانباء والأحكام من جهة الوحي الالهي وما ذكرناه من تقريعه القوم واحتجاجه عليهم بكتبهم يدل جليا على أن الله تعالى قد أوحي اليه بعلم مافى الكتب الاولى من كلي وجزئي وهذا ظاهر

المجادلة الثانية

في تصحيح البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة واثبات شهادتها له بالرسالة صريحاً وفيها مقامات

(الاولى) في اثبات أن اليهود والنصارى يعرفون ذلك في كتابهم وأنكره المنكرون منهم حسداً وعناداً (اعلم) أيها المنصف المتدبر أن التوراة والانجيل ناطقان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبتفضيله

---

(١) الباهض أى الفادح بالفاء المثقل المصعب (٢) الخداج النقصان (٣) السماج الطويلة الظهر من الخيل والأتن اه

على جميع المرسلين عليهم الصلاة والسلام وأنه المخصوص بالاصطفاء والمبجّل عند خالق الارض والسماء وأنه خاتم الانبياء وأهل ملتنا من العلماء المحققين والفضلاء المدققين من الأمامية والسنّية قد ذكروا مايدل على ذلك من الكتابين وأوضحوه وعرفوا حقيقته وبينوه فشكر الله لهم الصنيع ولم يكونوا يذكرون ذلك ويتصدّون الى كشف معانيه لأثبات نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أنها لاتثبت بغيره وانما كانوا يفعلون ذلك ازدياداً في الاحتجاج على خصومهم واستقصاءً للأدلة في مقام الاستدلال والاّ فنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة عند المسلمين محققة لديهم باظهاره المعاجز والبراهين التي لا يفتقر في أثبات النبوّة الى غيرها بيقين كما أوضحناه غاية الايضاح في بيان شروط النبي فكان منتهى مطلبهم من ذكر ذلك اقامة البيّنة على اليهود والنصارى في وجوب الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم مع اظهاره المعجز بشهادة كتابيهم له بالنبوّة ومتعصّبوا اليهود والنصارى قد أنكروا وجود مايدل على الشهادة له بذلك في كتابيهم مع ظهوره وصراحته ولمّا لم يسعهم انكار ألفاظه وجحودها تأوّلوه بالتأويلات البعيدة التي لامحصّل لها اجابة لمنادي العناد وطاعة لداعي التعصب والافساد واليهود يضمون الى جحود شهادة كتابهم بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم انكار شهادته بنبوّة عيسى ولا يقتصرون في عيسى على انكار نبوّته بل ينسبونه الى عدم طهارة المولد ويقذفون أمّه مريم العذراء بالقبيح قبّحهم الله وأعاذنا من قولهم الفاحش وقد أقرّ بما في التوراة والانجيل من البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم جماعة من علماء اليهود والنصارى منهم من أسلم طائعاً غير مُكرَهٍ ومنهم من لم يدرك الاسلام ومنهم من غلب عليه الشقاء فبقي على الاصرار والاستكبار حتى أدركه الحِمام بموت أوقتل وقد حسُن لنا أن نذكرهنا بعض أخبار

قوم ممن أشرنا اليهم لاخراج كلامنا عن مجرد الدعوى (فمن) اعترف بذلك وآمن به عبد الله بن سلام وأصحابه وكان من الأحبار العظام واسمه قبل أن يسلم الحصين ففي السيرة النبوية بالاسناد عنه قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرًّا لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً مازدت قال فقلت أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قال فقالت أي ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة قال فقلت لها نعم قال فقالت فذاك اذاً قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا قال وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ان اليهود قوم بهت واني أحب أن تدخلني بعض بيوتك وتغيبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامي فانهم ان علموا به بهتوني وعابوني قال فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أي رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت يامعشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته فاني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه فقالوا كذبت ثم وقعوا بي فقلت

لرسول الله ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت أهل غــدر وكذب وفجور قال وأظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن اســلامها (ومنهم) مخيريق في السيرة النبوية لابن هشام قال ابن اسحق وكان من حديث مخيريق وكان حبراً عالماً وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال يامعشر اليهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله وفى عدم معارضة اليهود لابن سلام ومخيريق فى قولهما بالتوراة دليل واضح على معرفتهم صدق الرجلين منها (ومنهم) سيف بن ذي يزن ملك اليمن في كتاب اكمال الدين لأبي جعفر محمد بن على الصدوق خبر طويل مسند يذكر فيه وفادة عبــد المطلب مع جماعة من قريش على سيف المذكور بصنعاء وأن سيفاً خلا بعبد المطلب مرة دون القوم وأنبأه عمّا علم من التوراة بأن الله يبعث من ولده نبيا هو خاتم الرسل وأن هذا أوان ظهوره وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك قد ولد وأخبره باسمه وصفته وأحواله وبما يلقى من قومه من التكذيب والأذى وأن الله يظهره عليهم بعد ذلك وتمنى سيف أن يدرك وقت بعثه ليكون من أتباعه وأنصاره وأمر عبد المطلب أن يكتم القوم القرشيين الذين معه ما أخبره به من أمر النبي صلى الله عليه وسلم محاذرة عليه من اغتيالهم أياه فقتل سيف قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وفى السيرة) بالسند

عن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان ممّا دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لمّا كنا نسمع من رجال اليهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبيّ يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعّدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به (وفي السيرة) مسنداً عن سلمة ابن سلامة بن وقش الأنصاري قال كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا عليّ بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار الى أن قال فقالوا له ويحك يافلان أوترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يُحلف به فقالوا له ويحك يافلان فما آية ذلك قال نبيّ مبعوث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومتى تراه قال فنظر اليّ وأنا من أحدثهم سنّا فقال ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حيّ بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً قال فقلنا له ويحك يافلان ألست الذي قلت لنا فيه ماقلت قال بلى ولكن ليس به (وفي السيرة) مسنداً عن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي هل تدري عمّ كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بني هدل اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم قال قلت لا قال فان رجلا من اليهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبيل

الاسـلام بسنين فحلّ بين أظهرنا لاوالله مارأينا رجلا لايصلى الخمس أفضل منه فأقام عنـدنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لاوالله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعاً من تمر أومدّين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرّتنا فيستسقى لنا فوالله مايبرح من مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى قد فعل ذلك غير مرة ولامرتين ولاثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميّت قال يامعشر اليهود ماترونه أخرجنى من أرض(١) الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قال قلنا أنت أعلم قال فاني انما قدمت هذه البلدة(٢) أتوكّف خروج نبىّ قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تُسْبَقُنَّ اليه يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعنّكم ذلك منه (فلما بعث)رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شباباً احداثاً يابني قريظة والله انه للنبي الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم (أقول)ورد في رواية مشهورة أن كعب بن أسد سيد بنى قريظة حين جئ به أسيراً ليقتل ذكّره النبى صلى الله عليه وسلم حديث ابن الهيبان في كلام قال فيه مامعناه ويلك يابن اسد أما انتفعت بموعظة الحبر الزكىّ الذى قدم عليكم من الشام الخبر (وفي السيرة) مسنداً عن صفية بنت حُيَىّ بن أخطب سيد بني النضير وحبرهم وعالمهم انها قالت كنت أحبَّ ولد أبى اليه والى عمى ابى ياسر لم القهما قط مع ولدهما الا أخذاني دونه قالت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بِقُباء في بني عمرو بن عوف

(١) الخمر بالتحريك الشجر الملتف (٢) أتوكف أى أتوقع اه

غدا عليه أبي حُيَيّ بن أخطب و عمي أبو ياسر بن أخطب مغلّسين قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا قالت فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ماالتفتَ الىّ واحد منهما مع مابهما من الغم قالت وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيّ ابن أخطب أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله مابقيت (وفي السيرة) في حديث حصار بني قريظة قالوا فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يامعشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ماترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا نخذوا أيها شئتم قالوا وماهى قال نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبي مرسل وانه للذى تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل به غيره الحديث وهو من اصرح اخبار هذا الباب فى المطلوب (اقول) وكعب المذكور سيد بني قريظة وحبرهم وقتل هو وحُيَيّ بن أخطب صبرا ولم يسلما (وفي السيرة) عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ماكانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور اخو بني سلمة يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم احد بني النضير ماجاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم (وفي السيرة) قال ابن اسحق ودعا رسول الله اليهود الى الأسلام ورغبهم فيه وحذرهم غِيَرَ الله بهم وعقوبته فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب

يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب ابن يهوذا وهما من أحبار اليهود ماقلنا لكم هذا قط وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً (وفى السيرة) في حديث اليهودىّ واليهودية اللذَين زنيا وحكّم أحبار اليهود فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت(١) المدراس فقال يامعشر اليهود أخرجوا اليّ علماءكم فأخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهوذا فقالوا هؤلاء علماؤنا فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حصل أمرهم الى أن قالوا لعبد الله بن صور ياهذا اعلم من بقي بالتوراة(٢) فألظّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة يقول يابن صوريا انشدك الله واذكرك بأيامه عند بنى اسرائيل هل تعلم ان الله حكم فى من زنى بعد احصانه بالرجم فى التوراة قال اللهم نعم أما والله ياابا القاسم انهم ليعرفون انك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك الى ان قال ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى السيرة) مسنداً عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى يهود خيبر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَاحِبِ مُوسىٰ وَأَخِيهِ وَالْمُصَدِّقِ لِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ قَالَ لَكُمْ يَامَعْشَرَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَإِنَّكُمْ لَتَجِدُونَ ذَلِكَ فِى كِتَابِكُمْ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

(١) مدراس اليهود كنيستهم (٢) ألظ به أى لزمه ولم يفارقه اه

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً « وَإِنِّي أُنْشِدُكُمْ بِاللهِ وَأُنْشِدُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ وَأُنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَطْعَمَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَسْبَاطِكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى وَأُنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَيْبَسَ الْبَحْرَ لِآبَائِكُمْ حَتَّى أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ إِلاَّ أَخْبَرْتُمُونِي هَلْ تَجِدُونَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ فَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ فَلاَ كُرْهَ عَلَيْكُمْ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَأَدْعُوكُمْ إِلَى اللهِ وَإِلَى نَبِيِّهِ)

انتهى (وفى السيرة) في حديث سفر النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن ما مختصره انه لما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة وكان اليه علم أهل النصرانية وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها وأن بحيرا قد صنع للركب طعاماً ودعاهم جميعاً اليه فاجتمعوا اليه وتخلّف رسول الله من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يامعشر

قريش لايتخلفنّ أحدمنكم عن طعامي قالوا له يابحيرا ما تخلف عنك من ينبغي ان يأتيك الاّ غلاما وهو أحدث القوم سنّا فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش واللات والعزى انه للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته فلما فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام اليه بحيرا فقال ياغلام أسألك بحق اللات والعزى الاّ ما أخبرتني عما أسألك عنه قال لا تسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ماأبغضت شيئاً قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الاّ ماأخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما بدالك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ونظر الى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني فقال بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنّه شراً فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته (وفى هذا الخبر) أن زريرا وتمّاما ودريسا وهم نفر من اهل الكتاب رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مارآه بحيرا في ذلك السفر فأرادوه فردهم عنه بحيرا وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ماقال وصدقوه فتركوه وانصرفوا عنه (وفي السيرة) في

حديث زيد بن عمرو بن نفيل العدوى" ما مضمونه أنه فارق دين قريش وترك عبادة الأصنام الى أن قال ثم خرج أى زيد يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى الى راهب بميفعة(١) من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم أهل النصرانية فسأله عن الحنيفيّة دين ابراهيم فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي" يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ماقال يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه (اقول) كان بعث النبي في ذلك الزمان كما قال الراهب لزيد (وفي السيرة) في حديث ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي" انه استحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب (وفى حديث) سفر النبي صلى الله عليه وسلم بمال خديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم الشام نزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الي ميسرة فقال من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب مانزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي" فلما رجعوا الى مكة أخبر ميسرة سيدته خديجة عن قول الراهب وأخبرها أيضاً أنه كان يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشمس اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وأن خديجة أخبرت ابن عمها ورقة ابن نوفل المتقدم ذكره بما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ورؤية الملكين اللذين يظلان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ورقة لئن

(١) اليفاع ما ارتفع من الارض وأيفع الغلام أى ارتفع اه

كان هذا حقاً ياخديجة ان محمداً لنبي هذه الامة وقدعرفت انه كائن لهذه الامة نبيّ ينتظر هذا زمانه قال فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول حتى متى فقال في ذلك

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجَا ... لِهَمّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَاخَدِيجَا
بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَي رَجَائِي ... حَدِيثَكِ اَنْ يَكُونَ لَهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قُسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ اَكْرَهُ اَنْ يَعُوجَا
بِاَنَّ مُحَمَّداً سَيَسُودُ فِينَا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ اَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فَيَالَيْتِي اِذَا مَاكَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ اَكْثَرَهُمْ وُلُوجَا
وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
اُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعاً ... اِلَى ذِي الْعَرْشِ اِنْ سَفِلُوا عُرُوجَا
فَاِنْ يَبْقُوا وَاَبْقَ تَكُنْ اُمُورٌ ... يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَاِنْ اَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى ... مِنَ الْاَقْدَارِ مَتْلَفَةً خُرُوجَا

وفي حديث المبعث من السيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة بنزول جبرئيل عليه ليلا بقوله تعالى (اُقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اُقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ اَلْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) وأنه رأى في غد ذلك اليوم جبرئيل في صورة رجل صافا قدميه في أفق السماء يقول يامحمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل انطلقت بعدمابشرته بالنبوة الى ابن عمها ورقه بن نوفل

فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة ثم ان ورقة بن نوفل لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وهو يطوف بالكعبة فقال يابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه الله ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله الى منزله

(تنبيه) من تأمل في ترك النبي محمد صلى الله عليه وسلم ادعاء النبوة بعد قول بحيرا لعمه ابي طالب ماقال وقول الراهب الآخر لميسرة ماقال وبعد قول ورقة لخديجة لما ذكرت له ما أخبرها به ميسرة من حديث الراهب والملكين اللذين يظلان النبي صلى الله عليه وسلم عن الشمس ماقاله وتأمل أيضاً في تركه دعاء قومه الى دينه بعد ماقال له ورقة القول الآخر ووقوفه عن ذلك تلك المدة الطويلة وعن ابلاغ قومه بعد نزول الوحي عليه برهة من الزمان الى الوقت الذى أظهر فيه دعوى النبوة والزمان الذى صدع فيه بتبليغ الرسالة علم وتيقن ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع النبوة لقول احد من الناس له لا نصراني ولا غيره بأنك نبي وأن موسى وعيسى قد شهدا لك بالرسالة في كتابيهما بل كان في تلك المدة واقفا على ما حدده الله منتظراً لنزول الوحي عليه منه وأنه لم يظهر الدعوة حتى نزل عليه الوحي وأتاه الامين جبرئيل بأول القرآن نزولا وأنه لم يصدع بابلاغ الرسالة ولم ينتصب للانذار بعد نزول الوحي عليه الا بعد ورود الامر اليه من ربه جل وعلا بالدعاء والابلاغ والانذار والاعذار بقوله تعالى

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) وقوله تعالى (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) وغير ذلك من الآيات اذ لو كان ادعاؤه النبوة ودعاء الناس الى دينه من تلقاء نفسه أو لقول قائل له انك نبيّ قد شهد بذلك لك عيسى فى انجيله كما زعم خصمنا النصراني فيما أسلفنا من كلامه لبادر الى دعوى النبوة من بعد سماعه تلك الأقوال مسارعاً ولم يتلبث ولم يتربص باظهارها الى الوقت الذى أظهرها فيه لعدم الفرق في ذلك بين الزمانين لانه ليس من الجائز أن تكون تلك الأقوال ما بلغته وهاتيك البشائر به ما طرقت سمعه وكيف يكون ذلك وكلام بحيرا لعمّه أبى طالب كان بحضرته بعد سؤال بحيرا اياه عن أحواله وأموره وقول الراهب الآخر لميسرة وقع بمشاهدته وقول ورقة بن نوفل كان لخديجة وهي زوجته وليس من المحتمل أن تُخْفِيَ عنه مثل هذا الخبر العظيم وهى انما رغبت فيه مع قلة ماله وكثرة مالها لما طرق سمعها من أنه صاحب هذه المنزلة وأن الله باعثه رسولا الى البرية ففى هذا دليل لامع وبرهان ساطع على تكذيب النصراني في زعمه المتقدم مضافاً الى ما قدمنا هناك من الأدلة الواضحة على تكذيبه وهذا بمفرده فيه كفاية لأولى الألباب في العلم بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم صادق محقّ في دعوى النبوة وأنه بأمر الله عنه نطق وبأمره بالرسالة صدع والله الهادي (وفي السيرة النبوية) في حديث اسلام سلمان الفارسي أنه قال لآخر من صحبه من الرهبان وكان بعمورية من أرض الروم وهو على دين المسيح لما حضرته الوفاة الى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بنيّ والله ما أعلم أصبح اليوم احد على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلّ زمان نبيّ

وهو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرّتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوّة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل (وفيه) أن سلمان خرج من عموريّة حتى أتى المدينة فأسلم (وفي السيرة) في حديث وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر من أشرافهم منهم ثلاثة اليهم يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم لا يصدرون الاّ عن رأيه والسيد واسمه الأيهم وهو ثمالهم (أي غياثهم) وصاحب رحلهم ومجتمعهم وابو حارثة ابن علقمة أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وقد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم قال فلما وُجّهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجّها والى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة أو كور بالراء المهملة فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل انت تعست فقال ولم يا أخي قال والله انه للنبيّ الذى كنا ننتظر فقال له كوز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال ماصنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا وموّلونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك وكان يحدث عنه هذا الحديث قال ابن هشام وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التى كانت قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبي صلى الله

عليه وسلم يمشى فعثر فقال ابنه تعس الأبعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همة الا أن شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وحج وهو الذى يقول

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقًا وَضِينُها (١) معْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُها (٢)
مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُها

وفي خبر الوفد المذكور ان النبي لما دعاهم للمباهلة بعد أن حاجّهم وخصمهم قالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا ياعبد المسيح ماذا ترى فقال والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً انبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمت مالاعنَ قوم نبياقط فبقي كبيرهم ونبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم أبيتم إلا إلفَ دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا الخبر (واعلم) ان هذه الأحاديث ومايجرى مجراها مما لا يسعنا ذكره مستقصى في هذا المؤلف مروية فى التفاسير والتواريخ وكتب الحديث متفرقة وهي مشهورة بين أهل العلم والرواية وجملة منها متواتر وجميعها موافق لما أخبر به القرآن من وجود أهل الكتابين اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابيهم وانما اخترنا اخراجها من كتاب السيرة لابن هشام لشهرة الكتاب المذكور بين علماء المسلمين وكلها كما ترى مصرحة بأن علماء اليهود والنصارى كانوا

---

(١) أي باطنها مهزولا (٢) أى ولدها اه

عارفين بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من توراتهم وانجيلهم باسمه وصفته ونعته وعارفين البلاد التي يخرج منها والبلاد التي يهاجر اليها حق المعرفة وأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بذلك وخاصمهم به وناطقة بأن مبادرة الانصار من الخزرج والأوس الى الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم انما هو لما سمعوه من أحبار اليهود من نعته ووصفه واستفتاحهم عليهم به وأن من سارع من اليهود والنصارى الى الاسلام انما هو لمعرفته أو سماعه ممن يعرف أن محمداً نبيّ مرسل وأن اعراض من أعرض من الفريقين عن التصديق به وانكار من أنكره منهما انما هو مستند الى مجرد العداوة والحسد وأنه لم يعارضه أحد من أهل الكتابين بهما في رد ما أخبر به من بشارة كتابيهم به وتصريحهما برسالته بل صدّقه في ذلك الصادقون وأن كفرهم به كان ظلما وعتوّا وأن المانع لمن امتنع منهم عن الايمان به اما الحسد واما إلفُ دينه أوحب البقاء على حكم التوراة أو خوف فوات ماناله من التموّل والكرامات أو محاذرة فوات رياسته على قومه أو الانكار المحض والتكذيب الصرف الذى لايرجع واحد منهما الى حجة وأى شيء فى هذا كله من المعارضة وهي مكذبة غاية التكذيب لما سلف عن النصرانى من زعمه أن اليهود والنصارى عارضوا محمداً في اخباره بأن التوراة والانجيل بشّرا به بكتابيهم وأنه هو وأصحابه اضطروا لذلك الى دعوى اسقاط الفريقين اسمه من الكتابين ومبطلة لزعمه الواهن غاية الابطال وهي كافية شافية في اثبات مانقوله من بشارة التوراة والانجيل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واشارتهما الواضحة اليه لانحتاج في تصحيح هذا القول الى أكثر منها فان شهادة أهل كل كتاب جائزة على أهل ملّتهم ولازمة لهم مالم يتبين كذب الشهود فكيف وقد صدّقت شهودنا من الفريقين آيات الكتابين مما ذكره النصرانى مستدلاً به للمسلمين

في قولهم وما لم يذكره فأي ضرورة بعد هذا الى ما ارتكبه في تلك الآيات من التأويلات الركيكة وأي حاجة الى ما حمل عليه نفسه من حملها على الوجوه الواهية السخيفة التي لم يحملها عليه من كان قبله ممن ذكرناهم وغيرهم من الفريقين لولا ما استكن في قلبه من شديد التعصب وأضمر في ضميره من عظيم التكبر فان الأحرى به لولا ماذكرناه ان يسلك في الجحود مسلك أخويه رافع بن حُرَيْمَلَة ووهب بن يهوذا في قولهما ما أنزل الله من كتاب من بعد موسى الى آخره فيقول ما أنزل الله من كتاب بعد عيسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً ويذر ماجاء به من الاسهاب في اللغو والهذر المورثين له الافتضاح والنقص والنسبة الى الخدع والمكر وما الله بغافل عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه القلوب والابصار (ولعل قائلا يقول) ان هذه الاخبار التي اوردتموها شاهدا على اعتراف جماعة من اليهود والنصارى بوجودهم اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابيهم كلها واردة من طرقكم فكيف تقوم لكم الحجة بها على خصمائكم (فنقول له) الجواب عن سؤالك هذا من وجوه (الاول) ان معتمدنا الاقوى في الحجة على خصومنا بأن التوراة والانجيل يخبران بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما في الكتابين الموجودين الآن بأيدي الفريقين من البشارة به والاشارة الصريحة اليه وأوردنا تلك الاخبار تقوية وتأييداً للحجة ودفعاً لما حمل عليه خصمنا النصراني أقوال الكتابين المصرحة بنبوته من المحامل البعيدة ورفعاً لما تمحل فيها من التمحلات الزائلة وهي لا تقصر عن ذلك والنصارى لا يزالون يحتجون على اليهود في بشارة تورتهم بعيسى بما يوردون من طرقهم من ايمان بعض اليهود به معترفين بأن كتابهم يشهد له بالرسالة فلنا على النصارى من ذلك مالهم على اليهود ولنا على اليهود مثل مالهم على غيرهم فيما يروونه

من طرقهم في أمر موسى عليه السلام على أن الاخبار المذكورة تصلح أن تكون بنفسها حجة مستقلّة لنا على خصومنا لشهرتها العظيمة وتواتر بعضها فإنّ من أسلم من الفريقين للسبب المذكور فيها معروفون معلومون لاينكرهم منكر ولا يرتاب فيهم متدبر وكل من بلغه اخبار أتقب الاسلام من الفرق كلها علم باسلام عبد الله بن سلام وأشباهه ممن ذكر في تلك الاخبار للسبب المذكور فيها كعلمه باسلام أبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسيّ وعبد الله بن رواحة وسعد بن معاذ وحذيفة بن اليمان وأمثالهم من مشاهير المهاجرين والانصار فتقوم الحجة عليه بعلمه وتلزمه شهادة أهل ملته بشهادة كتابهم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتقوم الحجة على عامتهم بعلم علمائهم والاّ لم تقم حجة لأتباع نبيّ على نبوته على من رام خلافه ابداً وهو باطل (الثانى) انّا سنبيّن ان شاء الله تعالى انّ العلم بالشيء كما يحصل من طريق المشاهدة والوجدان كذلك يحصل من طريق النقل المتواتر أو المشهور شهرة تقرب من التواتر بل ربما حصل بدون ذلك فمهما حصل التواتر في الخبر أو مايقوم مقامه حصل العلم بمضمونه من غير التفات الى كون الناقلين موافقين لعقيدة المنقول اليه أو مخالفين كما يعلم من لم يدخل بلاد الاسلام من أهل الشرك بوجود مثل مكة وصنعاء وبغداد وأصفهان وماضارعها من بلدان المسلمين باخبار المسلمين المتواترة أو المشهورة او باخبار اصحابه عنهم ولايتوقف في العلم بذلك على موافقة الناقلين له في الاعتقاد وهكذا المسلمون بالنسبة الى أخبار أهل الشرك وغيرهم من الفِرَق (والحاصل) أن التواتر والشهرة يحصل منهما العلم اذا كان مضمون الخبر ممكنا غير مستحيل عقلا ولا شرعا واخبارنا المذكورة متواترة معنى بلا ارتياب لكثرتها وشهرتها ووحدة مؤداها وبعضها متواتر لفظاً فالعلم بمضمونها حاصل لكل احد من جهة التواتر

فلا شك في قيام الحجة عليه بها لما بيّناه من ان المعتبر حصول العلم لانفس الناقل وليس من الانصاف أن يعلم خصمنا النصرانى من نقل المسلمين خبر ورقة بن نوفل وتنصّره فيشبّه عليهم به ويموّه فيما يأتي من كلامه ولا يعلم بذلك النقل بعينه اعتراف ورقة المذكور ببشارة الكتب السابقة بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بنبي توافق صفته فيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا ليس من الانصاف ان يعلم الخصم بكثير من أحوال المسلمين في صدر الاسلام من نقل علمائهم فيهمهم بها ولا يحصل له العلم باعتراف من أسلم من اليهود والنصارى بشهادة كتابهم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة بمثل ذلك النقل أو بأقوى منه فيقول لاتقوم عليّ بذلك حجة وهل هذا الا معاندة صرفة لايطلب صاحبها بالمناظرة الهداية والامر فيها واضح (على انا نزيد على هذا فنقول) لاشك ان علماء النصارى وغيرهم خصمنا وغيره ممن قرؤا تواريخ المسلمين ووقفوا على مافيها من أحوال الناس قد حصل لهم العلم من نقل أهلها بشجاعة قوم من العرب المسلمين وأهل الجاهلية مثل أمير المؤمنين عليّ بن ابى طالب وحمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وخالد بن الوليد ومالك الأشتر وأضرابهم ومثل ربيعة بن مكدّم وقتيبة بن الحارث بن شهاب وعنترة بن شدّاد وبسطام بن قيس وعامر بن الطفيل وعمرو بن عبدودّ وأمثالهم وبكثير من وقائعهم وحوداثهم فكيف لايحصل لهم العلم بمضمون الأخبار المذكورة من نقل أولئك النقلة بأعيانهم وموافقة غيرهم من أهل السير والتفسير لهم في نقلها أيضاً فتقوم عليهم بها الحجة فهل هذا الاّ خروج ظاهر عن جادّة الصواب (الثالث) انا سوف نوضّح فيما يأتي بعون الله أن الروايات اذا سقط الاحتجاج بها رأساً لم تقم لنبي حجة على من لم يشاهد معجزه اصلا وأن من غاب عنه ولو كان في عصر ذلك

النبي لم يلزمه الاقرار بنبوته لأنه لم يشاهد معجزه حين أظهره والنبوة لاتثبت من دون اظهار المعجز والغائب عن اظهاره انما بلغه ظهوره من قِبَل رواية مشاهده والفرض ان الرواية لا تعويل عليها رأساً أو في مثل ذلك الامر فلا تثبت نبوة ذلك النبي على من غاب عن مشاهدة اظهاره المعجز البتة وعلى هذا فلا يجب بل لايجوز الاقرار بنبوة عيسى ولاموسى ولاغيرهما على من لم يكن حاضراً وقت اظهار كل منهم المعاجز ولا يجب الاقرار مطلقاً الابنبوة محمد لأن بعض معاجزه وهو القرآن مشاهد فى كل زمان ولا خفاء في بطلان هذا اللازم عندنا وعند النصارى واليهود بل عند كل عاقل ولادفع له الابالحكم بأن الرواية في الجملة يجب التعويل عليها مطلقاً ورواياتنا المذكورة جامعة لشروط الاعتماد عليها كما بينا فتكون حجة على الخصوم فلا طعن لهم فيها فاندفع السؤال

(فان قيل) انكم حكمتم بأن الخبر المتواتر يحصل به العلم مطلقاً فلم كذبتم النصارى فى نقلهم عن عيسى بن مريم انه ادعى الربوبية (قلنا) الجواب عن هذا السؤال من وجوه (الاول) ما أشرنا اليه في المقالة الاولى من فقد خبرهم لشرط التواتر فى بعض طبقات المخبرين لانهم في عصر عيسى عليه السلام قليلون جداً لايحصل من خبرهم تواتر ولاشهرة (الثانى) اختلافهم فيما أخبروا به عن عيسى فان منهم من أخبر عنه أنه ادعى أنه الله ومنهم من أخبر عنه أنه ادعى أنه ابن الله ومنهم من أخبر عنه أنه ادعى أنه ثالث ثلاثة وكل هذه الاخبار موجودة فى كتاب النصرانى فوصف عيسى في مواضع من كتابه بكل واحد منها في موضع ومنهم من نسب عيسى نسبة غير هذه النسب وخالفه غيره في نسبة عيسى وقد ذكرنا ذلك فى مبحث التحريف من المقالة الاولى ومنهم من أخبر عن عيسى بأنه أقر بأنه عبد الله ورسوله وهؤلاء أهل الحق من أتباع عيسى واذا كان مثل

هذا الاختلاف واقعاً في خبرهم أخرجه لامحالة عن التواتر بل أخرجه عن كونه آحاداً مقبولا وألحقه بالمعلوم كذبه فلم يبق للتعويل عليه مقدم (الثالث) أن صحة الخبر كائناً ما كان تتوقف على كون مضمونه ممكناً غير ممتنع ودعوى عيسى الربوبية ممتنعة عليه ومستحيلة منه لثبوت نبوّته والنبي المرسل يمتنع عليه ان يدعو الناس الى الكفر أو الشرك لحكم ضرورة العقل بوحدانية الله ولأن جميع الرسل جاؤا بتوحيد الله وأن لا اله غيره فلا يكون الخبر المناقض لذلك عن عيسى صادقاً البتة وقد أشرنا الى هذا فى الوجه الثاني من جواب السؤال الاول فسقط السؤال ولم يبق علينا به اعتراض

المقامة الثانية

في ايرادما عن التوراة من الآيات الدالة على صدق نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعربة عن صفاته (قال النصرانى) على أن المسلمين لم يزالوا الى الآن يستشهدون ببعض آيات من التوراة والانجيل زاعمين أنها تدل على صدق نبوته ورسالته فقصدنا أن نذكر في هذا الفصل بعضاً منها لنرى هل فيها دلالة على ذلك أم لا فنقول من آيات التوراة التي يستشهدون بها لاثبات صدق نبوّة محمد ورسالته قول موسى الكليم (يقيم لك الرب آلهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون) وقوله (أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) وذكر الكلامين عن تثنية الاشتراع (اقول) وهذا الكلام صريح في ارادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاغيره بدليل قوله واجعل كلامي فى فمه فان معناه أنه لاينزل عليه كتابا مكتوبا بل ينزل الوحي على قلبه فينطق به ولم يكن بعد موسى من هو كذلك الا نبينا محمدا فان الله

أنزل الوحي على قلبه وجعله في فمه كما قال تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ولا يجوز حمله على عيسى لأن عيسى عليه السلام لم ينزل الوحي على قلبه ولم يجعل الله كلامه في فمه بل أنزل عليه كلامه وهو الانجيل مكتوبا في صحف مقروءا فلا يصدق اللفظ عليه لا حقيقة قطعاً ولا مجازا لفقدان القرينة وأما قوله (من وسطك واخوتك) فالمراد به من أفضل نسبك من اخوتك وكذلك قوله في الآية الثانية من (أوسط اخوتهم) أى أفضل اخوتهم نسباً وليس لبنى اسحق اخوة بعث الله منهم نبياً بعد موسى الا بني اسمعيل والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم نسبا وأكرمهم حسبا ومن هذا يعلم بطلان ماموه به النصرانى على دلالة الكلام بأن قوله (يقيم لك الرب الهك) الخ كان خطابا من موسى لبني اسرائيل فقوله (من اخوتك) راجع الى بنى اسرائيل لا محالة وبيان بطلانه مضافا الى ماسبق من وجهين (الاول) توحيد الضمير في الهك ووسطك واخوتك فانه يقتضي ان يكون الخطاب من الله لموسى ولو كان الخطاب من موسى لبنى اسرائيل لقال الهكم واخوتكم ووسطكم اذ لا يخاطب الجمع بضمير المفرد بخلاف العكس (الثانى) أن النبي المشار اليه فى الآية لو كان من بنى اسرائيل لقال منك ولم يقل من اخوتك لأن ذلك هو المتعارف في اللغة العربية قال الله تعالى في القرآن يخاطب العرب أو قريشاً خاصة (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) وقال (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) ولم يقل من اخوتكم ولا من اخوتهم وغيرها من اللغات مثلها في ذلك ثم لو سلمنا ان الخطاب من موسى لبنى اسرائيل كما زعم لم يضرنا ذلك في دلالة الآية على مطلوبنا لأن اخوة بني اسرائيل هم بنوا اسماعيل لا همتم

أنفسهم ثم لو سلمنا جواز ارادة بني اسرائيل من لفظ اخوتك على فرض أن الخطاب من موسى لكان يجب العدول عنه الى ماقلنا بدلالة الآية الثانية عليه وهو قوله فيها (من وسط اخوتهم) فانه صريح في ارادة غير بنى اسرائيل من لفظ الاخوة اذ لايجوز أن يكون بنوا اسرائيل اخوة أنفسهم لاستحالة أن يكون الانسان أخا نفسه فالآية الثانية قرينة واضحة على بطلان تأويل النصرانى في الآية الاولى ومعيّنة لما قلناه فيها كما ترى

واعلم ان تكميل البيان فى هذا المقام يحتاج الى ايراد كلام (فنقول) الأخ يطلق في جميع اللغات على المتولّد من أبوي انسان أومن أحدهما فهما اخوان وهذا هو الأصل في الأخوة ويطلق على الواحد من القبيلة لأنه من ولد أبيهم الأعلى كما يقال للأسدى مثلا يا أخا بنى أسد وللقرشي ياأخا قريش ويطلق على الواحد من الصنف كما يقال للعربي يا أخا العرب وكل هذا معلوم ويطلق على أهل دين واحد ومنه قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقول حسان بن ثابت

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ... قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْحَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

أراد بالذوائب من فهر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من قريش لأنهم من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وباخوتهم الانصار والمسلمين ذلك الوقت من سائر قبائل العرب وتطلق الاخوة على قبيلة بالنسبة الى قبيلة أخرى كما يقال لبنى ربيعة بن نزار هم اخوة بني مضر ابن نزار وبهذا الاطلاق يطلق على رجلين احدهما مضريّ والثاني ربعيّ انهما اخوان وشواهد هذا كثيرة في كلام العرب نظما ونثراً ومن قول جرير بن عبد الله البَجَلي وهو من ولد أنمار بن نزار يخاطب الأقرع

ابن حابس التميمي وهو من ولد مضر بن نزار ورجلا من ربيعة مستنصراً بهما على القرافصة الكلبي

أَبَنِيْ نِزَارٍ انْصُرَا اَخَاكُمَا   اِنَّ أَبِي وَجَدْتُهُ أَبَاكُمَا
لَنْ يُغْلَبَ اليَوْمَ أَخٌ وَالاَكُمَا

فسمى الرجلين وأحدهما من مضر والآخر من ربيعة أخويه وهو من ولد أنمار بن نزار لأنهم جميعاً من ولد نزار بن معد بن عدنان وتسمية القبيلتين أخوين اما لاجتماعهما في الأب الأعلى كما يشير اليه قول جرير واما لكون العم يسمى أباً ومنه قوله تعالى (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ اِذْحَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ آبَائِكَ اِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ) واسمعيل عم يعقوب وسموه أباً ولازم هذا الاطلاق تسمية بني العم اخوة فولد اسمعيل اخوة ولد اسحق لاجتماعهم معاً في ابراهيم الخليل أو لأن اسمعيل أطلق عليه اسم الأبوة لولد اسحق (والاخوة) في آيتي التوراة بهذا المعنى لا يحتمل فيهما غيره من المعاني خصوصاً الثانية الا ترى أنه لو قيل لبني ربيعة مثلا انه يملك فيكم رجل من اخوتكم لم تنصرف أذهانهم الا الى كون ذلك الرجل من مضر ولا يحتملون انه من ربيعة الا اذا قيل لهم يملك فيكم رجل منكم وهذا ظاهر معروف عند كل عارف بمخاطبات الناس ومحاوراتهم وفي قول الله تعالى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) دون أن يقول من اخوتكم ما يشهد شهادة صريحة بما اعتمدناه (وقول النصراني) ان اخوتك الكثير وروده في اسفار التوراة يختص ببني اسرائيل دعوى لا حجة عليها ولا دليل على أن الحمل على الأكثر لا يجرى الا مع

فقد القرينة على ارادة الأقل (وأما استدلاله) على مدّعاه بما فى تثنية الاشتراع (ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير) فممّا لاينبغى أن يذكره لوعقل لأن الأخ هنـا اعم من الاخ في الدين ومن الاخ في النسب والاول لايختص ببنى اسرائيل ولواختص بالأخ من النسب أيضاً لم يختص بهم بل يعمّ ولد اسمعيل وولد مدين لأنهم اخوة بنى اسرائيل من النسب كما حققناه فالقول لنا لا له لكنه لا يعقل وكذاقوله (لاتظلم اجيراً مسكيناً وفقـيراً من اخوتك) فانه لايختص بالاخوة من النسب ولو اختص لم يختص ببنى اسحق دون بنى اسمعيل و بنى مدين والاّ لكان لموسى ظلم فقير من احد القبيلتين وهو محال وعلى فرض اختصاصه ببنى اسرائيل فهو موضع واحد وهو خلاف المدعى ففسد مارآه من اشارة الآيتين الى بنى اسرائيل بأوضح الفساد (وأما قوله) ان المسيح قد اكد مثبتاً انه هو ذلك النبي الموعود به واستدلاله عليه بما عن بعض رسائل أصحابه من قول عيسى لليهود (لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى) فأوضح فساداً من الاول لأن الكلام لايومي أدنى ايماء الى ان النبي المذكور في الآيتين هو عيسى لاغيره وغايتـه اخبار عيسى عن بشارة موسى فلو صدقوا موسى لصدقوه ونحن لاننكر بشارة التوراة بعيسى كما بشّرت بمحمد صلى الله عليه وسلم بل نثبتها والبشارة بأحدهما لا تستلزم عدم البشارة بالآخر فلا دليل للنصراني فيـه أصلا على أنا نجيبه مع ذلك بوجهين آخرين (الاول) ان اليهود ينكرون ارادة عيسى من الآيتين ويثبتون أن المراد منهما نبي غيره ولا يثبتون لعيسى نبوّة فمن أى وجه رجح انكاره واثباته على انكارهم واثباتهم وبأى دليل يقدّم قوله على قولهم (الثانى) انه قد ادّعى فيما مضى من كلامه أن عيسى هو الله لامحالة ومن المعلوم أن الله ليس من بنى اسرائيل ولا من بنى غيره لأن الله لاأب له وادّعى أخرى

أن عيسى ولد لله واذا كان ولد الله فكيف يكون ولد اسرائيل حتى يكون من اخوتهم اذ لا يكون لواحد أبوان وبالجملة فهو مرتطم (أي موحل) في أمر المسيح لايدري أهو رب أم ولد الرب أم انسان نبي فهو يقول فيه كل وقت مايجري على لسانه بغير معرفة بحاله ولا خبره فاقواله فيه متخالفة وهو حائر مرتاب (ومما حققناه) يتبين جلياً بطلان قوله أخيراً ومن ثم تحقق أن دعوى المسلمين هذه هي باطلة لا صحة لها بل يتعين أن الباطل كلامه ودعواه (وأما ماذكره) عن سفر التكوين من التوراة من قول موسى (فقالت سارة لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها يعني اسمعيل لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابني اسحق فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه فقال الله لابراهيم لايقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحق تدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله امة لأنه نسلك) فأول مافيه ان المعروف عند أهل العلم من المسلمين واليهود ان طرد سارة هاجر وابنها اسمعيل وحمل ابراهيم اياها الى حرم الله بأمره كان قبل ولادة اسحق فلا صحة لقوله لأن ابن هـذه الجارية لايرث مع ابني اسحق فلا يصح مابني عليه من الكلام وعلى فرض تصديق النصراني في النقل من غير تغيير لألفاظه لاحجة له فيه بل هو حجة لنا ودليل على قولنا لأن قوله لايرث مع ابني من قول سارة فلا عبرة به لمخالفته الشرع في استحقاق الولد الميراث والا لم يستحق اسحق أيضاً ميراثاً (وقوله) لأنه باسحق يدعى لك نسل لا يستلزم انحصار النسل فيه والا لكان مناقضاً لقوله في اسمعيل لانه نسلك فيبطل الكلام كله للتناقض خصوصاً على مايشترطه النصراني (وقوله) في اسمعيل سأجعله امة يكاد يصرح ببعث نبي مرسل من نسله لأن الأمة وان كانت في أصل اللغة تطلق على النوع الواحد من المخلوقات كقوله تعالى

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) وعلى الجماعة من الناس كقوله تعالى اخباراً عن موسى عليه السلام (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) وعلى الواحد بقصد التعظيم كقوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الا انها في عرف الشرع تصدق على قوم بعث فيهم نبيّ مرسل بشرع مستقل وكتاب كما يقال امة موسى وامة عيسى ثم يتناول الاسم جميع اتباع ذلك النبيّ فمعنى الكلام اني سأبعث في ذرية اسمعيل رسولا بشريعة وكتاب فيكون نسله امّة اكراما له لأنه نسلك ولم يبعث الله في بني اسمعيل نبياً بهذا المعنى الا محمّدا صلى الله عليه وسلم فالكلام وعد من الله بارساله من ذرية اسمعيل رسولا اذلا يصلح حمل الأمّة في الكلام على غير المعنى الرابع من المعاني المذكورة اذلا موقع لواحد منها ولامفاد معتدّا به لأن الكلام وارد مورد المدح والتشريف ولاشرف في مجرد تكثير النسل من دون أن يكون فيه من له مزية وفضيلة عند الله والاّ لكان حام ابن نوح أفضل من ابراهيم لأن نسله وهم السودان والهند والسند والقندهار اكثر من نسل ابراهيم بأضعاف ثم يجري ذلك في موسى وعيسى وزكريا ويحيي وغيرهم فيقال للكفار الذين كان لهم نسل انهم افضل منهم لأنهم لا نسل لهم وهذا محقق بطلانه فمعنى الكلام ماذكرناه لامحالة وبه يثبت المطلوب (وماذكره) عن سفر التكوين ايضاً من قوله (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبديا لنسله من بعده وأما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جدّا اثني عشر رئيساً يلد وأجعله

أمة كبيرة ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة) فانه يدل على ان طرد سارة اسمعيل وأمه وذهاب ابراهيم عليه السلام بهما الى الحرم واسكانه اياهما في مكة قبل مولد اسحق عليه السلام وهو مناقض لصريح الكلام الاول فأى الكلامين يصححه النصراني وأيهما يبطله والتناقض لايجوز في كلام الله وليس هــذا من موارد النسخ ولو كان منه أيضاً لم ينتفع به لأنه لايجوّز النسخ فالرجــل يقول ماسنح له ولا يدرى ماعليه في قوله وماله منه فهو كالسكران يتكلم من غير شعور ثم مافي الكلام مايتعلل به النصراني الا لفظ « أبديا » وهذه الكلمة ليست فى التوراة وانما أدخلها النصراني في الكلام هنا ليصلح بها أمره ويدل على ذلك وجهان (الاول) مابيناه فى المقامة الاولى من اعتراف جملة من علماء اليهود والنصارى ببعث نبي من العرب مخرجه من مكة ومهاجره المدينة وكلهم يقرؤن التوراة ويقرّون بها وأن النبي صلى الله عليه وسلم خاصم اليهود فى صدق نبوّته بتوراتهم فلو كانت هذه الكلمة في التوراة مرادا بها حقيقتها لم يعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من اعترف منهم لانه مخالفة للتوراة بغير غرض لأن جماعة من المعترفين لم يؤمنوا به فلم يكرههم ولكان أحبار اليهود المكذبون بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ممن ذكرناه وممن لم نذكره يحضرون التوراة ويحاجون النبي صلى الله عليه وسلم منها بهذه الكلمة فيدفعون بها عنهم حجته وملام أصحابه لهم على تركهم الايمان به فانه لااحتجاج عليهم بكتابهم في ذلك بعد ثبوت هذه الكلمة فيه ولا عطر بعد عروس وشيءٌ من هذا لم يكن فالكلمة اذاً غير موجودة في التوراة (الثاني) ان الكلمة المذكورة لو كانت في التوراة لدلت على بطلان نبوّة شعيب لأنه لم يكن من نسل اسحق وانما هو من نســل مدين بن ابراهيم الخليل ونبوّة شعيب لاتدفع وقد صحبه موسى وتزوج

ابنته صفيراء فالكلمة ليست في التوراة أصلا ثم لو كانت فيها فلا ضير علينا منها لتعيّن ان المراد منها غير حقيقتها للوجهين المذكورين فتحمل على طول المدة لنبوّة ولد اسحق أو على كثرة الأنبياء فيهم لا على اختصاص النبوة والاول مسلّم عندنا فانا نعلم انّ أكثر الانبياء من ذرية ابراهيم كانوا في نسل اسحق (وقوله) ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الخ الكلامُ فيه كالكلام في لفظ أبديّا حرفا بحرف (وقوله) في اسمعيل فقد سمعت لك فيه دليل على مانقول من ارسال الله من نسله رسولا بشرع وكتاب فانّ الذى سمعه الله لابراهيم أى استجاب له في اسمعيل هو ما أخبر الله جل وعلا عنه في القرآن الكريم في قوله (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) والاّ فليقل النصرانى أيّ كلام لابراهيم سمعه الله له في اسمعيل غير هذا أوما بمعناه لنعرفه (وقوله) ها انا أباركه مثل الاول في الدلالة على ما نقول لأن جعل البركة في اسمعيل اشارة الى بعث نبيّ من ذريته مرسل بشرع مستقل وكتاب معروف لا مجرد تكثير نسله والاّ كان قوله اثمره واكثره تكريرا لافائدة فيه ولما قلنا في الكلام الاول فالقولان متوافقان والكلامان فيما نقول متطابقان (وقوله) اثني عشر رئيسا يلد صريح في صحة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيما يذهب اليه أهل مذهبنا الامامية من أن أوصياء النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر كلهم من قريش من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهم

من ولد اسمعيل عليه السلام هم رؤساء على جميع الخلق ودليل ذلك من وجهين (الاول) ان المراد بالرياسة هنا هي الرياسة الشرعية على جميع العباد بأن يكون ذلك الرئيس منصوباً من الله للهداية مفروض الطاعة على البرية اذ الرياسة بسلطان الجور والجبروتية لاخطر لها عند الله سبحانه وتعالى حتى يبشر بها ابراهيم خليله في ولده تعظيما له وتكريما وتبجيلا لمقامه وتفخيما والرياسة الشرعية لا تكون الا بالنبوّة أو الامامة والامامة مستلزمة للنبوّة لأن الامامة خلافة عن النبوّة ومن المعلوم أنه ليس فى ذرية اسمعيل اثنى عشر نبيا فالرؤساء المبشرّ بهم فى ذريته هم الائمة الاثنى عشر لامحالة ورياستهم على العباد بالامامة والخلافة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يكن فى ذرية اسمعيل نبيّ ذو شرع وكتاب الا محمد فهو النبي وهم أوصياؤه فثبت المطلوب (الثانى) انه لو أريد مطلق الرياسة شرعية أو جائرة لم تنطبق القضيّة على الواقع لأن الكلام يفيد الانحصار فى الاثنى عشر لتقديم المفعول على الفعل الدال على ذلك وليس في ولد اسمعيل اثنى عشر ملكا لايزيدون ولا ينقصون لافي الجاهلية ولافي الاسلام بل الرؤساء فيهم بغير امامة شرعية فى الجاهلية والاسلام يزيدون على المائة والمائتين والاكثر من ذلك فلا تصدق الجملة ولاتنطبق الاّ على ما قلناه وبه يثبت مطلوبنا وتكون الآية حجة لنا والرؤساء المشار اليهم أولهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ثم احد عشر من ولده واحداً بعد واحد وآخرهم المهدى عجل الله فرجه وهو نص ماتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم مما مضمونه ان الائمة بعده اثنى عشر كلهم من قريش (وهذا البيان) يؤكد ماقلناه في لفظ ابديا وعهدى أقيمه مع اسحق من حملهما على المجاز ان كانا فى أصل التوراة اذ لولا حملهما على ذلك لتناقض الكلام ودفع بعضه بعضاً لأن اللفظين المذكورين اذا قصد

بهما الحقيقة دلاّ على أنه لانبيّ في غير ولد اسحق والكلام يقتضي ان يكون في ذرية اسمعيل نبيّ وأوصياؤه ولا مساغ للتجوّز فيه لانه لايحتمل غير ظاهره فيحصل التناقض الذي لايجوز أن يكون في كلام الله ولامخلص منه الابما ذكرناه فيكون متعينا فعاد دليل النصراني دليلا لنا ناطقاً بصدق ملتنا ومصرحاً بصحة مذهبنا (وما ذكره) ثالث مرة عن سفر التكوين لاتعلق له فيه على ما يريد لأن وعد الله لاسحق بالبركة في نسله وبعث أنبياء منهم لا ينكره المسلمون بل يعترفون به تمام الاعتراف والقرآن الكريم ناصّ عليه وليس هو مدّعى الخصم وانما مدعاه انحصار النبوّة فى ولد اسحق والكلام لا يومى اليه أدنى ايماء فضلا عن الاشارة فلامعارضة فيه لارادة نبينا صلى الله عليه وسلم من الآيتين المذكورتين فلذا أضربنا عن التطويل بذكره صفحاً (وقوله) بعد الكلام المشار اليه ولم يكن ريب عند اليهود فى صحة ذلك لاينفعه لأنا لانرتاب أيضاً فى نبوّة اسحق ومن اختاره الله من ولده وانما نردّ دعوى انحصار النبوّة فيهم واليهود كما أنهم لايرتابون فيما ذكر كذلك لايرتابون فى بشارة التوراة بنبيّ يبعثه الله من بنى اسمعيل رسولا بشرع وكتاب كما أوضحناه من أقوالهم وغاية مايدّعيه المتعصبون منهم أنه غير محمد الذى بعثه الله فهم ينتظرون من أتى ويرتقبون من مضى لشدّة حمقهم وتعنتهم ويرتابون فى عيسى ونبوّته ولا يثبتون أنه من ولد اسحق فان كان عدم ريبهم فى مدعى الخصم حجة عنده فليكن عدم ريبهم فى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجملة وريبهم فى عيسى حجة عنده أيضاً فيبطل مدّعاه ارادة عيسى من الآيتين على أنه لو عارضه يهوديّ فقال كيف تدّعى أن عيسى من نسل اسحق وأن الآيتين المذكورتين من التوراة تبشّران به وتشيران اليه وأنت تزعم أنه الله أوابن الله فمن أين يكون الله أو ابن الله من نسل

اسحق لم يكن له جواب عن هذا الاعتراض الا بما لا يعقل ولا يفهم (وما ذكره) عن الرسالة الى أهل غلاطية من قوله (وأما المواعيد فقيلت في ابراهيم وفي نسله لايقول وفي الأنسال) الى قوله (وفي نسلك الذي هو المسيح) ان صح أنه من الانجيل كما زعم فهو حجة لقولنا لان انسال ابراهيم هم ذرية اسمعيل وذرية اسحق وذرية مدين جميعا فالمواعيد فيهم كلهم فمن مدين شعيب ومن اسمعيل محمد صلى الله عليه وسلم ومن اسحق موسى ومن قبله ومن بعده من الانبياء وعيسى منهم على مانقول فانا نعترف بنبوته وأنه عبد الله ورسوله وانما ننكر ختم الرسالة به والكلام لايرد مانقول لابنص ولا فحوى لأن دلالتـه على نبوة عيسى على جهة الاطلاق الذي لاينافي بعث نبي بعده فينبغي أن يحتج به على اليهود لأنهم ينكرون كون عيسى من نسل ابراهيم فهو حجة عليهم ان صدقوا به لاعلينا لأنا نقول بمقتضاه واليهود لايرون هذا الكلام صحيحاً من أصله لابتناء صحته على صحة نبوة عيسى وهم لها منكرون ثم ان الكلام على زعم النصراني غير صحيح ايضاً لان المسيح عنده بزعمه هو الله لامحالة والله لا يكون نبيا بل هو باعث الانبياء فليس له من المواعيد التي قيلت في انسال ابراهيم شيء ولا هو من نسل ابراهيم بل هو على زعم النصراني رب ابراهيم والرب لا يكون ولد عبده فعاد رداً عليـه خبره وبطل تموبهه وسحره فأبعد بزعمه زعما ويدينـه ديناً ثم ان هـذا الموضع من جملة المواضع التي تخالف كتب النصارى بعضها بعضاً فيها لان هـذا الكلام يصرح بأن المسـيح من نسل ابراهيم فهو انسان البتة وبعض كتبهم يقول ان المسيح هو الله نفسه وبعضها يقول انه ابن الله وبعضها ينسب اليه غير ذلك كما مر ذكره عليك مراراً فهذا التناقض دال على اختلاقها ومخالفتها لأصـل الانجيل فالواجب على النصراني

بمقتضى شروطه في النبيّ وكتابه أن يحكم ببطلان تلك الكتب ويبرأ من كاتبيها ويدخل في دين الاسلام فانْ منعته العصبيّة عن ذلك فليكن يهوديا فان استكبر عن اداء فرائض التوراة لاسيما الختان فليكن وثنيا أو دهريا وذلك الاحرى به (وأما ما كـثّر به) من ذكر لفظ الوسط فهو حقيق بالاعراض عنه لولا توهم من ليس له رسوخ في العلم ان له تعلّقا به في مرامه (فلذا نقول) ان المراد بالوسط في الآيتين الافضل كما أشرنا اليه أو الفاضل وليس المراد به الجزء الواقع بين طرفي الشيء اوله وآخره كما دار في خَلَدِ الخصم ولو كان كذلك لكان محمد صلى الله عليه وسلم ايضاً أولى به من عيسى لأنه بعث من قوم لم يبعث من أولهم قبله ولا من آخرهم بعده نبي بشرع وكتاب فوجود لفظ وسط وعدمه سواء في مرادنا غير مخلّ أحـدهما بشيء منه بل ذكره أوضح لحجتنا وأدلّ على مقصودنا فتبصر (هذا) ولو رجعنا الى ماحققناه وأثبتناه في المقالة الأولى من وقوع التحريف في التوراة والانجيـل بالزيادة والنقص والتغيير في الألفاظ والتبديل وأن المقطوع به أنه من أصليهـما ماطابق مفاد القرآن من الأخبار لسقطت عنا كلفة مناظرته فيما أورده وبقي لنا منه مايدل على قولنا لأنه موافق للقرآن العظيم والخصم مقر لنا بصحته ولكنا ناظرناه من باب مجاراة الخصم وظهر لنا الفَالِج (أي الظفر والفوز) عليه

قال ومن آيات التوراة التي يستشهدون بها لاثبات صدق رسالة محمد قول داود في الزبور الالهي (تقلّد سيفك على فخذك ايها الجبار جلالك وبهاءك وبجلالك اقتحم اركب من اجل الحق والدعـة والبر فتريك يمينك مخاوف) انتهى

أقول الاوصاف المذكورة في الكلام مطابقة لصفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أُمِر من الله لمّا بعثه بحمل السيف والركوب الى

مخاوف القتال والاقتحام في غمرات الحروب ومكابدة الأهوال كما يصرح به قوله تعالى (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) فكان هذا دأبه حتى ظهر الحقّ والبرّ ومن هذا عرف أحبار اليهود وأساقفة النصارى ورهبانهم أن نبينا محمداً يبعثه الله بالسيف وسفك الدماء فالكلام قُصِدَ به النبي محمد لا غيره خصوصاً قوله (وبجلالك اقتحم) وما قبله من الالفاظ الثلاثة فانه كان صلى الله عليه وسلم يشهد الحرب وعليه جلالة الملوك وبهاء السلطنة وهيبة الجبروت بين يديه العساكر كالليوث وعلى رأسه تخفق الألوية فهو من أصرح الادلة على صدق نبوته ورسالته وأنه بعث بالسيف والملك فما ذكره النصراني من التشبيه والتمويه فيه بقوله ان المراد به المسيح ظاهر الفساد لكل ذي خبرة لان المسيح لم يتقلد السيف ولم يعرفه ولا اقتحم في الحرب ولا ركب اليها فرساً ولا ناقة ولم يكن عليه جلال الملك ولا له هيبة سلطان ولا عزة مقتدر غالب بل كان عليه السلام في زمانه في زيّ أهل الفقر والمسكنة واصحابه كذلك فمن أين تنطبق عليه تلك الاوصاف المذكورة حتى يكون هو المقصود بها على أنه لوكان هو المراد من الكلام لثبت عليه العصيان لانه لم يفعل من تلك الافعال شيئاً فيكون مخالفاً لما امره الله به وحاشاه من ذلك فلم يكن هو اذاً المقصود بالخطاب بل المخاطب به سيد الانجاب محمد المبعوث بالصواب (ودعواه) ان ذلك يكون بعد نزول المسيح من السماء امنية كاذبة يخالفها مفهوم الكلام لانه يفيد أن الاوصاف حاصلة للموصوف حين بعثه لا حين رجوعه بعد الموت (وفريته) على عيسى في قوله عنه دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الارض (وكذبة يوحنا) في قوله ان الاب لا يدين احدا بل قد اعطى كل الدينونة للابن (ومخرفة

بولس) في قوله ايا كم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح انتهى فهن مع كونهن من الاضاليل الصريحة الموجبة للشرك بالله العظيم والكفر به مع مافيهن من التناقض من جهة تصريح كذبة يوحنا بأن المسيح هو ابن الرب ونطق مخرفة بولس بان المسيح هو الرب فيبطلان جميعاً للتناقض الحاصل فيهما لا يغنين عن النصراني غناء في مطلبه اذ ليس شيء منها يصف عيسى بشيء من الاوصاف المذكورة في كلام الزبور من تقايد السيف والاقتحام في لجج الحروب وركوب الخيل لاجل الحق ورؤية المخاوف لانه لا خوف على عيسى بعد نزوله من السماء على الوجه الذي ذكر في الاقوال الثلاثة الفرية والكذبة والمخرفة وليس فيهن من تلك الاوصاف لعيسى عين ولا أثر كما ترى فلا يحمل مافيه على مافيهن الا من ليس له فهم اصلا ولا معرفة بمعاني الكلام وأيضاً إن كلام الزبور يصف عبداً مرسلا من عباد الله ورسله وتلك المفتريات تصف رباً قاهراً والرب لا يتقلد سيفاً ولا يركب فرساً ولا بعيراً ولا يقتحم هولاً ولا يرى مخوفاً وبوصفها المسيح بصفات الله تعالى قطعنا وجزمنا بكذبها وبكفر قائليها وبطلان دعوى انهم انبياء كما تقدم في المقالة الاولى والثانية بيانه ووضح برهانه وما يصرح بالكفر باطل في نفسه فلا يكون دليلا لو كان في المطلب صريحاً فكيف يكون كذلك وقد أصبح عن المراد بعيداً ومع هذا كله فيجري فيه ما ذكرناه أولا من أن كلام الزبور كالصريح في أن المتصف بتلك الاوصاف عند ارسال الله اياه الى خلقه في دار التكليف داعياً الى الحق وفريات النصراني ومختلقات اصحابه تنص على أنّ ما عزوه لعيسى يكون بعد موته وأين هذا من ذاك حتى يصح حمل كل منهما على الآخر لو سمع الرجال وابصر وتدبر وتفكر لكنه

مطموس القلب ومسلوب البصر (وتأمل) في قوله لعيسى انه في نار لهيب تجده معلما بسفاهة قائله وقلة عقله وكيف يكون الرّب في نار لهيب وهي منزل الكفرة (ثم يقال لبولس) أنتم الذين لا تعرفون الله اذ سمّيتم رسولا من رسله باسمه ووصفتموه بصفاته فأنتم الذين تحلّ عليكم النقمة عند نزول المسيح من السماء (وماذكره) مستدلا به على مرامه من مسخرة يوحنا في قوله (ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس احد يعرفه الاّ هو وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والأجناد الذين يتبعونه في السماء على خيل بيض لابسين بزّا أبيض ونقياً ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب) فهو من المضحكات الطريفة والوساوس السخيفة والخيالات السوداوية ولاشك أن الذي تزيا بذلك ليوحنا وخيّله له هو ابليس عليه لعنة الله ومع كون الكلام من أبطل الاباطيل المضلة لا مستند لمورده فيه أصلا في مرغوبه اذ لا يصف ذلك الخيال المتخيل بشيء مما يصف به الزبور ذلك النبيّ المبجّل والرسول المكمّل المفضّل وانما يصف ذلك الخيال بما تحكم بعدم حصوله وعدم تصوره عقول الألباء الأبدال فلا يصح حمل مقال الزبور عليه بوجه من الوجوه يقينا (وكان) شيخنا ووالدنا المقدّس الشيخ عبد الله بن الشيخ عليّ يقول في بعض افاداته مامعناه ان الكلام اذا كان كذباً فلا بدأن يكون فيه ما ينبّه أهل الفطنة على أنه كذب وصدق قدّس الله سره فيما قال (وأقول) ان هذه المضحكة مما يضحك الثكلى التي ذبح عشرة من

بنيها في حجرها ومع ذلك لم يكن لعيسى فيها ذكر أصلا وان كان هو مراد موردها ومقصود مفترعها فنخاطب الآن النصراني في معانيها (فنقول لا يقال لمن على الفرس جالس وانما يقال راكب لكن الامر فيه سهل وعلى من يحكم ذلك الجالس على الفرس الابيض وليس في السماء خصوم متنازعون ولا أقوام في العقائد والاحكام متحالفون ولمن يحارب ان كان هو عيسى وليس هناك يهود كذّبوا به ولا نصارى كذبوا عليه ولا وثنيون ولا دهريون حتى يتعب نفسه في محاربتهم وعلى من يغضب هذا الغضب الشديد حتى تكون عيناه كلهيب نار كأنه شيطان مريد وما مقدار رأسه في العِظَم حتى احتاج الى تيجان كثيرة ولِمَ لا يجعل لنفسه تاجاً واحداً كبيراً يسع رأسه كله والدم المنغمس منه ثوبه من أين هو أقتل يهوديا مكذّبا به أم ذبح نصرانياً كاذبا عليه فضمّخ ثوبه من دم أحدهما أم حاض فتلطّخ ثوبه من دم حيضه أم جرحه اليهود فضرّجوا ثوبه بدمه أخبرنا أيها النصراني بما أحببت له من الوجوه ثم لأي فائدة غمس ثوبه في الدم ويجعل أثواب اجناده بزّاً أبيض ونقياً وماحاجته الى جمع الاجناد والجيوش وتأليف الخيول وليس في السماء عدوّ يقاتله ولا مكابر له يجادله فالى أين يسير بجنوده وخيله ورجله أولعله خاف من اليهود أن يرقوا اليه السماء فيقتلوه كما قتلوه في الارض فجمع الأجناد ليحرسوه عن هجوم اليهود عليه ولِمَ كان السيف في فمه ملجماً به كما تلجم الدابة والسيف انما يكون في اليد وهي تضرب به لا في الفم ثم ماحاجة هذا الرب العظيم الى سيف في فمه يمنعه من الافصاح بالكلام لأجناده وأيّ أمم يضربهم بسيف فمه ونحن لم نر ولم نسمع أنّ يهودياً أو نصرانياً أو مجوسيا أو وثنياً في زمان ولا مكان ضُرب بذلك السيف فقسم نصفين فلعله يضرب الريح والبحر فتهيج أمواجه وتغرق فيه السفن

وماحاجة رجل لم يحمل السيف في الارض ولم يمنع به من رام قتله الى جعله السيف في باطن أحشائه خارجا من فمه فى السماء ولمن يرعى بعصا الحديد وليس فى السماء شياطين متمردون ولا نصارى عن الحق صادّون حتى يحتاج الى ضربهم بتلك العصا وماحاجته الى دوس معصرة خمر الغضب ينجس بها نفسه ويلوّث بها بدنه واذا كان ذلك الخيال ملك الملوك ورب الارباب فما ضرورته الى إلجام نفسه بسيف في فمه وما حاجته الى ثوب مغموس من الدم وما يدعوه الى ركوب الفرس الأبيض ورب الأرباب مستغن فى ذاته عن هذا كله واذا كان رب الارباب كيف يكون هو النبيّ المشار اليه فى الزبور ورب الأرباب ليس نبيّ بل هو رب الانبياء وباعث المرسلين فلا يكون هو المقصود في كلام الزبور البتة ثم كيف رأي يوحنا نخذ ربه أو ليس عليه ثوب ملطخ بالدم يستر عورته عن يوحنا اوكان ذلك الثوب قصيرا لا يواري عورته ولم كشف الرب نخذه ولم يستره عن الناظرين فقبح وجهه من رب ضعيف قليل الحياء (وجملة الأمر) ان هذا الخيال لم تخلص له صفات الربوبية ولا اوصاف العبودية فلا يدرى أي شئ هو فلا يكون شيئاً موجوداً (والحاصل) ان حمل كلام الله في التوراة والزبور على ما تفيده هذه المخرفات المستنكرات وتأويله الى ماتشير اليه هذه المضحكات المستهجنات مما لاينبغي ان يصدر ممن له ادنى عقل و نظر بل لايحسن ان تكتب وتسطر لكن النصرانى ذاهب اللب لايدري مايأتي به ومايذر وانما رسمناها وتكلمنا عليها ليعلم مطالع كتابنا قلة عقل قائلها وناقلها المستدل بها وعدم رويتهما والتزامنا الرد عليه فيما جاء به من الباطل والاقتل هذه الترهات لايصلح أن يحرك بها لسان انسان فضلا عن ارادها فى مقام البيان فانها تعيب من نطق بها عند اولى الأذهان (ومما أوضحناه) تبين سلامة دليلنا من خدش النصراني فتأمله

قال ومن آيات التوراة التى يستشهدون بها لاثبات دعواهم قول اشعياء النبي (هو ذا عبدي الذى اعضده مختاري الذى سرت به نفسى وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ الى الامان يخرج الحق ولا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته) انتهى

اقول هذه الأوصاف المذكورة في الكلام مطابقة لصفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تمام المطابقة فان الله عضده على الكافرين وقوّاه على المشركين بأهل بيته وأصحابه الناصرين للدّين وأمدّه بالملائكة المقربين وأيده بالنصر على اعدائه الجبابرة الظالمين ولم يكن لنبيّ غيره من أنبياء الله الاكرمين مثل ما كان له من النصر والتأييد على الظلمة الفاسقين وهو مختار الله ومصطفاه من ذرية اسمعيل بن ابراهيم ووضع روحه عليه اشارة الى ما أعلنه الله في القرآن الكريم بقوله (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) الآية وهو الوحي الذى اكرمه الله به وأنزله على قلبه وكان صلى الله عليه وسلم لا يصيح اذا تكلم ولا يرفع صوته بل يتكلم بسكون وترسّل (١) لا يعلو صوت ولا بزجل (٢) ولا يتكلم في الطرق ولا يكل عن الأعداء ولا ينكسر عند الاحتجاج ولا في اللقاء بل هو ثابت القدم منير في البُهُم (٣) لا تميله عن مقاماته عواصف (٤) الكفرة ولا تطفئ نور حجته نفثات (٥) الفجرة وهذه صفاته عند من كانت له به المعرفة ومازال هذا دأبه حتى وضع الحق في الارض ونشر الدين وأظهر أمر الله حتى انتشرت شريعته في اقطار

(١) الترسل التمهل (٢) الزجل الجلبة والتطريب ورفع الصوت (٣) الظلمات (٤) جمع عاصفة وهي الريح الشديدة (٥) النفث كالنفخ وأقل من التفل

الارض وهذامعلوم من صفاته و،شاهد من انتشار دينه لا يقبل التشكيك ولا الترديد (وتدبر) في قوله وتنتظر الجزائر شريعته فانه يشير الى أن الموصوف في الكلام يأتي بشريعة فيها مغايرة لشريعة موسى وليست مطابقة لها من جميع الوجوه وأن أهل الجزائر ينتظرون بعد شريعة موسى مجيء تلك الشريعة فلا يجوز حمل الكلام على غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يأت نبيّ بعد موسى عليه السلام لاعيسى ولاغيره بشرع يغاير شرعه الا محمد صلى الله عليه وسلم فالقضيّة تكاد تنص عليه فهو المقصود من الكلام يقيناً والمعنيّ بالاوصاف المذكورة قطعاً فهو من الدلائل الواضحة على صحة نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقدح النصراني فيه بأن محمداً كان منهمكا جدًا في جمع العساكر مولعًا بالغزوات يلتذّ بضجيج الحروب ويستحلّ قتل من لايطيعه قدح ظاهر الزوال سبب ايراده عدم فهمه لمعاني كلام أشعياء فانه ليس المراد بها أن الموصوف فيه لا يسمع الأصوات العالية وضجيج الحروب ولايجمع العساكر لقتال المشركين حتى يصحّ للنصراني أن يقول هذه صفات محمد فلا يحتمل أن يكون هو المقصود من الكلام وانما صرح القول أن الموصوف نفسه ليس بصخاب ولا رفيع الصوت اذا نطق ولا من شأنه أن يتكلم بالوعظ والتعليم في الشوارع والطرق فلا يسمع صوته فيها وهذا بيان لعظيم وقاره ورزانته وأنه ليس فيه شائبة خفّة ولاعجلة وهذا مطابق لما قاله أبوطالب في وصف النبيّ صلى الله عليه وآله حيث يقول في قصيدته المشهورة

فَمَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالاً لِاَهْلِهَا ... وَشَيْناً لِمَنْ عَادَى وَزَيْنَ الْمَحَافِلِ

حَلِيمًا كَرِيمًا عَاقِلاً غَيْرَ طَائِشٍ ... يُوَالِي إِلَهَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمَاحِلِ

وَأَبْيضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بوَجْهِهِ ثِمَالَ الْيَتامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ(١)

وأين هـذا مما اعترض به الرجل وفحوى القول اتّصاف المقصود بالاوصاف التي ذكرها الخصم من جمع العساكر وتسيير الجيوش والثبات في غمرات الحروب والصبر في وقت التحام القتال وربط الجأش عند اشتداد النزال لاسيما قوله اعضده وقوله لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وقد بينا من آيات التوراة المتقدمة أن نبينا يبعث بالسيف والجهاد فهذا الكلام موافق لما فى كلام الزبور المتقدم من صفات ذلك النبي لامخالفة بينهما الاّ في الالفاظ والمعاني متّحدة فاتّصاف محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم بما ذكره الخصم يعيّن يقين ارادته من الكلام وينفى ارادة غيره فالنصراني يقدح في نبوته بما يدل الكلام على ثبوتها به وكان ينبغي له لو ميّز وعقل أن ينفي عن محمد صلى الله عليه وسلم الاوصاف التي ذكرها له لتفوت مطابقه اوصافه لما يفيده كلام أشعياء فتنتفي ارادته منه وأنى له القدرة على ذلك واتصاف سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالاوصاف المذكورة في الكلام المزبور أضوأ من الشمس الصاحية في رابعة النهار ومنه ومن أشباهه من أقوال التوراة عرف الاحبار المنصفون والرهبان الصالحون كابن الهيّبان وابن سلام وبحيرا وورقة وغيرهم ان محمداً نبيّ مبعوث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه (فقوله خصمنا) ان الآيات المذكورة انما تشير الى المسيح زور وباطل لأن المسيح مازال مدة بقائه في الارض في الطرق والشوارع وفيها يظهر وعظه

(١) قوله وأبيض بالنصب عطف على سيداً قبله في قوله

وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار غير ذرب مواكل

والمراد بالابيض الكريم والثمال الغياث والعصمة مايعتصم به ويتمسك والارمل جمع أرملة وهى التي لا زوج لها

وتعاليمه ويسمع صوته فيها دائما وليس له منزل يسكنه ولا مجلس خاص يأوى اليه ولم يظهر دينه وينتشر الابعد رفعه الى السماء ولم يأت بشريعة تغاير شريعة موسى فتنتظر بل كان على سنة التوراة كل ذلك باعتراف الخصم وهذه الاوصاف عكس مادلت عليه الآيات المذكورة فلا يجوز بيقين ارادته منها ولكن النصرانى لا يدع عصبيته ولداده على أنا نقول له مع هذا كله ان ما وصفت به محمداً من الاوصاف وجعلته موجباً لعدم ارادته من كلام أشعياء وقدحت به في نبوته قد أثبت مثله وأعظم منه لمسيحك فيما رويته عن تخيلات يوحنا من جمع المسيح الأجناد ومحاربته وضربه بسيف فمه الامم وغير ذلك من المضحكات فعلى قولك ان المسيح أيضاً ليس بنبي ولا يصح ارادته من كلام أشعياء بحال فما زالت أقوالك ينقض بعضها بعضاً وانت لا تشعر بما فيها من التناقض والتدافع ولا تفهم ماهي عليه من التباين والتمانع فتكون كلها باطلة البتة هذا كله على فرض اغضائنا عن قوله فى مسيحه انه رب الأرباب وأما اذا نظرنا الى ذلك من قوله فما لمسيحه في التوراة من أوصاف الانبياء نبى أصلا لأن التوراة تصف نبيين مرسلين من بعد موسى ولا تصف رباً آخر غير الله جلت عظمته وهذا واضح لكل ذى فهم (وأما قوله) ان عدد المؤمنين بالمسيح نما جداً حتى صار أكثر من ضعفى عدد المسلمين فليس بشيء يعتد به لأن الكثرة التي ادّعاها غير موجودة قطعاً الا أن يضم الى النصارى جميع الكفار على أن من قال بربوبية المسيح ليس مؤمناً به لأنه كافر بالله ومن كفر بالله لم يؤمن بنبيه والمؤمنون به حقاً هم المسلمون لا النصارى كما أوضحناه مراراً فبطل الزعم على أنه لو صح لم يكن فيه وجه من النقض للاستدلال بالكلام على مرادنا لأن الكلام يشير الى كثرة أتباع ذلك النبي كثرة مطلقة ويصرح بانتشار دينه في الارض

والكثرة العظيمة في أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهم المسلمون معلومة بالعيان وانتشار دينه في جميع الافطار غني بمشاهدته عن البيان ولا يومي الكلام الى أن أتباعه أكثر عدداً من المكذبين به فحصل المفاد وسقط الاعتراض بأن النصارى أكثر من المسلمين اذ لامنافاة بين الكثرة المفهومة من اللفظ والأكثرية الحاصلة في الواقع وهذه ظاهر فماظنك والقضية كاذبة

قال ومن آيات التوراة التي يستشهدون بها قول اشعياء النبيّ عليه السلام أيضا (لترفع البريّة ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنّم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا) انتهى

أقول ما أظن أن النصرانيّ يخفى عليه صراحة هذا القول في ارادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منه وان كان سيّئ الفهم وقليل المعرفة بمعاني الألفاظ وما يدعوه الى الانكار الا غلبة التعصب وفرط الاستكبار والاّ فانه لايجهل ذلك وان كان جاهلا فان الكلام صرّح بالبلد الذي يخرج منه ذلك النبيّ الموعود به وبالبلد الذي يهاجر اليه وبحال أهل مهاجره وعزتهم به اتمّ التصريح فلم يبق للشك والتأويل الخامل موقع أصلا فان قيداراً هو ابن اسمعيل لصلبه ويقال له قيدر بغير الف أيضاً وهو أخو نابت بن اسمعيل الذي ينتهي اليه نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والديار التي سكنها قيدار هي مكة شرفها الله تعالى وبها كان مولده وقد اعترف الخصم بذلك في قوله وأما نبايوت وقيدار فهما من أولاد اسمعيل كما يظهر من سفر التكوين انتهى وولد قيدار منضمون الى ولد نابت ويقال له أيضاً النبيت وقد أشار الى ما ذكرناه قول قصيّ ابن كلاب جد هاشم بن عبدمناف حين قاتل خزاعة وكنانة وأخرجهم من مكة وتولاها دونهم فقال

أَنَا ابْنُ الْعَاصِينَ بَنِي لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ مَنْزِلِي وَبِهَا رَبِيتُ
إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وَمَرْوَتُهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَوَثَّلْ (١) بِهَا أَوْلَادُ قَيْدَرَ وَالنَّبِيتُ

وليس قيدار اسم قبيلة من العرب كما توهم الخصم لجهله وغباوته فانه لم يذكر في قبائل العرب قبيلة يطلق عليها هذا الاسم كما يقال قريش وكنانة وتميم وأسد وغطفان ومذحج وكندة وهمدان وغير ذلك فان اقتدر النصراني على اثبات رجيمه من كتب انساب العرب فليفعل وما أراه على ذلك بمقتدر وكيف يقتدر على ايجاد المعدوم ولو سلمنا له ذلك على فرض وجود مالم يوجد لم يكن فيه خلل بما هو مطلوبنا من الكلام لان مسكن تلك القبيلة مكة كما يشير اليه شعر قصي المذكور فالدلالة في الكلام على المطلوب باقية مع تصحيح قوله على حالها لم تتغير فان مخرج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة (والترنم) ترجيع الصوت طربا وهو هنا كناية عن تتابع أصوات انصار النبي صلى الله عليه وسلم مغلتين بنبوته فرحا وسرورا به وهذا المعنى بعينه قد حصل للانصار لما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأقام فيهم (وسالع) موضع معروف في المدينة المنورة ويسمى في لسان العرب سلعا وفيه كانت وقعة الاحزاب ومقتل عمرو بن عبدود قتله على بن أبي طالب مبارزة وانهزم المشركون بعد قتله بأيام بالريح وجنود الله وعلى جبله مسجد يسمى مسجد (الفتح) وهو موجود الى الآن وقد رأيته لما تشرفت بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم واسم ذلك الموضع مذكور فى أشعار العرب على كثرة قال حسان بن ثابت

أَرِقْتُ لِتَوْمَاضِ الْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ ... وَنَحْنُ نَشَاوَى بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعِ (٢)

---

(١) توثل تؤصل (٢) الارق السهر والتوماض مصدر ومض على غير قياس اللمعان الخفيف والنشاوى السكارى وفارع حصن بالمدينة

أَرِقْتُ لَهُ حَتَّى عَلِمْتُ مَكَانَهُ بِأَكْنَافِ سَلْعٍ وَالتِّلَاعِ الدَّوَافِعِ (١)

وقال كعب بن مالك الانصاري

الَا أَبْلِغْ قُرَيْشًا أَنَّ سَلْعاً وَمَا بَيْنَ الْعَرِيضِ إِلَى الصِّمَادِ (٢)
فَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُذَرَّبَاتٍ وَخُوصٌ ثُقِّبَتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ (٣)

وقال عمرو بن العاص يوم أحد

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عليهم كَأَنَّنَا مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكُ الْمُنَطَّقُ
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلاً لِقَاءَنَا لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِي تَصَدَّقُ

وقال مُسافع بن عبد مناف الجُمَحِي يرثي عمرو بن عبد وُدّ

وَلَقَدْ تَكَنَّفَتِ الْأَسِنَّةُ فَارِساً بِجُنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نِكْسٍ أَمْيَلِ (٤)
بَسْلَ النِّزَالِ عَلَى فَوَارِسِ غَالِبٍ بِجُنُوبِ سَلْعٍ لَيْتَهُ لَمْ يَنْزِلِ (٥)
فَاذْهَبْ عَلِيُّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ فَخْراً وَلَا لَاقَيْتَ مِثْلَ الْمُعْضِلِ (٦)

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يومئذ كافر يوم غزوة بدر الاخيرة في أبيات يذكر فيها يوم أُحد

عَلَى الزَّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِالدَّكَادِكِ (٧)

---

(١) الاكناف جمع كنف بالفتح الجانب والناحية والتلاع جمع تلعة مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي وما انهبط في الارض (٢) العريض واد بالمدينة والصماد مادق من غلظ الجبل وتواضع واطمأن ونبت فيه الشجر (٣) مذربات يقال سيف مذرب اذا أنقع في السم ثم عرض على المسن (٤) تكنفت احتاطت والنكس الضعيف والاميل الذي لا يحسن الركوب (٥) البسل الشديد والكريه والنزال تنازل الفريقين في الحرب (٦) المعضل الشديد (٧) الركاب الابل والدكادك جمع دكداك بالفتح الارض التي فيها غلظ أو ما تكبس واستوى من الرمل

أَقَمْنَا ثَلاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ   بِجُرْدِ الْجِيادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ(١)

وسكان سلع الأنصار من الخزرج والأوس وهم المترنّمون بذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم (والهتف) الصياح والدعاء ومن المعلوم أن الانصار تتابعت أصواتهم باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وذكره وأعانوا بدينه وصاحوا به مجاهرين ودعوا الناس اليه باللسان والسيف والسنان فرحين بذلك ومستبشرين فالكلام مع ذلك كناية عن علوّ كلمة الأنصار وارتفاع صيتهم في العرب الى آخر الدهر بأيوائهم النبيّ محمداً ونصره وسرورهم بذلك وابتهاجهم (فالقول) برمّته يعلن بأن الديار التي سكنها قيدار وهي مكة قد رفعت البرّية ومدنها وعلت اصواتها وترنمت سكان سلع بذلك وصاحوا به ودعوا اليه فهو لا محالة اخبار وبشارة ببعث نبيّ من مكة ينتشر دينه في مدن العالم وترتفع به أصواتهم وان أول مصوّت به وداع اليه من أهل المدن سكان سالع ولم يتصف أحد من الانبياء بهذه الاوصاف الاّ نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو المقصود من الكلام بغير شك ولاريب ومن هذا الكلام بعينه علم الاحبار والرهبان انّ مخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من مكة ومهاجره المدينة وقد مر ذكر ذلك عن قوم منهم فلا توقف بعد ذلك ولا ترديد فقول النصراني ان لفظة قيدار اسم قبيلة من قبائل العرب قول ساقط ولا يخلّ بصحته المطلب وزعمه أن ذلك انباء عن انتشار الديانة المسيحية في جميع أقطار العالم وأن قيداراً كسائر قبائل العرب سيؤمنون به جميعاً في آخر الزمن ويترنمون باسمه زعم سخيف يدل على سفه زاعمه وجهله أو تغافله وتجاهله مع أنه من الأمنيات الكاذبة والادلة لاتقوم بالأماني فالكلام لايصح أن يحمل على

(١) الجرد جمع اجرد وهو القصير الشعر والرواتك جمع راتكة وهي الناقة التي تمشي باهتزاز

عيسى كما لايخفى على ذى حجى لعدم حصول ماذكر من الأوصاف في الكلام فيه جزما لأن عيسى لم يخرج من الديار التي سكنها قيدار ولاترنمت باسمه سكان سالع ولادعوا اليه ولا اشتهر دينه في مدن العرب والفرس والترك والديلم والسند والهند والقندهار ومصر والمغرب وانما انتشر في جميع هذه الاقطار دين نبينا محمد المختار والامر في ذلك أوضح من ضوء النهار

واما تأييد النصراني حمقته بما أورده عن أشعياء في سفر نبوته من قوله (تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة من شبا تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب) فهو تأييد لنا لاعلينا فان مدين وعيفة ولدا ابراهيم الخليل من امرأته قطورا التي تزوجها بعد موت سارة ولم تدخل ذريتهما في دين النصرانية ودخلوا في دين الاسلام عن آخرهم من ادرك منهم الاسلام وهؤلاء الموجودون الآن من أهل بلادهم مسلمون لا نصارى فالمراد من الكلام نبي تدخل في دينه ذرية الرجلين وقد دخلتا في دين محمد صلى الله عليه وسلم فهو المقصود من القول (وأما قوله) تبشر بتسابيح الرب فهو صريح في المطلب فان المسبحين الحمادين هم المسلمون وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأمم فقول الخصم في تفسير الكلام أى العرب تأتى الى كنيسة المسيح قول غير مستقيم ولامليح وليس في قول أشعياء ايماء اليه بالمرة ومصداقه لم يوجد لان العرب بأسرهم قد دخلوا في دين الاسلام نعم ان أريد بكنيسة المسيح دين الاسلام على ما نعلم ان عيسى بعث بأصوله وبشر بالداعي اليه كما أشرنا الى ذلك مراراً وبينا أن المؤمنين بالمسيح حقاً وتابعيه صدقا هم المسلمون لا النصارى كان كلامه صحيحاً لان معظم العرب قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا منكرين لعيسى ومكذبين به وبموسى وكانوا عاكفين على عبادة الاحجار والاشجار وما لايضر ولاينفع فطهرهم الله جل

اسمه ببعث محمد صلى الله عليه وسلم من اقذار الشرك واذعنوا ببركة رسالته للاقرار بنبوة عيسى وانقادوا الى الاعتراف بنبوة جميع انبياء الله فدخلوا في زمر المقرّين بالرسل ولعل قول اشعياء (تغطيك كثرة الجمال بكران) اشارة الى هذا المعنى بل لو قلنا انه هو هو ما ابعدنا فان من أعظم جمال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان التصديق به موجب للتصديق بكل انبياء الله لكن الخصم لايرضى بما ذكرناه وقول أشعياء لايساعده فيما أول بل يقصيه ويبعده فبطل ماتمحل

قال ومن آيات التوراة التي يستشهدون بها زاعمين أنها تشير الى محمد قول أشعياء النبي أيضاً (فرأى مركب فارسين راكب حمار وراكب جمل) انتهى

أقول هذه الآية من أصرح الأقوال في البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان راكب الحمار هو عيسى عليه السلام وراكب الجمل هو محمد سيد المرسلين فان الأمر الواقع فيهما مطابق لمفاد الآية فهي مبشرة بهما صريحاً لاتلويحاً وتلميحا فقول النصراني في ردّ الاستدلال بها على المراد ان كلاّ من المفردين راكب حمار وراكب جمل لايراد به الواحد بل الجمع غير مفهوم ولا مستقيم وزنه ولا يدرى من أين وجه القدح به في الاستدلال لكنا نتكلم عليه بحسب الاحتمال (فنقول) ان أراد به نفي التعدد وان راكب الحمار هو نفسه راكب الجمل فذلك لقصور فهمه وعدم معرفته وعلمه وهو مردود بوجهين (الاول) ماتوجبه صناعة تراكيب الكلام فانّا نعلم من قول القائل جاء ضارب زيد وضارب عمرو التعدّد وانّ ضارب زيد غير ضارب عمرو لاقتضاء العطف بالواو المغايرة وانّ المتكلم لو أراد باللفظين واحداً لقال جاء ضارب زيد وعمرو فكذلك نعلم من الآية ان راكب الحمار غير راكب الجمل وان قائلها لو أراد واحداً لقال راكب الحمار والجمل بدون اعادة لفظ راكب واذ

لم يقل ذلك فالاثنان مرادان قطعاً وبأرادتهما يثبت المطلوب (الثاني) ان المفردين تفسير لقوله قبلهما فارسين ولا خفاء في تعدد معنى فارسين لأنه مثنّى ولا يجوز تفسير المتعدد بالواحد فانه لا يصح أن يقال أرى رجلين زيداً بجعل زيد هو الرجلين جميعاً فانه لايفسر الاثنين بالواحد الا عادم التمييز ذاهب العقل فلا يجوز أن ينسب ذلك الى الحكيم المطلق خالق السموات والارض ولا الى أحد من أنبيائه ثم لو أغمضنا عن هذا كله وسلمنا للخصم ان راكب الحمار هو نفسه راكب الجمل وليسا اثنين لكان الكلام أيضاً نصّا في البشارة بنبينا لان المعلوم من حاله انه يركب تارة البعير وأخرى الحمار فالقول خاص به ولا يتجاوزه الى غيره وان أراد النصراني بكلامه معنى غير ذلك فهو غير محصل ولا معقول وما أظن دعاه الى هذا الهذيان الا ضيق خناقه في هذا المقام والاّ فالكلام أصرح من أن يقبل التأويل بالتمويه فقوله انّ النبيّ لايشير بما قاله الى المسيح ولا الى محمد وانما يشير الى فتح قورش ملك الفرس لبابل قول مجتث الأصل لايصح له معنى لان الآية كما علمت تصرح بالأخبار عن رجلين متغايرين ذاتاً وصفةً وقورش واحد ولايحتمل حمل الاثنين على واحد لدى كل عاقل وأيضاً ان ملوك الفرس لايركبون الحمير والجمال وانما كانت مراكبهم الخيل والبغال فلا يصح حمل الكلام على قورش لوكان يراد به واحد أيضاً وتعلله بقوله (اصعدي ياعيلام حاصري يامادي) عليل جدّاً لأن عيلام على ماأفاده هو أي النصراني هي عملا شوشتر وشيراز ومادي صقع همدان وآذربيجان وأين هما من بابل وبابلُ هي اقليم العراق وليست من أعمال ايران فلا يتناولها كلا الاسمين (وقوله) سقطت سقطت بابل وجميع آلهتها المنحوتة كلام لاتعلق له بأحد الكلامين أصلا فلا يحمل عليه مافي الآية المذكورة رأساً لأن هذا اخبار عن خراب مدينة

بابل والآية اخبار وبشارة برجلين يأتيان بعد أشعياء احدهما راكب حمار والآخر راكب جمل والبشارة لاتكون في الكتب الآلهية الآ بالأنبياء فالراكبان نبيان مبعوثان وأين هذا المعنى من خراب بابل وكذلك الثاني فانه اخبار عن حادثتين تحدثان في ذينك العملين ولعله اخبار بما جرى فيهما حين فتحهما المسلمون بل لايبعد ذلك (والحاصل) انّ كلا من الاقوال الثلاثة منفصل عن الآخر في اللفظ والمعنى فلايؤول أحدهما الى الآخر بوجه من الوجوه وقد انصرح مما بيناه أنّ جميع ما أورده الخصم على الدليل زخرف من القول وسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وبالله أقسم أن النصرانى يفهم من الآية البشارة بعيسى وبمحمد يقيناً ولكنه حاد فيها عن ذكر عيسى لنصها على اثنين والحكم بانّ أحدهما عيسى يستلزم الحكم بأن الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن عيسى لم يركب جملا قطّ وراكب الجمل يتعين أنه محمد صلى الله عليه وسلم وتعصب النصرانىّ وعناده يصدانه عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصديق برسالته فلذا عدل عن حمل الآية على المسيح الى حملها على قورش المجوسى وعاد يهذي كالمبرسم وغير خفي على ذوى الألباب انّ مثل هذه الزخارف والتمويهات الزائلة التى لا حقيقة لها مما لا يعترض به أهل المعرفة والانصاف على الأدلة الواضحة ولو صح الاعتراض بمثل هذه المزخرفات على البراهين الصريحة لصح اعتراض الكفرة في معاجز الانبياء بانها سحر أوغير ذلك من الاعمال البشرية كما زعمه فرعون في معجز موسى وبذلك تبطل نبوّات الأنبياء وهذا فاسد بغير ارتياب فقول النصرانيّ ومن ثمّ نحقق ان مايورده علماء المسلمين من آيات التوراة محاولين اثبات رسالة محمد لا يشير اليه وانه ليس من خبر عن محمد في التوراة أصلا قول زائل غير صحيح لانه مبنىّ

على صحة ما اعترض به على دلالات الآيات السابق ذكرها وبيانها وقد بينا بصريح الدليل بطلانه وان أكثر مانقض به علينا دليل لنا فلا وقع لقوله هنا وليس به عبرة بل هو فرية بلا مرية

المقامة الثالثة

في ذكر ما أورده الخصم من آيات الانجيل التي تبشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال النصراني" أما آيات الانجيل التي يزعمون أنها تشير الى محمد فمنها قول المسيح لرسله (أنا أطلب من الآب فيعطيكم بارقليطا أومعزيا آخر فيمكث معكم الى الابد روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لانه لايراه ولايعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم لاأتركم يتامي اني آتي اليكم) بشارة يوحنا

أقول المسيح عليه السلام قال أنا أطلب من الرب فحرفه يوحنا أو مَنْ بعدَه الى لفظ الآب وزادوا فيه لفظ معزيا ولايضرنا ذلك والكلام دال" على وعد عيسى أتباعه لاالحواريين خاصة بأرسال الله اليهم رسولا اسمه بارقليط يبقى شرعه الى الابد ولاينسخ مؤيداً ذلك الرسول بروح الحق يعنى روح القدس وهو الوحى الالهى الذى لايراه العالم وهم يعرفونه بما عرفه عيسى عليه السلام من صفة المؤيد به والبارقليط بالرومية بمعنى محمد أو أحمد بالعربية فالكلام برمته بشارة به قطعاً فقوله الخصم لو كان البارقليط الموعود به محمدا كما يدعى المسلمون لكان يجب حسب أمر المسيح فى الآيتين المذكورتين وفى بشارة لوقا أن يبقى الرسل في قيد الحياة ولايبرحوا من أورشليم حتي يظهر محمد أى نحو ستمائة سنة اعتراض زائل وقول ضعيف خامل لأنا نقلب عليه اعتراضه فنقول لو كان الوعد للحواريين خاصة والبارقليط الموعود به هو الروح

الذى قدرت كما توهمت لوجب حسب أمر المسيح أن يبقى رسالك الى آخر الدهر في قيد الحياة ولا يموتوا لتصريح الكلام بمكث الروح معهم أبداً لكنهم قد ماتوا فلم تصدق القضية فيهم وتبيّن على تأويلك ان وعد عيسى كذب فان رجع يقول ان وعد عيسى بذلك ليس للحواريين خاصة بل هو لجميع أتباعه وان روح القدس فيهم الى آخر الدهر أجبناه بوجوه (الاول) ان نقول له انك قد أكذبت نفسك وعدلت عما حكمت الى ما حكمنا به في معنى آيتك وذلك كاف في بطلان زعمك (الثاني) ان نقول له انك قد قررت في كتابك أن الحواريين كانوا رسلا بأنزال روح القدس عليهم وهنا حكمت بأن روح القدس مع جميع النصارى فوجب على قولك أن يكون كل نصرانيّ رسولا وبعض رسلك قد آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وبعد أن بعث وأمروا من أطاعهم بتصديقه كما بينا ذلك من أخبارهم فاما ان تفسقهم بعد التوثيق وتجرحهم بعد التعديل وتنفي عنهم روح القدس واما أن تفسق المكذبين به منكم وتجرحهم وتنفي عنهم ذلك الروح وأيّ الأمرين اخترت فقد أبطلت حكمك وأزلت زعمك ولا محيص له بعد هذا ان عقل وأنصف عن حمل الكلام على ما حملناه عليه من البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه هو المراد بالبارقليط (الثالث) ما نقله عن المسلمين وتقريره أن روح القدس قد أيد به جميع الانبياء والرسل فلا يختص به أصحاب عيسى وأتباعهم قطعاً ولا يكون هو البارقليط الموعود بارساله بل يجب أن يكون أحدهما غير الآخر فالمذكور محمد صلى الله عليه وسلم وروح القدس الوحي الالهي لا محالة (الرابع) ان الكلام يقتضي أن البارقليط الموعود بارساله لم يكن مع عيسى وأن عيسى يطلب من الرب ارساله اليهم فلو كان هو روح القدس نفسه لوجب ان يكون عيسى مجرداً منه ومنسلخاً عنه فلا يكون

في عيسى روح قدس ولامعه اذ لو كان معه لوجب أن يقول إني ذاهب وتارك فيكم أو معكم بارقليطا أو يقول انا أطلب من الرب أن يترك فيكم أو معكم بارقليطا وعلى هذا يكون الحواريّون وسائر النصارى قد أُيّدوا بعالم يؤيّد به عيسى وهذا واضح بطلانه لأنه من المتيقن أنّ عيسى معه روح القدس الذي يؤيد الله به الأنبياء والبارقليط ليس معه وانما يطلب من ربه ارساله فهو باليقين غير روح القدس الذي يشير اليه النصرانيّ ومن هذه الوجوه يتضح بطلان كل ماأورده في المقام من الاراجيف التي اعترض بها على دلالة الكلام على مطلوب أهل الاسلام خصوصاً ما أرجف به من زعم حلول الروح المذكور فى الحواريّين بعد رفع المسيح الى السماء بعشرة أيام لانه لايدفع شيئاً من الوجوه التى أوردناها عليه مع انه قد مر في تحقيقاتنا بطلان هذا الزعم واجتياحه من أصله وان البرهان الواضح يكذبه فلاحاجة اذاً الى ذكر أراجيفه هنا والاسهاب بالكلام عليها لعدم فائدتها ثم ان قوله (أنا أطلب من الرب) يدل بأقوى دلالة على انّ عيسى ليس برب يقدر على الاعطاء والمنع وانما هو عبد من عباده المخلصين يسأل الله فيجيبه ويشفع اليه فيشفعه كسائر رسل الله الكرام وهذا نص ما أخبر به القرآن عن شأن عيسى وبه يبطل مازعمه يوحنا وغيره من النصارى من ربوبية المسيح كما ترى. (وقوله) اومعزّيا آخر ماندري ما أراد به الخصم وبذا نعلم انه ليس في أصل الانجيل اذ ليس له معنى صحيح يحمل عليه

قال النصرانى ومن آيات الانجيل التي يستشهدون بها لاثبات رسالة محمد قوله (يأتى بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أنحني وأحل سيور حذائه) بشارة مرقس

أقول هذا الكلام يشير بل يصرح بارسال رسول بعد عيسى بشرع وكتاب

وهو أقوى منه شوكة وأرفع منه منزلة وأجل منه عند الله عزّ وجل قدراً وما هو الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يأت بعد عيسى من الانبياء من له هذه الصفات غيره فهو المراد من الكلام يقيناً وهو الموعود به فيه جزماً وهو ظاهر لا يحتاج الى البيان فقول الخصم انّ دعواهم يعنى المسلمين هذه ظاهر بطلانها فاسد من أبطل الباطل وقوله انّ المتكلم فى الآية المذكورة هو يوحنا لا المسيح أفسد من الاول فان الكلام المذكور من بشارة مرقس حاكيا عن عيسى من قول الانجيل كما لايخفى وبشارة مرقس هى احدى البشائر الاربع التي هى عمدة كتب النصارى وانها عندهم هى الانجيل وما فيها من الكلام هو كلام الله كما صححه النصرانى في بابيه الاولين وليس من بشارة يوحنا ولا من كلامه بل هو عين كلام الانجيل على لسان عيسى كما لايخفى على ذى فهم والنصرانى لسلوكه سبيل التعسف بعد ان نسب الكلام في أصل النقل الى بشارة مرقس عكس فنسبه الى يوحنا خبطا منه وخلطا وتدليسا وتلبيسا ليرتب عليه ماذكره من تخيلات يوحنا وهجره في قوله عنه (وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال هو ذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدي رجل صار قدامى لانه كان قبلى) وهذا المقال الذي هو محض خيال مع اختلال معانيه بقوله بعدي وقدامى وقبلى ومن كان قبل آخر لايكون بعده ومن كان قدامه لايكون وراءه باطل للتناقض الظاهر فيه ومع ذلك فهيهات هيهات ان يراد به مضمون الكلام ومحال أن يحمل الاول عليه وذلك لوجوه (الاول) ان الآية من كلام عيسى في الانجيل الآلهى وهذا من كلام يوحنا من عند نفسه ان صح عنه فلايحمل مافي الآية عليه بوجه من الوجوه (الثاني) ان مقتضى الآية كون قائلها نبياً مرسلا ذا شرع وكتاب وان الذي

يأتي بعده هو أقوى منه في أمر النبوة فيكون ظاهر القدرة مبسوط اليد نافذ الحكم قاهراً للاعداء الكفرة ويكون أعلى منه شأناً عند الله والصفات الاولى ثابتة لعيسى لاليوحنا اذ ليس بذي شرع وكتاب والصفات الاخرى ثابتة لمحمد صلى الله عليه وسلم لالعيسى وهو معلوم فالقائل عيسى والموعود به محمد صلى الله عليه وسلم لامحالة (الثالث) ان الكلام في الآية يصرح بأن زمان القائل غير زمان الآتي وان الموعود به يأتي بعد انقضاء نوبة القائل وتقضي زمان نبوّته كأتيان عيسى بعد موسى وأتيان موسى بعد ابراهيم وهكذا ويوحنا في زمان المسيح ومن أتباعه وبقي بعد رفع المسيح بن مريم الى السماء زمانا فلا يجوز أن يقال ان عيسى يأتي بعده لأن من المحال أن يأتي المتبوع بعد التابع والميت بعد الحي فلا ريب اذاً أن الآتي هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن القائل هو عيسى اذ لايصح الكلام ولا يصدق الا على هذا الوجه على أنا نقول للنصراني مع هذا أخبرنا ما الانجيل عندك أهو كلام الله الذي أنزله على المسيح ابن مريم أم هو ماقاله النصارى من تلقاء أنفسهم فان أجبت بالاول لزمك الحكم بأن الآية المستدل بها كلام عيسى عليه السلام عن الله وانه وعد من الله جل شأنه بأرسال رسول جامع للصفات المذكورة فيها يأتي بعد عيسى لا كلام يوحنا ولا غيره وذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم قطعاً لا غيره لان اوصافه المعلومة فيه مطابقة لما في الآية من الاوصاف المذكورة للنبي الموعود به فيها وحصل المطلوب وان أجبت بالثاني فقد أقررت للمسلمين بما كنت تناضلهم وتجادلهم فيه من دعواهم أن كتب النصارى التي في أيديهم ليست هي الانجيل المنزل من عند الله على عيسى وليست كلام الله وانما هي من كلامهم حرفوا به الانجيل وبدلوه وان أصل الانجيل مفقود من أيديهم وهذه الكتب غيره

فهي باطلة لا يصح الاعتماد عليها ولا يجوز الركون اليها الا ما وافق القرآن منها فانا نعلم انه من أصل الانجيل الآلهي ولامناص لك عن اجابتنا بواحد من الامرين وبأيهما أجبت فقد اعترفت لنا ببطلان دينك وفساد عقيدتك وهذا كاف في ابطال ما موهت به والحمد لله وتصحيح الخصم وهمه بأن المسيح لم يبتدئ بالتعليم واظهار المعجزات الا من بعد مافرغ يوحنا من تبليغ رسالته باطل أبتر ويخدش بأمرين (الاول) منع كون يوحنا رسولا ومن أين جاءته الرسالة وصار صاحب كتاب وشريعة ومن أرسله والى أى قوم أرسل وما دليل رسالته حتى يصح ان يكون هو القائل وعيسى هو الآتي بعده وقد اعترف الخصم في بابه الثاني بأن يوحنا من أتباع عيسى ومقتضاه أن عيسى قبله لا بعده فكلامه متعاكس متخالف (الثانى) أيّ قوة ظهرت ليوحنا لو كان رسولا على ما أدعى الخصم في ردع الكفرة وقمع الفجرة وأيّ زيادة لعيسى في القوة على قوته ليصح حمل الكلام عليهما ليبين لنا النصرانى ذلك حتى نعرفه وأما المغالطات والتشبيهات فلا تقوم بها الحجة (وهنا وجه آخر) جادع لأنف النصراني وهو أن يقال له انك قد اعترفت بأن الآية المذكورة من الأنجيل وتقول ان الانجيل كلام الله موحى به من عنده وقلت أخيراً انها من كلام يوحنا قبل مبعث المسيح فيلزمك على مافي كلامك من التناقض والتضاد المبطلين له أن تحكم بأن الانجيل نزل على يوحنا قبل نبوّة عيسى وأن يوحنا أفضل من عيسى وأقوى لنزول الانجيل عليه دون عيسى فلا يصدق قوله ان الذي يأتي بعده وهو المسيح أقوي منه وأفضل فانجيلك كاذب وقائله متلاعب وهذا من أبين المبطلات لدينك والامر في ذلك بيّن فلا ضرورة الى الاطناب في القول (ومما حققناه) بجملته يحقق أن خبر نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب

في التوراة والانجيل وأن البشارة به فيهما موجودة بالتصريح والتلويح وأن انكار أهل العناد من اليهود والنصارى وجود صفته ونعتــه في توراتهم وانجيلهم مثيل لانكار اليهود خبر نبوّة عيسى في التوراة والكل دعاه الى الجحود والانكار غلبة روح العصبية والعناد عليه وتبين بذلك انزياح ماقاله النصراني في آخر كلامه انه قد ثبت به اي بما أرهج به من التأويلات الركيكة أن خبر محمد ليس بمكتوب فى التوراة والانجيل وان لا اشارة فيهما ولا أدنى علامة تدل على رسالته فمايدعى به المسلمون اذاً من هذا القبيل هو باطل لا أصل له مطلقا (وأقول) ان الباطل الصرف الذى لا يشوبه أدنى صدق هو ادّعاؤه لادعوى المسلمين فانا قد أوضحنا من كلام التوراة والانجيل مايدل على صحة مدّعاهم بأوضح دلالة وقلعنا أصل ماشبه على دلالة كلام الكتابين بحيث لم يبق بعد ذلك الا التصديق بدعوى المسلمين أو الجحود تكبراً عن قبول الحق وعناداً وسنزيد ذلك ايضاحاً ان شاء الله تعالى

(قال) ثم ان علماء المسلمين يوردون بعض آيات غير التي ذكرناها ويسردونهــا في كتبهم مســندين اياها الى الكتب المقدســة ومحاولين الاستدلال بها على صدق نبوّة محمد ورسالته فنحن نكتفي عن ايرادها هنا والمجــاوبة عنها بالتنبيه بأن البعض ممــا يوردونه لاوجود له فى الكتب المقدسة أصلا والباقى منه اما انه يشير الى المسيح صريحاً واما انه يفيد معنى آخر غير الذي يحاولون استخراجه منه

(أقول) لم يترك ذكر ماأشار اليه من بقية مايحتج به المسلمون من التوراة والانجيل على صحة نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما تعلل به بل لكونه أصرح في مطلوبهم مما ذكره ولصعوبة التشبيه في دلالته عليه مع ان ذلك خروج عن قانون المناظرة والمجادلة اذ لايقنع من أحد المتناظرين بدعوى

ان دليل خصمه لايدل على مطلبه من دون ان يذكره ويبيّن وجهه فليس اذاً تركه ذكر ما أومى اليه هرباً من التطويل وخوفاً من ملل القارئ كما ختم به كلامه بل لما أشرنا اليه فانه قد أتى في كتابه خصوصاً في هذا الباب بما لا فائدة فيه وأطنب في بيانه وطول وكرر كثيراً منه مراراً ظنا منه انه ينفعه في مطلبه ومرامه وليس كما ظن وها نحن بعون الله نذكر ما أهمله ونعيّن ما أغفله فنقول

المجادلة الثالثة

(في ايراد ما لم يورده النصراني من آيات التوراة والانجيل الشاهدة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والتفضيل والناطقة له بالرسالة والتبجيل وفيها مقامتان)

(الاولى) في ذكر آيات التوراة المصرحة بالبشارة بخير البريات (فنها) قوله في الاسفار الاولى (اذا جاءت الامة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جدّا جدّا تسبيحاً جديداً في الكنائس الجُدد فايفزع بنو اسرائيل اليهم والى ملكهم لتطمئن قلوبهم فانّ بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الأمم الكافرة) انتهى (أقول) راكب البعير من الأنبياء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا غيره وأتباعه هم المسلمون فالكلام نص فيه لايحتمل التأويل بحال من الاحوال لصراحته في المطلوب فانّ الاوصاف المذكورة فيه لاسيما الانتقام من الأمم الكافرة بالسيوف مما يختص بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم من دون سائر أمم الانبياء

(ومنها) قول أشعياء النبي في كتابه (ياقوم انى رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ورأيت راكب البعير ضوءه مثل ضوء القمر) ولايخفى ان راكب الحمار اشارة الى عيسى عليه السلام وأن راكب

البعير اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم ولا يشير الى غيرهما فهو نص فى المطلوب

(ومنها) قول موسى (انه سيأتيكم نبيّ هو من اخوانكم فبه فصدقوا ومنه فاسمعوا) (أقول) الخطاب لبنى اسرائيل واخوانهم هم بنو اسمعيل فالنبي الموعود باتيانه منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يأت منهم غيره نبيّ مبعوث الى كافة الناس ولا يصح ان يكون ذلك النبي من بني اسرائيل لأنه لو كان منهم لقال سيأتيكم نبيّ هو منكم ولم يقل من اخوانكم لانّ من كان من القبيلة يقال فيه في مثل هذا المقام منهم لامن اخوانهم كما في قوله تعالى (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) وقوله تعالى (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) وفي كلام العرب الكثير من ذلك وغير العربية في شبهه مثلها ولأن القوم لا يكونون اخوة أنفسهم فالقول يشير الى محمد صلى الله عليه وسلم لا الى عيسى لأن عيسى من بنى اسرائيل لا من اخوانهم وقد اوضحنا هذا المطلب تمام الايضاح سابقاً

(فان قال قائل) انكم تستشهدون على قولكم بالقرآن وخصومكم لا يسلمون لكم صحته فكيف يصح لكم الاستشهاد به على قولكم عليهم

(قلنا) جواب هذا السؤال من وجهين (الاول) أنا نستشهد بالقرآن على ثبوت اللغة ولاريب ان القرآن في أسانيد جمله ونسبها جارٍ على مصطلحات العرب سواء كان كلام الله كما نقول أو كلام محمد كما يقول خصومنا فانّ أحداً من العرب لم يطعن في القرآن بمخالفته مصطلح العرب في موضوعاتهم وخصومنا أيضاً وان انكروا أنه كلام الله فأنهم يقرون بأنه عربيّ صحيح فيكون حجة في اللغة مطلقاً فلا اعتراض للخصوم علينا في ذلك بعدم تصديقهم أنه كلام الله (الثاني) أنا سنبيّن في المنطق الآتى أن القرآن كلام

الله ونقيم على ذلك البرهان فيكون حجة فيما نقول لغة وشرعا فسقط السؤال

(ومنها) قوله في التوراة (جاء النور من جبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران) (أقول) جبل طور سيناء هو الجبل الذى نبئ عليه موسى وجبل ساعير هو الجبل الذى نبئ عليه عيسى وجبل فاران من جبال مكة بينه وبينها مسير يوم واستعلان النور منه اشارة الى تنبئ محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه بالرسالة من ناحيته فالكلام مخبر عن نبوة موسى وعن نبوة عيسى وعن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالبيان

(ومنها) قول أشعياء (رأيت راكبين أضاءت لهما الأرض أحدهما راكب على الحمار والآخر على جمل) (أقول) راكب الحمار هو عيسى وراكب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يحتمل الكلام الحمل على غيرهما اذ لم تضئ الارض بعد موسى بغيرهما عليهما السلام

(ومنها) قول حبقوق النبي عليه السلام (جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتلأت السموات من تسبيح أحمد وأمته تحمل خيله في البحر كما تحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس) (اقول) هذه الآية من أصرح الصريح في مطلوبنا لانها جمعت الاسم والصفة أما الاسم فهو (احمد) وهو اسم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يسمى عند قومه وغيرهم محمدا واحمد واما الصفة (فالاولى) مجيء الله بالبيان من جبل فاران يعني من جهته ولم يأت نبي مبين عن الله من تلك الجهة غير محمد صلى الله عليه وسلم (الثانية) امتلاء السموات من تسبيحه وتسبيح أمته ومحمد صلى الله عليه وسلم وأمته هم المسبحون كثيراً وذلك معلوم من حاله وحالهم (الثالثة) حمل خيله يعني جيوشه وعساكره فى البحر كحملها فى البر فانه خاص بالمسلمين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم أصحاب المغزوات فى البر والبحر حتى فتحوا المدن البرية والبحرية وليس ذلك

لأحد من أمم الأنبياء غيره (الرابعة) اتيانه بكتاب جديد يعني مغاير شرعه لشرع التوراة بعد خراب بيت المقدس وأراد به الخراب الآخر الذي وقع على بيت المقدس بعد رفع المسيح بن مريم الى السماء بنحو اربعين سنة ولم يأت بكتاب كذلك بعد خراب بيت المقدس الانبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو المراد من الكلام بلا ريب والقول شهادة له بالنبوة ولكتابه بالصحة وانه منزل من عند الله تعالى

(ومنها) قول داود في الزبور (اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة) (أقول) الكلام يشير الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأصرح اشارة ولا يصح حمله على غيره لان الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فمقيم السنة بعد الفترة محمد صلى الله عليه وسلم قطعاً اذ لم يكن ذلك لاحد سواه الى هذه الغاية وأما بين موسى وعيسى فالانبياء والرسل متتابعة فلا فترة في ذلك الزمان (واعلم) انه قد أقر بوجود هذه الآيات فى أسفار التوراة جماعة من علماء اليهود ولم ينكروها وفي كلام خصمنا النصراني الذي قدمنا ايراده عنه اشارة اليها فلا محيص عن الاعتماد عليها وهي بنفسها كافية فى المطلب ووافية بالمأرب فما ظنك بها اذا انضم اليها ماسبق بيانه وأضاء برهانه من الآيات الصريحات وهل يبقى بعد هذا التبيان لطالب حق شك وارتياب أو لذى فطنة منصف تردد واعتراض (فلو قال النصراني) كيف يحتمل عاقل أن يكون اليهود رأوا هذه الآيات الناصة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التى يعتقدون صحتها واطلعوا عليها ولم يؤمنوا به ولم يصدقوا برسالته (قلنا له) انك تقول ان تلك الكتب بعينها تنص على نبوة المسيح بن مريم وتعين اسمه وصفته وتورد منها آيات كثيرة قد سردتها فى الباب الثانى من كتابك تصرح بذلك فلو قال لك قائل كيف يحتمل عاقل أن يكون اليهود رأوا في كتبهم هذه

الآيات الناطقة بنبوة المسيح ولم يؤمنوا به فبما ذا تجيبه وأنت تعترف بأن اليهود لم يؤمنوا بالمسيح الى هذا الحين وهو المشاهد منهم فبكل ماتجيب به سائلك عن سؤاله لك هو بعينه جوابنا لك عن سؤالك فان المانع لليهود من ايمانهم بالمسيح هو بعينه المانع لهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بل المانع لهم في نبينا أظهر وقد أسلفنا شرحه وتوضيحه على أنك رويت عن المسيح قوله لليهود (لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني) وفيه جوابنا لك وجوابك لسائلك فسقط سؤالك وثبت مرادنا

المقامة الثانية

(في ذكر آيات الانجيل الناطقة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمجد الأثيل)

(فمنها) قول يوحنا الديلمي (ان المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشرني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به) وهذا الكلام في السفر الثالث من الانجيل (وأقول) انّ يوحنا هذا عند النصارى أحب الناس الى المسيح وهو غير يوحنا الذى مرّت مضحكاته الملقب عند النصارى بالمعمدان وهو نص في المطلوب لايحتاج الى التبيين

(ومنها) قول عيسى (انى ذاهب الى ربي وربكم والبارقليط (١) جاء هو لذى يشهد لى بالحق كما شهدت له وهو الذى يفسر لكم كل شئ وهو الذى يبدى فضائح الأمم وهو الذى يكسر عمود الكفر)

(أقول) المراد بالبارقليط في الكلام هو محمد صلى الله عليه وسلم لاغيره

(١) هكذا في الأصل الذي بأيدينا وفي نسخة الأنجيل المطبوعة في لندن سنة (١٨٢٠م) الفارقليط بالفاء وفي النسخة المطبوعة في بيروت سنة (١٨٩٧م) حرفت هذه اللفظة بالمعزي ولا عجب من هذه التحريفات المتجددة بتجدد الطبعات فانها سجية القوم في كتبهم المقدسة : سجية تلك فيهم غير محدثة : (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) اه مصححه

لأن الصفات المذكورة في الكلام مطابقة للمعلوم من صفاته ولا تنطبق على سواه (الاولى) مجيئه بعد المسيح ولم يأت نبيّ بشرع بعد المسيح غير محمد صلى الله عليه وسلم وروح القدس مع المسيح فلا يقال انه أتى بعده (الثانية) شهادته للمسيح بالحق والشهادة تستدعي النطق والذى شهد للمسيح بالنبوة معلناً باسانه وفي صريح فرقانه هو محمد صلى الله عليه وسلم لا روح القدس لان روح القدس لا يتكلم فيسمع الناس صوته حتى يصح انه يشهد للمسيح بالنبوّة (الثالثة) شهادة المسيح له بالنبوّة ومن المعلوم أنّ المسيح لم يشهد لروح القدس بالنبوّة والرسالة فلا محالة انّ المشهود له بهما هو محمد (الرابعة) تفسيره لهم كل شيء ومن المحقق أن الذى فسر الاحكام ناطقاً وبيّن الفرائض والسنن خاطباً وأوضح الشرائع مفصحاً هو محمد صلى الله عليه وسلم لا روح القدس فانه لا ينطق من ذلك بشيء ولا يسمع المكلفون تفسيره وبيانه بل لا يرونه بالأصالة وانما يكون مع الانبياء والاوصياء يسددهم عن الخطأ والنسيان وهو ظاهر لا ينكر (الخامسة) ابداؤه فضائح الأمم ولا يخفى أن الذى أظهر عيوب الأمم بعد المسيح وبيّن كذبهم على الأنبياء وأوضح فساد عقائدهم بالبراهين القاطعة هو محمد صلى الله عليه وسلم وروح القدس لم يفعل من ذلك شيئاً ولم يكن هذا من شأنه (السادسة) كسره عمود الكفر ومن الواضح الذى لا ريب فيه أن الذى كسر عمود الكفر وشوكة الكفرة وقصم ظهور الفجرة ودوّخ المشركين وطهر الارض من أصنامهم وأوثانهم وأبطل دياناتهم القبيحة حتى فاؤا الى الاسلام وتوحيد الله ودخلوا في دين الله أفواجاً طوعا وكرهاً هو محمد صلى الله عليه وسلم لا روح القدس ولا نبيّ من الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم وليس من خُلق روح القدس هذه الامور ومن الصفتين الأخيرتين يعلم اخبار الانجيل ببعث نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم بالسيف كما أخبرت بذلك التوراة لان ابداء فضائح الأمم وكسر عمود الكفر وهو عظيم القوّة يتوقف حصولهما على المنازلة والمقاتلة والقدرة وقوة البطش والقهر والغلبة وبدون ذلك لايحصلان جزماً كما هو معلوم عقلا ووجداناً

(فتحصّل مما بيناه) كون الكلام نصّاً في البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه هو المراد بالبارقليط يقيناً ولا يراد منه غيره أصلا

(ومنها)قول الانجيل(ان ابن البشر ذاهب والبارقليط جاءٍ من بعده وهو الذى يخفف الآصار ويفسر لكم كل شئ ويشهد لى كما شهدت له أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل)

(أقول)وهذا الكلام كالأول في الصراحة فى المعنى المقصود خصوصاً قوله فيه وهو الذى يخفف الآصار فانه يدل على كون البارقليط الموعود بمجيئه نبياً مبعوثاً بشرع أحكامه أخفّ على المكلفين من أحكام الشرع الذى عليه عيسى عليه السلام لأن الآصارهى مشاق التكليف وهذا نصّ قول الله تعالى في القرآن في وصف محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم (يَضَعُ عَنهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) ونصّ قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ) وكذلك قوله (وهو يأتيكم بالتأويل) فان المراد به البتة التفسير والبيان لماسبق مجملا من الامور والاحكام ولا خفاء أنّ روح القدس ليس له هاتان الصفتان بلا شك فليس هو المراد بالبارقليط الموصوف بهما بل المراد به محمد صلى الله عليه وسلم بيقين وباقى الكلام كسابقه

(ومنها)قول عيسى عليه السلام(حقاً أقول لكم انه لا يصعد الي السماء الا ما نزل منها الاّ راكب البعير خاتم الأنبياء فانه يصعد الى السماء وينزل)

(أقول) راكب البعير خاتم الانبياء هو محمد لاغيره فالكلام نصّ في البشارة بنبوّته واخبار عن عروجه الى السماء ثم نزوله منها وقد حصل له ذلك الصعود والعروج وأشار الى وقوعه القرآن ناطقاً بالبيان في قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) الآية وقوله تعالى (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) فلا عبرة بعد اخبار القرآن والانجيل بتحقق الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعراجه الى السماء بقول أهل النفاق من هذه الأمة ان ذلك رؤيا رآها النبيّ صلى الله عليه وسلم لامعاينة وكذلك لاعبرة أيضاً بقول بعض جهلة العامة الذين يدعون العلم وليسوا من أهله ان النبيّ صلى الله عليه وسلم أسرى الى السماء بروحه لا بجسده لأن كل رأي يخالف منطوق كلام الله فهو باطل قطعاً فالكلام صريح في المرام (ومنها) ما أثبته يوحنا الحواريّ حين نسخ الانجيل عن عهد عيسى عليه السلام فيما جاء من الله تعالى في الانجيل وهو قوله (من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يغزونني أنا والرب ولكن لابد أن تتم الكلمة التي في الناموس انهم أبغضوني مجّاناً فلو قد جاء المنحمنا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لا تشكّوا) (١)

(١) ومن البشائر الناطقة باسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء في انجيل (برنابا) من قول عيسى عليه السلام (اعلم يابرنابا أن الذنب وان كان صغيراً

(أقول) المنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البارقليط وذلك محقق عند أهل الخبرة باللغات والمعرفة بألسن الناس والكلام ظاهر بل صريح بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الرب وأنه هو روح القدس ومنه يعلم أن جميع ما في الانجيل من الاخبار بارسال روح القدس بعد عيسى وانزاله الى الأرض هو اشارة الى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وانزاله من عالم القدس الى الارض داعياً مبشراً وهادياً منذراً فلا اشكال حينئذ ولا اعتراض بروح القدس المسدّد للأنبياء فانه غير مبشر ولا منذر

(واعلم) انه قد اعترف بصحة ما أوردناه عن الانجيل قوم من أكابر علماء النصارى قبل خصمنا النصرانيّ صاحب الكتاب بمئات من السنين وأشار الخصم فيما قدمنا من كلامه الى صحة بعضه بدعوى أن معناه غير ما يقوله المسلمون وأنت أيها الناظر اللبيب قد عرفت مما بيناه من معاني الكلام صراحته فيما يقوله المسلمون فلا ريب بعد ذلك في ثبوت قولنا ان التوراة والانجيل يخبران بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويصفانه بصفاته ويبشران بنبوّته ورسالته وهذا من أوضح الحجج لنا على خصومنا وأعظم البراهين الأكيدة على صحة ديننا واستقامة طريقنا والحمد لله على التوفيق

═ يجزى الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب. ولما اجتنى أمي وتلاميذي لأجل الدنيا سخط الله لاجل هذا الأمر وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم أذية هناك واني وان كنت بريا لكن بعض الناس لما قالوا في حق انه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة عليّ ولا يستهزؤن بي فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص اني صلبت لكن هذه الاهانة والاستهزاء تبقيان الى أن يجيء محمد رسول الله فاذا جاء في الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس) راجع اظهار الحق اه مصححه

المنطق الثالث

في قمع فصله الثاني الذي حاول فيه اخراج القرآن عن الاعجاز به ورام فيه نفي صحته (قال) انه من أعظم الأدلة التي يستدل بها علماء المسلمين على كون القرآن موحى به من الله وأن محمدًا الذي أتى به هو نبيّ مرسل ما ينسبون الى القرآن من البلاغة المشار اليها بقوله في سورة البقرة (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

(أقول) انا قد أشرنا في مواضع من كتابنا الى الوجه الذي يتحقق منه كون القرآن معجزًا وانه كلام الله جل وعلا بما فيه مقنع للمنصفين وهنا محل استقصاء البحث عنه والاحاطة بأطراف الكلام فيه وبيان كل ما يحتاج الى تبيانه من الدليل في الاعجاز به ومن الله المعونة والتسديد (واعلم) أن القرآن اعظم من معاجز جميع الأنبياء لأنه لا يجرى في دلالة اعجازه التوهم اصلاً ولا عبرة بقول ذي المعاندة الذي ينكر الضروريات المقطوع بها ولاستمراره في جميع الاعصار يشاهده أهل كل زمان وما سواه من معاجز الانبياء التي اظهروها لم يرها الاّ من حضر اظهارها وقد مضت كلّها ولم يعاينها الغائبون عنها حتى في وقت ظهورها الاّ من طريق الخبر والرواية ولهذا الوجه كان القرآن أكبر معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبقاء الاستدلال بعينه في كل عصر وزمان وكل موضع ومكان فهذا دليل ما نسبه النصراني الى المسلمين بقوله فهم يعتبرون بلاغة القرآن من اعظم المعجزات مفضّلين اياها على معجزات موسى والمسيح ويحتسبونها من أقوى البراهين على تنزيل القرآن ورسالة محمد انتهى والأمر في ذلك كما قالوه بلا ريب

﴿ وتقرير الدليل على كون القرآن معجزاً ﴾

(وأنه كلام الله جل اسمه من وجوه)

(الأول) وهو أظهرها وأشهرها ولذا عوّل عليه المعظم من أهل العلم واقتصروا فى بيان اعجاز القرآن عليه ما فيه من الفصاحة الفائقة والبلاغة العالية وعجيب النظم وغرابة الاسلوب وعجز العرب لذلك عن معارضته بمثله في نظمه وأسلوبه (وتفصيل هذه الجملة أن يقال) انّ القرآن بلسان العرب وكلماته مفردات كلامهم ومع ذلك فيه من الفصاحة والبلاغة ما حير ألباب الفصحاء وأخرس ألسن البلغاء منهم وهو مع كونه بالغاً الى الدرجة القصوى من الفصاحة وواصلاً الي الطبقة العليا من البلاغة على نظم عجيب وأسلوب غريب خارج عن نظم كلام العرب وأساليبه في خطبهم وأشعارهم ومحاوراتهم بحيث لا يشبهه في نظمه وأسلوبه كلام أحد منهم وهو مطابق لدعوى من جاء به وقد تحدّى به العرب البلغاء الذين لا يصل الى أدنى بلاغتهم بليغ وتسرّعهم به ودعاهم الى معارضته مرة بعد أخرى بقوله تارة (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وأخرى بقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وغيرها من الآيات وكلهم مع معرفتهم بوجوه البلاغة وشدة حرصهم على معارضته وبذل جهدهم في مناقضته لتظاهرهم لمن جاء به بالعداوة الشديدة والمخاصمة الأكيدة والتكذيب والوقوع فيه بما لا يحل ذكره من الأكاذيب قد عجزوا عن النطاق بسورة تماثله في النظم والأسلوب والمعنى الذي يعتدّ به العقلاء

بل عجزوا عن الاتيان بعشر آيات تشبهه فى بلاغته و نظمه و أسلوبه فانّ من هذا يعلم كل ذى روّية علما يقينياً أن القرآن لو كان من كلام أحد من البشر محمد أوغيره لكان على أساليب كلامهم و نظمه ولقدر البلغاء من أهل لسانه لاسيما قريش قوم النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن ضارعهم من عرب الحجاز على التكلم بمثله ولم يعيهم ذلك لأن المفروض أنه كلام رجل منهم ينطق بمثل منطقهم لايخرج كلامه عن منهج كلامهم وطريقته فى النظم والأساليب ولا يتصوّر عاقل عجزهم عن الاتيان بمثل كلام واحد منهم ناشئ بين أظهرهم يتكلم بلسانهم بل ولا يتوهّم من له أدنى فطنة توهما عدم استطاعتهم للتكلم بمثل قول رجل منهم ولو أنهم عارضوه بمثله لنقل الينا ذلك نقلاً متواتراً لأن هذا أمر عظيم تتوفر الدواعي على نقله وتشيع الأخبار بذكره لكثرة المكذبين بالقرآن وبرسالة صاحبه واستمرار وجودهم الى هذا الزمان وتعطّش كل منهم الى وجود مايتشبثون به في رد القرآن ونبوّة من أتى به ومعارضته وحرصهم أشد الحرص على ذلك واجتهادهم فيه بمالامزيد عليه كما نقلت لنا غزوات النبيّ صلى الله عليه وسلم وسراياه وماجرى بينه وبين المشركين وأهل الكتاب من المخاصمات والمجادلات وما كان من أحواله وكلامه ومعاجزه حتى ملئت بها الصحف والطوامير (١) فكيف ولم ينقل لناولا لغيرنا في وجود المعارضة خبر واحد ضعيف ولاذكر ذلك أحد أصلاً وهذا برهان قاطع على عدم وجود المعارضة وبه ينتفى كون القرآن من كلام البشر وبانتفاء ذلك يثبت أنه كلام الله أنزله تصديقاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما ادّعاه من الرسالة فيكون معجزاً البتة لأنّا بينا سابقاً ان المعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدى والقرآن جامع

(١) الطوامير جمع طامور وطومار الصحيفة فالعطف مرادف اه

لهذه الصفات لأنه خارق لما جرت به عادة العرب فى كلامهم مع أنه بلسانهم ومطابق لدعوى النبيّ صلى الله عليه وسلم وشاهد له بالرسالة كما فى قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) الآية وغيرها وقد تحدّى النبيّ صلى الله عليه وسلم به العرب وعاجزهم مراراً فلم يستطع مصاقع بلغائهم ومناطيقهم الاتيان ببعض مايشبهه في البلاغة والنظم والأسلوب من الكلام مع شدة اعتنائهم بذلك وصرفهم الهمم فيه وتوازرهم وتظاهرهم عليه فعدلوا عنه لعجزهم وعدم استطاعتهم له وفزعوا الى المنابذة والمنازلة والمقارعة والمقاتلة بالسيوف الصقال والرماح الطوال مع انتاج ذلك قتل الرجال ونهب الأموال وسبي النساء والأطفال ورأوا أن ركوب هذا الامر العظيم أسهل عليهم من انشاء كلام يعارضون به القرآن الكريم (ومن الواضح البين) ان العاقل لا يعدل عن الأسهل مع قدرته عليه وسلامته من المحذور ويرتكب الأصعب ويميل الى ما يجلب عليه بلاء عظيما وخطباً جسيما ففى عدول جماهير العرب وأكابر فصحائهم ومصاقع بلغائهم عن مقاولة القرآن باللسان المقتضية لسلامة نفوسهم من القتل واحراز أموالهم عن النهب وصيانة ذراريهم ونسائهم عن السبي مع تمكنهم واقتدارهم على انشاء أفصح الكلام وأبلغه الى المصاولة بالسيف والسنان الموجبة لعكس ذلك كله دليل واضح وبرهان منير لا يرتاب فيه منصف خبير على انه ليس في وسعهم وطاقتهم الاتيان بما يشبه القرآن من الكلام فيحصل من ذلك العلم الجازم الذى لا يشوبه شك ولا تعتريه شبهة بأن القرآن ليس من كلام أحد من البشر وبه يعلم ضرورة انه كلام الله لا كلام النبي صلى الله عليه وسلم فيتحقق انه معجز له مصدق لدعواه (وقد تصدى)

جماعة من الزنادقة لمعارضة القرآن قصداً منهم بذلك الى هدم دين الاسلام، وذلك على عهد ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكانوا أربعة منهم عبد الكريم بن ابى العوجاء بعد ما تعمّقوا فى معرفة حقائق العربية وتوغّلوا في علم أسرار البلاغة فبقوا سنة كاملة يحاولون صوغ ما تصدوا له وتصوير ماقصدوا اليه فلم يهتدوا الى شئ منه سبيلا وارتج عليهم امره وغمي عليهم خبره فتفرقوا عنه خاسئين وكلّ منهم في المدة المذكورة تعلق نظره بآية واحدة من القرآن فلم يزل يرددها في لسانه سنته تلك ويطلب مايعارضها به من الكلام فلم يجر على لسانه ما رامه فانقلبوا عن مرادهم كلهم خاسئين وهذا تصديق ما اخبر الله به في القرآن العظيم بقوله تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)

ووجه آخر من هذا الطريق أيضا يعلم به أن القرآن ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في محاوراته وخطبه ورسائله وتعاليمه قبل المبعث وبعده قد سُمع وحُفظ ودُوّن في الكتب وهو بحمد الله موجود في ايدى المسلمين مثبت في كتبهم وقد أبصره وسمعه غيرهم من الفرق ولم يكن شئ منه على ما اشتمل عليه من الفصاحة الواصلة الى الغاية والبلاغة البالغة الى النهاية يشبه كلام القرآن فى نظمه وأسلوبه ونهجه وطريقته ولو كان القرآن من كلامه لتكلم عن نفسه بما يشبهه في النظم والأسلوب وقتاً من الأوقات وفي عدم وقوع ذلك منه دليل بيّن على أنه بنفسه غير متمكن من الاتيان بكلام يوازن القرآن فى البلاغة والاسلوب كما نعلم أن موسى غير قادر بنفسه على قلب العصا ثعباناً وأن عيسى غير مستطيع بنفسه ابراء الأكمه والأبرص

وبه نعلم ان القرآن كلام الله عز وجل صدّق به نبيه محمداً كما علمنا بأن قلب العصا لموسى ثعباناً وابراء الأكمه والأبرص لعيسى من فعل الله تعالى تصديقاً لهما ولخروج القرآن عن قوانين كلام العرب في البلاغة والنظم والأسلوب لم يتمكن أحد قديماً وحديثاً من ادراج كلام غيره فيه ومزجه به كما فعل النصارى لتمكنهم من ادراج ماشاؤا من الكلام في انجيل عيسى كما ذكره الخصم في بابه الثاني وهذا من أقوى الأدلة على أن القرآن كلام الله تعالى وليس من أقوال البشر اذ لو كان منها لأمكن البلاغاء أن يدخلوا فيه ماليس من قول قائله مما يماثله في صفاته كما أمكن غيرهم ذلك في غيره وهذا تصديق ما أنزل الله فيه من الخبر الصادق بقوله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) وقوله تعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ولتعذر ادراج كل كلام من كلام البشر فيه لم يزل يكتب مجرداً عما سواه ولم يكتب في خلاله أحوال النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا صفاته ولا تفصيل معاجزه ولا كلامه في خطبة أو تعليم أو حكم أو رسالة فضلاً عن كلام سائر الصحابة والعلماء مع رغبة المسلمين في هذا الامر لو أنهم يستطيعون اليه سبيلا أو يتأتى لهم مطلبه بل كان ذلك كله يكتب ويرسم في كتب على حدة وهي كتب السيرة والتفسير والحديث والتاريخ والمغازي بخلاف غيره من الكتب لامكان الزيادة فيها ووقوعها كما عرفت وفي هذا من بيان شرف القرآن على كل كلام منزل من عند الله مالا يخفى على العارفين ولا يستتر عن الناظرين (ومن جميع ماقررناه) يعلم فساد قول النصرانيّ ولكننا اذا تأملنا في هذا المبحث مبتعدين عن روح التعصّب والعناد نرى أن ما ينسب الى القرآن من البلاغة ليس هو اعجازه

يتخذ دليلا على كونه حقاً ومنزلا من عنـده تعالى (وأقول) مع ماتقدم ان هذا الرجل لو كان يفهم حقيقة الفصاحة ويفقه كنه البلاغة ويبتعد عن روح التعصب ويجنب طريق العناد لتبيّن له يقيناً أن بلاغة القرآن دليل واضح على الاعجاز به وتحقق كونه حقاً ومنزلاً من عند الله تعالى وظهر له ظهوراً بيناً بأنه لا فرق بين القرآن في ظهور الاعجاز به وبين انقلاب عصا موسى ثعباناً والتقافها عصيّ السحرة وحبالهم وما أشبه قوله هذا بقول فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) وهكذا أهل المعاندة والعصبية والعادلون عن طلب الحق ينكرون المعروف ويجحدون المعلوم ويخفون الظاهر عتوًّا على الله واستكباراً وهذا الرجل من كبرائهم ومامضمونه من قوله ان القرآن لو كانت فيه بلاغة تتخذ دليلا على كونه منزلاً من عندالله لكانت دليلاً قاصراً واهناً لعـدم تيسر معرفة ذلك الاّ للخبير بالعربيـة حق الخبرة من أئمة العلماء دون بقية الناس وما أفاد هذا المفاد من كلامه في فصله فهو أوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت وقد أجبنا عنه في مبحث معـنى المعجز عند قولنا ان المعجز اذا ثبت من وجه ثبت من كل الوجوه بما فيه كفاية وغناء عن اعادته بعينه هنا ولكننا نشير الى شيء تذكرة لما مضى (فنقول) انه لم يبق مميز ممن بلغه خبر القرآن من العرب وغيرهم حتى الآن الا وقد بلغه بالنقل المتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بلغاء العرب بالقرآن وعاجز به مصاقعهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله في بلاغته ونظمه وأسلوبه ومن هـذا يحصل لهم القطع والجزم بأن القرآن لو كان من كلام انسان لم يعجز غيره من أهـل لغته عن الاتيان بكلام مثله ويتحققون بهذا الدليل انه كلام الله وانه معجز وان بلاغته دليل على الاعجاز به فتقوم بذلك الحجة عليهم وينقطع العذر

منهم ولا يتوقف العلم بدلالة هـذا الدليل على المطلوب على عام آحاد الناس بمعاني البلاغة ولا على العلم باللغة العربية فانه دليل عام حاصل لكل ذي روية كما يحصل العلم لمن لا يعرف السحر أن قلب عصا موسى حية تسعى والتقافها كيد السحرة لو كان سحراً اقدر السحرة على الاتيان بمثله وتلزمه الحجة ولا يكون معذوراً في ترك الايمان لأنه لا يعرف السحر وهكذا في سائر معاجز الانبياء فانها جارية في هذا المعنى مجرى القرآن والتصديق بها لازم لمن يعرف جهة الاعجاز بها تفصيلا ولمن لا يعرف لأن الدليل الاجمالي العام حاصل له ومن لا تمييز له أصلاً فهو غير مكلف ولا مطالب بالتصديق وبذا يندفع تعلل النصراني في قوله ربما كان هذا الدليل مما لا يقنع من يجهل لغة العرب من الناس فيبقى متردداً بين الشك واليقين الخ لأنه لا يبقى لطالب الحق واليقين بعد ماذكرناه من الدليل العامّ الحاصل لكل ذي فهم عالماً باللغة العربية كان أو جاهلا شكّ ولا ارتياب في أن بلاغة القرآن دليل على كونه معجزاً ولو كانت بلاغة القرآن المعلومة بعجز بلغاء العرب عن النطق بمثله ليست دليلاً مقنعاً لمن لا يعرف العربية على كونه معجزاً لم يكن قلب العصا حيّة لموسى عليه السلام دليلاً مقنعاً لمن لا يعرف السحر على أنه معجز فلا يلزمه الايمان به ولم يكن أيضاً ابراء الاكمه والابرص لعيسى عليه السلام دليلاً مقنعاً لمن لا يعرف الطب فلا يلزمه تصديقه فلا يجب الإيمان بموسى وعيسى الاّ على حذّاق السحرة ومتعمّقي الأطباء لقصور دليلهما عن لزوم الحجة على غير القسمين وعدم إقناعهما لغير أهل الصناعتين بل يتمشى الأمر على ما أصّل النصرانيّ الى جواز القول بأن السحرة أيضاً لا يلزمهم الايمان بموسى لأنهم يحتملون أن يكون مافعله نوعاً من السحر لم تصل اليه معرفتهم وأنّ الأطباء لا يلزمهم التصديق

بعيسى لأنهم يجوّزون أن يكون ما صنعه وجهاً من الطب لم تبلغ اليه أفهامهم وليس كلّ من الأمرين من فعل الله تصديقاً لكلّ من الرجلين فدليل كل واحد منهما قاصر غير مقنع لتجويز الاحتمال فيه (وعلى هذا القياس) معاجز بقية الأنبياء فلا يكون لنبي معجز تام مقنع لاحد أبداً ان كان عارفاً بوجه الاعجاز أو جاهلا وهـذا عين التلاعب بالدّيانات وحقيقة التهاون بالمعجزات وهو من خصمنا غير بعيد فان المعرض عن البينة لا ينتفع بها نعوذ بالله من الوساوس المضلات (فاتضح من البيان) أن بلاغة القرآن دليل تام على كونه معجزاً مقنع لكلّ فاهم من الناس كافة (وقوله) انه من المعلوم أن علماء الوثنيين قد أجمعوا منذ القديم على الادّعاء بأن ماعندهم من الكتب المخترعة هو منزل من عنـد الله قول هجين ما سمعت في الدهر باكذب منه فانه لم يطرق أذن سامع من الناس أن رجلاً من عباد الأوثان أخرج كتاباً وزعم انه منزل من عند الله عليه ولا أن عبدة الأوثان يقرون بأن الله ينزل على أحد كتاباً ولا أنه يبعث الى الخلق رسولاً ولا يجوّزون ذلك كيف لا وهم كافرون بالله العظيم من الأصل وهـذا معروف من سيرتهم معلوم من عقيدتهم في جميع الأزمنة والأمكنة فان وجد النصرانيّ واحداً من الوثنيين على ما يدّعي فليعرّفنا من هو وما كتابه وفي أيّ عصر كان وفي أيّ مكان فان ما يستند اليه من التقوّل بالباطل والتزوير لا يلتفت اليه الا أشـباه الحمير وهم أمثاله من الخور الجماجير (وأما قوله) ان علماء الوثنيين أكثر من علماء المسلمين ودائرة معارفهم أوسع من دائرة أولـئك بكثير فأرهاج بالوهم وانتصار بالتخيّل وأي عـلم ومعرفة بل وأي عقلٍ لمن يعبد الشجر والحجر وغيرهما مما لا نفع فيه ولا ضرر ولا سمع له ولا بصر ولا نكير له لو عمم بالفاسِ ولا غِـيَر وعابده هو الذى نجره ووضـعه

واذا شاء كسره فاي روية لهؤلاء الطغام الذين هم غارقون فى لجة الجهل العام وأما أحكامهم التي يتعاملون عليها فهي أمور اصطلحوا عليها بآرائهم كما يصطلح الأطفال على أحكام يتعاملون عليها فى لعبهم ولا يسندونها الى وحي الهي ولا حكم نبوي كما هو مرام النصراني فأين الدائرة في المعارف لهؤلاء الذين هم بالوجدان أشباه الانعام بل هم أضل سبيلا حتى يقابل بهم النصرانى علماء المسلمين الذين استخرجوا حقائق العلوم ودقائقها ومن علومهم ومعارفهم تعلم هو النطق والبيان لا من معارف عبدة الأوثان ثم طفق يجادلهم بالزور والبهتان فهم معه فى ذلك كقول الأول

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

بل لم يقنع بذلك دون أن عاد يفضلهم عليهم ظلماً وعدواناً يرجو بذلك تقوية شبهته وأنى له بذلك على أنه لا يستطيع أن يشير الى رجل واحد من الوثنيين يتصف بما نسبه الى جملتهم من العلم والفضل وسعة الدائرة في المعرفة فأين مازعمه من أنهم أكثر من علماء المسلمين لكن هذا الرجل لا يرعوى عن التعويل على البهتان والمخاصمة به لاهل الايمان وأما من له حظ في المعرفة كالحكماء اليونانيين مثل فيثاغورس وذى مقراطيس وأبقراط وأفلاطون الآلهي وأرسطاليس وأضرابهم فليسوا بأهل اوثان ولا عبدة أصنام فانهم يثبتون وجود الصانع الحكيم ويقرون بوحدانيته وعدله وينفون عنه الشريك والمثيل والضد والند ولا يدعون لله ولداً كما ادعت له النصارى ويعترفون بثواب وعقاب بعد الموت واصولهم في الربوبية مشبهة لاصول المسلمين وبعضهم مصدق بالانبياء وانما كفر من كفر منهم بجحود نبوات الانبياء لا مطلقاً بل على أمثالهم

خاصة لزعم بعضهم عدم احتياج أمثاله الى مكمّل ومسدّد وأن الله سبحانه انما يرسل الرسل لتكميل عقول الناقصين كما نقل عن جالينوس وبانكار أشياء جاءت بها الانبياء من عند الله ونزلت بها الكتب فهم وان كانوا كفاراً من هذين الوجهين الا انهم خارجون عن نمط أهل الأوثان اخوان خصمنا في الشرك ومع ذلك فعلماء المسلمين أوسع دائرة منهم لأنهم جمعوا علومهم وعلوماً أكثر من علومهم وأجل قدراً وكتبهم فى الحكمة والطب والمنطق المترجمة باللغة العربية على أيدى النصارى كحنين ابن اسحق وثابت بن قرّة في زمان سلطنة بعض العباسيين من بني هاشم لاتوازن فى البلاغة كلام رعاء المعزى من العرب فضلا عن كلام بلغائهم فلا اعتراض بهم ولا بكتبهم على المسلمين في أمر القرآن بحال من الاحوال لأنهم لا يدّعون أنها منزلة من عند الله عليهم بل يقولون انهم استخرجوا مافيها بعقولهم ثم لايخفى أن النصرانى يحاول بكذبته المسطرة جعل القرآن ككتاب من كتب الوثنيين التى ادّعى وجودها وديانته بمنزلة دياناتهم لينفي بذلك تنزيله من عند الله فنقول له مع ما كشفناه من كذبه واختلاقه وما أوضحناه من مفارقة القرآن لكل كلام بعلوّه فى البلاغة وغرابة الاسلوب والنظم لو أن يهودياً عارضك بكذبتك هذه فقال لك انك زعمت أن الوثنيين لهم كتب ديانة يدّعون انها منزلة عليهم من عندالله فكتابك الذى تسميه الانجيل من جملتها وديانته من بعض تلك الديانات وليس منزلاً من عند الله حقاً والدليل على هـذا أنك تعترف أن مؤلفه ادّعى أنه رب من دون الله أومع الله وتصدقه فى دعواه وهـذا عين معتقد الوثنيين فى أوثانهم وليست هذه المعارضة على سبيل الفرض والتقدير بل واقعة لأن اليهود يطعنون فى الانجيل بمثل هذا الطعن فبماذا تدفع عن كتابك معرّة هذا الالزام وبأيّ جنة تتقي حلول هذا الانتقام فما زلت بكذبك

وافترائك تجرّ على ربّك وكتابك ودينك الدواهي العظام ولا يحيق المكر السّيئ الا بأهله وبالله الاعتصام (وأمّا قوله) وقد أجمع علماء الافرنج وتقرّر عندهم أنّه يوجد في اللّغة اليونانية واللاتينية والانكليزية والفرنساوية والنمساوية وغيرها من اللغات مؤلّفات أفصح وأبلغ من القرآن فهو من غرائب الزخارف وعجائب الاكاذيب يستند فيه الى اجماع لم ينعقد وينسبه الى قوم لا يعرفون حكم ما أجمعوا عليه ويحيل فيه على معدوم لم يوجد له أثر ويحتجّ بمفقود لا يعرف له خبر وأين تلك المؤلفات التي يتوعّدنا بها فليبرزها ان كان صادقاً ويترجمها بالعربية بجهده حتى نقابلها بكلام العرب المنحطّ عن بلاغة القرآن بدرجات فان أشبه في الفصاحة والبلاغة كلام أفةّ نساء الأعراب فضلا عن فصحائهن ودع عنك كلام مناطيق الرجال من العرب العرباء مع صيرورة المصقع منهم اذا سمع القرآن ألكن فهو كما يقول والا فقد ادّعى باطلاً وقال زوراً ونطق غروراً وتمسّك بغير متمسّك واعتمد على غير معتمد ولم يصنع شيئاً ومثل هذه الخيالات لا تقوم بها الحجج عند المخاصمات (وأمّا قوله) ثم منهم من حصل على معرفة اللغة العربية حق المعرفة وطالع ما أُلّف فيها من الكتب فأكدّ أنّه يوجد في العربية أيضاً تصانيف مثل القرآن بل أفصح منه كمقامات الحريري ومقامات الهمداني وغيرها فهو كلام واهن جدّا ساق قائله اليه سوء فهمه وقلّة علمه بمعاني البلاغة وحقيقة الفصاحة وأوّل ما يقالُ للنصراني وصاحبه في هذا المقام انّ الحريري والهمداني يعترفان بانّ كتابيهما في الفصاحة والبلاغة ساقطان عن القرآن بأبعد مما بين السماء الى الأرض وانّه لا نسبة بينهما وبينه في ذلك لأنهما من المسلمين المقرّين بأنّ القرآن معجز وانه كلام ربّ العالمين وأنّ جميع البشر عاجزون عن الاتيان بمثله في الفصاحة

والبلاغة والنظم والاسلوب فأنتما تدّعيان لرجلين أمرًا وهما يعترفان بأنه ليس لهما ويقرّان بأنّ الذي لهما هو نقيضه وضدّه فكيف تصحّ دعواكما لهما وهما مقرّان ببطلان ما ادّعيتماه لهما وكذبه ومخاصمان لكما فيه فجوابكما عن هذه الدعوى ساقط عنا من الرأس لاعتراف صاحبي الكتابين بما ندّعيه وموازرتهما لنا على ابطال دعواكما لهما فمثلكما في ذلك مثل كلبين ينبحان على أخذ مال اعترف صاحبه به لغيره وأمره بأخذه فأخذه ومن أذن في أخذ المال يروّعهما عن النباح ويقول لهما اخسئا ياقباح فهما في نباحهما لا ينصران من كان المال في يده أوّلا ولا ينتصران فأهون بلغوكما لغوا وأضعف بهُجركما هُجرا واذ كان قد أحال فيه على موجود فنجيبه لئلاّ يظنّ بنا قاصر العجز عن جوابنا عن شططه وذلك بوجوه (الاول) انه قد أجمع أهل العلم بالعربية والاطّلاع على حقائق البلاغة من أهل كل لسان على أنه لم يوجد في الكلام العربي قديماً وحديثاً ما يشبه القرآن في الفصاحة والبلاغة ولا يدانيه فيهما ويؤكد ذلك عدول البلغاء من العرب عن معارضته مع حصول غرضهم بذلك لو صدر منهم الى ما علمته من إسعار نيران الحروب وإتلاف النفوس فانكار صاحب الكتاب وحزبه الافرنجيّ بعد ذلك لغرض لهما معروف وهو ارادة القدح في الاسلام لا يعبأ به اذ لا تقبل شهادة المدعي على دعواه (الثاني) أنّ إعجاز القرآن ليس هو بمجرّد البلاغة فقط بل ينضمّ الى ذلك وجه آخر وهو خروجه عن قوانين كلام العرب وطرائقه من نظم ونثر في النظم والاسلوب وكلام الحريري وكلام الهمداني في كتابيهما وان كانا بليغين الا انهما غير خارجين في النظم والاسلوب عن قانون كلام العرب بل هما منخرطان في سلكه ومندرجان في الطريقة تحت قوانينه فلا يشبهان القرآن في نهجه ولا تقع بلاغتهما من بلاغته

نبي خلّ ولا خَمْر (الثالث) انّ تمام الدليل على كون القرآن معجزاً من جهة البلاغـة عجز بلغاء العرب عن الاتيـان بمثله في فصاحته ونظمه وأسلوبه لأنّ بذلك تحقق خرقه للعـادة ومقامات الحريري ومقامات الهمداني وان كانا بليغين الاّ انّ أهل العلم بالعربية وأصحاب المعرفة بطرق البلاغة قادرون على انشاء كلام مثلهما في الفصاحة والبلاغة والاسلوب فضلاً عن العرب الذين هم أهـل السليقة واللسان وأرباب الفصاحـة والبيان وقد اشتهر وانتشر في كلام جماعة من علماء المسلمين وفصحائهم ما هو في الامرين فوق كلام الكتابين المذكورين كخطب محمد بن نباتة الخطيب ورسائل الكتّـاب والعلماء كعمرو بن مسـعدة كاتب المأمون وسهل بن هرون الكاتب وعبد الحميد كاتب مروان بن محمد الامويّ وأبي عثمان الجاحظ وأبي جعفر الاسكافي والشريف المرتضى وأخيـه الرضيّ واذا نظر الناظر في كتب القوم وجـد فيها ما يعلو في البلاغة على مقامات الحريري وأختها مثل ديباجة القاموس وديباجة المطوّل وغيرهما مما تعداده يطول ثم انّ كلاًّ من المقاماتين يحصل به النقض على النّصرانيّ لأنّ الحريرى أتى في البلاغة بمثل ما أتى به الهمدانيّ فلم يعجز أحدهما عن الاتيان بمثل ما أتى به الآخر في نظمه وأسلوبه فلم يحصل في واحد منهما ما حصل للقرآن من عجز جميع أهل العربية عن الاتيان بما هو من نهجه وطريقته من الكلام (هذا) والعارف اذا قاس كلام الحريريّ وكلام الهمدانيّ بكلام العرب في محاوراتهم وخطبهم ورسائلهم المذكورة في التواريخ والمغازى والسير من أهل الجاهلية والاسلام وجد كلاًّ من كلام المقاماتين منحطّاً عن كلامهم في البلاغة والنظم في الحضيض الاسفل مع انه اذا قاس كلام أولئك العرب بكلام زين العابدين عليّ بن الحسين فى أدعيته المثبتة في الصحيفة المعروفة بالسجّاديّة وغيرها مما ذكر في الكتب

عنه وبكلام جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في خطبه ورسائله وكلماته ودعواته المرسوم في كتاب نهج البلاغة والصحيفة العلوية وغيرهما من الكتب وجده متسافلا جدّا في الفصاحة والبلاغة عن كلام ذينك الامامين الاعظمين كتسافل ما تحت الثرى عن الفلك الاطلس وجميع ما أشرنا اليه من كلام الحريري وكلام الهمداني وكلام العلماء والكتّاب وكلام العرب وكلام الامام زين العابدين وكلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وان كان بعضه في البلاغة أعلى درجة من بعض الا انه في النظم والاسلوب يُشبه بعضه بعضاً فكأنه من باب واحد لانّ جميعه من كلام البشر وكلّه مخالف للقرآن فيما ذكرناه من النهج والاسلوب والنظم فكلّه في شأن والقرآن العظيم عنه في شأن ولا شبه لشيء منه بالقرآن في مناهجه وطرائقه وأساليبه أصلاً كما لا يخفى على من له أدنى معرفة باختلاف أساليب الكلام لجميعه منحطّ الدرجة ومنخفض المنزلة عن رتبة القرآن في الفصاحة والبلاغة مباين له غاية المباينة بما يعلم به ذو الفطنة أن أحدهما من كلام الخالق والآخر من كلام المخلوقين ولا يشتبه أحدهما بالآخر عليه وهذا فصل ما بين القرآن وبين غيره من الكلام البليغ فلا تقاس مقامات الحريري وأختها المنحطّتان في الطبقة عن السافل في الدرجة عن النازل عن القرآن في الرتبة بمثل ما بين السماء الى الارض من البعد بالقرآن في الفصاحة والبلاغة (وقد اتضح لك) مما وضحناه دفع الاعتراض على بلاغة القرآن بما هو أبلغ من مقامات الحريري ومقامات الهمداني من الكلام وبما هو أبلغ منه أيضاً لأن كلاً منه وان تفاوت في البلاغة الا أنه متقارب في المنهج والأسلوب وبعضه مساوٍ لبعض فيهما وهو الاكثر ولا يعجز غير قائله ممن يوازيه في المعرفة عن النطق بمثله في أسلوبه ونظمه كما عجز جملة البلغاء عن

النطق بما يشبه القرآن في نظمه وأسلوبه وخرسوا كلهم عن الاتيان بسورة من مثله (وتبيّن لك أيضاً) أن دليل كون القرآن معجزاً مركّب من ثلاثة أمور (الاول) كونه في أعلى طبقات البلاغة (الثاني) كونه على نظم وأسلوب مخالفين لنظم كلام العرب وأساليبه (الثالث) عجز جميعهم عن الاتيان بمثله في ذلك وغيره من الكلام البليغ عربياً كان أو غيره لم توجد فيه هذه الامور الثلاثة مجتمعة فلا يكون معجزاً ولا يعترض به على معجزية القرآن (وانصرح لك أيضاً) بأن القول بمساواة مقامات الحريري وغيرها في الفصاحة والبلاغة للقرآن فضلا عن تفضيله عليه فيهما كما حاوله النصراني وصاحبه سفه من القول وجهل شديد ومكابرة محضة ولفظ قبيح لاينطق به رشيد من دون أن يعتقده ويخاصم به وليس من مثل خصمنا النصراني ببدع ولابعيد بل هو أهل له ومحل (ومما يؤكد) مخالفة القرآن لكل كلام في المناهج والطرائق صريحاً وأن أهل البلاغة من العرب يعرفون ذلك ويعلمون به انه ليس من كلام البشر ما روي في أسباب نزول القرآن من سبب نزول قوله تعالى (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) الآيات ان قريشاً اجتمعت الى الوليد بن المغيرة المخزومي وكان شيخاً مجرّباً من دهاة العرب فقالوا يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد أشعر هو أم كهانة أم خطب فقال دعوني أسمع كلامه فدنا من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال يا محمد أنشدني من شعرك قال ماهو بشعر ولكنه كلام الله الذى ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورسله فقال اتل عليّ منه شيئاً فقرأ عليه رسول الله حم السجدة فلما بلغ الى قوله تعالى (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) قال فاقشعر الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته ومرّ الى بيته ولم يرجع الى قريش فمشوا الى أبي جهل وقالوا يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا الى دين محمد انا نراه لم يرجع الينا فغدا أبو جهل الى الوليد فقال له ياعم نكست رؤسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا وصبوت الى دين محمد فقال ما صبوت الى دينه ولكنى سمعت كلاما صعباً تقشعر منه الجلود فقال له أبو جهل أخطب هو قال لا الخطب كلام متصل وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً قال أفشعر هو قال لا أما اني قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هو بشعر قال فما هو قال دعنى أفكر فيه الخبر (وفي خبر آخر) ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلا الخبر (وفي السيرة النبوية) لابن هشام ماحاصله ان عتبة بن ربيعة وكان من سادات قريش وذوي الرأي منهم قال يوماً للملا من قريش والنبي حينئذ جالس في ناحية المسجد وحده يا معشر قريش الا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا فقالوا بلى يا أبا الوليد قم اليه وكلمه فقام عتبة وجلس الى رسول الله ولاطفه في القول وعرض عليه خصالا منها جمع مال له حتى يكون أغنى قريش ومنها تسويده عليهم فلما فرغ عتبة من كلامه قال النبي له فاستمع منى قال افعل فقال النبي صلى الله عليه

وسلم (بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى يديه خلفه معتمداً عليهما يسمع منه فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى آخرها قال صلى الله عليه وسلم قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ الخبر

فاين مقامات الحريرى وما هو أفصح منه وأبلغ من فصاحة القرآن وبلاغته الذى خرقه عادة العرب فى كلامهم بغرابة نظمه وأسلوبه تحير فيه أعيان الفصحاء منهم وأعاظم البلغاء ومصاقع الخطباء من العرب العرباء الذى لا موقع لكلام الحريرى وغيره في الفصاحة والبلاغة من كلامهم فلم يدروا من أى نوع من أنواع الكلام هو حتى عاد بعضهم يسأل بعضاً عنه وأقروا انهم لم يسمعوا مثله قط وأنه ليس من كلام الانس ولامن كلام الجن وليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة أفبهذا يقاس كلام الحريرى وكلام الهمدانى اللذين من شاء من أهل العلم والمعرفة أنشأ كلاما مثلهما أوأبلغ منهماوكان انشاؤه عليه أيسر من انشاء كلاميهما عليهما لو عقل النصرانى وتدبر وقدر صاحبه الافرنجى وفكر وينبغى أن يكتب كلامهما المذكور في أوراق من القرطاس. وتجعل فى محافل الناس لتقرأ عليهم اذا أحبوا الضحك والاستئناس فانه من أعظم المضاحك

وأعجب العجائب وأما ماروّج به بضاعتـــه الـــكاسدة من المعارضة بقول أبي موسى عيسى بن صبيح المعـــتزلي" الملقب بالمزدار ان اعجاز القرآن ليس هو من جهة الفصاحة والبلاغة والنظام بل هو من جهة الاخبار عن الامور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة فلا معتمد له عليه فيما أرادفانّا لا ننكر أن شاذاً من شذّاذ المسلمين لِوَهْمَةٍ اعترته مثل الرجل المذكور قال ان العرب يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن في الفصاحة والبلاغة والنظام بحسب جبلتهم ولكنّ الله صرف دواعيهم عن ذلك ومنعهم عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً وان هذا القول من جملة أقواله المستقبحة التي انفرد بها عن أصحابه كما ذكره الخصم نقلا عن السلطان اسمعيل في تواريخه الا انه على شذوذ هذا القول وقبحه لا يتم به غرض الخصم فيما حاوله (وبيان) اندفاع الاعتراض به من وجوه (الاول) ان القائل المذكور لا ينفي ارتفاع درجة القرآن في الفصاحة ولا علو طبقته في البلاغة على كل كلام وجد وسمع بل مقتضى قوله اثبات ذلك للقرآن وانما يدعي اقتدار العرب بحسب الطبع والجبلة على اتيانهم بمثله في فصاحته وبلاغته ونظامه فيكون على قوله أيضاً ان القرآن أبلغ الكلام وأغربه نظماً وأسلوباً وان ذلك ثابت عنده وهذا رادّ لقول النصراني وصاحبه أن مقامات الحريرى ومقامات الهمذاني أفصح من القرآن وأبلغ فشاهده مكذب لدعواه (الثاني) ان القائل المذكور لا ينفي كون القرآن معجزاً مصدقا للنبي صلى الله عليـــه وسلم بل يثبته صريحاً ولا يثبت وجود كلام للعرب مثل القرآن في فصاحتـــه وبلاغته ونظمه وأسلوبه بل ينفيه نصا وانما يزعم ان اعجاز القرآن ليس من هذا الوجه فقط لان العرب بزعمه لو خلوا وطباعهم ولم يصرف الله دواعيهم ويمنعهم الاهتمام بالاتيان بمثله في ذلك تعجيزاً لهم لجاؤا بمثله وسائر المسلمين يقولون ان مجيئ العرب بمثل

القرآن فى الفصاحة والبلاغة والنظم والاسلوب مستحيل عليهم لعدم وجود القدرة على ذلك في طباعهم. فمرجع الخلاف الى ان العرب فى طباعهم التمكن من النطق بمثل القرآن أو ليس ذلك فيها وصريحه ومقتضاه الاجماع على ان القرآن أفصح الكلام وأبلغه وأن أحداً من العرب لم يأت بمثله لكونهم غير قادرين على ذلك أو لكونهم مصروفين عنه وهذا منافٍ لمراد الخصم لزعمه ان القرآن ليس بأبلغ الكلام وأنه وجد من الكلام العربي ما هو مثله بل أفصح منه وأبلغ وليس مرجع الخلاف الى أن القرآن معجز أم لا وأنه وجد في كلام العرب مثله في بلاغته ونهجه أم لا حتى يتعلق به النصراني تعلق القراد باست الجمل بل الاجماع قائم على ان القرآن معجز وانه لم يوجد في كلام العرب مثله في الفصاحة والبلاغة والنظام وهذا خادش لزعم النصراني وجود تصانيف في العربية مثل القرآن فلا يكون معجزاً مستدلاً على ذلك بقول المزدار فدليله مبطل لدعواه (الثالث) ان قول المزدار وان كان ضعيفاً قبيحاً الا انه مثبت لكون القرآن معجزاً على أبلغ وجه (وتقريره) انه يعترف بأن العرب لم ينطقوا بمثل القرآن بحال كما أوضحناه من معنى قوله ويدعى انهم لولا سلب قدرتهم على ذلك بصرف دواعيهم عن معارضته ومنعهم عن الاهتمام بها لعارضوه بمثله فصاحة وبلاغة ونظاماً ومن المعلوم الذي لا يشك فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم واحد من البشر ورجل من العرب وليس في وسعه وقدرته سلب قدرة أحد من الناس على معارضته بصرف داعيه وابطال همته عنها ولا في وسع غيره من المخلوقين ذلك فلو كان القرآن من كلامه لم يتمكن من سلب قدرة العرب على معارضته لاستحالة صدور ذلك منه اذ لو كان قادراً على صرف العرب عن معارضة كلامه بمثله ومتمكناً من سلبهم القدرة عليها لصرفهم الى تصديقه والايمان به ومنعهم عن تكذيبه

والكفر به ولم يحتج في ذلك الى كثرة وعظهم ونصحهم ثم الى محاربتهم وقتالهم لانه كان شديد الحرص على هدايتهم كادحاً نفسه في ردهم عن غوايتهم خصوصاً قومه من قريش فانه كان يحزن لضلالتهم ويأسف لترددهم في عمايتهم حتى أنزل الله عليه في ذلك من الآيات (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) وأنزل عليه أيضاً (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)وغيرها والقدرة على الاول تستلزم القدرة على هذا يقيناً وشيء منه لم يكن مع ان ذلك هو غرضه الاقصى وبغيته العظمى فليس اذاً النبي صلى الله عليه وسلم قادراً على صرف العرب عن معارضة القرآن لو كان من كلامه كما هو مرام الخصم في هيامه وانما يقتدر على ذلك العالم بالاسرار مقلب القلوب والأبصار وهو الله سبحانه وتعالى الملك القهار فيكون القرآن كلامه قطعاً وانه سلب العرب القدرة على معارضته تعجيزاً لهم ليكون القرآن معجزاً يصدق به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة وهذا لا كم فم النصراني وناقض لزعمه ان القرآن ليس بمعجز وانه ليس من كلام الله (فتبين) من كل ما بيناه ان التجاء الخصم الى قول أبي موسى المزدار لاينفعه في اثبات مارام اثباته وانه استدل بما ليس له فيه دلالة بل عليه فلا اعتداد بعد بقوله أخيراً فهذه الاقوال وان كانت غير مقبولة عند المسلمين عموماً فهي تدل على وقوع الاختلاف والمنازعة بين علماء المسلمين أنفسهم في مسئلة اعجاز القرآن انتهى لانك قد علمت ان الاختلاف المذكور ليس في اعجاز القرآن وانما هو في وجه اعجازه فهو غير ناقض قول المسلمين ان القرآن أبلغ الكلام ولا مخرج له عن كونه معجزاً بما قررناه في دفع شبهته ولكنه لا يفهم الفرق بين الامرين فيتكلم بما لا يعلم فلا

عبرة بما قال (واذ قد عرفت ذلك) فاعلم ان المتكلمين من العلماء قد ردوا قول المزدار وأبطلوه بادلة صحيحة ليس هذا المقام محل ذكرها وفيما قدمنا ذكره من قول الوليد بن المغيرة وقول عتبة بن ربيعة ومالم نذكره من أقوال أمثالهم في هذا المعنى دلالة على ضعفه لانها تصرّح بان تعجب العرب من القرآن وتحيرهم فيه لمخالفته قوانين كلامهم في خطبهم وأشعارهم وسجع الكهان منهم وانهم لم يسمعوا كلاماً مثله قط وهذا لا يتصور استناده الى صرف الداعي عن المعارضة وانما يستند الى عدم بلوغ أفهامهم اليها وعدم تمكنهم ابتداء منها وهذا معنى عدم قدرتهم على الاتيان بمثل القرآن وان تعذر ذلك على العرب كتعذر الطيران على كل انسان من جهة ان الله سبحانه وتعالى لم يوجد ملكته في طباعهم ثم كيف يصح أن يقال ان العرب صرفت دواعيهم عن معارضة القرآن ومنعوا من الاهتمام به والمعروف بالنقل من حالهم لا سيما قريش الذين هم أفصح العرب انهم اجتهدوا فى طلبها وسعوا في تحصيلها وأعملوا الحيل فيها واستعان بعضهم ببعض على ايقاعها كما يدل عليه فحوى خبر الوليد المذكور وغيره فما حصلوا على شيء مما طلبوا ولم يدركوا في سعيهم شيئاً مما أرادوا ثم انه قد حصل الاجماع الضروري على ان العرب منذ كانوا الى ان نزل القرآن والى هذا الآن لم ينطقوا بمثل القرآن فى الفصاحة والبلاغة والنظام مع تباهيهم بالمقال وتغالبهم في المخاصمة والجدال وطلب كل منهم علو كلامه على صاحبه كما هو المعروف من سجيتهم وخلقهم فما ترى صرفهم عن التكلم بمثل القرآن فى الاسلوب والنظم قبل تنزيله بازمان وهذا كاف في ابطال قول المزدار لدى أهل الالباب والابصار فصفرت يد النصراني من الانصار

قال (ثالثاً) لوكان عدم وجود كتاب في العربية يضاهي القرآن في

الفصاحة والبلاغة دليلا على كونه كلام الله لاقتضى ذلك أن يكون كل كتاب لا نظير له في لغته منزلا من عنده تعالى

أقول هذا الزام لنا بما لا نختشي من الالتزام به ولا نتحاشى عن القول به بل هو جزء دليلنا على كون القرآن معجزاً فلا ضير علينا فيه :وتلك شكاة ظاهر عنك عارها: فانا نحكم قطعاً بوجوب تصديق مدعي النبوة في دعواه من أي صنف من أصناف الناس كان ومن أهل أي لغة كانت اذا جاء على مدعاه بكتاب خارق لعادة أهل لغته في كلامهم بحيث يعجز الحذاق منهم عن الاتيان بمثله في الاسلوب والنظم لصدق حد المعجز عليه لكن هذا الكلي لم يوجد من جميع العالم الا في فرد واحد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن ولم يحصل قبله في غيره وبعده لا نبوة لاحد فانه خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين فكان هو المخصوص بذلك من دون جميع الخلق فقول النصراني بعد ذلك وعلى هذا القياس يكون كل ما اشتهر بالفصاحة والبلاغة وحسن النظم مما لا نظير له في لغته من الكتب التي كتبت قديماً باللغة اليونانية واللاتينية مثلا أو حديثاً باللغة الانكليزية أو الفرنساوية أو النمساوية أو غيرها من اللغات منزلا من عنده تعالى وكذلك ما أردفه به من كتب الهنود والزامه المسلمين بمعرفة اللغات كله تهويل بغير هائل وارجاف بما ليس بموجود ولا حاصل وجوابه من وجوه (الاول) ان هذه الكتب التي يشير اليها ويهددنا بها مرة بعد أخرى لم توجد ولم تعرف كما ذكرناه سابقاً والاحتجاج بالمعدوم مذموم (الثاني) انا لو فرضنا وجودها لم يتحقق عجز غير مؤلفيها من حذاق أهل لغاتها عن الاتيان بمثلها في فصاحتها وبلاغتها وحسن نظامها بل ما يفهمه كلامه من تعددها دليل واضح على ان كل واحد من المؤلفين لتلك الكتب أتى بمثل ما أتى به الآخر فبطل الشرط فلم يصدق على شيء

مناحد المعجز لانك قد علمت ان المعجز هو مايعجز جميع البشر عن الاتيان بمثله وهذه الكتب ليست كذلك فلا يكون شيء منها منزلا من عند الله وهذا هو الفصل المميز بين القرآن وبين كل كلام بليغ بأي لسان كان (الثالث) ان تلك الكتب التي أشار اليها لايدعي مؤلفوها نزولها عليهم من عند الله ولا يدعون نبوة بها بل يعترفون بأنهم جمعوها من عند أنفسهم واخترعوها بجودة قرائحهم وقوة افهامهم وبعضهم ينكر النبوة ومنهم من ينكر الربوبية ومنهم من يجحد وحدانية البارئ تعالى فالقول بأن تلك الكتب المذكورة منزلة من عند الله تعالى تكذيب لقول مؤلفيها وادعاء لهم بما يعترفون ببطلانه فلا يصح عليها القول بذلك مع فصاحتها وبلاغتها كما ذكر ولا تحجه لمناقضته اخبار مؤلفيها عنها والمعجز لا يكون أثباته مكذباً لصاحبه بل يجب أن يكون مطابقاً لدعوى من جاء به والقرآن يخالفها في الوجوه الثلاثة لانه موجود معروف ويعجز أهل لغته وغيرهم عن الاتيان بمثله ومن جاء به يدعي النبوة به ويخبر بأنه منزل عليه من عند ربه وانه لم يقل منه كلمة واحدة من تلقاء نفسه والقرآن يصدقه في ذلك كله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) وقوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) وقوله تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وغيرها من الآيات فصح أن يقال فيه انه منزل من عند الله دون تلك الكتب فبطل قياس النصراني من أصله لمخالفة المقيس للمقاس عليه في جنسه وفصله وزال مالفقه من الهذيان ورام أن يضل به البله والعميان (واعلم) أن الفصاحة والبلاغة

صفتان للكلام العربي مختصتان به لاتنسبان الى غيره من الكلام في عرف أهل اللسان ولكننا أجبنا النصراني في تلك الكتب التي ادعى فصاحتها وبلاغتها وهي بغير العربية مجاراة له من حيث قدر انه يلزمنا فأبطلنا تقديره وتدبيره والحمدلله (وقوله) انه من الممكن أن تؤلف كتب بغاية الفصاحة والبلاغة مشتملة على معانٍ مستقبحة وأكاذيب وكفر الى قوله فتلك الكتب بمقتضى القياس الذي وضعه المسلمون لفصاحة الفاظها وبلاغتها هي منزلة من عنده تعالى قول خال من التحصيل قائله ضال عن سواء السبيل لأنا لاننكر امكان تأليف كتب بليغة مطلقاً في حق أو باطل ولكن لاتكون مثل القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه وأسلوبه ولا يعجز غير مؤلفيها عن تأليف مثلها في الفصاحة والبلاغة والنظم كما يعجز الخلق عن ذلك في القرآن وبذا فارقها وفارقته فسقط الايراد وثبت المراد (وأما قوله) انما ينسبه المسلمون الى القرآن من الفصاحة والبلاغة وحسن النظم سواء قدر أحدأن يأتي بمثله أم لا ليس هو دليلا على كونه كلام الله ولا برهاناً على صدق نبوة محمد ورسالته فمن أضر الاقوال له ومن أدهى الدواهي عليه لأنه اذا لم يكن القرآن برهاناً يدل على صدق نبوة نبينا محمد ورسالته بعجز البشر عن الاتيان بمثله لم يكن ماجاء به موسى من أمر العصا واليد البيضاء ولاما أتى به عيسى من ابراء الاكمه والأبرص واحياء الموتى ولا ما أظهره الأنبياء قبلهما من خوارق العادات براهين تدل على صحة نبواتهم لعجز البشر عن الاتيان بأمثالها اذ لا فرق في ذلك بينها وبين القرآن فان الأمر الخارق للعادة لا يتحقق الاعجاز به الا بعجز غير مظهره من جميع الناس عن اظهار مثله واذا لم يكن الاعجاز في القرآن متحققاً بهذا ولم يكن ذلك برهاناً على أنه كلام الله لم يتحقق الاعجاز به في غيره ولم يكن ذلك برهاناً

على أن ما أظهره الأنبياء من الخوارق من فعل الله لعدم الفاصل المميز بين القرآن وغيره فى ذلك كما لا يخفى ومن هذا يتوجه بطلان نبوات جميع الأنبياء لفقدان المعجز الدال على صدق النبوة ويرجع الامر الى ما يعتقده أهل الاوثان والبراهمة من أهل الهند وحكماء اليونان من عدم وجود النبوات ولا باطل أبين بطلاناً من لازم قول هذا الجاهل الأهوج فالملزوم مثله فانفصل باذن الله فصله وزلت فيه نعله وثبت ان القرآن الكريم منزل من عند القادر الحكيم وانه معجز من وجه فصاحته وبلاغته ونظمه وأسلوبه من غير شك ولا ريب ولله المنة

﴿ الوجه الثانى من تقرير الدليل على كون القرآن معجزاً ﴾

وهو ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الأخبار عن الأمم الماضية وما تضمنه من الأنباء عن القرون الخالية من الصالحين والطالحين الانبياء وغيرهم وعما مضى وسلف من الحوادث والوقائع من اهلاك من هلك ونجاة من نجى وغير ذلك من الامور التي فى الاخبار بها فائدة وللمخبرين بمعرفتها اهتمام وفى العلم بها لهم مصلحة من حين أراد الله تكوين آدم أبى البشر الى وقت نزول القرآن اجمالا وتفصيلا مما لا يتمكن أحد من البشر وان اتسعت دائرة ذاكرته أن يحفظ أقله أو يتقن بعضه كما هو المعلوم بالمشاهدة والوجدان ولا يقتدر على احصاء تفاصيله وحصرها الاعلام الغيوب المطلع على أسرار القلوب مع مطابقة جميعها للواقع والقرآن مملوء من ذلك بعبارات مختلفة في الوجازة والاطناب متفقة في الحاصل والمفاد يشوق استماعها أولي الالباب وهذا مقتض لكون ذلك منزلا من رب العباد لتعذر جمعه وتفصيله بالعيان على الخاص والعام فيكون القرآن لامحالة كلام الملك العلام فكيف اذا انضم الى هذا أن من جاء به كان رجلا

من العرب أمياً لايقرأ الكتاب ولا يكتب ولم يجالس الى معلم ولم يخالط أحداً من أهل الكتب ولا اختلف اليهم ولا أخذ عنهم وليس من الممكن أن يعلم رجل هذه حاله بمقتضى فطنته وفهمه وان كان هو أذكى الخلق من أخبار الماضين بتفاصيلها ويخبر عنها بلسانه ما يعجز قارئ الكتب المطلع عليها عن حفظ بعضه واتقان أقله والاخبار باللسان مطابقاً للواقع عن أيسره فان مثل ذلك مستحيل في العقل وممتنع فى العادة والوجدان فانا لم نر ولم نسمع بأحد من الناس من قراء الكتب وعلماء الامم أخبر بلسانه عن حفظ قلبه بمقدار العشر من القصص التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن حتى انا لم نسمع بمثل ذلك عن الأنبياء السابقين وانما يكون اخبارهم عن ذلك بكتب منزلة عليهم مكتوبة مثل التوراة والزبور وغيرهما وهذا برهان قاطع يحصل منه العلم الجازم الذى لا شبهة فيه بأن القرآن منزل من عند الله تعالى اذ لا يتمكن أحد من البشر بموجب طبعه بل بعد التعلم من علم ما فيه من القصص والاخبار وحفظها واتقانها حتى يجوز أن ينسب الى من جاء به

﴿ الثالث مانطق به القرآن المجيد من تعظيم جلال الله تعالى ﴾

ووصفه بالصفات اللائقة بشأنه من القدم والوحدانية والعلم والقدرة والحياة والحكمة والعدل والغنى المطلق عن كل ماسواه والرحمة والرأفة والكرم والمغفرة والدوام والسرمدية وغيرها من المعاني الجليلة وما أعلنه من الأحكام الروحية العظيمة الشأن مثل كيفية تخلق الانسان وتنقلاته في أطواره وأحواله وخلود النفوس البشرية والبعث ومجازاة المطيعين ومعاقبة العاصين والوصية بمحبة الله تعالى ومحبة أوليائه والايمان بكتبه ورسله وأنبيائه والاحسان الى الاخوان والعفو عن المسيئين وصلة الارحام والقرابات والشفقة على اليتامى والفقراء والمساكين وتوقير أهل الدين وايفاء العقود

والكيل والوزن والنهي عن الشرك وعبادة الأصنام وتناول اسم الله العظيم بغير وقار وعن الزنا والسرقة وقتل النفس بغير حق والكذب والظلم والجور في الحكم والفساد في الارض والاغترار بالدنيا والميل الى لهوها ولذاتها والتحذير مما أصاب القرون الماضين والجبابرة السابقين والكفرة المكذبين والمعتدين لحدود الله متعمدين من الخسف والزلزال والمسخ والنكال وغير ذلك مما فيه من المعاني الشريفة والاحكام المنيفة المصرح بها فيه عموماً أو خصوصاً مما لايمكن ان يصدر بعضه عن لسان من صرف عمره في تعلم الكتب المنزلة من الله وبذل جهده وهمته في دراستها وحفظها ولا يحتمل ان يخبر عنه ويعرب عن وصفه وحدوده الا نبي مرسل مؤيد بالوحي الالهي واذا ضم الى هذا أن الذي جاء بتلك المعاني والاحكام وتفصيلها وتحديدها رجل عربي نشأ بين قوم أهل أوثان وجاهلية جهلاء لايعلمون من تلك المطالب الجليلة شيئاً وليسوا بأصحاب ذكر ولا كتاب بل كانوا يقطعون الأرحام ويرتكبون الفواحش العظام كما هو معلوم من حالهم وهو أيضاً لم يعاشر أهل الكتب السابقة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يكن قارئاً للكتب وممارساً لأهلها حصل من ذلك اليقين الذي لايمازجه ريب أنه لم يقل ذلك من عند نفسه اذ لاتفي قوة أحد من البشر بمعرفته بحسب جبلته بل لايتأتى لمن طالع الكتب وفاوض أهلها في العلم اتقان جميعه والافصاح عنه على النهج الذي أفصح عنه القرآن ودع عنك من لم يكن ذلك من شأنه ولم يجل في معركته وميدانه فمن هذا يحصل الدليل الواضح المبين على ان القرآن منزل من عند رب العالمين وأنه معجز من هذا الوجه لعجز كافة البشر خصوصاً العرب عن الاتيان بمثل ذلك من قبل أنفسهم ولاستحالة وفاء قواهم باتقان ذلك وعدم قدرتهم عليه فيكون لامحالة كلام الله لا كلام أحد

من البشر وهو المطلوب (وماذكره) النصراني في فصله الثالث من الاختلاقات والافتراءات المستبين كذبها للعارفين أبين من شمس الضحى للناظرين وقدّر بحسبانه أنها قادحة في كون القرآن معجزاً من الوجهين المذكورين كلّها عارية من لباس الصحة والوقار لابسة لخالقان المذلة والاحتقار (فماذكره) من ذلك ما حاصله أن النبيّ صلى الله عليه وسلم انما أخبر بما في القرآن من أخبار الماضين وقصص السابقين والمعاني الجليلة والأحكام القدسية السامية من طريق الأخذ والاكتساب من علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأنه كان قبل ادعائه النبوّة يسافر الى الشام مع عمه أبي طالب ثم كان يسافر وحده وكانت بلاد الشام حينئذ من النصارى مملوءة وأنه كان يخالط اليهود والنصارى (قال) ولا ريب أنه سألهم عن كتبهم واطلع على بعض ماعندهم من المعرفة بهذه الأمور فأدرج في القرآن مالاءم غرضه مما استقر في ذاكرته من تلك المسموعات

(اقول) هذه كذبة خارقة لعادة الكذابين في كذبهم وما أظن أن أحداً من الكذبة في وسعه وطاقته الاتيان بمثلها ولوكان خرق العادة بالكذب تثبت به النبوة لقلنا ان هذا الرجل نبيّ أهل الكذب فانّه قطع بوجود مالم يوجد وبكون مالم يكن مما هو مخالف للمعلوم فانّ العلم الضروريّ حاصل من النقل المتفق عليه بين المسلمين وغيرهم بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مذ نشأ الى أن بعثه الله برسالته وبعد ذلك الى أن هاجر من مكة الى المدينة وهو مقدار ثلاث عشرة سنة لم يخالط أحداً من علماء اليهود والنصارى ولم يأخذ عن أحد منهم علماً ولا خبراً وأنه لم يسافر مع عمه أبي طالب الى الشام الاّ مرة واحدة وكان له من العمر اذ ذاك تسع سنين وهي السفرة التي ذكر فيها حديث بَحِيرا الراهب وقد ذكرناه وما فيه مما زعمه الخصم عين ولا أثر ثم لم يخرجه عمه ابوطالب

معه الى الشام بعد ذلك قط حذراً عليه مما حذّره منه عليه بحيرا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَمِرَ(١) كان يسافر الى الشام مع قومه من قريش تاجراً مهتماً في تجارته لا للتعلم من اليهود والنصارى ثم لم يطلع عليه أحد ممن معه من قومه أنه دخل الى يهوديّ أو مال الى نصرانيّ أو أصغى الى واحد من أحد الفريقين بل كان أحبار اليهود وأساقفة النصارى اذا رأوه عرفوه بصفته المذكورة فى كتبهم أنه هو النبي الموعود به فكان أكثرهم يتحامون جانبه ومنهم من يضمر له السوء والمكروه فلا يتمكن من الوصول الى ما أضمر وبعد أن بعث لم يسافر الى الشام ولا الى غيرها وكان صارفاً همته في تبليغ رسالات الله باذلاً جهده في ارشاد العباد الى دين الله وبعد هجرته الى المدينة كان يفاوض اليهود والنصارى على وجه المحاجّة والمجادلة

وأما ماعظّم به فريته من حديث ورقة ابن نوفل بن عم خديجة المرويّ في السيرة النبوية وغيرها فتعظيم بغير عظيم اذ لا يومي الخبر الى أن ورقة من خلطاء النبي صلى الله عليه وسلم وجلسائه قبل المبعث بل يومي الى خلاف ذلك وكذا لا يُشعر أدني اشعار بأن ورقة ألقى الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من علم تلك القصص والمعاني والأحكام التي أشرنا اليها في الوجهين ولا أن ورقة بن نوفل اسداها الى أحد أوكان يحدّث الناس عن شيء منها وقد قدمنا أخباره وغاية ماتدل عليه أن ورقة كان قد توغّل في النصرانية وقرأ الكتب السابقة وعرف منها أنه يبعث نبيّ من العرب ثم عرف بعد ذلك وتحقق بأن ذلك النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم بحسب ماوجد من الصفة في الكتب وأنه اذا بعث كذبه قومه وأخرجوه من مكة وقاتلوه فكان يخبر بهذا ولا يزيد عليه واخبار ورقة حجة لنا لا للنصرانيّ ثم

(١) بفتح الهمزة وكسر الميم أي عظم اه مصححه

أين ورقة وأين أحبار اليهود وأساقفة النصارى ورهبانهم من الاحاطة بأخبار الماضين من الأنبياء والأمم والاتقان لتلك المعاني والأحكام الآلهية والافصاح عنها بألسنتهم ومتى وجد الناس أحداً من أولئك أخبر عن معشار العشر من تلك الحوادث الماضية وأفصح عن يسير من تلك المعاني والأحكام العالية حتى يتوهم ذو وهم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخذ جميع ذلك عنه واكتسبه منه فان كان النصراني يستند في خضخضته هذه الى رواية تشير الى أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم جلس الى فلان اليهودي أو اختلف الى فلان النصراني وسأل واحداً منهما عن الأديان وما في كتبهم من العلوم والقصص فأخبره بذلك أو أن أحداً منهم ورقة أو غيره كان حافظاً لتلك الأخبار متقناً لتلك المعارف العظام يحدّث عنها الناس ويكشف لهم عن وجوه معانيها وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم حضر مجلسه واستمع الى حديثه فليأت بها وليشر الى موضعها حتى نعلمها ونعرفها ولو كانت ضعيفة متهافتة والاّ فهو من أكذب الكاذبين

ومن العجب العجاب أن النصرانيّ صاحب الكتاب يطلع بعد مئات من السنين من أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم على مالم يطلع عليه أحد من أوليائه وأعدائه من رهطه وعشيرته وقومه وقرابته الذين كانوا في زمانه مخالطين له ومعاشرين في حضره وسفره ويشاهد النصرانيّ بعد طول المدة منه مالم يشاهدوه ولم يعثروا عليه من أموره ولا شك أن الرجل النصرانيّ قال ذلك عن خيالات سوداوية اعترته ووساوس شيطانية عرضت له فانّ من سلم عقله من الخلط لا يكذب في مقام المناظرة مثل هذه الكذبة ويخبط مثل هذا الخبط

ومنه ماحاصله أن القرآن متضمن من الأخبار ما مضمونه مخالف لما في التوراة والانجيل مع اسناده تلك الاخبار اليهما مثل تكليم الله الملائكة عن

خلق آدم وأمرهم بالسجود له وامتناع ابليس عن السجود له وأن نوحاً لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً وأن واحداً من أولاد نوح لم يدخل السفينة فغرق وأنه قال عن يوسف (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) أي قصد مخالطتها وما أخبر به عن امرأة فرعون من قولها (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ) وما أخبر عن مريم في وقت ولادة المسيح من قوله (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) وزعم النصراني أن التوراة تخبره أن ابليس كان عاصياً قبل خلق آدم ولم يكن سقوطه بسبب عدم السجود لآدم وتخبره بأن نوحاً كان زمن الطوفان ابن ستمائة سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة وأن أولاده جميعاً دخلوا السفينة ولم يغرق منهم أحد وأن يوسف رفض المرأة ولم يخطر على قلبه فكر رديء وتخبره أن القائلة قرة عين لي ولك ابنة فرعون لا امرأته وأن الانجيل يخبره أن ولادة المسيح كانت في مذود في مدينة بيت لحم وهي مدينة أجداد مريم

(اقول) هذه طنطنة ليس وراءها مخوف (وأول) ما يقال للنصراني فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسند ما في القرآن من قصص الأنبياء والأمم وأخبارهم الى التوراة والانجيل ولم يشر القرآن الى اسنادها اليهما أدنى اشارة فانه تعالى قال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) وقال في شأن الرسل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) وقال تعالى (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا) ولم يقل في موضع من المواضع في التوراة وقع على فلان كذا وكذا ومن فلان كذا وكذا وفي الانجيل كذا حتى يدعى

الرجل أن محمداً أسند ذلك الى التوراة والانجيل ولكن هذا النصراني لايمل من الكذب والتقول قد اتخذها شعاره ودثاره وجعلهما على مايحاول شاهده ودليله وعول عليهما في مطالبه (وثانياً) يقال له أأخبرتك التوراة عن عصيان ابليس قبل خلق آدم باطناً بمعنى أنه منافق ولم يظهر نفاقه للملائكة الا بعد امتناعه عن السجود لآدم أم أخبرتك أنه كان ظاهر العصيان مطلقاً فان أخبرتك بالأول فالقرآن يشير الى هذا المعنى فلا مخالفة بينه وبين التوراة في ذلك وان كانت أخبرتك بالثاني فماذكرته من لفظ التوراة لا يدل عليه ثم من يصدقك في نقلك وأنت تكذب في الأمور المعلومة عند كل ناظر وسامع على أن من الجائز أن يكون ابليس مظهر المعصية قبل خلق آدم ولم يستحق بمعصيته السقوط من رحمة الله رأساً واستحق ذلك بامتناعه عن السجود لآدم فان المعاصي بعضها أكبر من بعض والقرآن لا يرد هذا والتوراة لاتناقضه فلا مخالفة بينهما (وأما) عمر نوح عليه السلام ونجاة كل أولاده من الغرق فلا نقبل قوله فيه فان كان صادقاً فليأت بأصل التوراة وهو ألواح موسى أو المطابق لما فيها يقيناً ويثبت ما ادعاه منها وأما محض ادعائه فليس بشيء يُنظر اليه (وأما) قوله تعالى عن يوسف (وَهَمَّ بِهَا) فليس معناه على ماتوهم النصراني وانما المراد أنه هم بدفعها عن نفسه حين تعلقت به بضرب أونحوه لابمخالطتها والذي يكشف عن هذا المعنى قوله تعالى مخبراً عن المرأة (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) ومن المعلوم أن المرأة أعرف من النصراني بما هم به يوسف عليه السلام وقد أخبر القرآن عنها أن همه بها الاستعصام منها عما أرادت منه لا الجنوح الى ماطلبت وأيضاً ان الهم بها بمعنى الميل الى مخالطتها لايلائم ماقبله من قوله تعالى (وَرَاوَدَتْهُ

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ) الخ فانّ التعوّذ والامتناع يلائمه دفعها عن نفسه لاميله اليها فأين مخالفة خبر القرآن للتوراة في هذا (وأما) فرعون فلم يثبت من طريق النقل أن له ولداً لا ذكراً ولا أنثى بل المعروف من حاله أنه كان عقيماً لم يولد له فان قدر النصراني أن يثبت مدّعاه من التوراة الصحيحة فليحضرها ان كان من الصادقين (واما) بشارة لوقا التي أسند اليها خبر ولادة المسيح فقد ابطلناها سابقاً وسيأتي عليه زيادة فلا اعتداد بما فيها ومع هذا فلنا على افساد هذه الخلطنة كلها وما ذكره بمعناها في نصله وغيره جواب واحد وافٍ بالمراد (وتوضيحه) أنه قد علم كل من له اطلاع بأخبار الاسلام أن بالمدينة وخيبر وفدك خلق كثير من اليهود وفيهم جماعة وافرة من الأحبار والعلماء بالتوراة وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ودعاهم الى الاسلام تلكّأ أكثرهم عليه وامتنعوا من اجابته مظهرين الطعن في صدق رسالته وأنهم كانوا يعارضونه في جملة من أحكامه كما عارضوه في نفيه كون عزير ابن الله وفي حكم الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأةً وفي أحكام أشياء من الاطعمة وغيرها زاعمين أن حكمه فيها ليس بحق وأنه مخالف لما في التوراة وأنكروا وجود تلك الأحكام في التوراة على طبق ماحكم به وأنه خاصمهم في كل ذلك بتوراتهم وأثبت عليهم وجود ما أنكروه من أحكامه في التوراة بشهادة علمائهم حتى تبيّن للناس كذبهم وعنادهم ولم يكن في معارضاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره النصرانيّ من مخالفة خبر القرآن لما هو مقصوص في التوراة مما ذكره الخصم ولاشيء منه واذا كانوا قد عارضوه قصداً لتوهين أمره وارادةً لتعجيزه وروماً لرد نبوته فيما ظهر به نقصهم

وكذبهم وافتضاحهم عند الناس من المسلمين وغيرهم من انكارهم وجود ماهو موجود في توراتهم مما يمكن فيه النسخ فما تراه منع أولئك الأحبار المتعنتين والعلماء المكذبين المعتدين من معارضة النبيّ صلى الله عليه وسلم بمخالفة كتابه لما في التوراة من الأخبار المذكورة التي لايمكن النسخ فيها مع بلوغهم بذلك غرضهم المطلوب من دفع نبوته ووصولهم به الى الأمر المحبوب من رد رسالته لوكان الأمر في ذلك على مازعمه النصراني من مخالفة القرآن في تلك القصص والأخبار لصريح التوراة واذا لم يعارضوه في ذلك مع معارضتهم له فيما هو كلّ عليهم وموجب لوضوح عنادهم وظهور فسادهم حصل القطع واليقين بأنه ليس في نصوص القرآن من الأخبار مايخالف منطوق التوراة فيما كما ذكره النصرانيّ وادعاه وحصل الجزم بأنه مبطل في دعواه والاّ فليورد على ذلك خبراً يعرف وقولاً يؤثر ان كان محقاً وليس من المحتمل أن أولئك الأحبار لم يستقصوا التوراة تلاوةً ولم يستبطنوا لحقيقة معانيها معرفةً ولم يحيطوا بها علماً مع اجتهادهم الأكيد في تدارسها ليظفروا منها بما يناقضون به النبيّ صلى الله عليه وسلم فأهملوا المعارضة المذكورة لعدم اطلاعهم على مخالفة خبر القرآن لخبر التوراة في تلك القصص المزبورة وهكذا في كل الأزمنة مع تساوي الكل من اليهود للأحبار المشار اليهم في ارادة نقض القرآن حتى جاء هذا النصرانيّ فاطّلع من التوراة في هذا الآن على مالم يطلع عليه منها علماء اليهود وأحبارهم في كل أوان وعرف منها مالم يعرفوه فيها فى جميع الأزمان كلاّ مايتوهم هذا الاّ كل من منزلته في الذوق منزلة البهائم السائمة العادمة للعقول والأذهان ولا يسوغ لأحد ان يقول لعل القوم قد عارضوا النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك فلم ينقل الينا خبر معارضتهم هذه لأنا نقول انّ احتمال ذلك غير سائغ وذلك

لأن من أشرنا اليهم من أحبار اليهود كانت هممهم مصروفة ووسعهم مبذولاً في تحصيل مايطعنون به في صحة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقدحون به في صدق كتابه وقد وازرهم على هذا مشركو العرب من قريش وغيرهم وساعدهم عليه المنافقون من أهل المدينة والنصارى الملحدون في الدين ودواعي جميعهم متوفرة على نقل هذه المعارضة وتناقلها واشاعتها لما فيها من ظهور الغلبة لهم عليه والبلوغ بها الى منال الغرض الاعظم من نقض كتابه فلو وقعت لتناقلوها وأشاعوها وتناقلها أمثالهم في جميع الأعصار حتى اشتهرت غاية الاشتهار وكل هذا من حال الجميع منهم معلوم وهل يظن عاقل بقوم كدحوا أنفسهم وأبلوا أعذارهم في النقض على النبيّ صلى الله عليه وسلم بكل غث من القول وهجين حتى عارضوه بما ظهر فيه فضيحتهم وتبكيتهم ورموه بما علم مواليه ومعاديه براءته منه ونزاهته من السحر والشعر وغيرها طلباً لتكذيبه كتمان هذه المعارضة البالغة منه كل مبلغ عليه وسترها مع ادراكهم بها ما كانوا يحاولونه ويحومون حوله من ابطال أمره حاشا الله مايخطر هذا الظن على قلب متيقظ نبيه واذ لم يُرو في وقوع هذه المعارضة خبر آحاد ضعيف مع أنه لايقبل في مثلها الا المتواترات أو المشهورات علمنا يقيناً أنها لم تقع أصلاً ومن ذلك نعلم أن القرآن لم يخالف التوراة في شيء من القصص والأخبار لادقيق ولا جسيم وأن النصرانيّ في دعواه ذلك أفاك أثيم ولو اعتمدنا هنا على ما أصّلناه وأقمنا عليه الدليل من وقوع التحريف في التوراة والانجيل بالزيادة والنقص والتغيير والتبديل وأن المقطوع به منهما في غير مايدخله النسخ أنه كلام الله ما وافق القرآن الجليل لسقط عنا الجواب رأساً عن طنطنة النصرانيّ هذه لكنا جاريناه من حيث ظن أنه يخصمنا فخصمناه وأسكتنا طنطنته

ومما يحسن ذكره هنا نقل بعض معارضات اليهود لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به كلامنا عن مجرد الدعوى فنقول (روي) في السيرة النبوية لابن هشام أن النحام بن زيد وكردم بن كعب وبحري بن عمرو وهم من أحبار اليهود أتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أما تعلم أن مع الله الهاً غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَللّهُ لَا إلَهَ إلاّ هُوَ بِذَلِكَ بُعِثْتُ وَإلَى ذَلِكَ أَدْعُو) (وفيها) أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفي أبو أنس ومحمود بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله في ذلك من قولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ) الآية (وفيها) انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وعازر بن أبي عازر وخالد وزيد وازار بن أبي ازار وأشيع فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل فقال صلى الله عليه وسلم (نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إلَى إبْرَاهِيمَ وَإسْمٰعِيلَ وَإسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوّته وقالوا لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به (وفيها) انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا يا محمد ألست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه

للناس فبرئت من احداثكم (وفيها) مسنداً عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفراً من أحبار اليهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنّي قالوا نعم قال فاسألوا عما بدا لكم قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد امه وانما النطفة من الرجل قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنشدكم بالله وأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء لطيفة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا اللهم نعم قالوا فأخبرنا كيف نومك قال أنشدكم بالله وأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان قالوا اللهم نعم قال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان قالوا فأخبرنا عما حرّم اسرائيل على نفسه قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب اليه شكراً لله فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها قالوا اللهم نعم قالوا فأخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمونه جبرئيل وهو الذي يأتيني قالوا اللهم نعم لكنه يامحمد لنا عدوّ وهو ملك انما يأتي بالشدة وسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك الى غير ذلك من مناظراتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعارضاتهم وهي كثيرة مروية في السير والتفاسير وليس فيها مما ذكره النصراني عين ولا أثر فكلامه غير ملتفت اليه ولا معتبر

وأما قوله على النبي صلى الله عليه وسلم انه قد انتحل قصصاً كثيرة مسرودة في الكتب المقدسة وأدرجها في القرآن مثل (قصة) لوط المسرودة في سفر

التكوين (وقصة) موسى وفرعون المسرودة في سفر الخروج (وقصة) يوسف المسرودة في سفر التكوين (وقصة) مريم المسرودة في بشارة لوقا لكنه أوردها على روايات تختلف عما في الكتب المقدسة فهنبثة(١) مردودة بما ذكرناه قبلها وبأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتحل شيئاً مما أتى به في القرآن من كتاب ولا أخذه من معلم لما أوضحناه سابقاً من أنه لا يقرأ الكتب ولا اختلف الى أهلها ولا خالط أحداً منهم فيكتسب منه علم ذلك مع تبياننا أن حفظ تلك القصص والافصاح عنها باللسان مما لا تفي به القوة البشرية بل كان وجود ما في القرآن من القصص في الكتب الاولى دليلاً على صدق ما أخبر الله فيه بقوله تعالى (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الاوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فليس في القرآن مخالفة في القصص للكتب السابقة الأصلية في المعنى أصلاً والمحرفة لاعبرة بها الا أن هذا النصراني ديدنه الافتراء والتزوير لا يزايلهما ولا يفتر عنهما فلا حاجة الى تكرار الرد عليه في ذلك

(ومنه) ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرج في القرآن روايات اليهود وخرافاتهم مثل ما رواه عن خلق آدم وسجود الملائكة له وحلول اللعنة على الشيطان واخراج آدم من الجنة وكسر ابراهيم أصنام أبيه والقائه لذلك في النار وأن الجبال والطيور كانت تسبح مع داود وانه حشر لسليمان جنوده من الانس والجن والطير وسخر له الريح والشياطين وما رواه عن أحوال الجنة والسؤال في القبر والأعراف وتقسيم جهنم الى سبع طبقات وشهادة اليد والرجل وسائر أعضاء الجسد على الخاطئ يوم الحساب وجواز التيمم عند وجوب الوضوء والغسل

(١) (الهنبثة) الاختلاط في القول كما في القاموس اه مصححه

حيث لاماء وتميز الخيط الابيض من الخيط الاسود لمعرفة أوقات الصيام والصلاة وذلك لاريب انه مأخوذ مما كان متواتراً عند اليهود من الروايات والخرافات المخالفة لفحوى التوراة واكثره موجود في التلمود والكمارا وغيرها من كتب اليهود

(أقول) هذه هينمة يعود قبحها عليه وأول مايقال له في ردها أخبرنا أيها الكذاب المفتري والجاحد الممتري أيّ كلام من التوراة لفحواه يخالف مضمون هذه الأخبار هلمّ به ان كنت صادقاً ثم لانقنع منك بتزوير كلام من عند نفسك ونسبته الى التوراة من دون أن تحضرها بعينها وتحضر جماعة من علماء اليهود ينظرون فيها ويشهدون أنها مطابقة لما عندهم من نسخ التوراة ثم تبيّن لنا منها الكلام الذي يخالف فحواه الأخبار المذكورة فان مثلنا لا يصاد بالخداع ولايدفع بالراح لنحن أكيس من ذلك وأشد قوة وبعد هذا يرد بوجوه

(الاول) ان هذا الرجل في الباب الاول من كتابه قد بالغ في مدح اليهود بالعدالة وأسهب في الثناء عليهم بالوثاقة حين اضطر الى نفي ما أثبته المسلمون عليهم من تحريف أحكام التوراة وتبديلها فنفى عنهم احتمال مخالفة التوراة وكتمان ما فيها من البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبالغاً في ذلك بما لا يقدر على الزيادة عليه وهنا تراه يفسّقهم ويجرحهم ويذمهم وينسبهم فيما ذكروه الى الخرافة ومخالفة فحوى التوراة اذ كان كلامهم موافقاً لما في القرآن فما أشأم اليهود على هذا النصراني تارة يمدحهم ويوثقهم وأخرى يذمهم ويفسقهم بحسب شهوته وميل نفسه ورغبته ففي أيّ قول يصدق الرجل وفي أيّ منهما يحب أن نصدقه وفي أيهما يشتهي أن نكذبه بل هو يقينا من الكاذبين في كل أقواله لأنا ما رأيناه صدق مرة في قولٍ قط

(الثاني) انه ذكر في الفصل الثاني من الباب الثاني مايصرّح بما انكره

هنامن أمر آدم وابليس فروى عن سفر التكوين من التوراة ان أصل الخطيئة وسببها عداوة الشيطان وما تعاطاه من الحيلة التي خدع بها آدم وأوقعه في الخطيئة ومخالفة أمر خالقه هذا لفظه ثم أردفه بما حاصله ان الله تعالى أوصى آدم اذخلقه فى جنة عدن أن لا يأكل من شجرة منها وأن الحية خدعت حواء امرأة آدم وغرتها فأكلت من تلك الشجرة وأعطت آدم أيضاً فأكل معها فأُخرجا من جنة عدن وأن الله تعالى لعن الحية وطردها وقد صحح النصراني ذلك عن الكتب المقدسة ولا شك أن الحية في الخبر المذكور كناية عن الشيطان الذي صرح به في أول كلامه وهو ابليس المذكور في كلامه هنا والاّ تناقض قوله وكان أصل الخطيئة وسببها من الحية لا من الشيطان فما باله ينسب القول فيه هنا الى الخرافات فما أكثر التناقض في كلام هذا النصراني وما أقل حياءه

(الثالث) أن انكاره لما ذكر من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم الى آخر ما أورده مقتض لانكار عموم قدرة الله على كل مقدور وحجور لطفه ورحمته بعباده واكرامه وتأييده لأنبيائه ومنكر ذلك كافر بالله العظيم البتة وظني أن الذي اضطره الى هذا الانكار دفع قول المسلمين للنصارى ان كان (المسيح) ربّا لابراء الاكمه والأبرص (فآدم) رب لسجود الملائكة له (وداود) رب لكذا (وسليمان) رب لكذا وكذلك (ابراهيم) والاّ لم يكن عيسى ربًّا وقد فصلنا هذا الاجمال سابقاً وهيهات ان يندفع عنه هذا الالزام بانكار ماهو معلوم عند الخاص والعام

(الرابع) أن جحوده احوال الجنة والنار وشهادة الجوارح مبنيّ على انكار الثواب والعقاب الحسيّين وسيأتي تصريحه بذلك ونحن قدبينا في مطالع كتابنا هذا أنه يجب في حكمة الله وعدله خلق دار للجزاء وبرهنا على ذلك وأنّ من أنكر الثواب والعقاب الحسيّين فهو كافر والنصراني

لذلك من المنكرين (أما) في استهزائه بمعرفة أوقات الصلاة والصيام وبالتيمم فهو معذور لأنه كالمشركين يجحد التكاليف الدينية ويسقط عن نفسه الفرائض الشرعية فحاله في ذلك حال الحشرات التي تدب في البرية محروم من طاعة الله ومبتعد عن عبادته كما بعدت تلك الحشرات ثم يقال له مع هذا كله انك قلت في أول فصلك ان محمداً كان امياً ولم يقرأ التوراة ولا الانجيل وقلت في الفصل الاول ان محمداً كان رجلا امياً لايحسن القراءة ولا علم له أصلاً بلغتي التوراة والانجيل وهما العبرانية واليونانية فاعترفت بعدم معرفته لقراءة الكتب المذكورة وعدم معرفته للغاتها وهو أيضاً لم يتعلم من أهلها ولا صحب واحداً منهم فمن أين يعلم ما في التلمود والكمارا وغيرهما من كتب اليهود العبرانية ويتقنه أعظم من اتقان من يطالعها ويتلوها فان قلت علمه بقوة فطنته وذكائه أتيت بالمحال لأن مثل هذا لايدرك بالفطنة والذكاء وهو معلوم بالوجدان لايحتاج فيه الى البرهان وان قلت أعلمه الله ذلك وأوحى اليه به أقررت بنبوته التي كنت تنفيها وسكنت هينمتك كلها وهذا تصديق ماقال الله تعالى في كتابه المجيد (وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (وبما ذكرناه) من الأجوبة نجيبه عمّا قاله بعد مما حاصله ان نبينا محمداً أدرج في القرآن ماهو من أحاديث النصارى ورواياتهم الغير المطابقة لنص الكتب المقدسة (مثل) تكلم المسيح في المهد وعمله المعجزات وهو كهل وأنّ ذلك ورد في كتاب غير معتبر موسوم بكتاب طفولية المسيح (ومثل) ماقصه عن أصحاب الكهف والرقيم مما ورد في كتاب آخر ألفه رجل اسمه افرام (ونضيف هنا) الى ماتقدم في جوابه

أن نقول له ليس في القرآن أن المسيح ابتدأ بعمل المعجزات وهو كهل ولا اشارة الى عمره حين بعثه ولا مايفهم منه ذلك وانما فيه قوله تعالى في شأنه (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ)وهو اخبارعنه بعمل المعجزات في صغر سنه وفي حال كهولته وهو الخبر الحق ومعناه غير ماذكرت ولا يخالف شيئاً من الكتب الصحيحة فان كنت صادقاً فأت بكتاب صحيح مخالف وأنى لك به ولكنك تتقوّل بالكذب ثم انك شهدت في كلامك هذا على أصحابك النصارى بالكذب والتزوير ومخالفة الكتب المنزلة من عند الله بزعمك وأنت رجل منهم ترد موردهم وتشرب مشربهم فأنت اذاً من الكذابين المفترين فلايجوز لمن سمع شهادتك على أهل دينك أن يصدقك بعد ذلك في شيء مما تقول ولا يصدق كتبك فبشهادتك على نفسك نحن نكذبك في قولك

(ومنه) ماحاصله أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أدرج في القرآن مااستنّه من شعائر الحج والطّواف حول الكعبة وأن ذلك من عوائد العرب القدماء لأنهم كانوا يحجون الى الكعبة ويطوفون حولها وأنها المعبد الشهير عندهم وأن محمداً أثبت هذه العوائد في عقائد ديانته رغبة في اجتذاب قلوب العرب وتطييب خواطرهم

(أقول) مرام النصراني بما قال أنّ ما في القرآن من أحكام الحج وأعماله ليس منزلاً من عند الله فلا يكون القرآن منزلا من عنده تعالى وهذه همهمة من النصراني يرجع وبالها عليه (وجوابه عنها) أن الكعبة هي البيت الذي أمر الله ابراهيم خليله أن يُسكن في جواره ابنه اسمعيل ووعده بأن يباركه ويكثره كما ذكر في التوراة سابقاً وأن الله أمر ابراهيم واسمعيل ببنائه والطواف حوله والحج الى مشاعره فحجا وطافا بالكعبة وأمرا الناس بذلك فالحج سنّة ابراهيم وفضيلة اسمعيل وهذه السنة الشريفة قد بقيت في العرب كما بقي فيهم غيرها من سنن ابراهيم الخليل

مثل الختان وحلق العانة وأخذ الشارب واعفاء اللحية وتحريم غشيان المرأة في الحيض والتضحية وغير ذلك من السنن الأكيدة التي أنزل الله فرضها في التوراة وما كلّ مايفعله العرب باطلاً بل فيه ماهو حق كالختان وغيره وليس الحج مما اخترعه العرب بآرائهم كما اخترعوا أحكام الوصيلة والسائبة والحام واشباهها فانّ جميع أعماله لايمكن فيها الاختراع ولا تهتدي الى كيفياتها عقول البشر مع ثقل كثير منها على نفوس الناس لاسيما العرب فلو أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم شرع الحج وأعماله من الطواف وغيره من تلقاءنفسه اجتذاباً لقلوب العرب الى طاعته وتطييباً لنفوسهم في قبول دعوته لأبقى من أمورهم ما أحدثوه في الحج وغيره مثل الاجازة بالناس من مزدلفة ومن منىٰ لقبيلة خاصة وطواف من لم تسمح نفسه بالقاء ثيابه ولم يجد مايطوف به من الثياب باجارة أو اعارة عرياناً وحكم النسيء المشتهرعندهم وحكم الوصيلة والسائبة والحام والميتة والمتردية والنطيحة والموقوذة والدم والخمر العظيمة منزلتها عند العرب وغير ذلك من مخترعاتهم ولم يكن يرفع ذلك كله ويبطله لأن ابقاءه لهم لوكان قصد بابقاء الحج ما ذكره الخصم أبلغ في تطييب نفوسهم واجتذابهم الى اجابته واذ كان النبي صلى الله عليه وسلم أبقى شيئاً مما كان يعمله العرب ورفع شيئاً آخر كان فعله ذلك برهاناً على أنّ ابقاءه ما أبقى ورفعه مارفع باتباعه أمر الله ونهيه واعتماده على مايوحى اليه من ربه ولم يكن يستنّ شيئاً ويشرعه لاجتذاب قلب أحدمن الناس لامن العرب ولامن غيرهم ومنه يثبت أنما جاء به من الآيات في الحج منزّل من عند الله فيكون القرآن كله كلام الله وهو المطلوب على أنّ الحج لم يفرض الاّ بعد فتح مكة ودخول معظم العرب وجماهيرهم في الاسلام فلم يكن لما ذكره الخصم من اجتذاب قلوبهم باستنان الطواف والحج موقع أصلاً

ومما عظم الله به حرمة الكعبة وأظهر به شرفها عنده وأبان به عن علوّ منزلتها لديه وكشف به لكافة الناس عظيم عنايته بها ما أنزله جل شأنه على أبي يكسوم ابرهة الأشرم الملك النصراني صاحب الفيل وجنده من العذاب الشديد والنكال المبيد المستأصلين لشأفتهم لما أتوا من اليمن عامدين الى هدم الكعبة ومحو آثارها فهدم الله بنيان عزهم وأهلكهم ومحا من جديد الأرض آثارهم وذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانّ في هذا الأمر من اظهار تشريف الكعبة وايضاح تعظيمها عند الله ما لا يخفى على عاقل ولا يماري فيه الا معاند متجاهل مضافاً الى ما أعلنه الله تعالى لها من الشرف السامي والوقار النامي والمنزلة الرفيعة بجعله اياها وما حولها حرماً وأمناً وغيره من سائر أنواع التشريف وباقي أصناف التعظيم وهذه الواقعة معروفة لا تنكر ومعلومة لا تجهل اشتهارها كاشتهار شمس الضحى للناظرين وقد نطق بها القرآن الكريم في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) وذكرها الشعراء في الجاهلية والاسلام في أشعارهم كثيراً قال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ الثقفي في ذلك

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ … مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حُبِسَ الْفِيلُ بِالْمُغَمَّسِ (١) حَتَّى … ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا … لٌ مَلَاوِيثُ (٢) فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا (٣) جَمِيعاً … كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ

(١) موضع بطريق الطائف (٢) جمع ملاث وملوث السيد الشريف (٣) تفرقوا وفروا

وقال أبو قيس صيفيّ بن الأَسْلَت الأَوْسيّ من قصيدة يذكر فيها حسن صنيع الله باهل الحرم

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو ... شِ اذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رُزَمْ (١)
أَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِباً (٢) ... فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ الْقَزَمْ (٣)
تَحُضُّ على الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ ... وَقَدْ ثَأَجُوا (٤) كَثُؤَاجِ الْغَنَمْ

وقال من قصيدة بعث بها من المدينة الى قريش في أول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يأمرهم فيها بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عن قتاله وأبو قيس يومئذ كافر لكنه كان صهراً لقريش ويحب الفهم قال

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
بِأَرْكَانِ هٰذَا الْبيتِ بَيْنَ الْاَخَاشِبِ (٥)
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ (٦) هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرِجْلُهُ
عَلَى الْقَاذِفَاتِ (٧) فِي رُؤُسِ الْمَنَاقِبِ (٨)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ (٩) وَحَاصِبِ

---

(١) بضم ففتح أسد (٢) ريحاً يحصبهم أى يرميهم بالحصباء وهي الحجارة (٣) الدنئ الصغير الجثة الذي لانفع له (٤) صاحوا (٥) جمع أخشب كل جبل خشن غليظ (٦) صاحب الفيل (٧) جمع قاذف وصف للناقة والفرس السريعي العدو (٨) جمع منقب ومنقبة الطريق بين الجبلين (٩) ريح تسفي التراب أى تذريه

وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب بعد يوم بدر ينهى قريشاً خصوصاً بني عبدمناف عن قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويعظم ذلك عليهم

فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاَ
أُعِيذُكُمَا بِاللهِ أَنْ تُحْدِثَا حَرْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ(١)
وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَؤُا الشِّعْبَا (٢)
فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ لاَشَيْءَ غَيْرُهُ
لَأَصْبَحْتُمُ لاتَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا(٣)

وقال الفرزدق همام بن غالب الدارمي وهو يهجو الحجاج

رَمَى اللهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى
عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ
جُنُودًا تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ
هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِّي (٤) الطَّرَاخِمِ
نُصِرْتُ كَنَصْرِ الْبَيْتِ إِذْ سَاقَ فِيلَهُ
إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ

وقال عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر البيت الحرام وشرفه

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيلِ فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومُ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنْدَلِ (٥) حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومُ

(١) أي بين عبس وذبيان دامت اربعين سنة (٢) بالكسر ما انفرج بين الجبلين
(٣) بالكسر أي نفساً (٤) المطرخم كشمعل المتكبر (٥) الحجارة

وهذه الواقعة العظيمة رادة لوجه خصمنا النصراني ودافة لعنقه لأن العذاب نزل على أهل دينه وملته حين استصغروا عظمة بيت الله الحرام وقصدوا هتك حرمته فنصر الله كعبته على النصارى فليمت خصمنا بغصته ومنها يعلم أن الكعبة أفضل عندالله وأشرف لديه من بيت المقدس لأن الله دفع عنها من أراد هدمها وعاجله قبل الفعل بالعقوبة وبيت المقدس هدم مرتين ولم يمنع الله من هدمه ولم يعاجل بالانتقام هادمه فاعتناؤه بالكعبة أعظم ورعايته لها أتم فما بال النصراني بعد هذا يحتقر الكعبة ويهزأ بحجها والطواف بها وينسب ذلك الى عوائد العرب ثم نعلم أيضاً من تلك الواقعة وأمثالها أن الله سبحانه وتعالى لولا ما كان عليه قريش وغيرهم من سكان الحرم من تعظيم الكعبة وشدة توقيرها واعلاء منزلتها لعاجلهم بالنقمة وبادرهم بالعقوبة على نصبهم الأصنام حول الكعبة لكنه تعالى عفا عن معاجلتهم بعذابه لاحترامهم بيته الحرام فجعل هذا بهذا حتى سلط رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على تطهير الكعبة والحرم وسائر بلاد العرب من الشرك وعبادة الأوثان وقلع اساس الأصنام ومحو آثار الأزلام وابقاء ما تعظم به الكعبة من الحج اليها والطواف حولها لأنه من الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام ومما أراد الله به استمرار تشريفها الذي أظهره سابقاً بدفعه عنها كيد الظالمين واستدامة تعظيمها ماسمر سمير ورسا ثبير(١) الى أواخر الأدهار الدهارير فكيف لا يكون الحج بأمر الله وكيف لا يكون فريضة من فرائض الله كما زعمه النصراني كلا بل هو من أعظم الفرائض والعبادات الشرعية والنصراني وأصحابه لما اسقطوا عن أنفسهم جميع ما افترضه الله في التوراة وغيرها من الفرائض والسنن وصيّروا أنفسهم بمنزلة البهائم التي لا تكليف عليها زاعمين

(١) جبل قرب مكة اهـ

أنّ القول بأن المسيح هو الرب من دون الله قائم مقام جميع الأعمال توجه لهم على هذه القاعدة المذمومة جحود الحج وغيره من الفرائض الآلهية والسنن الشرعية فهم الأخسرون أعمالاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً (وفي الروايات) المعروفة المشهورة المذكورة في السير والتفاسير والتواريخ مايصرح بأن صلحاء أحبار اليهود وعلماءهم يعرفون من شرف الكعبة وفضلها وعظيم منزلتها عند الله وحسن الطواف بها وغير ذلك من حرماتها ماعرفناه وعرفه كل مؤمن بالله (في السيرة النبوية) لابن هشام في حديث طويل يذكر فيه سبب تهوّد ملوك اليمن وتنصر أهل نجران بعدما كان الكل منهم أهل أوثان ويذكر فيه قدوم تبع وهو تبّان أسعد أبو كرب ملك اليمن الى المدينة ومحاربته أهلها وأجماعهم على قتاله وقائدهم يومئذ عمرو بن طلّة الخزرجي النجاري قال فبينا تبّع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة وهم من ذرية هرون بن عمران عليه السلام حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لاتفعل فانك ان أبيت الاّ ماتريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك فقالا هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علماً وأعجبه ماسمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما فتوجه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عُسْفَان و أمَج أتاه نفر من هذيل بن مدركة فقالوا له أيها الملك الا ندلك على بيت مال وأثراً غفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما اجمع لما قالوا أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا

له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت مادعوك اليه لتهلكنّ ولتهلكنّ من معك جميعاً قال فماذا تأمرانني أن أصنع اذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده مايصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم وانه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهرقون عنده وهم نجس أهل شرك فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه ثم ذكر في الرواية أن تبعاً أقام بمكة ستة أيام ينحر ويطعم الناس بها ويسقي أهلها العسل وأنه كسا البيت الملاء والوسائل وأمر ولاته من جُرْهُم بتطهيره وأن لا يُقرّبوه دماً ولا ميتة ولا ميلاثا وهي المحائض وجعل له باباً ومفتاحا ثم انصرف الى اليمن ومعه الحبران الخبر وهو مصرح بأن ذوي الصلاح والفضل من أحبار اليهود يعلمون فضل البيت الحرام ورفيع منزلتــه وجلالة قدره عند الله وأنه بيت ابراهيم الخليل وأن الله اتخذه في الارض لنفسه ولم يتخذ بيتاً غيره وأنّ الطواف به والحج اليه من السنن الشرعية الأكيدة وانما منعهم عن شد الرحال الى حجه ما أحدثه المشركون فيه من الأحداث المذكورة في الخبر فكان تركهم لذلك سبباً لاعتقاد عامة اليهود والذين لايعلمون حقائق العلم منهم عدم لزوم احترام الكعبة ووجوب تعظيمها ورجحان الحج اليها والطواف بها والناس أهل اصرار على ما ألفوه وحب لما اعتادوه وقد وقفت على هذا الخبر في بعض التفاسير والكتب المعروفة وفيه زيادة على ما ذكر في الســيرة (وحاصلها) أنّ تبّعاً لما فصل من المدينة متوجهاً الى مكة أضمر في نفسه أن يوقع سوءً

بالكعبة وجيرانها فأصابه بلاء عظيم فدعا الحبرين وسألهما عما أصابه فقالا له لعلك حدثت نفسك بايقاع سوء بهذا البيت وأهله فقال اجل فقالا له أيها الملك فاعدل عن نيتك هذه الى قصد اكرام هذا البيت وتعظيمه وتوقيره وان تصنع الى جيرانه معروفاً فانّ الله تعالى يصرف عنك هذا البلاء فعدل بنيته الى ماقال الحبران فزال ماحل به من البلاء فقدم مكة وفعل ماشرحناه في خبر السيرة (وفي بعض الكتب) المعروفة لبعض المتبحرين في العلم الثقاة في النقل أنّ تبعاً الأول الذي كان في زمن ابراهيم الخليل قدم مكة بجنوده وكان يومئذ فيها ابراهيم قدجاء من الشام للحج فكان تبّع لايركب في مكة فقيل له ألاّ تركب أيها الملك فقال لا أركب في بلد يمشي فيه خليل الله فكان يترك الركوب اعظاماً للحرم الشريف (وما ذكرناه) من علامات أفضلية الكعبة وشرفها عندالله تعالى غيض من فيض مما ورد من الأدلة الصريحة في تفضيلها والآيات البينات في وجوب تبجيلها فهل يبقى بعد ذلك مساغ لمحتقر فضلها أومجاز لمستهزئ بالحج اليها والطواف حولها الاّ من أغفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطا مثل خصمنا النصراني وأمثاله فلا عبرة بهم ولا التفات اليهم

(ومنه) ماحاصله أنّ القرآن ينفي ألوهيّة المسيح ويجعله نبياً من الانبياء وأنّ القرآن في موضع يذكر أنه توفي وفي آخر ينفي وفاته وكون آلامه وموته صارت كفارة عن خطايا المذنبين ويعلّم أن محمداً هوشفيع المذنبين وينفي وجود الاقانيم الثلاثة ويثبت نسخ التوراة والانجيل ويبطل حكمهما بنزوله ويثبت خلاص الانسان بواسطة الأعمال الصالحة وأفعال الثواب وأنّ هذه المعاني مناقضة لمافي الانجيل فانه يصرح بألوهية المسيح وأنّ نيل الخلاص بموته وأنه الشفيع الوحيد وأنّ ذات الآله آب وابن وروح قدس وأنّ التوراة والانجيل لم ينسخا

(أقول) من أقوى الادلة عندنا على صحة القرآن وأنه كلام الله جل شأنه مخالفة نصوصه وظواهره لما صرّحت به الكتب التي يلمح اليها النصرانيّ معبراً عنها بالانجيل من الكفر بالله العظيم والالحاد في الدين فانا قد بينا في مطالع كتابنا و مناطقه غاية التبيين بأنّ القول بالوهية المسيح من دون الله أو الحاده بالله كفر قبيح والقول بالوهيته مع الله أو أنه ابن الله شرك فضيح والقول بأنه قتل وصلب وسمّر جسده بالمسامير وأن ذلك كفارة لخطايا المذنبين كذب صريح وأنّ الكتب الناطقة بهذه الاضاليل باطلة مزوّرة قد حرّف بها الانجيل وأن كاتبيها حائدون عن سواء السبيل وأقمنا على ذلك الأدلة القاطعة من العقل والنقل التي من جملتها مناقضة هذه المفتريات لما في صريح التوراة من اثبات وحدانية الله ونفي الشريك عنه والمثيل ومخالفة هذه الدعاوى لما دعا اليه رسل الله الكرام من توحيد الله ونفي الضد عنه والشبيه فلو أن القرآن وافق مضمونه ما في تلك الكتب من الاباطيل لحكمنا ببطلانه وكذبه وبخطأ من جاء به كما حكمنا ببطلان تلك المزبورات وكذبها وضلال من كتبها لكنه خالف ما فيها من الافتراآت وأبطل مارقم فيها من التزويرات ناطقاً بما دعت اليه الانبياء ودلت عليه العقول من الضروريات فعرفنا بذلك يقيناً أنه منزل من رب السموات على نبيه خير البريات فدليل النصرانيّ مقلوب عليه ولو عكس لأصاب لكنه بعيد عن منهج الصواب ومن هذا البيان يعلم أنه ليس استنادنا في ابطال كتب النصرانيّ الى مجرد دلالة القرآن بل استنادنا في ذلك وفي اثبات صحة القرآن الى الأدلة العقلية الضرورية المقتضية لبطلان تلك وصحة هذا المبينة للصدق من الكذب والموجبة لمعرفة الصادق من الكاذب والمميزة بين الايمان والكفر وبين الموحد والمشرك فانها هي العمدة فى هذا الباب وقد كشفنا عن

وجوهها النقاب في مشارق أنوار الكتاب وأمطنا عن حسانها في مناطقه الغطاء ورفعنا عن خرائدها الحجاب وأزلنا القشر عنها فتميز عن اللباب فانّ تصحيح الشئ بنفسه دور ظاهر وابطاله غيره به من دون دليل من الخارج على صحته حكم ضعيف قاصر لا يعوّل عليه الاّ كل ذي فهم كليل فاتر ولا يعرّج عليه الاّ مثل خصمنا النصرانيّ ممن يعتمد على الظواهر ولسنا من أولئك في شيء في الموارد ولا المصادر. وأما نسخ بعض ما في التوراة والانجيل من الأحكام بنزول القرآن فقد أثبتناه أيضاً فيما سبق عقلاً ونقلاً فلا نقض به أصلاً ووفاة عيسى ورفعه الى السماء لا ينفيهما القرآن بل ينطق بهما مصرحاً في قوله تعالى (إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) الآية وانما ينفي قتل عيسى وصلبه بقوله تعالى (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) وهما غير الرفع والتوفي فلا مناقضة ولا وقوع في ريب ولا شبهة ولكن النصرانيّ يفتري على القرآن ويكثر الكذب عليه وينسب اليه ما ليس فيه وليس ذلك بقادح في القرآن ولا بضائر فانّ الكذب لا يزيل الصدق والباطل لا يقدح في الحق ثم من المعلوم ضرورة من العقل والشرع انه لا يكون قتل أحد ولا موته كفارة لذنب آخر وانما يكفر الذنوب العمل الصالح مع اعتقاد الحق وأن من المحقق أن الشفيع المطلق عند الله تعالى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان رغم أنف الخصم فما اخبر به القرآن هو حق اليقين في جميع ما ذكره النصراني قادحا به فيه (وأما قوله) ان محمداً أمر أمته بقتال سائر الملل وأخبرهم أن المؤمنين سيجدون في الجنة أكلاً وشرباً وحوراً وغير ذلك من اللذات الجسدية وأن الانجيل ينهى عن القتال ويخبر أن أهل

الجنة لا يزوّجون بل يكونون مثل ملائكة فعنيان مازال النصرانى يكررهما وقد سبق منا الجواب عنهما مراراً ومعاذالله أن يكون الانجيل الأصيل ناهياً عن قتال الكافرين ونافياً لتنعم المؤمنين في جنة الله بضروب اللذات وكيف يكون ذلك والأمران موجودان فى اصل التوراة وهو لم يخالفها فى شيء والمحرف منه لا عبرة به ومن كلامنا كله يتضح بطلان قوله ففات صاحب القرآن محمداً أول الشروط المشترط وجودها فى النبي الصادق النبوة وما أردفه به من التمويه لأنا بينا سابقاً أن ماشترطه ليس بشرط في صحة النبوة ومع ذلك ان نبينا صلى الله عليه وسلم قدحازه بلا ريب اذ لا مخالفة بين اخبار كتابه وبين أخبار أصلي التوراة والانجيل فزال القدح والاعتراض وبقيت في قلب النصراني نيران الأمراض (وأما) ما طول به الكلام من حديث تسكين اشواق الانسان الى آخر هذه فرجيع من القول وتكرير لاحاجة الى ذكره لخلوه من المزية ومن معنى صحيح بالكلية ثم ان قول النصرانى اذ كان محمد من بنى البشر وكان على التالى غير معصوم من السهو والنسيان ولا بريء من الهفوات والخطايا كان هو نفسه مفتقراً الى شفيع فكيف يكون شفيعا وواسطة خلاص لغيره مقال رديء جداً لانه قد ثبت أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم معصوم من السهو والنسيان وبريء من الهفوات ولم يك من الخاطئين المذنبين من أول عمره الى آخره وقد شهد بذلك له القرآن العظيم في قوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) وقوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى) بالنفي المطلق الدال على عدم وقوع النسيان منه مطلقاً وقوله تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وامتناع اللازم يقتضي

امتناع الملزوم فامتنع التقوّل منه على الله لامتناع ما علّق عليه ومثل هذه الآيات في المعنى غيرها واستناد النصراني في اثبات دعواه صدور الذنب من نبينا صلى الله عليه وسلم الى مافي قوله تعالى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) وقوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وقوله تعالى (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) مقدراً أن المتقدم ما فرط منه في الجاهلية والمتأخر الى نزول الآية زاعماً ذلك عن البيضاوي استناد ضعيف مردود بوجهين (الاول) أن القرآن نزل بلسان العرب ولهجتهم ومن عادتهم توجيه الخطاب لشخص وهم يريدون غيره على سبيل قول بعضهم

يَا بِنْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَه مَاذَا تَرَيْنَ فِي فَتًى فَزَارَه
مَازَالَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَه إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَاجَارَه

فالخطاب في الآيات متوجه ظاهراً الى النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وفي القرآن كثير من هذا ومنه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) الآيات ومنه أيضاً قوله تعالى في ثانية الآيات التي استند اليها الخصم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فانّ المعنى بالخطاب الأمة لامحالة لأن النبي كان عالماً بمفاد هذا الامر وداعياً قبل نزول الآية اليه فلا معنى لامره بعلم ما علمه من قبل فما بعد ذلك من قوله (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) مثله (والحاصل) أنّ المراد من الآيات المذكورة طلب الاستغفار من أمة النبي صلى الله عليه وسلم لذنوبهم بتوجيه الخطاب ظاهراً اليه فان ذلك أبلغ في الطلب منهم

ولاينافي ذلك قوله في الآية الثانية (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) كما توهم النصراني لأن الخطاب متوجه الى جميع الأمة بمعنى ان كل واحد منهم مأمور بالاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات من اخوانه وقد جاء هذا المعنى مصرحاً به في قوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاؤُا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) وعلى هذا الوجه يكون معنى الآية الاخيرة انّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر وليس هذا بأبعد من دعوى النصراني ان قتل عيسى وصلبه سبب لنجاة النصارى وكفارة لذنوبهم بل هذا أقرب بمراتب على أنه ورد في معنى الآية عمّن لا يصح عليه الغلط في معاني القرآن أن المراد ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك عند قريش قبل الهجرة وما تأخر منه عندهم بعدها وذلك أن قريشاً عدّوا النبي صلى الله عليه وسلم مذنباً قبل الهجرة بمفارقته دينهم وبعدها بقتله من قتل منهم فكانوا يسمونه القاطع فلما فتح الله عليه مكة دانوا له وصدّقوا بنبوته واعترفوا بالتقصير فيما صنعوا معه من قبيح الصنع فزال بذلك الفتح المبين العظيم ذنبه عندهم وعلى كل حال فالمراد منها غير ما نسبه النصراني الى البيضاوي فالمقصود من الآيات الأمة لا النبي فزال استناد الخصم عليها (الثاني) أن يكون الخطاب متوجهاً الى النبي صلى الله عليه وسلم والذنب للأمة (والمعنى) فاستغفر لذنب أمتك عامتهم وخاصتهم وهم المؤمنون والمؤمنات الكاملون فى الايمان وهذا بعينه هو تشفيع الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فى الأمة وليس فى اللفظ ما يأباه وسبيله حذف المضاف كما فى قوله تعالى (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) ومثل هذا كثير

واسع فالبعد الذى ادعاه النصرانى فى هذا التأويل بعيد فلم يبق له فى الآيات متعلق ثم ان الاتيان فى القرآن بمثل هذه الالفاظ التى يتوهم منها أشباه النصرانى وقوع الخطيئة من النبي صلى الله عليه وسلم دليل واضح على أنه منزل من الله وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل منه شيئاً من عند نفسه بل كان يتبع من ذلك ما أوحى الله به اليه ان كان له فى الظاهر أو عليه لان العاقل اللبيب لايورد فى كلامه ما يوهم عند ضعفاء العقول وعادمى الاحلام خصوصاً من ينصب له العداوة نقصه وعيبه فما ظنك بمن يدعي مع ذلك النبوة ويدعو الى ترك ارتكاب الذنب ويخبر الناس أنه شفيع المذنبين مع كمال عقله وقوة فطنته أفيجوز على مثل هذا أن يقول على نفسه من الكلام ما يتوهم خصمه منه انه مذنب يلزمه الاستغفار عن ذنبه كلا ما يجوّز هذا على مثل ذلك الكامل العقل التام الرويّة لبيب وبذلك يعلم أن القرآن منزل من عند الله تعالى لا متقوّل عليه وهو المطلوب ثم ان لنا بعد هذا كله على انتفاء الذنب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصحة تأويلنا للآيات المذكورة دليلين زاهرين (أحدهما) ان المشركين من العرب وكذلك اليهود لشدة تعصبهم وعنادهم وضلال سعيهم في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم اتهموه بأنه شاعر أوساحر أوكاهن وقالوا فيه انه معلّم مجنون أو غير ذلك مما هو بعيد عنه كما أخبر عنهم القرآن ومع اجتهادهم فى الطعن عليه لم يستطع أحد منهم أن يتهمه بارتكاب شئ مما ينهى عنه القرآن فيقول له ان كتابك الذى نتلوه وتحتج به ينهى عن أشياء وأنت قد ارتكبت الشئ الفلانى منها فى الوقت الفلاني فكيف نصدقك وانت تفعل ما ينهى عنه كتابك لاقبل نزول القرآن ولا بعده فلو عثروا له على هفوة قبل الدعوة أو بعدها لم يستروها عليه بل كانوا يشيعونها ويتخذونها عليه حجة في تكذيبه

وإذ لم يكن ذلك واقعاً منهم لم يكن له ذنب اصلا والاّ لظهر لمعاشريه وما كان يخفى (الثاني) ان المشركين واليهود أيضاً طعنوا فى القرآن بأنه شعر أوسحر أومكتتب من أساطير الاولين ثم لم يعارض واحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات فيقول ان كتابك يشهد عليك بارتكاب الذنب فكيف نتبعك وأنت تشهد على نفسك بانك مذنب ولو وقعت هاتان المعارضتان لنقلتا باشتهار لتوفر الدواعى على نقلهما وهو ظاهر وعدم هذه المعارضة يدل أن القوم فهموا من الآيات ماقلناه لا ماتوهمه النصرانى واشباهه (وتاكيده وهمه) بما أورده عن كتاب البخارى بزعمه عن عائشة وعن أبى موسى وعن أبى هريرة من الروايات في غاية الضعف لأنا معاشر الامامية لا نلتزم بصحتها لوجوه لاحاجة الى بيانها (منها) ان رجال أسانيدها ممن يوافق النصرانى وأصحابه في قولهم بعدم عصمة الانبياء وأنه يجوز عليهم ارتكاب المعاصى حتى الكبائر قبل النبوة وبعدها ومن هذا مذهبه لا نصدقه فيما يروى هو من الروايات الدالة على قوله وهى آحاد انفرد هو بروايتها لأن مضمونها شهادته لنفسه وهو غير معصوم عن الكذب وشهادة المدعي لنفسه لا تقبل فلا اعتراض للنصرانى علينا بتلك الاخبار ولا يلزمنا الجواب عنها لسقوطها عندنا لكننا نجيب عنها نيابة عن اخواننا من أهل السنة ان التزموا بصحتها فنقول (أما الخبر الثانى) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه وأن عائشة قالت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وما تأخر قال (أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) (والرابع) المنسوب الى أبي هريرة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول (وَاللهِ إِنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ

اَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً) فلا تعلق فيهما للنصرانى لأن مضمونهما: اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة شكراً لله لاطمعاً في غفران ذنب أذنبه وهذا عكس مراد الخصم (وأما الخبر الأول) عن عائشة المتضمن لقول النبى صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللَّهمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ) الخ (والثالث) المروى عن أبي موسى المشتمل على قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه أيضاً (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) الى تمامه (فالجواب) عنهما من وجوه (الأول) انّ يكون المراد من الخطايا وغيرها فيهما خطايا الأمة وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أضافها الى نفسه فاستغفر الله لها على جهة الشفاعة في الأمة كما قلناه في تأويل الآيات (الثاني) أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أراد بالخطايا وغيرها تقصيره عما ينبغى له فى ارتفاع درجته وعلوّ منزلته أن يفعله من الاقبال بكليته الى ربه فشغله عن فعله ضروريات الجسد من أكل وشرب ونوم ومضاجعة النساء من أزواجه ومباضعتهن وغير ذلك مما لا بد للانسان منه فانه اذا نسب حالاته هذه الى حالاته فى تبليغ أوامر الله ونواهيه الى العباد وتعليمهم معالم الدين ودعائهم الى الرشاد وجهاده فى سبيل الله بنفسه وخاصته وأتباعه والصلاة والصيام رأى تلك الحالات الاول تقصيرات عن بلوغ الغاية فى الحالات الأخر وعدها لنفسه بحسب مرتبته فى القرب الى الله ذنوباً وخطايا وجهلاً واسرافاً فيدعو الله ويتوسل اليه في مغفرتها له وان لم تكن تلك بعينها ذنوباً لغيره من المؤمنين حتى الانبياء فلم يكن صلى الله عليه وسلم يستغفر عن شيء لو ارتكبه غيره كان خطيئة وذنباً فينتفي كونه مذنباً على الوجه الذى يدعيه النصراني (الثالث)

انه صلى الله عليه وسلم فى وقت ايراده ما تضمنه الخبران كان فى حالة الدعاء ومن شأن الداعي فى حال دعائه الخضوع والتذلل والاعتراف بالذنب والاعتذار منه وطلب غفرانه وان لم يكن واقعاً لأن ذلك أبلغ فى استعطاف المدعوّ وأنجح فى نيل رحمته فهو صلى الله عليه وسلم اذ كان داعياً ربه اعترف له بالخطيئة تنزيلاً لنفسه منزلة من ارتكب الخطأ والذنب وسأله المغفرة وان لم يكن له ذنب على وزان ما أخبر الله تعالى به في القرآن عن نوح عليه السلام في قوله (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وما أخبر به عن ابراهيم عليه السلام في قوله (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) وما أخبر به عن ابراهيم واسمعيل في قوله (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) وعن غيرهم من الانبياء ولم يكونوا أولئك الكرام قد استغفروا عن ارتكاب أمور لو ارتكبها غيرهم من المؤمنين لكان مذنباً خاطئاً لكنه على وجه الخضوع والتذلل لله ومرجع هذا الوجه الي الفرض والتقدير فمعنى كلام النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي) وكذا وكذا ان كان ذلك لي وكذا في الآيات (وحاصل) الوجهين انقطاع النبي صلى الله عليه وسلم الى الله وعدّه نفسه مقصراً في جنبه غير مؤدٍّ ماهو عليه من حقه وشكره فيستغفره لما هو ليس بذنب بالنسبة الى غيره وقد نطق العرب في أشعارهم بمفاد هذين الوجهين قال أبو فراس الهمداني

بِنَفْسِي مَعَ الْغَادِينَ فِي الْحَيِّ غَادَةً ... هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ وَبَهْجَتُهَا عُذْرُ

وقال غيره

أَقُولُ وَمَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً ... وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

وقال آخر

وَمَا لِيَ ذنبٌ أَستحِقُّ بِهِ الْجَفَا   وإِن كَانَ لِي ذنبٌ اَتيتُك تَائِبَا

وفي شعرهم القديم والحديث من هذا كثير وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن يجريان على لهجة العرب فما ذكرناه هو المراد من استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لا ماذكره النصراني واعترض به على نفسه من أن المراد منه هو طلب النجاة من امكان الوقوع في الخطيئة اذ لامعنى له ولم يحمل أحد من المسلمين الخبرين وشبههما عليه وقد تبيّن من جميع ماحققناه بطلان قول النصراني في آخر هذره انه قد اتضح مما أورده من القرآن والحديث أن محمداً كان خاطئاً فلا يمكن أن يكون شفيعاً لغيره انتهى محصله والمتضح هوعدم فهم النصراني لمعاني القرآن والحديث كما ترى (نعم) انا نصدقه في اخباره عن نفسه بأن القرآن لايسكّن أشواقه التي لايزال يكررها لعلمنا بأن ذكر الله لايسكن شوقه وانما يسكن هيجانه ضرب الناقوس والغناء كما يسكن هيجان أهل اللهو ضرب العيدان والمزامير فزال ماموّه به في ذلك

(ومنه) ما حاصله أن القرآن يتضمن من المعاني ما ينافي رحمة الله وقداسته وعدله وأن من تلك المعاني وصف الجنة ثم أورد قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) الى قوله تعالى (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) ثم قال وقد بالغ في وصفها بما ينافي قداسة الله وطهارته وأورد قوله تعالى (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وقوله تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا) مقدراً أن جعل جنة بهذه الأوصاف مناف لقداسة

الله وحكمته فالاخبار بها ليس من الله تعالى فلا يكون القرآن كلامه

(أقول) هذه الدمدمة وما بعدها لم يزل النصراني يكررهما ونجيب عنهما وقد قدمنا أن انكار ما أخبر به القرآن من أوصاف الجنة مبنيّ على انكار الثواب والعقاب الحسيّين والدليل العقليّ يثبتهما ويقضي بكفر منكرهما ونزيد هنا (فنقول) لو كان جعل الله لعباده الصالحين في دار الجزاء قصوراً عالية وأزواجاً مطهرة وسرراً مرفوعة وملابس فاخرة ومآكل هنية ومشارب شهية وغير ذلك مما عدّد في الآيات منافياً لقداسة الله وحكمته ومخالفاً لعدله لكان جعله جميع ذلك في الدنيا للمؤمنين وغيرهم من الكافرين والمشركين منافياً لقداسته وحكمته بل هو أظهر منافاة فالواجب اذاً في الحكمة على ما قدره النصراني عدم خلق الله الخلق المضطرين الى تلك المذكورات وهذا باطل بيقين (ومنه يعلم) أن تنعّم المؤمنين في الجنان بضروب اللذات العقلية والحسية موافق لحكمة الله ورحمته ومطابق لعدله غير مناف لطهارته كما لاينافيها حصول ذلك لكل عباده في الدنيا فالاخبار عنه من الله وحده فالقرآن كلامه جل وعلا ومن أغرب الغرائب جعل النصراني ما هو لازم رحمة الله منافياً لها ومن يجعل لازم الشيء منافياً له فهو من أجهل الجهلة (وبالجملة) فمثل هذه النقائص المختلة لايعترض بها على الأدلة ولا ينبغي أن تذكر

(ومنه) ما حاصله ان القرآن يتضمن الأمر بقتال من لايتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان ذلك مناف لرحمة الله وعدله فلا يكون القرآن من عند الله وأورد الآيات المتضمنة للامر بالجهاد وقتال المشركين وهذا قد أجبنا عنه مراراً خصوصاً في بيان شروط النبي صلى الله عليه وسلم وبينا وجهه عند ذكر أحوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع المقالة (ونقول هنا) زيادة على ما مضى ان قتل الخارج عن دين

الله وطاعته بعـد قيام الحجة عليه لا قبح فيه اصلاً بل حسنه ظاهر لاقتضائه جلب الخلق الى السعـادة الابدية وابعادهم عن الشقـاوة السرمدية ومما يدل على ذلك وجوب قتل قاتل النفس ظلماً بدلالة العقل وهو فرد من افراد الخروج عن طاعة الله بمخالفة نهيه وفرع عليـه فما ظنك بمن يشرك بالله ويكذب رسله وكتبه ويستهزئ بأحكامه ويجحد فرائضه ويفسد في أرضه ويدعو غيره الى الشرك والضلال والجحود والتكذيب الموجبين للفساد والشقاء بل يجبره على ذلك ان استطاع وأي حرمة لهذا عند الله حتى يكون قتله منافيا لرحمته تعالى اذا أصر على الجحود والتكذيب وهل يرتاب في حسن قتل مثل هذا واذهابه عن وجه الارض أو يرجع الى الحق الاّ ضال مثله فانّ تطهير أرض الله من هذا النجس الخبيث مما تستحسنه عقول المؤمنين بالله فالأمر بقتال الكفرة الفجرة نازل من عند الله يقيناً ولا منافاة فيه لعدل ولا لرحمة بل هو مقتضاهما لأن مؤاخذة المسيء على اساءته هو عين العدل وجلب البعيد عن استحقاق رحمة الله لكفره الى ما يقربه اليها هو عين الرحمة فزال مارتبه النصراني على الأمرين من الكلام الذي لا فائدة فيـه (وقوله) الذي حاصله ان في القرآن آيات تناقض آيات الأمر بالقتال غفلة منه وجهالة بمعانيها (فمنها) قوله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) فان المراد منها ان الاكراه في الدين لا يتحقق بعد قيام الحجة والبرهان على صحته فالدعاء الى الدخول فيه بعد ذلك والجهاد عليه ليس اكراهاً بل هو الزام الناس بقبول ما يلزمهم قبوله بالحجة البالغة بدليل قوله تعالى بعده بلا فصل (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ومحصلها نفي حقيقة الاكراه بعد قيام الدليل وليس معناها لا تكرهوا أحداً على الدخول في الدين كما توهم النصراني لأن لا في الآية لنفي الجنس لا للنهي ونفي الجنس

يرجع الى نفى صفة من صفاته ألا ترى أنا اذا قلنا لا انصاف للنصراني في المناظرة كان معناه نفى وجود الانصاف له لا نهيه عن الانصاف وهذا واضح (وتحقيق المقام) على ما ينبغي ان نقول ان العرب تستعمل لا النافية للجنس حقيقة في ارادة نفى الخبر فاذا قيل لا رجل حاضر كان المراد من هذا التركيب حقيقة هو نفى حضور الرجل وكذا اذا قيل لا محصل في الكلام ولا فائدة في الكتاب كان معناه نفى وجود المحصل فى الكلام ونفى وجود الفائدة في الكتاب لا النهى عن المحصل والفائدة واكثر مايرد هذا التركيب في القرآن لهذا المعنى قال الله تعالى (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) وقال الله تعالى (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) الى غير ذلك من الموارد والآية التي استدل بها الخصم بهذا المعنى وهو نفى وجود الاكراه في الدين بعد تبين الرشد من الغيّ وقد يستعمل التركيب المذكور في معنيين آخرين مجازاً (الاول) ارادة ايجاب الخبر وذلك في قوله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) الآية فان المراد بها وجوب التطوف بالصفا والمروة للحاج والمعتمر باجماع المسلمين (الثاني) ارادة النهى عن مدخول لا وذلك في قوله تعالى (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فان المراد من الآية النهي عن الرفث وما بعده للمحرم باجماع أيضاً فالاجماع فى الآيتين هو القرينة الصارفة عن ارادة الحقيقة فيهما ولولا القرينة لم يدلاّ على المعنيين ولصح حملهما على الحقيقة

ان لم يعارضه أمر معنوي فقوله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) لا يجوز حمله على المعنى الثالث لوجود القرينة الدالة على ارادة الحقيقة وهي قوله تعالى بعده (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) وعدم وجود قرينة تدل على المعنى الثالث منه ولو جاز للنصراني وغيره حمله على هذا المعنى لجاز للمسلم ان يحمله على المعنى الثاني وهو وجوب الاكراه على الدخول فى الدين بدليل فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يخالف كتابه والنصرانى لا شاهد له على حمله فزال تعلقه بالآية (ومنها) قوله تعالى (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) ولا متعلق للخصم فيها أيضاً اذ المعنى لست بحافظ عليهم اعمالهم ولا بكاتب لها واذا قلنا انه يريد لست عليهم بمتسلط كما ذكره الخصم عن البيضاوى فلا شبهة فيه أيضاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس متسلطاً عليهم فيحملهم على النظر والتذكر ويميل بقلوبهم اليهما وانما القادر على ذلك هو الله تعالى وحده وأين هذا من النهي عن القتال على ان قوله تعالى بعدها بلا فصل (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) رافع لما توهمه الخصم وغيره فان عذاب الكفار في الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار بدليل قوله تعالى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ) الآية فلا نقض ولا اعتراض (ومنها) قوله تعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) ومعناه انه ليس على الرسول ان يهدي الناس ولا يؤاخذ بعصيانهم ان لم يطيعوا ولا يعاقب على عدم هدايتهم ان لم يهتدوا فانه لم

يحمّل وزر المعرض عن الحق ولم يكلف بجرمه وانما عليه ان يبلغ الاحكام الى الناس التي من جملتها الامر بقتال الكفار والمرتدين ويبينها للمكلفين وهذا ظاهر من ألفاظ الآية بل صريح وليس فيه أدنى اشارة الى النهي عن القتال ولا معناه أنه ليس له أن يجبر الناس ويكرههم على ذلك كما زعم النصرانى من قبل نفسه بسوء فهمه فلا معارضة بين هذه الآيات وبين آيات الجهاد أصلاً ولكنّ الرجل لا يفهم معنى المعارضة ولا يفقه معانى القرآن وبعد فأين المشركون واليهود وهم أهل اللغة والمعرفة بمعانى الكلام عن معارضة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات لو كان معانيها ما توهمه النصرانى وموّه به فيقولون له اذ ألزمهم بالدخول فى دينه والاّ قاتلهم انّ كتابك الذي تحتج علينا به وتقول انه منزل عليك من عند الله وانك متبع لما أمرت به فيه ينهاك عن اكراهنا وجبرنا على الدخول في دينك وعن قتالنا اذا لم نجب دعوتك فى قوله كذا وفي قوله كذا فلم تجبرنا على دينك وتقاتلنا ان كنت تابعاً لكتابك فانهم يظهرون عليه بهذا الالزام في الحجة لكنهم لم يعارضوه بهذه المعارضة لأنهم لم يفهموا من تلك الآيات ما تخيله النصرانى وانما فهموا منها ما قلناه فى معانيها فتبصر (وأما) زعم الخصم ان من الآيات ما يناقض التعليم عن تقدير الله الازلي وتحديده بعض الناس للنجاة والفوز بالجنة وبعضهم للهلاك والخلود فى جهنم فسخيف جداً يناقضه قوله في تمامه ان الانسان حرٌّ مخيّر في قبول الايمان أو رفضه فان المعلوم أنه اذا ثبت التحديد انتفى التخيير وزالت الحرية لا محالة لان التحديد والتخيير نقيضان لا يجتمعان والنصراني لا يفهم التناقض فيقول ما جرى على لسانه بغير معرفة ثم انه لم يأت على زعمه بآية من الآيات المناقضة لتعليمه المذكور وهو دليل على تزويره (وأما ادعاؤه) تناقض الآيات في شأن المسيح لأن منها ما

يفيد ان المسيح بشر مساوٍ للانبياء ومنها ما يفضله عليهم مثل قوله تعالى (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) وقوله تعالى (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) وأن الآيتين يفيدان الوهية المسيح فيحصل التعارض فهو من أهجن الدعاوى وأسمجها وغاية ماتدل عليه الآيتان خلق عيسى عليه السلام من غير أب وانه كلمة كوّنها الله تعالى وروح نفخها في فرج مريم والكلمة والروح مفعولان مصنوعان فهما حادثان فالآيتان يدلان على عبودية المسيح صريحاً ولا يشيران الى الوهيته أصلاً فلا تعارض ولا تناقض وقد بينا الجواب عن الآية الأولى وأشباهها في التأسيس الثالث من مقدمة الكتاب بما أشرنا الى مجمله هنا (وأما) زعم النصراني انه يمكنه ايراد كثير من آيات القرآن لاظهار التناقض الدال على أن القرآن ليس بكلام الله وأنه اكتفى بما أورده خوفاً من التطويل ففاسد لأن ما ذكره خال من التناقض وانما النقص في فهمه القاصر ولو أنه وجد غير ما أورده مما يتوهم فيه المناقضة لصال به على المسلمين لكنه لم يجد غير ما أورد يمكنه التمويه به فاعتذر بخوف التطويل وهو اعتذار عليل (فاتضح) من البيان بطلان كل ما زعمه وادعاه في القرآن من النقائص (وتبين) أن تضمن القرآن للأخبار عن الماضين واشتماله على المعاني الجليلة والأحكام الالهية دليلان على أنه كلام الله منزل من عنده جل وعلا (وزال) ما أرجف به الخصم مما حاصله ان المسلمين يؤوّلون ما أورده في كتابه من الآيات بمعان أخرى ازالة للمشكلات وتخلصاً من التناقض لأنا بينا في جواب ما ذكر أنه لا اشكال ولا تناقض لا بالنص ولا بالظاهر وأن المراد من كل آية اما ما يراد

بالأخرى أو معنىً آخر لا يعارضه فلا حاجة الى ما ذكر على انه لو صح ما ادعاه لم يكن ذلك مما يعترض به فان اشتمال الكلام على ظاهر ومؤوّل لا يقدح في صحته والتأويل المحتمل لا يخرج الكلام عن كونه حقاً وصدقاً فبطل ما عقب به كلامه من قوله أولاً وثانياً وثالثاً مما لا عبرة به ولا مزية فيه (وأما) ارتياعه واندهاشه وشكه وتحيره من قول بعض العلماء ان لكل آية من القرآن سبعة معان أو سبعين معنى (وقوله) ان المسلمين بمثل ذلك ستروا عن الناس تناقض القرآن ونقائصه فمن عدم فهمه لمرادهم فانهم لا يريدون بقولهم ذلك ان كل آية لها سبعة او سبعون معنى يراد من المكلف في وقتٍ واحد الأخذ بواحد منها غير معين حتى يحصل له التحير والتشكيك فيما اريد منه كما ظنه الرجل فشنّع به على أهل القرآن وانما مرادهم من ذلك ان الآية يجري معناها في غير من نزلت فيه الى سبعة معان أو سبعين معنى مثل قوله تعالى (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) الآيات فانها نزلت في قتال قريش فيجري معناها في من اشبههم في الطعن في الدين ونكث العهود وابتداء المؤمنين في القتال من أئمة الكفر من العرب وغيرهم في كل وقت فيقاتلون بمفاد الآيات كما قوتل قريش ولا يقصر معناها على قريش ولا التكليف بمضمونها على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بها وكذلك يجرى معناها في من بغى على الامام بالحق وطعن في امامته فيقاتل هو وتابعوه بمفادها ولا يقتصر بها على قتال الكفار خاصة (وهكذا) القول في سائر آيات القرآن فهي جارية مجرى الامثال (وهذا) من أعظم الأدلة على عظيم بلاغة القرآن وخروجه في النظم عن منهج كل كلام لا أنه موجب لنقصه ونقضه كما توهم الخصم ولا اخلال فيه بالدلالة على الهدى ولا منافاة لما دل

عليه القرآن بالتنصيص من تقسيم الآيات الى محكمات ومتشابهات في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)وأن القرآن لم يميز بينهما كما قدره الخصم لسوء فطنته أو اشتداد عناده وعصبيته لأن المحكم من الآيات ماله نص أو ظاهر يؤخذ بهما (فمن الاول) قوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ) واشباهه (ومن الثاني) قوله تعالى (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) فان الظاهر من الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم هو قول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فنأخذ به ولا نتوقف في الأخذ به على العلم بعدم ارادة معنى غيره بل ولا يعوقنا عن العمل به علمنا بأن للتسليم معنى آخر وهو قبول مايحكم به وتصديقه فيما يخبر عن الله سبحانه بل نأخذ بالأمرين معاً و نعتمدهما والمتشابه مالا يصح حمله على ظاهره لمنافاته للمحكم فنعدل به عن ظاهره الى معنى آخر ومنه قوله تعالى (مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) فان الأخذ بظاهره يقتضي نسبة الباري سبحانه وتعالى الى اضلال الخلق وهو مخالف للمحكم مثل قوله تعالى (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) وقوله تعالى (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فنحمل الاضلال في الآية الاولى وأمثالها على عدم التوفيق والتسديد للايمان ويكون المعنى من لم يوفقه الله للهدى لايقدر أحد على جلبه اليه وهذا هو المراد بالمتشابه

لامالايفهم له معنًى أصلاً فلا تحيّر ولا تشكيك (وأما) قوله تعالى (فأمّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) فالمراد به انهم يعوّلون على ظاهر المتشابه وهو ليس بمراد ولا يردّونه الى المحكم فيخالفون بذلك مراد الله عز وجل ولو فرضنا أنّ في القرآن مالا يفهم أحد من عامة العلماء معناه بالمرة ولايدركه الاّ خواص العلماء عملاً بظاهر قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) لم يكن ذلك قادحاً في القرآن لوجهين (الاول) انّ مثل ذلك موجود فى التوراة في مواضع (منها) ماذكره النصراني في فصله الثانى من بابه الثاني في قصة آدم لما أكل من الشجرة من قول التوراة (وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك) فروى عن بشارة متى أن تلاميذ المسيح تقدموا اليه قائلين فسّر لنا مَثل زوان الحقل فأجابهم قائلاً (الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان والحقل هو العالَم والزرع الجيد هو بنو الملكوت والزوان هو بنو الشرير والعدوّ الذي زرعه هو ابليس والحصاد هو انقضاء العالَم والحصادون هم الملائكة) انتهى فالكلام تضمن أن الحواريين وهم خواص علماء النصارى الذين ادعى النصراني أنهم رسل الله لم يفهموا معنى عشب الحقل المذكور في التوراة فاحتاجوا الى معرفة المراد منه الى تفسير عيسى بعد ماأبدلوا لفظ العشب الذي ظاهره النبات بلفظ الزوان النائى عن معناه وأنّ عيسى فسره لهم بما هو بعيد عن حقيقة اللفظ ومجازه أيضاً غاية البعد ولا المام له به كما ترى فانّ الله لم يرد أنّ آدم يأكل بعد هبوطه من الجنة الى الارض بنى الشرير يعنى العاصين من ولده (وكذا) فى كتب النصراني التي يسميها الانجيل التصريح باتحاد ذات الله بعيسى وروح القدس على معنًى غير مفهوم ولامعقول ولم يستطع أحد

من علماء النصارى أن يبين له معنى يتصوره حذاق العلماء فضلا عن عامتهم ومن هذا القسم فيما نقله النصراني في كتابه عن التوراة والانجيل كثير وقدمر في كتابنا نقل أشياء منه فاذا كان وجود ما لا يفهم أحد معناه أصلاً وما يؤوّل بالتأويل البعيد في التوراة والانجيل غير قادح في صحتهما عند النصراني فلا يسوغ له أن يجعل وجود ما لا يدرك حقيقته الا خواص العلماء أو يحتاج فيه الى التأويل في القرآن قدحاً في صحته ان أنصف وعقل لأنّ ذلك لو كان قادحاً في القرآن لكان قادحاً في صحة توراته وانجيله من غير فرق والاّ لم يكن قادحاً في الكل وهو المطلوب (الثاني) انه قال في مواضع من كتابه ما مفاده ان كلام الله اذا لم يعرف وجهه لا يجوز رده بالعقول القاصرة الضعيفة بل يجب قبوله والتسليم له ونقلناه نحن في كتابنا عنه مراراً مرة بلفظه ومرة أخرى بمعناه واذا لم يجوّز النصراني لنفسه رد ما في الكتب السابقة بعقله اذا لم يعرف وجهه لم يجز له رد ما في القرآن من مثله بعقله القاصر وفهمه الفاتر اذا لم يعرف امثاله معناه والاّ فليأتنا بالفرق ان كان محقاً (ومن هذا) تبين فساد مقاله الذي مفاده ان الادعاء بأن القرآن نزل هدى لجميع الناس باطل لتعدد معانيه ووجود المتشابه فيه لأنا نجيبه بأن توراتك وانجيلك قد وجد فيهما المتشابه ومتعدد المعنى فان بطل كون القرآن منزلاً لهدى الناس بذلك بطل به بعينه كون التوراة والانجيل منزلين لهدى الناس (والحاصل) أن النصراني لا يأتينا بشئ يقدح به في القرآن الا جئناه به قادحاً في التوراة والانجيل فان دفع عن نفسه حجة القرآن بما يذكره لزمه أن يدفع حجة الكتابين عمّن كفر به بعينه فلا يبقى على اليهود حجة للانجيل ولا على أهل الاوثان وغيرهم حجة للتوراة لأن كلاًّ منهم يقدح في الكتابين بما يقدح به النصراني في القرآن فاما ان يكون قدح الكل في الكل عند

النصراني صحيحاً فتبطل الكتب الثلاثة عنده ويكون دعاؤه الى تصديق التوراة والانجيل سفها ولومه المكذبين بهما او بأحدهما على التكذيب بهما ظاماً ويرجع وثنياً وهو لا يرضى بذا واما أن يكون قدح الكل في الكل باطلاً فيكون القرآن حقاً كأخويه ويتحقق كونه كلام الله وهو المراد وقد انجلت بنور تحقيقنا ظلمات ما اعترض به النصراني في فصله على صحة القرآن من الوجهين المذكورين وثبت أنه معجز من جهتهما كما ثبت أنه معجز من جهة البلاغة والاسلوب و النظام

﴿ الوجه الرابع من تقرير الدليل على كون القرآن معجزاً ﴾

وهو ماجاء في القرآن من الاخبار عما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر وما يأتي بعد زمان الخبر من الحوادث مما لاسبيل لأحد من البشر الى العلم به من دون مشاهدة أو اخبار ولايحيط به علماً الا المطلع على السر والنجوى العالم بمصائر الأمور وعواقبها فيحصل الجزم بأن الكلام المشتمل على ذلك كلام الله اذ لايحتمل ان يعلمه غيره فيكون القرآن لامحالة كلام الله لاشتماله على ماذكرناه فيكون معجزاً مصدقاً لمن جاء به البتة والقرآن قد وجد فيه كثير من القسمين (فمن الاول) قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا آمَانَاتِكُمْ) فانها في الاخبار عما أسره أبو لبابة الأنصاري الى اليهود من ترك نزولهم على حكم النبي صلى الله عليه وسلم وأشار اليهم بأنه الذبح أو في حاطب بن أبي بلتعة اذ كتب سراً الى أهل مكة مع امرأة كتاباً يخبرهم فيه عن قصد النبي صلى الله عليه وسلم غزوهم بالمسلمين وأمر المرأة أن تستر الكتاب فوضعته فى قرونها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في

طلب المرأة جماعة منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأخبرهم أنهم يدركونها في موضع كذا فأدركوها هناك وجاؤا بالكتاب (ومنه) قوله تعالى (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) الآية وهي اخبار عما أضمره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قلوبهم بحيث لم يعلم أحد منهم ما في قلب صاحبه من المحبة لادراك عير قريش وكراهة ان يلاقوا نفيرهم حين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مخرجه الى بدر (ومنه) قوله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) الآية وهي اخبار عما أسره قوم ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وما عزموا عليه من قتله (ومنه) قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) وهي اخبار عما أسره قوم في نفوسهم من الرضاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أعطاهم من الصدقات والسخط عليه اذا لم يعطهم منها شيئاً (ومنه) قوله تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ) وهي اخبار عن قوم أظهروا للمسلمين أنهم مسلمون وكانوا يسرّون الى اخوانهم من الكفار أنهم على طريقتهم لم يفارقوها الى غير ذلك من الآيات مما يطول بذكره المقام (ومن القسم الثاني) قوله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) الآية وهي بشارة بالنصر والتأييد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين اتبعوه في مكة في أول الدعوة فأخاف قريش سبيلهم وآذوهم واضطهدوهم فما مضت الأيام حتى مكّن لهم في الارض فكانوا الأمراء والحكام ودخل تحت حكمهم وطاعتهم من كان يضطهدهم ويؤذيهم ودانت لهم العباد وفتحت لهم البلاد وملكوا أكثر أقطار العالم وجاء صدق ماوعدهم الله تعالى (ومنه) قوله تعالى (آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنىٰ الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) وهي اخبار عن غلب الروم على الفرس بعد غلب الفرس عليهم وتم ذلك بعد سبع سنين (ومنه) قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وهي اخبار عن هزيمة قريش يوم بدر وظهرت صحة الخبر بعد أعوام (ومنه) قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ) فانهما نزلتا في المنافقين وبني النضير من اليهود حين بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد أخبرني بما هممتم به من الغدر فاما أن تخرجوا من بلادنا أو تأذنوا بقتالنا فأرسل اليهم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه المنافقون أن لا تخرجوا ووعدوهم انهم يخرجون معهم ان أخرجوا وينصرونهم ان قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكان الأمر كما قال الله تعالى

فان بني النضير قوتلوا بعد نزول الآيتين بأيام ثم اخرجوا ولم ينصرهم أحد من أولئك ولا خرج معهم منهم أحد فالآيتان اشتملتا على القسمين معاً فالأولى من الأول والثانية من الثاني (ومنه) قوله تعالى (وَمَاجَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ اِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الآية وهي اخبار عن ملك بني أمية في الاسلام فملكوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة (ومنه) قوله تعالى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) فالآية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بظهوره على عداه وغلبته على من ناواه فكان ذلك بالعيان بعد سنين (ومنه) قوله تعالى (لَقَدْصَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَتَخَافُونَ) فان الوعد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدخول المسجد الحرام على الوجه المذكور في الآية صدر قبل دخولهم بما يقارب سنتين الى غير ذلك من الآيات بهذا المعنى (وبالجملة) ان الآيات الدالة على الأخبار عن الأمور المستورة الحاضرة وعن الأمور الآتية بعد زمان ورود الخبر بمدة قصيرة أو طويلة كثيرة في القرآن اقتصرنا على ايراد ما أوردناه منها هنا ايثاراً للايجاز وتخلصاً من الاطناب والاسهاب مع حصول الغرض ببعض ما أوردناه (ومن المعلوم) الذي لاريبة فيه أن مثل هذه الاخبار المفصلة المطابقة للواقع من كل وجه لايحتمل عقلا صدورها عن غير رب العالمين فالكلام المشتمل عليها هو كلامه باليقين ولايجوز نسبتها الى أحد من البشر لأن العلم بذلك متعذر عليهم بحسب ذواتهم ومن هذا يتضح كذب النصراني فى قوله فى فصله الرابع من بابه الثالث ليس فى القرآن شيء من الاخبار بالمغيبات كما فى التوراة والانجيل انتهى لانا قد تلونا عليك من ذلك مايزيل الشك ويوصل الى القطع

وما طوينا ذكره من ذلك طلباً للاختصار اكثر وفيه زيادة على ماذكر في الكتابين المشار اليهما بكثير (وأما قوله) الذي محصله ان بعض المسلمين يزعمون أن في قوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وفي قوله (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) أخباراً بكوائن مستقبلة فقول هجين ضالع فان المسلمين لايقتصرون من الأخبار بالمغيبات في القرآن على هذين الآيتين ولا على ما أوردناه خاصة ولكن النصراني يدعي مالا يعلم ومن نظر في تفاسير القرآن متأملاً متبصراً وهو ذوفطنة متوقدة علم صحة ما قلناه (وأما ايراده) على الآية الاولى بما حاصله أن الكلام انما قاله محمد من عند نفسه لكي يشجع عساكره وعلى الثانية بأنه قال ذلك بمقتضى حذاقته وجودة بصيرته لكي يهدئ به روع المسلمين وتطمئن قلوبهم فلا دليل فيه على نبوته فظاهر فساده من وجوه (الاول) ان الآيتين انزلتا قبل وقوع المخبر به فيهما بمدة سنين ولا مقام حينئذ لتشجيع قلوب العسكر بل لاعساكر في ذلك الوقت ولا جنود وكذا لا محل لتسكين الروع وانما يكون الكلامان لما ذكر ويحتمل فيهما ذلك لو كانا واقعين وقت حصول الواقعتين (الثاني) أن وعد الرؤساء والقواد عساكرهم بالنصر والظفر على أعدائهم يكون على وجه الاجمال لا التفصيل والخبر في الآيتين على وجه التفصيل والتعيين فلا يصح أن يكون كأخبار الملوك والقواد كما ظن النصراني (الثالث) أن أخبار من ذكره ينكشف غالباً عدم مطابقتها للواقع ولا يصح منها الا الشاذ النادر وأخبار القرآن في الآيتين وغيرها مطابقة للواقع دائماً لم يتخلف عن الصحة منها حرف واحد فلا يجوز اجراؤها مجرى أخبار الملوك والقواد لتشجيع

قلوب عساكرهم وتسكين روعاتهم وتطمين نفوسهم (الرابع) أن ما طعن به في أخبار القرآن جار في أخبار التوراة والانجيل فيقال له ما أنت قائل لليهود اذا طعنوا فى أخبار انجيلك بمثل ما طعنت به فى أخبار القرآن وما قولك للوثنيين من العرب وغيرهم اذا طعنوا في أخبار توراتك وانجيلك بمثل طعنك في أخبار قرآننا فما هو جوابك لهم عن ذلك هو بعينه جوابنا لك فقل ما أنت قائل تخصم وتفحم والطعن منهم في كتابيك حاصل خصوصاً طعن اليهود في انجيلك (ومن أعظم) ما مكر به فى المقام افتراءً واختلاقاً ليشبّه على الطغام(١) قوله فى الايراد على الآية الأولى ان محمداً لمّا أخبر أصحابه بقدوم جماهير قريش وبأن الله أمره بقتالهم مجاهداً سطا عليهم الخوف والهلع ولما بلغهم كثرة عساكر قريش طفقوا يصرخون خوفاً ويضجون ضجيجاً عظيماً وادعاؤه أن هذا مما أخبر به المؤرخون والحال أنه لم يخبر بهذا المضمون مؤرخ ولا مفسر وانما افتراه النصراني كعادته فى الافتراء والكذّاب ليصحح به دعواه أن الآية قالها النبي صلى الله عليه وسلم ليشجعهم ويسكن روعهم وهيهات أن يصح ما ادعاه لأن الآية انزالها متقدم وغاية الأمر أن أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت قلوبهم الى لقاء العير أميل منها الى لقاء جيش قريش وهو مضمون ما أخبر الله عنهم في الآية التي أوردناها من قوله تعالى (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ولا ضير في ايثار الأسهل على الأصعب ولا ننكر أيضاً أنه روي غير مشهور أن جماعة منهم جزعوا من فوات العير وقدوم جيش قريش لعدم ادراكهم ما أحبوه وملاقاتهم على قلتهم لجمهور قريش لكن ليس على ما

(١) الطغام كسحاب اوغاد الناس أي ضعفاء العقول اه

ذكره الرجل فقد صح أنهم لما تحققوا افلات العير واقبال جمع قريش وطنوا انفسهم على قتالهم غير جازعين ولا ناكلين ولا واهنين ولا متخاذلين ففي السير والتفاسير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ الصفراء في مسيره الى بدر أخبر أصحابه أن عير قريش قد جازت وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها وأن الله قد أمرني بمحاربتهم فأشيروا علي فقام بعد قيام أبي بكر وقيام عمر وقولهما ما قالا المقداد بن عمرو فقال يارسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس (١) لخضنا معك ولا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون وقام سعد بن معاذ الانصاري سيد الأوس وقال بأبي أنت وأمي يارسول الله انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والذي أخذت منه أحب الي من الذي تركت والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضنا معك وقد خلفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشد جهاداً لك منهم ولو علموا أنه الحرب لما تخلفوا ولكن نعد لك الرواحل ونلقى عدونا فانا صبر عند اللقاء أنجاد في الحرب وانا لنرجوا أن يقر الله عينيك بنا فان يك ما تحب فهو ذاك وان يكن غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يحدث الله غير ذلك كأني بمصرع فلان وبمصرع فلان وعد رجالاً من قريش كلهم قتلوا كما أخبر والذين كلامهم ما سمعت صدقوه بالفعل فاقتحموا العجاج كالليوث الحراد (٢) يصلح أن يقال فيهم ضجوا ضجيجاً عظيماً خوفاً من عدوهم

(١) شجر شائك ثمره كالنبق (٢) الغضاب

ومما يزيد كذب النصراني بياناً ما في خبر القصة من أن قريشاً لما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عتبة بن ربيعة أترى لهم كميناً ومدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعّد في الوادي وصوّب ثم رجع الى قريش فقال مالهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمّظون تلمّظ الافاعي مالهم ملجأ الاّ سيوفهم وما اراهم يولون حتى يُقتلوا ولا يقتلون حتى يَقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم الخبر وليس فيه على طوله أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا على أصحابه تلك الآية في ذلك الوقت أو في وقت الاستشارة حتى يتجه للنصراني أن يقول ان محمداً قالها عن نفسه ليشجع بها أصحابه بل هي منزلة عليه قبل الهجرة فالذين حالهم وصفهم ما ذكره عدوهم من الصبر وعدم الكلام وغير ذلك مما سمعت أين كان ضجيجهم وصراخهم ومن أين سطا عليهم الهلع والذين ملكهم الخوف والهلع هم قريش ففي الخبر أنهم خافوا خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود أن يدخلا في عسكرهم ويأتيا بأخبارهم فدخلا فما رأيا فيهم الاّ خائفاً ذعراً اذا صهل الفرس وثب على جحفلته والنصراني جعل ما أصاب قريشاً من الذعر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبرئ اخوانه المشركين من النقص وأنى له بذلك ومع هذا كله ففيما استند اليه في مكره وخدعه من اخبار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقدوم جماهير قريش وأن الله أمره بقتالهم وما رويناه نحن موافقاً لمضمونه معجز للنبي صلى الله عليه وسلم شاهد بصدق نبوته لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بما هو غائب عن حواسهم ولو كان علم ذلك

مما يحصل للبشر بحسب ذواتهم لعلموه مثل ما علمه ولم يختص بعلمه هو من بينهم خاصة واذا اختص بعلم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من دون من معه من أصحابه حصل القطع لكل من بلغه الخبر كما حصل الجزم لأولئك الأصحاب بأنه علم ذلك من طريق الوحي الآلهي لا من غيره واذا كان موحى اليه من الله تعالى كان نبياً لامحالة فهذه واحدة من معاجزه العظيمة التي تثبت له الرسالة مما ينكره النصراني فعاد مكره وخدعه حجة عليه فهو ان صحح ما رواه لزمه الحكم بثبوت المعجز لنبينا صلى الله عليه وسلم وان أبطل روايته زال مستنده في خدعه وبطل ما دبره (والعجب) من هذا الرجل يدعي حصول العلم بمثل ماذكر من قول أهل التواريخ من المسلمين وينكر العلم باقرار أحبار اليهود ورهبان النصارى ببشارة التوراة والانجيل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه روى ذلك أهل التواريخ وأهل السير وأهل التفسير فهل رأيت متعصباً معانداً أشد من هذا الرجل ثم ان في قول النبي صلى الله عليه وسلم كأني بمصرع فلان وبمصرع فلان الى آخره معجزاً أظهر من ضوء النهار دالا على صحة نبوته لأن الذين عينهم من القوم بأسمائهم وأخبر بقتلهم كلهم قتلوا عن آخرهم ولا يمكن أن يكون الاخبار بمثل هذا الخبر المفصل المعين الا من طريق الوحي الرباني وهو أمر واضح (والحاصل) أن في القصة المذكورة من أولها الى آخرها من المعاجز الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما في بعضه مقنع للعاقل المنصف في وجوب تصديقه وحصول اليقين بنبوته والجزم برسالته فضلاً عن جميعه فما ظنك وجميع ما ظهر فيها من المعاجز بالقياس الى ماأظهره من ذلك في سائر المواضع والغزوات كنسبة القطرة الى البحر الخضم ومن كل ما حققناه ثبت أن القرآن معجز وأنه كلام الله من جهة اخباره عن

المغيبات المستورة حاضرة و آتية كما أنه معجز من الوجوه الثلاثة المتقدمة واندفعت شبهات النصراني وخدعه واذا ثبت أن القرآن كلام الله وأنه معجز ثبتت به نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ولم نحتج في اثباتهما الى معجز آخر لأن مايظهره بعده من المعاجز مؤكد لامؤسس وتبين بطلان قول النصراني ان محمداً لم يكن قادراً على اظهار المعجزات والاخبار بالمغيبات وأنه قد فاته الشرط الثاني من شروط النبوة انتهى فانا قد بينا كون القرآن معجزاً وأثبتنا أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بالمغيبات باعتراف النصراني اذ صحح عن المؤرخين ما مكر به فمن أين يصدق قوله وقد تحقق ماقلناه والحمد لله

المنطق الرابع

في ردع فصله الرابع الذي ادعى فيه أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يظهر معجزة قط وفيه ثلاث محاكمات (الأولى) في بيان غلطه فيما استدل به من آيات القرآن على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يقم معجزاً يدل على صدق نبوته

(قال النصراني) انا في ابتداء هذا الباب بينا أن احدى صفات النبي الحقيقي هي أن يكون قادراً على اظهار المعجزات والاخبار بالمغيبات فمحمد لم يظهر معجزة قط كما يتضح لنا جلياً من نفس القرآن وذلك من قوله في سورة العنكبوت (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) ثم أورد قوله تعالى في سورة بني اسرائيل (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ

تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً) وقوله تعالى في سورة الأنعام (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) وقوله تعالى في السورة المذكورة (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) وقال بعد ايراده هذه الآيات فمن هذه الآيات يظهر واضحاً أن محمداً لم يظهر معجزة قط ولا كان قادراً على ذلك انتهى

(أقول) انا قد أوضحنا في المنطق السابق أن القرآن معجزة وأنه أكبر المعاجز وأعظمها وقررنا الدليل عليه بما فيه الكفاية وأشرنا في مطاوي الكتاب الى أشياء من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم واخباره بالمغيبات (فمن ذلك) حديث ركانة بن المطلب مع الشجرة الذي أوردناه في أواخر المقالة الثانية (ومنه) خروج النبي صلى الله عليه وسلم من الدار الى الغار وقريش محدقون بالباب ولم يبصروه وكذا وقوفهم من غد تلك الليلة على باب الغار وهو وأبو بكر فيه فلم يشاهدوهما وهذا لا يكون الا بصرف أبصارهم عن مقابلته وصرف أبصارهم عن ذلك مع شدة اعتنائهم به وعظيم اجتهادهم فيه لايقدر عليه الا الله تعالى فالأمران من المعاجز العظيمة (ومنه) اخبار اليهود من بني النضير بما تآمروا عليه فيما بينهم من قتله وما هموا به من الغدر به (ومنه) اخباره أصحابه بافلات عير قريش واقبال نفيرهم (ومنه) اخباره بقتل قوم من قريش بأعيانهم في بدر

فقتلوا (وسنذكر أيضاً) جملة وافرة من معجزاته الباهرة ان شاءالله تعالى عن قريب على أنا قد بينا أنه لاحاجة في اثبات نبوته بعد القرآن الى غيره من المعاجز كما أنه لايحتاج في اثبات نبوة موسى عليه السلام بعد العصا واليد البيضاء الى معجز غيرهما فما أظهره نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد القرآن من المعاجز كله مؤكد له كما أن ما أظهره موسى عليه السلام بعد الأمرين المذكورين مؤكد لهما (وأما) استشهاد النصراني على ما ادعاه بالآيات التي اوردها من القرآن فهو لعدم معرفته بمعاني لفظ آية في العربية وفي القرآن أوليسحر به من لامعرفة له بابطال سحره ونحن أولاً نبيّن معاني هـذا اللفظ المذكور ليتضح به زوال ماموّه به فنقول للفظ آية معان كثيرة في اللغة العربية (الاول) علامة الشيء الدالة عليه مطلقاً وهو الأصل في استعمال هذه الكلمة ومنه قول أمريء القيس

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ ... وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

يعني علامته التي تدل عليه وقول زُهَيْرِ بن أبي سُلمى المُزَنِي

أَرَانِي إِذَا مَاشِئْتُ لَاقَيْتُ آيَةً ... تُذَكِّرُنِي فِي الدَّهْرِ مَا كُنْتُ نَاسِياً

وقول النابغة الذبياني

تَوَهَّمْتُ آيات له فعرَفتُها ... لستَّةِ أعوامٍ وَذَا العامُ سابعُ

وقول النَّمِر بن تَوْلَبَ العُكلي

صَفَا عَنْ تَذَكُّرِه تُكْتَما (١) ... وقد كان في حُبها مُغرَما

وأعرضَ عنها وَ آياتُها ... تُذَكِّرُه عهدَها الأقْدَما

ومثله فى أشعارهم كثير ومنه فى التنزيل قوله تعالى حكاية عن زكريا

(١) على مالم يسمى فاعله اسم محبوبته

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ومثله فى القرآن كثير (الثاني) طائفة من كلام القرآن من فاصلة الى فاصلة أخرى أو ما يحسن السكوت عليه ومنه قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)وقوله تعالى (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الثالث) الأمر العجيب ومنه قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) (الرابع) العبرة ومنه قوله تعالى وتقدس (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)وقوله تعالى(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً)يعنى عبرة لولادتها به من غير فحل(الخامس) الكلام المفيد ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم (إِقْرَارُ الْعُقَلاَءِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَائِزٌ) وقوله صلى الله عليه وسلم (النَّاسُ مُسَلَّطُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ فى الدين) الى غير ذلك من تعاليمه الشريفة (السادس) الحجة والبرهان ومنه قوله تعالى (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) وقوله تعالى وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) وقوله تعالى (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) والآية بهذا المعنى هي المعجزة (السابع) الأمر المخوف ومنه قوله تعالى (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾

وقوله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (الثامن) الأمر المهلك والعذاب المستأصل ومنه قوله تعالى (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) فالآية هنا يراد بها العذاب المهلك بدليل قوله تعالى بعد الآية بلا فصل جواباً لقولهم (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) يقول ما آمنت قبلهم قرية أهلكناها بانزال العذاب بعد إهلاكنا إياها أفيحصل من قريش الايمان بعد اهلاكهم بانزال العذاب الذي اقترحوه عليهم كلاّ هذا لا يكون ولفظ الآيات فيما استشهد به النصرانيّ من قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ) بهذا المعنى لا بمعنى المعجزات كما ظن ومفاد ذلك أن قريشاً اقترحوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم انزال عذاب يستأصلهم إهلاكاً نظير ما نزل بقوم نوح من الطوفان وبقوم هود من الريح العقيم وبقوم صالح من الصيحة وغيرهم ممّن مضى من الأمم ويوضح ذلك قوله تعالى مخبراً عنهم (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) وقوله تعالى في آخر ما استشهد به النصرانيّ من الآيات (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) يعني من انزال العذاب عليكم (لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) أي هلكتم فلم احتج بعد ذلك الى محاورتكم ومناظرتكم ويزيد هذا ايضاحاً قوله تعالى مخبراً عنهم أيضاً (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا) يعني الذي يقوله محمد

انه رسولك (هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)وقوله تعالى في الآيات التي أوردها النصراني على مدعاه من سورة بني اسرائيل وهي على عكس ماادعى (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا) يعني قطعاً فهذا الذي اقترحه المشركون من قريش على النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ) وقوله(لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ)وهو الذي استعجلوا به ومثل هذا لايملكه الأنبياء فيأتوا به ولا الاتيان به شرطاً في صدق نبوّة مدعي النبوّة وانما يأتي به الله اذا شاء ولم يقترحوا عليه برهاناً يدل على صدقه فلم يأت به كما توهم الخصم واذ كان ما اقترحوه انما هو العذاب المبير كان جوابهم عنه (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) و(قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) أي ماسألتموه من الأمور المهلكة لكم عند الله اذا شاء انزلها عليكم ليهلككم بها أنزلها وليس مايهلككم عندي حتى آتيكم به (وأما) ما استشهد به النصرانيّ من قوله تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا) فالآية هنا بالمعنى السابع أي الأمر المخوف لابمعنى المعجزة كما قدّر الرجل بدليل قوله تعالى بعدذلك(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) يعني اذا نزلت عليهم ولو أراد المعجزة لقال وما يشعركم انها اذا ظهرت لايؤمنون لأن المعجزة يسند اليها حقيقة فعل الظهور لا المجيء وهذا مثل قوله تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَازَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا

اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ) (وأما الآيات) من سورة بني اسرائيل فلا تعلق للنصراني فيها بوجه وانما أوردها لعدم معرفته فهو يحتج بما لا حجة له فيه لأن ما اقترحه قريش فيها (منه) ما أرادوا به مصلحتهم دون مصلحة العباد مما يخالف حكمة الله تعالى المقتضية لاخلاء بعض البقاع من العيون النابعة والأنهار الجارية والجنان الناضرة دون بعض وارساء الجبال الشم في موضع دون آخر لمصالح يعلمها هو جلت عظمته ولا يعلمها الخلق وذلك قوله تعالى حكاية عنهم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) وقد جاء في الخبر أن عبدالله بن أبي أمية المخزومي مع جمع من أشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يزيل عنهم جبال مكة لتتسع لهم أرضها وأن يكري أرضها ويستخرج منها العيون ويغرس فيها الجنات من النخيل والاعناب فيأكل ويطعمهم وهذا كله لايوافق الحكمة الآلهية فليس هو من المعجز في شيء مع أن مثله لاتثبت به النبوة فانا نعلم أن أناساً قد استنبطوا العيون وغرسوا الجنان من النخيل والاعناب ونحتوا الجبال ولم يكونوا بذلك أنبياء (ومنه) ماينافض ارادة الله سبحانه وهو قولهم (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً) فان انزال السماء قطعاً مقتض لهلاك العالم بحذافيره والله يريد ابقاءه الى أجل معلوم (ومنه) ماهو مستحيل في نفسه غير ممكن وقوعه أصلاً وهو قولهم (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً) فان الاتيان بالله والملائكة حتى تشاهدهم المشركون أو غيرهم مما لايمكن أن يكون فلا يجوز طلبه وليس من أنواع المعجز (ومنه) مالا يصلح للأنبياء ولو حصل لم يكن

معجزاً وهو قولهم (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) يعني من ذهب وهذا غير صالح للأنبياء وليس بمعجز لحصول مثله عند أشباه فرعون (ومنه) ما وعدوا بعدم ايمانهم به لو حصل وأردفوه بما لايجوز وهو قولهم (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ) فيه على ما ذكر في الرواية من الله العظيم الى فلان وفلان وفلان لقوم من قريش بأسمائهم (أما بعد) فان محمداً رسولي فآمنوا به (والصعود) في السماء لامزية فيه لأنهم قالوا لن نؤمن لرقيك فلو كان لكان عبثاً وانزال كتاب عليهم على المعنى المذكور يستلزم جعلهم أنبياء لأن ذلك وحي مثل التوراة والانجيل والوحي مختص بالأنبياء والكفار عنه معزولون فلم يكن شيء مما اقترحوه في الآيات معجزا وانما هي أمور مستحيلة في أنفسها أو لأمر آخر اقترحوها تكبراً وتعنتاً وجهلا كما ادّعى النصراني بجهله أنها من أنواع المعجز على أنهم قالوا بعد تلك الأقوال كلها كما في الرواية الواردة في سبب نزول الآيات المذكورة انهم لايدرون بعد ذلك كله أيؤمنون به أم لا فكان الأولى في جوابهم عما اقترحوه هو ما أجاب به من قوله تعالى (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً) أي تنزّه ربي عن فعل ما اقترحتموه من المحال وما يناقض حكمته وما أنا الا بشر رسول عليّ أن آتيكم بما يدل على صدق رسالتي من المعاجز ولا أقترح على ربي ما لايجوز أن يكون أو ما يكون فعله عبثاً لخلوه عن الفائدة (فتلخص) من تبياننا أن القرآن لايشهد بأن المشركين طلبوا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم اظهار معجز وأنه اعتذر بعدم القدرة على اظهاره وأنّ زعم النصراني ذلك لجاج ومباهتة وبعد فكيف يصح أن يكون لفظ الآيات في الآيات

التي استشهد بها النصراني على مدعاه بمعنى المعجزات وأن يكون مفادها ان قريشاً اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم اظهار معجز يدل على صدقه وأنه اعتذر اليهم بعدم القدرة على اظهاره والحال أنه صلى الله عليه وسلم في جميع أوقاته يخبرهم أنه رسول الله اليهم وأنّ دليله على ذلك القرآن فهو يحتج عليهم به قائلا انه منزّل عليه من عند الله جل اسمه معجزاً له وبرهاناً على صدقه في دعوى الرسالة ويتحداهم به مرة بعد أخرى خاطباً معلناً بقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) وبقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وغير ذلك من مشبه هذا الكلام فكيف يقول مصرحاً ان الله أرسلني اليكم وأنزل عليّ برهاناً يصدقني ومعجزاً أحتج به عليكم وهو القرآن فان كنتم تقولون انه كلامي وليس بكلام الله أنزله حجة لي عليكم فأتوا بكلام مثل بعضه ان كنتم صادقين فيما تدعون ثم يقول لهم بعد ذلك اني لا أقدر على اظهار معجز على ما ادّعيت ولا على الاتيان ببرهان يصدّقني وهل هذا الا تناقض لاينبغي أن يصدر ممن له أقل فطنة فكيف يصح صدوره عن أذكى خلق الله وأنفذهم بصيرة وقد شهد له النصراني في مواضع من كتابه مرّ ذكر بعضها بجودة الفطنة وشدة الذكاء مع تمكنه من أن يقول لهم لو أرادوا بالآيات المعاجز ان معجزي القرآن فعارضوه ان قدرتم ولا يلزمني أن آتيكم بكل ما اقترحتم عليّ وحصول الفالج له عليهم بهذا ذلك بعيد عنه بل مستحيل وقوعه من مثله ومن هذا يعلم أن الآيات التي اقترحها المشركون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليست بالمعاجز بل هي لامحالة أموراً أخر فيكون المراد

بها ما ذكرناه لا ما ظنه النصراني بجهالته (وتأييده زعمه) بقوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ منقوض بما بيناه من أن المراد بالآيات في هذه الآية الأخاويف السماوية والأمور الامتحانية نظير ناقة صالح عليه السلام الذي قال فيها صالح لقومه ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ونظير الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اللاتي امتحن الله بها فرعون وقومه تخويفاً لهم لا المعاجز بدليل قوله تعالى بعده ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ والمعجزات ليس فيها تخويف ولو كان المعجز أمراً مخوفاً لم يكن ابراء عيسى الأكمه والأبرص واحياؤه الموتى معاجز اذ لا خوف فيها واذ انتفى زعم الخصم بقي ما يشهد من القرآن باتيان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الدالة على صدقه سالماً من المعارض مثل قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ وغيرهما مما يفيد هذا المفاد وقدح النصراني في دلالتهما على المطلوب أولاً بعدم ذكر معجزة فيهما بعينها وعدم تعيين زمانها مردود بأن الاشارة فيهما الى القرآن نفسه فانه المعجز الأكبر كما أوضحناه غاية الايضاح والى ما فيه من الانباء عن المغيبات وقد ذكرنا طرفاً منها والى ما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم مما قدمناه وما سنذكره مما هو زمان نزول الآيتين مشاهد معروف عند المخاطبين ولا يجب ذكره على التفصيل في كل موضع من القرآن بل تكفي الاشارة اذ كان

بين أهل زمان نزول القرآن متعالماً مشهوراً وقدحه ثانياً في دلالة الآيتين بأن البينات يأتي في أكثر مواضع القرآن بمعنى الآيات القرآنية مستشهداً بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) وقوله تعالى (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) ضعيف جداً قاده اليه عدم العلم بمعنى البينة في القرآن ولغة العرب أو المشاغبة والاعراض عن الحق (والتحقيق) ان بينات جمع بينة وللفظ بينة في لغة العرب استعمالان (الأول) كونه اسماً بمعنى الحجة وذلك اذا تجرّد عن متبوع وكان مستقلاً بنفسه كما يقال جاء فلان على دعواه ببينة (ومنه) قول النبي صلى الله عليه وسلم (اَلْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ) يعني أن الحجة المثبتة للدعوى تطلب من المدعي واليمين تطلب من المنكر والبينات في الآيتين المذكورتين وفي قوله تعالى (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) وقوله تعالى (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي) وما جرى مجراها من الآيات بهذا المعنى لا كما توهم النصراني (الثاني) أن يكون وصفاً بمعنى الوضوح والظهور وذلك اذا كان تابعاً لموصوف سواء كان لفظ آية أم غيره كما يقال لفلان حجة بينة (ومنه) ما استشهد به الرجل من الآيتين فلا يجعل لفظ بينة في أحد الموردين بمعناه في المورد الآخر (وأما) قوله تعالى (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) فالمراد بالبينة فيه هو النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى قبله (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ)

فالبينة هنا هو الرسول التالي للصحف المذكورة والثانية هي الاولى بعينها لدلالة أل العهدية فهي الرسول المنعوت بتلاوة الكتب المطهرة والاشارة في الآية الى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا مجتمعين على التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثه لوجودهم اسمه وصفته في التوراة والانجيل وكانوا يرتقبون ظهوره وينتظرون مبعثه فلما جاءهم تفرقوا فيه فآمن به بعضهم وكفر الأكثرون فالبينة في الآية بمعنى الحجة أيضاً لأن الرسول حجة الله عليهم لأنه تعالى أخبرهم في كتابهم ببعثه وأمرهم بالايمان به (وهذا) عكس ما قدره النصراني وظنه من أن البينة هنا هي الآية من القرآن فلا معاذ له بها بل هي حجة لنا عليه (وقدحه) في دلالة الآية الثانية بأنها اشارة الى المسيح لا الى محمد مدعياً أن البيضاوي أوضح ذلك سخيف لأن الآية تكاد تصرح بأن الجائي بالبينات هو الرسول المبشّر به وهو (أحمد) المدلول عليه بقوله تعالى مخبراً عن عيسى (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) ومعناه أن ذلك الرسول مع معرفتهم به من بشارة عيسى به لما جاءهم بالمعجزات قالوا (هذا سحر مبين) ولو صح ما ادّعاه على البيضاوي لم يكن ملتفتاً اليه اذ لا يلزمنا غلطه (وأما) استناده في زعمه أن الاشارة في قوله (هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) الى القرآن لا الى المعاجز الى ما في القرآن من الأخبار عن نعت قريش واليهود محمداً وكتابه بالسحر مثل قوله (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) وقوله (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) وقوله (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) فاستناد زائل لأن هذه الآيات ليس فيها ذكر القرآن على الخصوص وانما صرّح فيها

بذكر الحقّ الشامل للقرآن وغيره من المعجزات والأحكام فلا يكون المقول فيه (هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) مختصا بالقرآن بل هو مطلق المعاجز القرآن وغيره فاستدلال النصراني بها على اختصاصها بآيات القرآن سفه وجهل (وتوضيح المقام) أن لفظ الحق معناه في أصل اللغة الأمر الثابت الصحيح ويرد في القرآن مراداً به القرآن تارة ومراداً به غيره من المعاني أخرى (فمن الأول) قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ — وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) يعني أن القرآن حق في انزاله وفي نزوله (ومن الثاني) قوله تعالى (وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ — وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ — لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ — وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ — إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) الى غير ذلك من المعاني فالمراد بالحق في الآيتين المستشهد بهما هو المعنى الأصليّ وهو الأمر الصحيح الثابت فيشمل القرآن وغيره ممّا يشاركه في الصحة والثبوت ويكون معنى الآيتين أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الأمور الثابتة الصحيحة الدالة على صدق نبوته قال الكافرون فيه (هذا سحر مبين) ثم لو سلمنا اختصاص الحق فيهما بالقرآن لم يقم للخصم دليل بهما على مراده لأن نسبة المشركين واخوانهم من اليهود والنصارى القرآن الى السحر راجعة الى نفي كونه معجزاً تلزمهم حجته ويجب عليهم اتباع من جاء به يعني نفي كونه منزّلاً من عند الله لتصديق النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا الى نفي كونه آيات مفصلة متلوة فان ذلك أمر مسموع مشاهد

لايتوجه اليه النفي ولا يسمع العقلاء فيه قول النافي فقولهم (هذا سحر مبين) أرادوابه انكار المعجز الواجب القبول لا انكار الكلام المتلوّ فيكون معنى الآيتين أن الكفار لما جاءهم المعجز الدال على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة وهو القرآن قالوا هذا سحر مبين قاله محمدعن نفسه ولم ينزله اللهعليه فالحق لامحالة في الآيتين هوالمعجز وان كان هو القرآن بخصوصه فمفاد هذه الآيات وما قبلها إن البينات والحق فيها أريد بهما المعاجز لانفس ألفاظ القرآن من حيث أنها ألفاظ مركبة (فثبت) من هذا على كل حال أن المراد بالبينات في قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) هي المعجزات لا كلمات القرآن من وجه الكلامية (فثبت) مقصودنا وهو أن القرآن قد أخبر ناطقاً أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بمعجزات تصدق نبوته وتثبت رسالته من القرآن وغيره وأن متعصبي المشركين واخوانهم من أهل الكتاب أعرضوا عنها قائلين انها سحر (وبطل) ما أتى بهالنصراني في جميع ذلك من الهذر (فان قال قائل) لِمَ لم ينزل الله العذاب المبيرعلىالمشركين حين طلبوا انزاله عليهم كما أنزله على من كان قبلهم من أمم الأنبياء السابقين

(قلنا)لم يهلك الله المشركين من قريش بانزال العذاب عليهم مع طلبهم انزالهلوجوه بيّنها الله تعالىفي كتابه المجيد(الأول) ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بعثه الله رحمة لكافّة العباد كما قال تعالي في محكم القرآن (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) واهلاكهم بالعذاب ينافي العلة التي بُعث النبيصلى الله عليه وسلم لأجلها لمنافاة العذاب للرحمة وقد أفصح الله عن ذلك بقوله بعد ذكره طلب المشركين نزولالعذاب

عليهم (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) وضمير المخاطب للنبي صلى الله عليه وسلم (وهـذا) هو مراد المسلمين من قولهم ان محمداً بعث رحمة للعالمين لا ما ذكره النصراني وتوهم أن المسلمين يدّعونه (وحاصله) أن الله لم يظهر على يد محمد معجزة لئلا يستحق الناس بالتكذيب بها بعد اظهارها العذاب المهلك وذلك ممتنع لأن محمداً بعث رحمة للعالمين فامتنع ظهور المعجز على يده انتهى فان أحداً من المسلمين لا يدعي هذا ولا يتوهمه ولا يخطر له ببال بل المسلمون يثبتون للنبي معاجز لا تحصى كثرة وقد ذكر النصراني فيما مضى من كلامه أن المسلمين يدّعون أن القرآن معجز لمحمد وأنه أعظم من معاجز موسى وعيسى وسيأتي في كلامه أيضاً أن المسلمين يدّعون لمحمد معاجز منها كذا ومنها كذا وكلامه في الموضعين يكذّب دعواه على المسلمين هنا وهكذا ديدنه كلامه يكذب بعضه بعضاً (فبطل) ببطلان وهمه المذكور ما رتّب عليه من الرجيع المنتن (الثاني) أن المشركين من قريش كانوا بعد سؤالهم انزال العذاب عليهم يقولون غفرانك اللهم فلم يعذبهم الله بانزال ما سألوه لاستغفارهم وقد أعرب الله تعالى عن هذا بقوله (وَمَا كَانَ ٱللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الثالث) أن الله سبحانه أراد من قريش الايمان وكان في علمه أن كثيراً منهم سوف يؤمنون واهلاكهم حين سؤالهم انزال العذاب عليهم مفوّت لما علمه الله من ايمان كثير منهم فلم يقع لذلك وقد أشار تعالى الى هذا الوجه في قوله (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) يعني بعد الاهلاك (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) يعني بعد اهلاكنا اياهم فكان مآل الأمر في التأني بهم الى اسلام أكثرهم فظهرت المصلحة في ابقائهم وهنا وجه (رابع) أيضاً وارد عن النبي صلى الله

عليه وسلم في بعض الأخبار وقوله عندنا في الصحة كالقرآن وهو (انَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ كَانَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ ذُرِّيَّةٌ مُؤْمِنُونَ فَلَمْ يُهْلِكْهُمْ إِذْ سَأَلُوا الإِهْلَاكَ لِتَخْرُجَ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ) ويومي الى هذا الوجه قوله تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام في دعائه على قومه (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) فانه دل على أن المصلحة في هلاكهم اضلالهم العباد ان بقوا وعدم ولادتهم مؤمناً فلوكان في علم الله انهم يلدون أولاداً مؤمنين لانتفت هذه المصلحة وبانتفائها يكون الأصلح ابقاءهم وهو المطلوب

فان قال قائل أليس فى اهلاك مشركي قريش بما طلبوه مايتعظ به غيرهم فيحسن اهلاكهم بمطلوبهم لصلاح غيرهم (أجبناه) مع معارضة ما ذكره للوجوه المذكورة بأنا لم نسمع بقوم من المشركين اتعظوا بهلاك غيرهم بل المعلوم خلاف ذلك فان قوم هود لم يتعظوا بغرق قوم نوح وقوم صالح لم يتعظوا بهلاك قوم هود وقوم لوط لم يتعظوا بهلاك قوم صالح وقوم شعيب لم يتعظوا بهلاك قوم لوط وفرعون وقومه لم يتعظوا بهلاك قوم شعيب ولا اتعظ بهلاك أولئك الأقوام وغيرهم من كان فى أزمنتهم من الكفار فعدلوا عن الكفر الى الايمان حتى يتعظ سائر المشركين بهلاك مشركي قريش ولقدذكر الله قريشاً وغيرهم بهلاك من أهلك من الأمم فى كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) فلم يتعظوا ولم يرتدعوا بذلك عن كفرهم حتى كأنهم لم يسمعوا فاذاً لامصلحة لسائر المشركين فى اهلاك قريش بالعذاب واذا انتفت المصلحة لغيرهم فى

اهلا كهم بقيت الوجوه المتقدمة سالمة عن المعارض فتعين الاعتماد عليها
فان قال قائل فما المانع من انزال الأمر المخوف على قريش حين طلبوه كما ذكرتم (قلنا) منع من ذلك أن انزال المخاوف انما يكون لتخويف العباد ليجيبوا الى الايمان ومتى لم يكن ذلك موجباً لايمانهم كان خالياً من المصلحة فيكون عبثاً وقد أخبر الله عمن ذكرتم بأنهم لايؤمنون بالأمور المخوفة كما لم يؤمن بها من كان قبلهم فى قوله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) وهؤلاء يكذبون بها أيضاً كسابقهم وقد بيّن الله جل اسمه ذلك فى فى قوله (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) وأكد هذا المعنى بقوله تعالى (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) وأوضحه تبارك وتقدس غاية الايضاح في قوله (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) فلما انتفت المصلحة في انزال المخاوف عليهم لم يبق الا الزامهم بالحجة وهي قائمة عليهم بما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم من المعاجز العظام من القرآن وغيره ثم بعده جهادهم بالسيف فتبين الوجه الصحيح وزالت المناقضات بعون بارئ النسمات

المحاكمة الثانية

في ذكر جملة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن وغير ما صرحنا به سابقاً واعلم أن ذكر جميعها لايتأتى لنا في

هـذا الكتاب لكثرتها وقد أنهى بعض العلماء معجزات نبينا الى ألف معجزة لكننا نذكر منها هنا طرفاً وافراً يحصل به المقصود وهي على ضربين فعليّة وقوليّة (فمن الفعليّة) انشقاق القمر المدلول عليه بقوله تعالى (إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً) يعني معجزة (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) فقد روي في متواتر الأخبار أن المشركين اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين وكانت تلك الليلة ليلة بدر (١) فقال لهم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ماقالوا فانشق القمر فرقتين على كل جبل فرقة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يافلان ويافلان اشهدوا فقال ناس منهم سحرنا محمد (وهذا) من أعظم المعاجز وأكبرها (وقدح النصراني) فى ذلك بقوله ولما كان الفعل الماضي اقتربت بمعنى المضارع مستقبلاً كان المراد بانشق أيضاً الاستقبال فيكون معنى الجملة سينشق القمر أي في يوم القيامة باطل مردود لأن الاقتراب وهو مصدر اقتربت المدلول عليه به قد حصل قبل زمان نزول الآية والمستقبل هو الفاعل خاصة وحصول الفعل لايستلزم حصول الفاعل فى زمانه مطلقاً يعني أنه لايلزم اجتماع الفعل مع الفاعل فى زمان واحد فى جميع مواد الفعل وانما يكون ذلك فى أكثرها (وتمام الكشف) عن هذا المقام بما يزيل توهم ذوي الأوهام أن نقول صيغ الفعل الماضي سواء كان ثلاثياً مفتوح العين أومضمومها أو مكسورها كضرب وكرم وفرح وماتصرف منها بالزيادة على الاصول كأخرج واعتبر وتعلم وانطلق واستخرج وغيرها من مزيد الثلاثي أم كان رباعيا كدحرج وزخرف

(١) ليالي البدر ثاني عشر وثالث عشر ورابع عشر من الشهر اه منه

وعرقب ومزيده كاحرنجم واثعنجر جميعها بحسب الهيئة موضوع للدلالة على الزمان الماضي من غير خلاف بين علماء العربية وأما بحسب موادها فتنقسم الى أقسام ثلاثة (الاول) مايدل على وجود الفاعل فى زمانه كطلع الهلال ودخل الشهر فانّ الهلال وجزأ من الشهر حاصلان فى زمان الطلوع والدخول (الثاني) مايدل على سبق زمان الفاعل على زمانه كخرج الشتاء وانسلخ الشهر فانّ زمان الشتاء سابق على زمان خروجه وزمان الشهر متقدم على زمان انسلاخه قال الله تعالى (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فالفعل ماض بالنسبة الى زمان التكلم لازمن الفاعل (الثالث) ما يدل على تأخر زمان فاعله عن زمانه مثل دنا الأجل واقترب موت زيد (ومنه) قول النابغة الذبياني

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ

فأزف بمعنى قرب والترحل فاعله وزمان الترحل بعد زمان قربه وزمان الفعل وهو قرب الترحل متقدم على زمان التكلم فهو ماض وفاعله مستقبل فكل هذه الافعال وما أشبهها زمانه قبل زمان فاعله فهو ماض لدلالته بحسب هيئته على حصول المصدر وزمان فاعله مستقبل لأن دنوّ الشيء وقربه واقترابه غير حصوله ودلالة هذه الافعال بحسب موادها على تأخر أزمنة فاعلاتها عن أزمنتها لايمنع دلالتها على المضي بحسب هيئاتها (فاقتربت) فى الآية ماض على أصله بحسب هيئته وفاعله مستقبل بحسب دلالة مادته على استقبال الفاعل ولايحمل الفعل الماضي على الاستقبال لاستقبال فاعله (وأما انشق) فهو من القسم الاول فهو واقتربت ماضيان لامستقبلان فهما دالان على حصول اقتراب الساعة وانشقاق القمر

فانشقاق القمر قد وقع بحسب دلالة الفعل صورة ومادة ولما كان النصراني لجهله بمعاني الألفاظ العربية وعدم معرفته الفرق بين دلالتي الفعل الماضي من حيث صورته ومن حيث مادته وعلمه أن الساعة أي القيامة لم تحصل وأن زمانها مستقبل بالنسبة الي زمان نزول الآية لاعلم له بما بيناه ظن أن زمان الفعل المسند اليها مستقبل أيضاً فبنى عليه ما اعترض به ومن لا يعرف الفرق بين دلالات الأفعال من حيث صورها ومن حيث موادها لاينبغي له أن يعترض بما اعترض به في المقام لكن هذا النصراني يقول بغير علم ولا هدى فمثله فى ذلك قول القائل

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالهَوَى غَيرُ أَهْلِهِ وَقَدْ يَصْحَبُ الإِنْسَانَ مَنْ لَا يُلَائِمُهْ

وأما أنا فيحسن لي فى كشفي عن عدم معرفته للفرق بين دلالات الأفعال من الوجهين المذكورين أن أخاطبه متمثلاً بقول الشاعر

سَتَنْدَمُ إِذْ يَأْتِي عَلَيكَ رَعِيلُنَا(١) بِأَرْعَنَ(٢) مَوَّارٍ(٣) كَثِيرٍ صَوَاهِلُهْ

هذا كله على فرض أن المراد بالساعة في الآية القيامة وقد جاء فيها أن المراد باقتراب الساعة ختم الشرائع والانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وشريعته فلا نبي ولا رسول بعده وعلى هذا فلا اعتراض للخصم أصلا (وأما) قدحه ثانياً على تقدير كون انشق للماضي بعدم دلالة الآية على أن انشقاق القمر ظهر على يد محمد فقول متهافت مردود بوجوه (الاول) أن انشقاق القمر لايقع الا على سبيل المعجزة ولم يرو ولم ينقل أنه كان معجزة لأحد من الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعلوم بالاستقراء التام أن كل ما أشار اليه القرآن أو صرح به من المعاجز اذا لم

(١) أى خلينا (٢) اى بأهوج (٣) اى شديد السرعة في السير اه

يكن منسوباً الى أحد من الانبياء بعينه فهو لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك المخاطبات والأخبار عن أحوال المؤمنين والكافرين اذا لم تنسب الى أحد من الأمم فهي لهذه الأمة فانشقاق القمر اذ لم ينسب في القرآن الى نبي من المتقدمين فيكون معجزاً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا محالة (الثاني) اتفاق أهل النقل وتواتر الخبر بأن انشقاق القمر معجز أظهره نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما اقترحه عليه قوم من قريش حتى صار بين المسلمين من الأمور الضرورية التي لا يعرض فيها التشكيك وقد أوردنا مضمون الرواية في مطلع الحجة (الثالث) قوله تعالى بعد الآية (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فان المعنيين في الآيتين هم قوم النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب (يدل) على ذلك أمران (الاول) أنه لم يتقدم لغيرهم ذكر حتى تنصرف الضمائر في (يروا) وما بعده من الافعال اليه (الثاني) أن جميع الأمم السابقة قد بيّن الله تعالى أحوالهم في السورة بعد الآيات على التفصيل فلم يبق الا أن يكون المكنّى عنه بالضمائر في الأفعال المذكورة في الآيتين هم قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من كفار قريش ويكون الكلام اخباراً عن اعراضهم عن قبول المعجز المذكور وهو انشقاق القمر ووصفهم اياه بأنه سحر فقدح النصراني لاريب في زواله ثم ان الآيتين يفهم منهما أن قريشاً رأوا من النبي صلى الله عليه وسلم مع انشقاق القمر معاجز أخرى وأن كل معجز رأوه منه يعرضون عنه ويرمونه بالسحر كما فعل فرعون وقومه فيما رأوه من معجزات موسى عليه السلام فما اقترحه النصراني من لزوم ذكر النبي معجزه في كتابه لأن التوراة والأنجيل فيهما ذكر معاجز موسى وعيسى وغيرهما حاصل في القرآن

وان لم يكن لازماً كما ادعى لأن معجزات عيسى لم يرد التصريح بها في أصل الانجيل وانما ذكرت مفصلة مشروحة في الكتب التي جمعها النصارى بعد عيسى من الانجيل وغيره وزادوا فيها ما أرادوا وقدسبق من كلام النصراني مايصرح بهذا المضمون في المقالة الاولى وكذلك معجزات موسى انما فصلت بعده في أسفار النبيين وقد بين كل ذلك في القرآن الكريم وفي أصليْ التوراة والانجيل اشارات الى المعاجز لا تفصيل فأين اللزوم الذي ادعاه الخصم (وقدحه ثالثاً) بأن معجزة انشقاق القمر لو ظهرت على يد محمد لكان يدل عليها قريشاً واليهود اذ طلبوا منه اظهار المعجز فكان يقنعهم مفحما اياهم ولم يكن يعتذر لهم عن ذلك بعدم القدرة عليه والحال أنه اعتذر بذلك فلايكون انشقاق القمر اذاً معجزة جرت على يده مثل سابقه في الضعف لأنا بينا جلياً أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتذر عن الاتيان بالمعجز الدال على الصدق مضافاً الى القرآن وأن الذي اعتذر عن المجيء به هوما اقترحه قريش من انزال العذاب المستأصل لشأفتهم أو اظهار الأمور المخوفة وأما اليهود فاقترحوا عليه تارة بعض ما اقترحه قريش كما حكى الله تعالى عنهم في القرآن بقوله (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً) وليس شيء مما اقترحه الفريقان بواجب على الانبياء الاتيان به واقترحوا عليه تارة أخرى انكار نبوة عيسى وثالثة قالوا لو كان الذي يأتيك بالوحي ملكا غير جبرئيل لآمنا بك وقد أشرنا الى هذا سابقاً وفي القرآن الاشارة الى الامرين (ومن المعلوم) أن جحود نبوة عيسى لايجوز ولايرضى به النصراني وانزال ملك غير جبرئيل بالوحي أمره الى

الله جل وعز لا الى الانبياء وليس لنبي أن يقترح على ربه انزال ملك عليه بالوحي دون آخر لترضى عنه اليهود (وأما) تذكير النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً واليهود بمعاجزه وتقريعهم بها ففي القرآن منه كثير من ذكر بعضه ومنه قوله تعالى في محل بحثنا (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) والآية التى بعدها وهما تذكير لقريش وتوبيخ وتقريع على الاعراض عن الآيات التى أظهرها النبي صلى الله عليه وسلم لهم التى من جملتها انشقاق القمر وقوله تعالى في توبيخ اليهود وتقريعهم بمعاجز النبي صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) ولم نسمع بأحد من الفريقين أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عما قرعهما به من الآيات بأننا لم نر هذه الآيات التي تذكرها بل عول قريش على رميها بالسحر وتابعهم اليهود على ذلك فبماذا ترى يذكرهم النبي به أوضح من هذا التذكير وبعد فان النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من أصحابه خاصموا اليهود وذكروهم بما اعترفوا به من وجودهم اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابهم وأنه يُبعث في ذلك الزمان فلم يتعظوا فمنهم من أنكر رأساً ومنهم من قال ان الذي أُخبرنا عنه غير هذا كما قدمنا ذلك من أخبارهم واذا كانوا قد جحدوا ما في كتابهم من وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنكروا ما اعترفوا به من نبوته فكيف يذكرون بما سبقهم قريش الى رميه بالسحر من معاجز النبي صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر وغيره والامر واضح وايراد النصراني مندفع

(ومن معاجز) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفعلية الاسراء به من الحرم الشريف الى بيت المقدس ورجوعه في بعض ليلة المدلول عليه بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فقد تظافرت الروايات وتواترت بأن النبي صلى الله عليه وسلم أُسريَ به في ليلة واحدة من مكة الى بيت المقدس وأراه الله ما أراه من علامات قدرته ورجع الى مكة في ليلته تلك وأنه مر بعير لقريش في طريقه قد أضلوا بعيراً لهم فدلهم عليه وشرب ماءً من آنية لهم وأهرق مابقي في الاناء وأنه لما أصبح أخبر قريشاً بذلك وقال لهم ان آية ماأقول ان العير تطلع عليكم غداً عند طلوع الشمس يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والأخرى برقاء فكان الأمر كما ذكره لهم وسألت قريش أصحاب العير عن خبر البعير الضال والماء الذي في الاناء فأخبروهم كما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم لم يقنعوا بذا كله بل طلبوا منه أن يصف لهم مسجد بيت المقدس ويخبرهم بعدد مافيه من الأساطين وكان قوم منهم قد رأوه وعرفوه فرُفع له المسجد المذكور وكُشف له عن بصره فأخبرهم فى مكانه بوصفه على ماعرفوا من صفته وبعدد أساطينه فلم يزدهم ذلك الا عتواً (وهذا) من أعظم المعاجز وتفصيله في السير والتفاسير مذكور (وأما الاسراء) بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فهو ثابت محقق قد تواترت به الاخبار وقد أشرنا اليه فيما مضى ودللنا عليه هناك بقول المسيح في الانجيل (انه لايصعد الى السماء الا ماينزل منها الا راكب البعير خاتم الانبياء فانه يصعد الى السماء وينزل) والقرآن يشير اليه بقوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) الآيات وما قبلها ومابعدها (وهذا معجز) لايضاهى وفضل فاق به نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء الا

أنّ الناس لم يشاهدوه كما شاهدوا غيره من معاجزه صلى الله عليه وسلم ولم يطّلع عليه قريش من غير اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واخبار القرآن كما اطلعوا على الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس بما أقامه صلى الله عليه وسلم لهم من البرهان ومن يصدّق الانجيل والقرآن يلزمه الاقرار به والنصرانيّ بزعمه مصدّق للانجيل فالاقرار به لازم عليه وبهذا اللزوم يلزمه الاعتراف بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان كان من المنصفين فتأمل (ومنها) أخذ الله المستهزئين من المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم بما شغلهم عنه وأزال منعهم اياه عن تبليغ رسالة ربه في ساعة واحدة وهو المشار اليه بقوله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) وهم كانوا خمسة رهط الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى بن قصيّ والأسود بن عبد يغوث الزهري والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة المخزومي والحارث بن الطلاطلة الخزاعي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا محمد ننتظر بك الى الظهر فان رجعت عن قولك والاّ قتلناك فدخل النبي صلى الله عليه وسلم منزله مغتماً فعاجلهم الله بعقوبته ورماهم بنكاله في ذلك اليوم في ساعة واحدة ورمي كلّ منهم بغير ما رمي به الآخر بعضهم بالموت وبعضهم بغيره فزال ما كان يحذره النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عليه الآيتين ومابعدها يخبره عن اذهابه شرهم وازالته كيدهم عنه وهو من المعاجز العظام

(ومنها) رميه بالحصباء في وجوه المشركين يوم بدر فاستحال غباراً كثيراً دخل في عيون القوم ومناخرهم فانهزموا وقد أشير اليه بقوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وذلك حين قابل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بدر لجيش قريش فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يناوله قبضة من حصى الوادي فناوله قبضة من الحصى فرمى بها في وجوه قريش وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاّ وشغل بعينه وفلّ جمعهم ومروا منهزمين وأردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم والروايات بذلك متواترة (وهذا معجز جليل) ودعوى النصرانيّ أنه لاتوجد في الآية اشارة الى ارتباط مافيها بالحديث تعصّب وحمق لاينبغي أن يعترض به عاقل أولا يسمع النصرانيّ قوله تعالى في الآية (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً) وقوله تعالى متصلاً بها (ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) يشير بالأمرين الى رمي نبيه الذي نسبه الى ذاته العلية وهل البلاء الحسن من الله للمؤمنين الاّ بالنصر وايهان كيد الكافرين الاّ بهزيمتهم والآيتان مشيرتان الى أن الأمرين مسببان عن الرمي المذكور فلابد أن يكون الرمي على الوجه المذكور في الحديث لأنه حصل به باشارة الآيتين غلب المؤمنين على المشركين فالآيتان تكادان أن تنطقا مصرحتين بلفظ الخبر فاعتراض النصرانيّ ساقط لااعتداد به (ومنها) ارسال الريح الشديدة على الاحزاب وهم قريش ومن معهم يوم الخندق أرسلها الله عليهم ليلاً ففروا لشدتها حتى عن بعض أثقالهم وأمتعتهم ولو أقاموا الى الصباح لهلكوا جميعاً وهو المدلول عليه بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) في خبر القصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد الى الجبل الذي عليه مسجد الفتح

اليوم فدعا الله وناجاه وكان فيما دعاه أن قال (وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ هؤُلاءِ الْقَوْمِ بِقُوَّتِكَ وَحَوْلِكَ وَقُدْرَتِكَ) فنزل عليه جبريل يخبره عن الله بأنه استجاب له وأمر الريح والملائكة أن يهزموا قريشاً والأحزاب تلك الليلة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان أن يدخل عسكر قريش ويأتي بأخبارهم وقال له ان الله عز وجلّ قد أخبرني أنه أرسل على قريش الريح وهزمهم قال فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناءً وقال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مُقام لقد هلك الكراع والخف ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل فرُدوا بغيظهم وكفى الله المؤمنين القتال فالباريء جلّ اسمه أرسل الريح على أولئك المشركين نصراً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقاً لدعوته واستجابةً لدعائه لعامه تعالى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم لايقومون بقتال أولئك القوم (وهذا) من المعاجز التي لا تباهى ومثله مثل اغراق الله فرعون وقومه في البحر لسلامة موسى وقومه من شرّهم لما رهقوهم (فهذه خمسة) من المعاجز العظام التي أظهرها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونطق بها القرآن وشاهدها الناس بالعِيان وفي بعضها مايقوم باثبات نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فما ظنك بجميعها وهي مكذبة غاية التكذيب لقول النصرانيّ وعلى التالي نحقق أن القرآن لايثبت اظهار معجزة لمحمد بل بالعكس الى آخر ماقال وقد بينا بعون الله تصريح القرآن بما سمعت من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ووكلنا ما أشار اليه القرآن اشارة خفية لايدرك النصرانيّ معناها ومالم يشر اليه بحسب ادراك البشر الى الرواية كغيرها من المطالب (فمنها) اطعامه بنى هاشم وبني المطلب بذراع جزور وفرق من لبن

(والفرق) القدح الكبير فقد اتفق أهل النقل على أنه لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) أمر عليًا عليه السلام أن يجمع له بني هاشم وبني المطلب وكانوا يداً واحدة في الجاهلية والاسلام فجمعهم عليّ بن أبي طالب وكانوا يومئذ ثلاثين رجلاً كل رجل منهم يأكل الذراع ويشرب الفرق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باحضار ذراع وفرق لهم جميعاً فأكلوا حتى شبعوا والطعام على حاله كأن لم يؤكل منه شيء وشربوا من اللبن حتى ارتووا والشراب على حاله كأن لم يشرب منه شيء فلما رأى أبو لهب بن عبد المطلب ذلك قال للقوم قد سحرنا محمد وخرجوا متعجبين ثم جمعهم من الغد على مثل ذلك وعرض عليهم بعد أن طعموا وشربوا موازرته على أمره فما أجابه منهم الا عليّ بن أبي طالب (وهذا) من الأمور الخارقة العادة قد أظهره الله على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً له

(ومنها) قصة أبي جهل وحجره في كتاب السيرة النبوية وغيره أن أبا جهل قال يوماً يامعشر قريش ان محمداً قد أبى الا ماترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا واني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدالهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عايه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من

يده وقام اليه رجال من قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامتـه ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني،وروي.أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبرئيل لو دنا لأخذه (ومنها) قصة أخرى مع أبي جهل فقد جاءت الرواية في سبب نزول قوله تعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) أن أبا جهل قال لقوم من قريش أيعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فقيل هاهو ذاك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال ان بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة فقال نبي الله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً فنزلت الآية (أقول) ولم يزد أبا جهل وأمثاله ذلك الا عتواً وذلك دليل على صدق ما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز بقوله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) واني لأعذر النصراني في جحوده لمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرها وسبقه أسلافه الى جحودها وهو مقلد لأسلافه فيما هو أعظم من ذلك قبحاً وهو اتخاذ عيسى الهاً من دون الله وكيف لا أعذره في ذلك وحاله ما ذكرنا واخوانه المشركون مثل أبي لهب وأبي جهل وأشباههما ممن هو أذكى من النصراني وأصح فهماً قد شاهدوا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ورأوها بالعيان فأنكروها وقالوا انها سحر مبين كما قدم النصراني في كلامه وسيجيء فيه أيضاً مثله فَبِئْسَمَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (ومنها) سيف عكاشة بن محصن الأسدي في كتاب السيرة وغيره

أن عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس بن عبد مناف كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقاتل بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلاً من حطب (والجذل) واحد الاجذال وهي أصول الحطب فقال صلى الله عليه وسلم قاتل بهذا ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل في الردة وهو عنده قتله طليحة بن خويلد الاسدى وهذا معجز عظيم نظير قلب عصا موسى حية (ومنها) رد عين قتادة يوم أُحُد ومن حديثه أن قتادة بن النعمان قلعت احدى عينيه يوم أُحُد بطعنة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّها وهذه المعجزة تشبه إبراء المسيح الاكمه (ومنها) اطعامه صلى الله عليه وسلم من حضر حفر الخندق من أصحابه وكانوا يقربون من ثلاثة آلاف رجل بتميرات لا تبلغ رطلا في كتب السير وغيرها عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبي ثم قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي فقال تعاليْ يابنية ماهذا معك قالت فقلت يارسول الله هذا تمر بعثتنى به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه قال هاتيه قالت فصببته في كفيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب

ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق أن هامّ الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأ كلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب (ومنها) قصة الكُدْيَة يوم الخندق في كتب السيرة وغيرها عن جابر بن عبد الله انه كان يحدّث انه اشتدت عليهم في الخندق كدية (والكدية) الصخرة الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها فوالذى بعثه بالحق نبياً لانهالت حتى عادت كالكثيب لاترد فاساً ولا مسحاة (ومنها) اشباعه صلى الله عليــه وسلم اهل الخندق بلحم عناق ومالا يبلغ صاعاً من خبز الشعير لجابر بن عبــد الله الانصارى في السير وغيرها عن جابر بن عبد الله قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عندى شويهة غير جدّ سمينة قال فقلت والله لوصنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شــعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشوينـاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قلت يارسول الله اني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي الى منزلي وانما أريد أن ينصرف معي رسول الله وحده قال فلما أن قلت له ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله الى بيت جابر بن عبدالله قال قلت انا لله وانا اليه راجعون قال فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه قال فجلس وأخرجناها اليه فبرّك وسمى ثم اكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها هذا لفظ السيرة لابن هشام وفي غيره زيادة في الخبر

فيها موضع معجزة أخرى (وحاصلها) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر آتني بالذراع فأتاه بذراع الشاة ثم لبث قليلا فقال ائتني بالذراع فأتاه بالأخرى ثم بعد ذلك قال ائتني بالذراع فذهب جابر الى التنور فوجد فيه ذراع شاة فأتاه بها ثم قال له رابعة ائتني بالذراع فلم يحتمل جابر قال فقلت يارسول الله كم للشاة من ذراع قال اثنتان قال جابر فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي قد وحقك أتيتك بثلاث فقال اما لو سكت ياجابر لأكل الناس كلهم من الذراع (ومنها) تفرق النخل عن حصن بني قريظة بدعائه في خبر غزوتهم أنه كان حول حصنهم نخل كثير فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسكره أشار الى النخل فتباعد عن الحصن وتفرق في الصحراء فأنزل النبي صلى الله عليه وسلم العسكر حول حصنهم حتى فتحه الله وهذا الخبر أغفله ابن هشام فلم يورده في السيرة وهو مثبت في بعض التفاسير المعتبرة (ومنها) نبع الماء من القليب الجاف بغرز سهم من سهام النبي صلى الله عليه وسلم في جوفه بأمره في السير والتفاسير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من المدينة الى مكة معتمراً وأخبره جبرئيل حين بلغ الى قرب مكة أن قريشاً اخرجوا له خيلاً تعارضه عدل عن الطريق حتى أتى الحديبية ثم قال للناس انزلوا قيل له يارسول الله مابالوادي ماء ينزل عليه فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن وبقوا يأخذون حاجتهم منه الى أن رجعوا بعد مصالحة النبي قريشاً وكانوا خمسة عشر مائة قال جابر ولو كنا مائة الف لكفانا (ومنها) تفله في عين ابن عمه علي بن ابي طالب وهو أرمد لايبصر من شدة الرمد فبرئت عينه من وقتها ولم ترمد بعد قط حتى قبض وذلك يوم خيبر ومن

حديثه أن ابا بكر أخذ الراية يوماً فى خيبر ومضى بها فرجع ولم يصنع شيئاً ثم أخذها من الغد عمر فمضى بها فرجع ولم يصنع شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لايرجع أو يفتح الله على يديه فلما اصبح دعا بعلي فجيء به اليه وهو يقاد لايستطيع ان يفتح عينيه من الرمد فتفل فى عينيه فزال مابهما من الرمد الشديد فى الحال واعطاه الراية فمضى بها وفتح الله على يديه حصون خيبر (ومنها) انه صلى الله عليه وسلم دعا لعليّ بن ابي طالب عليه السلام يوم خيبر أيضاً أن لا يمسه ألم الحر ولا ألم البرد فما أصابه ألم واحد منهما حتى قبض فكان ربما خرج على الناس في شدة الحر وعليه القباء الثخين وفي شدة البرد وعليه قميص واحد رقيق (ومنها) ان الناس بالمدينة اجدبوا فسألوه صلى الله عليه وسلم أن يستسقي لهم فقام ودعا الله فما استتم دعاءه حتى تراكم السحاب وانهمر الغيث وبقي سبعة ايام حتى خشي الناس على انفسهم واموالهم الغرق فأتوه يسألونه اذهابه عنهم فقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم اصرفه الى اهل الوبر من ربيعة ومضر وأشار بيده الشريفة الى الغيم المتراكم فتقشع من حينه ومضى مصروفاً الى حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنها) تكليمه الغزالة (ومنها) تكليمه الذئب (ومنها) تكليمه البعير (ومنها) حنين الجذع اليه (ومنها) تسبيح الحصى في كفه وتفصيل هذه الخمسة مذكور في كتب الاخبار والسير والتفاسير وغيرها ولتواتر الاخبار بها ذكرها المتكلمون فى كتب الكلام محتجين بها على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع القرآن وغيره من معاجزه صلى الله عليه وسلم فهذه جملة من معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفعلية وهي تزيد فى العدد على معاجز موسى وعيسى عليهما السلام

وأما معاجزه القولية وهي اخباره بالمغيّبات (فمنها) اخباره قريشاً بأن العير تقدم عليهم عند طلوع الشمس يقدمها جمل أورق عليه غرارتان الى آخر ما أوردناه في خبر الاسراء المتقدم (ومنها) اخباره أن الأرضة أكلت من صحيفة قريش ما فيه ظلم وقطيعة رحم وأبقت ما فيها من أسماء الله تعالى ومن حديثها أن قريشاً كتبوا فيما بينهم صحيفة بأن لايبيعوا بني هاشم ولا يبتاعوا منهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم أو يدفعوا اليهم محمداً ليقتلوه ودفنوها في الكعبة فقام أبو طالب ومن معه من بني هاشم بحماية النبي صلى الله عليه وسلم فبقوا محصورين في الشعب نحواً من ثلاث سنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً لعمه أبي طالب وهم في الحصار ياعم إن الله سلّط الأرض على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلمّ صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وأنزلوا عما فيها وان كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرًّا (ومنها) اخباره قريشاً وهو في مكة وهم يؤذونه ويكذّبونه بأن الله سيظهره عليهم فيوسعهم قتلاً وأسراً فكان ذلك في بدر كما أخبر (ومنها) انه أخبر قريشاً وهو في مكة ان الله سبحانه سيظهر له دينه حتى يبلغ ملكه منقطع الخف والحافر فكان الأمر كما قال فانه لم يمض الا برهة من الزمان حتى فتح الله على المسلمين أكثر ممالك العالم وملّكهم أكثر أقطار الأرض من المشرق والمغرب والشمال والجنوب وفشا الاسلام وانتشر وامتد صيته في البلاد البرّية والبحرّية حتى بلغ من الانتشار الى ما هو الآن مشاهد في جميع الأقطار والحمدلله

على تأييده لهذا الدين القويم (ومنها) قوله صلى الله عليه وسلم لأُبيّ بن خلف الجمحي في مكة قبل الهجرة حين هدّده أُبيّ بالقتل بل أنا أقتلك فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده مبارزة يوم أُحُد كما أخبر (ومنها) اخباره بقتل جماعة من قريش شربوا من الحوض الذي بناه أصحابه على بئر بدر وقال أنهم يقتلون جميعاً الاّ حكيم بن حزام فقتلوا عن آخرهم الاّ حكيما فانه بقي حتى أسلم وعاش الى عام ستين من الهجرة فكان حكيم بعد اسلامه اذا جهد في يمينه قال لا والذي نجّاني من ماء بدر (ومنها) اخباره لعمير ابن وهب الجمحي أنه جاء ليقتله وأن الله مانعه منه ومن حديثه أن عميراً قال يوماً لصفوان بن أميّة بن خلف الجمحي وكان يومئذ سيّد بني جمح وذلك بعد وقعة بدر بأيام لولا دَين عليّ ليس له عندي قضاء وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى أقتله فان لي قِبَلهم علة ابني أسير في أيديهم فاغتنمها صفوان منه وتحمّل له قضاء دينه والقيام بعياله بعده فقال له عمير فاكتم عني شأني وشأنك ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُم ثم انطلق حتى قدم المدينة وأناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ثم أُدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما جاء بك ياعمير قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما بال السيف في عنقك قال قبّحها الله من سيوف. وهل أغنت عنا شيئاً قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بدَينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره

الا أنا وصفوان فوالله اني لأعلم ما أتاك به الاّ الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هـذا الساق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه فقّهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم قبل مخرجه الى احُد بأنه يقتل رجل من اهل بيته ويقتل جماعة من أصحابه فى تلك الحرب فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقتل من أهل بيته عمه حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء رضي الله عنه وقتل من أصحابه قوم صالحون من المهاجرين والأنصار (ومنها) قوله لعليّ بن أبي طالب يوم احُد بعد انجلاء الهيجاء ان قريشاً لن يصيبوا منا مثلها بعد هـذا حتى يفتح الله علينا مكة فكان الأمر كما قال فانه لم تصب قريش من أصحـاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحـد مثل ما أصابت منهم يوم أحـد وما زال أمر النبي صلى الله عليه وسلم يعلو عليهم حتى غزاهم في عقر دارهم ومحل قرارهم ولم يستطيعوا دفعـه عن بلادهم بل استأسروا له راغمين فمنّ عليهم بعميم احسانه فأطلقهم من حبالة القتـل وأعتقهم من رقّ الأسر وناداهم وهم مرعوبون أخرجوا فأنتم الطلقـاء وذلك يوم فتح مكة في ثامنـة سنيّ الهجرة. (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم يحفرون الخندق بأن الله يفتح عليه اليمن والشام والمغرب والمشرق في السير والتفاسير عن سلمان الفارسي قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله صلى الله عليـه وسلم قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحتـه برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحتـه برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد

رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال أما الأولى فان الله فتح عليّ بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح عليّ بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح عليّ بها المشرق (أقول) فكان الأمر كما أخبر على التفصيل فان أول مافتحت من البلدان المذكورة اليمن فتحت على عهده صلى الله عليه وسلم وفتحت بعدها الشام والمغرب وفتح بعد الشام المشرق في مدة قليلة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم (ومنها) قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما رجع الأحزاب خائبين الآن نغزوهم ولا يغزونا فكان الأمر كما قال فان قريشاً بعد ذلك لم يرجعوا الى غزو المدينة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجّه الى مكة عام الحديبية فصالحوه وهادنوه ثم دخل مكة من قابل مع أصحابه آمنين ثم فتحها بعد ذلك العام (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يفتح الله على يديه خيبر فكان ذلك (ومنها) قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قبيل الفتح ان أبا سفيان يأتيكم ليزيد في المدة فلم يلبثوا ان جاء أبو سفيان يطلب الزيادة في مدة الهدنة التي عاقدهم النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عليها وذلك بعد غدر أبي سفيان وقريش ونقضهم العهد باعانتهم بني بكر على خزاعة وخزاعة قد دخلوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده فلم ينل أبو سفيان ما جاء له من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع مخزيّاً (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل مسيرهم الى فتح مكة وهم يتجهّزون للمسير انه يصير بينهم وبين قريش دماء قليلة فكان الأمر كما اخبر صلى الله عليه وسلم فانه وقع بين بعض كتائبه حين دخولهم مكة وبين قوم من قريش قعدوا بالخندمة ليردّوا النبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم عن دخول مكة مناوشة قليلة وقتل بعض المشركين وانهزم الباقون وقد ملكهم الرعب وجلّلهم الخوف وحديثهم في خبر

الفتح مشروح (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم يوم هوازن بقتل ذي الخويصرة حرقوص بن زهير السعدي واصحابه مارقين من الدين خارجين على خير فرقة من الناس وحديثه مذكور في السير وكتب الحديث كصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الاخبار ومضمونه ان ذا الخويصرة قام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم هوازن فقال اعدل يا محمد فانك لم تعدل وكرّر ذلك ثلاثا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم في الثالثة تربت يداك فمن يعدل اذا لم اعدل انا فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله انه نافق فمرني اضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحاباً يحقر احدكم صلاته عند صلاتهم وقراءته عند قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالحق آيتهم المخدّج يعني ذا الثدية فكان الأمر كما اخبر صلى الله عليه وسلم فان الرجل المذكور واصحابه خرجوا على امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب بعد حرب صفّين فقتلهم عليّ عليه السلام في النهروان واستخرج المخدج من الماء مقتولاً حتى نظر اليه الناس من عسكره وكانوا مائة الف او أكثر فكبّر أمير المؤمنين عليه السلام حين استخرجه من الماء بعد تعب شديد وكبّر العسكر فرحاً وسروراً بما شاهدوه من صدق خبر النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم عامل كسرى ملك الفرس على اليمن ان الله وعده أن يقتل كسرى فكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ومن حديثه أن كسرى كتب الى باذان عامله على اليمن انه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والاّ فابعث اليّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى

في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبياً فسيكون ماقال فقتل كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل على يدي ابنه شيرويّة فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معـه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت رسله وهم من الفرس الى من نحن يارسول الله قال أنتم منا والينا أهل البيت (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقاتل بعده على تأويل القرآن كما قاتل هو صلى الله عليه وسلم على تنزيله فكان الأمر كما أخـبر (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أن علي بن أبي طالب عليه السلام يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الأمر كما قال فقاتل أمير المؤمنين عليّ الفرق الثلاث وقتاله معلوم (ومنها) اخباره أن بعض أزواجه وأشار اليها تخرج الى قتال ابن عمه عليّ وهي ظالمة له وأنه ينبحها في طريقها كلاب الحوءب وأنه يقتل حولها قتلى كثير وأنها تنجو من القتل بعد ما كادت تقتل فكان الأمر كما أخبر فخرجت عائشة بنت ابي بكر على عليّ عليه السلام ونبحها في طريقها الى البصرة كلاب الحوءب (اسم موضع) وقتل حولها خلق كثير في حرب الجمل عدتهم عشرة آلاف رجل وفي رواية ستة عشر الفاً ونجت هي من القتل بعد ما كادت تقتل (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية وهو يدعوهم الى الجنة وهم يدعونه الى النار ويكون آخر زاده ضياحاً من لبن فقتله اصحاب معاوية بصفين وهو مع علي بن ابي طالب وكان آخر زاده من الدنيا ضياحاً من لبن (والضياح) اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخبط (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن وصيّه علي بن ابي طالب عليه السلام يقتل في شهر رمضان يضرب بالسيف على رأسه في سجوده وهو صائم

فكان كما قال فان علياً قتل فى شهر رمضان ضربه رجل من الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي على رأسه بالسيف فى اول سجدة من صلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان وتوفى منها ليلة احدى وعشرين من الشهر المذكور وهذا من الأمور المحققة (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أن ابنته فاطمة أول اهل بيته لحوقاً به فكان كذلك فانها عليها السلام توفيت بعده بأربعين يوماً او خمسة وسبعين يوماً او ستة اشهر على اختلاف الروايات ولم يتوف من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعده احد قبلها (ومنها) اخباره ان الحسن بن علي وهو ابن بنته فاطمة يصلح الله به بين فئتين عظيمتين فتم ذلك بمصالحة الحسن لمعاوية بن أبي سفيان وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة (ومنها) اخباره بأن الحسن بن علي يموت مسموماً فكان كذلك سمته زوجته جعيدة بنت الأشعث بن قيس غيلة بأمر معاوية على مال كثير بذله اليها وعلى أن يزوجها من ابنه يزيد (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن ابن بنته فاطمة وهو الحسين بن علي يقتل بالعراق في أرض تسمّى كربلا فكان الأمر كما أخبر فقتل الحسين عليه السلام في كربلا سنة احدى وستين من الهجرة (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم أن أهل بيته يُظلمون ويُضامون من امته بعده فكان الأمر كما قال فقد جرى على أهل بيته من بعده من الأمة من القتل والأسر والتشريد والتطريد والاضطهاد ما اشتهر وشاع (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم عن ملك آل أبي العاص بن امية لأمته اذا بلغوا ثلاثين رجلاً أو أربعين رجلا على اختلاف الروايات في العدد فملكوا الأمة مدة طويلة وغلبوا كل من نازعهم حتى لو طاولتهم الجبال في مدة ملكهم لطالوا عليها وكان اولهم مروان بن الحكم بن أبي العاص وآخرهم

ضروان بن محمد الملقب بالحمار (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بملك بني عمه العباس بن عبد المطلب لأمته واضطهادهم لذريتـه من فاطمة ابنتـه فكان الامر كما قال فملك منهـم أربعون رجلاً وكان ظلمـهم واضطهادهم لذرية فاطمة معروفاً مشهوراً (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته بعده الى نيف وسبعين فرقة فكان الأمر كما ذكر صلى الله عليه وسلم وافترقت الامة الى هـذا العدد المذكور (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن الامة تفترق في ابن عمه علي ابن أبي طالب ثلاث فرق فرقة تغلو فيه وتتخذه ربّا كما قالت النصارى في المسيح فتهلك وفرقة تبغضه وتعاديه كما عادت اليهود المسيح وأبغضته فتهلك وفرقة تقول فيه ماقاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيه من الامامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والتفضيل على الأمة فتنجو فكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم افترقت الأمة في أمير المؤمنين الى هذه الفرق الثلاث وهم موجودون الى الآن (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بزوال ملك الفرس وبقاء ملك الروم وهم بنو الأصفر مستمرا حتى يظهر المهدي عجل الله فرجه وينزل عيسى بن مريم من السماء ظهيراً له وهكذا كان الأمر فان ملك الفرس زال بعده صلى الله عليه وسلم بمدة يسيرة وصارت ممالكهم في أيدى المسلمين الى هذه الغاية والروم قد بقي ملكهم الى اليوم وانما ارتفعت ايديهم عن بعض البلاد التي غلبهم عليها المسلمون كالشام وغيرها (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن قوماً من أصحابه يرتدّون بعد وفاته عن الدين القهقرى وأنهم يوم القيامة يؤمر بهم الى النار فكان الامر كما قال فارتد قوم من الأصحاب ناكصين على الاعقاب كما ارتد من قبلهم من أمم الانبياء بعد أنبيائهم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه اذا مضت المائة

من هجرته لايبقى أحد ممن رآه فكان كذلك فانه لم يبق الى بعد المائة من الهجرة أحد ممن رآى النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم توفوا قبل ذلك (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم عليًا بأنه يتزوج بعده الحنفية وانها تلد له ولداً وأمره أن يسميه محمداً ويكنّيه بأبي القاسم فكذلك كان الأمر والى هذا المعنى يشير قول خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين يوم حرب الجمل يمدح محمّد بن على رضى الله عنه

مُحَمَّدُ مَافِي عَوْدِكَ الْيَوْمَ وَصْمَةٌ
وَمَا كُنْتَ فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُعَرِّدَا
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَرْكَبِ الْخَيْلَ مِثْلُهُ عَلِيٌّ وَسَمَّاكَ النَّبِيُّ مُحَمَّدَا

الى آخر شعره رضى الله عنه (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم الانصار انهم يلقون بعده شدة فكان الامر كما قال وعظم ذلك في زمان معاوية ويزيد (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن أمته تحذو حذو بني اسرائيل وحذو من كان قبلهم من الأمم النعل بالنعل والقذة بالقذة وكذلك كان الأمر فان هذه الأمة قد حذت بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الاختلاف والفرقة وارتكاب المعاصي والاحداث في الدين والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم حذو الأمم السالفة من اليهود والنصارى وغيرهم في ذلك كله قد رؤي ذلك بالعيان المستغني عن البيان في كل وقت وزمان (فهذه) جملة وافرة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفعلية والقولية التي ظهر تبيانها وسطع برهانها وببعضها يحصل الغرض المقصود ويتحقق الامر المطلوب فما ظنك بجميعها وماطوينا ذكره من معجزاته صلى الله عليه وسلم من القسمين روماً للاختصار واحترازاً عن التطويل اكثر واذا ضم مانسقناه هنا من معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الى ماقدمناه منها متفرقاً من القرآن وغيره بلغ عدداً كثيراً يزيد على معاجز جميع الانبياء في العدد من لدن آدم الي المسيح بن مريم فاندرى كم يريد النصراني من معجز لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نعلم عدده ونأتيه به وما أراه الا معرضاً عن اليقين معتمداً على الوهم والتظنين (وهذه المعجزات) منها ماشاهده سمعاً أو رؤية مئآت من الناس ومنها ما شاهده ألوف ورواها المشاهدون الى من بعدهم ولم تزل يرويها السابقون للاحقين طبقة بعد طبقة حتى وصلت الينا متواترة النقل معلومة الوقوع ثابتة الصدور عرفها عوام المسلمين اجمالاً وعرفها علماؤهم تفصيلاً يعني عرفوا مواضعها وأسباب وقوعها وانما أوردها المصنفون بطرق قليلة قصداً للاختصار وحرصاً على سرعة جمعها لأن مؤلفي الكتب لوذهبوا يروون كل معجزة من هذه المعجزات عن كل من يرويها في زمانهم عن كل من رواها له وهكذا الى أن تنتهى الى مشاهديها لاحتاج أسانيد كل معجزة منها الى كتاب كبير الحجم فربما يفنى عمر المؤلف ولم يجمع منها الا يسيراً فيفوت الغرض المطلوب من جمعها وتسهيل الاطلاع على محالها وأسبابها لمن يأتي بعدهم لا لأنها لم تروَ الا من تلك الطرق القايلة ولم تعرف الا منها ولو فرض ذلك لم يكن قادحاً في لزوم الاعتماد عليها لعدم التعارض والتخالف فيها وليست تقصر عن أخبار المؤرخين ورواياتهم التي يحصل بها العلم ويعتبرها العقلاء بل هي فوق هذا بمراتب اذا تأمل فيها ناظر غير معاند ولا مشاغب (ومن هذا) يعلم بطلان قدح النصراني فيها بقوله الا أن المسلمين يدعون بأنه ظهر على يد محمد كثير من الآيات العجيبة والمعجزات الغريبة معتقدين بها مستندين على الأحاديث ولكن الأحاديث لايمكن الوثوق بصدقها وصحتها وذلك لأن رواتها الأصليين هم من أزواج محمد

وأنسبائه وأصحابه فلا تخلو من الشبهة والريب فلو ثبت أن رواتها لم ينقلوا عن محمد الاّ ما رأوه وسمعوه منه وذلك على منهاج تاريخ صحيح صادق خالٍ من الغرض لكانت تعتبر حق الاعتبار الاّ ان صاحب العقل والبصيرة اذا تأمّل في مواضيعها وأمعن النظر في معانيها لايمكنه أن يثق بصحتها بل يشك مرتاباً بصدق رواتها وناقليها الى هنا كلامه (وأقول) انا قد بيّنا فيما ذكرنا من محالّ تلك المعجزات وأسبابها أن الفعل والقول من النبي صلى الله عليه وسلم وقعا بمشاهدة جماعات من الناس ولم يقعا مخفيّين بينه صلى الله عليه وسلم وبين واحد أو اثنين من أزواجه وأنسبائه كما زعم الخصم بغير مستند ولا حجة على أنه لو منع من صحة الأحاديث الواصفة لمعاجز نبينا صلى الله عليه وسلم كون رواتها أنسباءه وأصحابه لامتنع صدق معجزات موسى وعيسى وصحتها لأن رواتها أصحابهما ومن خالفهما لايرويها ولا يلتفت اليها فلو قال وثنيّ للنصراني ان موسى وعيسى ليسا بنبيّين لأنهما لم يظهرا معجزاً فذكر النصراني لأخيه الوثني معجزاتهما فقال الوثني هذه كلها انما يرويها أصحابهما فلا يمكننا أن نثق بصحتها فماذا يجيب النصراني أخاه ويدفع سؤاله واللازم عليه على ما أصّله هنا أن يصحح قول الوثني ويوافقه على دينه فما أدري من اي وجهٍ انتفى امكان وثوق النصراني بصحة أحاديث معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن أي وجهٍ ارتاب في صدق رواتها وناقليها مع ان اللازم عليه بمقتضى ما علّل به نفيه وارتيابه انكار نبوة موسى وعيسى وعلى ما ذكره من حديث التاريخ الصحيح يلزمه الاقرار بمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنها أشهر من أحاديث التواريخ التي يشير اليها مع أن اهل التواريخ رووها في تواريخهم ان كان يريد تواريخ المسلمين وان أراد غيرهم فأهل الأوثان

لم يرووا معاجز أحد من الأنبياء أصلاً واليهود لم يرووا لعيسى معجزة رأساً ومن المعلوم أنه لا يلتفت اليهم في تصحيح نبوة عيسى ومن قبله فما أراه صنع بتمويهه شيئاً واذا عرفت هذا فاعلم أن كلامه باطل مردود من أصله بوجوه (الاول) ان يقال له انك اذ نفيت امكان الوثوق بأحاديث أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن معاجزه وارتبت فيها لأن رواتها أصحابه وأنسباؤه فأخبرنا هل شاهدت أنت أو من سبقك من آبائك وأصحابك بمئات من السنين معاجز المسيح حين أظهرها فان قال نعم فقد أبطل يقيناً وان قال لا قلنا له فمن أي وجه ثبتت عندك أليس ذلك من جهة رواية من قبلك من أصحابك عمن كان قبلهم حتى ينتهي ذلك الي أصحاب المسيح وخواصه المتهمين بالغرض في روايتهم ذلك عنه عند منكري نبوته مثل اليهود والوثنيين (الثاني) ان يقال له اخبرنا هل شاهدت نزول الانجيل من السماء على عيسى ورأيته نازلاً حين نزل عليه فان قال نعم فقد أحال وان قال لا قلنا له فمن أي طريق صح عندك أن عيسى نزل عليه الانجيل أليس ذلك من طريق رواية أصحابك عن أصحاب عيسى وتلاميذه الذين يرمونهم اليهود بالكذب فيما يحدثون عن عيسى (الثالث) ان يقال له هل شاهدت عيسى وسمعت تعاليمه التي تذكرها في كتابك فان قال نعم فهو من الكاذبين وان قال لا قلنا له فمن أين ثبتت عندك أليس ذلك من جهة رواية أصحابك عمن كان قبلهم عن أصحاب عيسى الذين ينكر اليهود وأهل الأوثان صدقهم (الرابع) ان يقال له هل شاهدت من تنسبهم الى صحبة عيسى والتلمذ على يديه فرأيتهم مع عيسى مصاحبين له وسمعته يتلو عليهم كتابه ويلقي اليهم تعاليمه فان قال نعم فقد كذب وان قال لا قلنا له فمن أي وجه علمت أن فلاناً وفلاناً وفلاناً هم أصحاب عيسى وتلاميذه أليس ذلك من جهة رواية

أصحابك النصارى عمّن كان قبلهم وهكذا (الخامس) ان يقال له هل شاهدت يوحنّا ومتّى ولوقا وغيرهم من جامعي كتب النصارى التي تسمّى عندهم بالانجيل فرأيتهم حين كتبوها وشاهدت نقلهم اياها من أصل الانجيل فان قال نعم فقد افترى وقال زوراً وان قال لا قلنا له فمن أين ثبت عندك أن هذا الكتاب كتبه يوحنّا وهذا كتبه متّى وهذا كتبه لوقا وذاك كتبه بولس وذلك كتبه فلان الى آخرها وأنها نسخت من أصل الانجيل وأنت لم تشاهدهم يكتبونها ولا رأيت أصل الانجيل قطّ أليس ذلك من جهة رواية أصحابك عن سابقيهم عن أولئك القوم في دعواهم لهم أنهم كتبوا تلك الكتب على أصل الانجيل (وهكذا) نقول له في شأن معاجز موسى وكتابه وتعاليمه وأصحابه كما قلنا له في شأن عيسى حرفاً بحرف ثم نقول له بعد ذلك كلّه اذا أنفت الوثوق بالأحاديث وارتبت في صحتها لكون رواتها أصحاب المرويّ عنه وأنسباءه فمن أي طريق تأخذ دينك وتثبت معاجز ربّك عيسى والنبي موسى وكتابيهما وتعاليمهما وكتب أصحابهما وتصحّح ذلك كلّه وأنت لم تشاهد شيئاً من ذلك ولا شاهده أبوك ولا جدّك وانما جاءتك به الروايات ووردت عليك به الأحاديث عن خواصّ عيسى المتّهمين فيه عند منكريه وعن خواص موسى وأنسبائه والأقربين اليه من بني اسرائيل المتّهمين فيه أيضاً عند جاحديه من أهل الأوثان وغيرهم فما بالك أمكنك الوثوق بصحة أحاديث أصحاب عيسى وخواصّه عنهم وأحاديث أصحابهم وخواصّهم عنهم طبقة بعد طبقة مع اختلافها في المعنى وتضمّنها لصريح الكفر والشرك وأمكنك الوثوق بأحاديث أصحاب موسى وأنسبائه عنه وأحاديث أصحابهم وأنسبائهم عنهم طبقة بعد طبقة أيضاً ونفيت عن الكل التهمة والغرض وعن نفسك في تصحيح أحاديث

جميعهم الشك والريب وجعلتها كأحاديث تاريخ صحيح بهوى نفسك ولم يمكنك الوثوق بصحة أحاديث أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأنسبائه عنه مع اتفاق معانيها ومطابقة كلٍّ منها في المفاد للآخر حتى كأنها قول واحد وأثبتَّ لنفسك الشك والريب في صحتها والأمر في الجميع واحد أليس هذا منك تعصباً ظاهراً وعناداً بيّناً ثم لم ترض دون أن ادعيت ان التأمل في معانيها يوجب الارتياب فيها وأي معنى من معاني أحاديث معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم يوجب الشك والارتياب في صدق ناقلها ووثاقة رواتها أخبرنا به ودلّنا عليه حتى نعرفه والاّ فأنت كذاب مفتري فما زدت بقولك كلّه على أن قويّت شبهة أهل الأوثان في ابطال نبوات الأنبياء وشبهة اليهود في ابطال نبوة ربّك عيسى لأن كل ما أوردته على أحاديث معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو وارد لهم على أحاديث معاجز من قبله من الأنبياء وكتبهم جميعاً فبئس ما دبّرت لنفسك وجئت به لنصر دينك وينبغي أن يقال فيك ما قال الأول

لا يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

فأنت والله الجاهل الصرف (والحاصل) أنا اذا أسقطنا الاعتماد على الأحاديث رأساً وفتحنا عليها باب التوهمات والتشكيكات من جهة أن رواتها أصحاب المرويّ عنه أو أقاربه لم تثبت نبوة نبي قط الأعلى من شاهد معجزه ومن غاب عن معجزه حين اظهاره ولم يطّلع عليه الاّ من طريق الرواية سواء كان في عصره أو بعده بزمان طويل أو قصير لم تثبت عليه نبوته لأن كل انسان يتمكّن اذا سمع الأحاديث من أن يقول ماقاله النصراني ان هذه الأحاديث يرويها أصحاب ذلك المرويّ عنه وأنسباؤه والتأمل في معانيها يوجب الشك والريب في صدق رواتها وناقليها وليست على منهاج تاريخ صحيح خال من الغرض فأنا أشك في صحتها فلا تلزمه حجّة

ذلك النبي فتبطل نبوات جميع الأنبياء بأسرها وهذا مما يحكم كل عاقل ببطلانه وفساده فلم يبق اذاً الاّ جحود جميع الأنبياء لمن لم يشاهد معاجزهم أو الاعتماد في العمل على ما يرويه ثقاة أصحابهم بعدوا عنهم في النسب أو قربوا وعلى ما تواتر عنهم أو اشتهر والكفر بالأنبياء غير جائز حتى عند الخصم فلم يبق الاّ الاعتماد على أحاديث الثقاة ولا طريق لنا في معرفة ما غاب عنّا سواه وبذلك دحضت حجة النصراني وزالت شبهته (واذا) تحققت ما حققناه فاعلم ان العلم بالشيء يحصل بطرق (الأول) المشاهدة وتكون بالحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وبكل حاسّة منها يعلم نوع من المحسوسات (الثاني) الوجدان ويكون بالحواس الباطنة كعلمنا بالجوع والشبع والعطش والريّ عند عروضها وما جرى هذا المجرى (الثالث) التجربة وبها يُعلم طبائع الأدوية والأغذية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وضارّها ونافعها وأخلاق الناس (الرابع) العقل وبه تعلم نسبة المحمولات الى موضوعاتها واللوازم الى ملزوماتها كعلمنا بأن الواحد نصف الاثنين وأن الكل أعظم من الجزء وأن كل متغيّرٍ حادث وأن كل حادث مفتقر في حدوثه الى صانع وأن وجود المعلول يقتضي وجود العلّة ووجود المسبب يقتضي وجود سببه وأمثال هذه الأشياء (الخامس) العادة الجارية كعلمنا بأن كل انسان متولّد من ذكر وأنثى وأنه يأكل ويشرب وينام وأن كل من أكل وشرب من الحيوان بال وتغوّط وأن كل ذي حياة زائدة على ذاته يموت وأن الجماد كالحجر مثلاً لا ينقلب انساناً عاقلاً كاملاً وأشباه ذلك ولذلك حكمنا في عيسى بن مريم اذ كان من غير أبٍ بخرق العادة كما نحكم بخرقها في معجزات الأنبياء (السادس) الخبر المتواتر وهو خبر جماعة يفيد بنفسه العلم بمعنى أنه يحصل للسامع العلم واليقين عند سماعه من دون

توقف على شيء آخر كعلمنا بوجود البلدان النائية عنا وبالحوادث التي لم نشاهدها بسبب تواتر النقل بها ويشترط في افادته القطع شروط (الاول) أن يكون اخباراً عن محسوس (الثاني) أن يكون رواته بالغين عدداً يعلم به عدم تواطئهم على الكذب عادة ولا تحديد لعددهم والتحديد ببلوغهم عدة أهل بدر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً مضعف عند أكثر المحققين من الأصوليين (الثالث) أن يبلغ الناقلون في كل طبقة العدد المعتبر في التواتر فمتى اختل شرط من هذه الشروط خرج الخبر باختلاله عن التواتر واشترط بعض اصحابنا (رابعاً) وهو أن لا تسبق الى النفس شبهة تمنع من حصول القطع بالخبر وهذا في الحقيقة كالمعلوم بالوجدان فانّ سبق تلك الشبهة وان لم يمنع تواتر الخبر لكنه يمنع من حصول القطع به للسامع ويوجب توقفه وتردده فالقول باشتراطه ظاهر الصحة وقد يكون التواتر معنوياً بأن ترد أخبار آحاد كثيرة مختلفة الموارد تفيد معنى واحداً فيحصل منها العلم بذلك المعنى كما اذا أُخبرنا عن رجل بأنه قتل في موقف كذا فلاناً الشجاع وأُخبرنا عنه أيضاً أنه قتل في حرب كذا فلاناً الفارس وكثرت عنه الأخبار بمثل ذلك في مواضع متعددة فانا نعلم من جميعها شجاعته العظيمة لاتفاق كل تلك الأخبار على هذا المعنى (السابع) الشهرة ومثلها الشياع والمشهور هو خبر جماعة يؤمن عليهم التواطؤ على الكذب وهكذا الشائع ولا يشترط في التواتر ولا الشهرة والشياع وثاقة الناقلين لأن حصول العلم مستند الى صفة الخبر لا الى نفس المخبرين (الثامن) خبر الآحاد اذا حفّ بقرينة تدل على صدقه كما اذا أُخبرنا بموت انسان مثلاً فسمعنا الواعية (١) في داره وصراخ نسائه وبكاء أولاده وأقاربه

(١) في القاموس والواعية الصراخ والصوت لا الصارخة ووهم الجوهري اهـ

فانه يحصل لنا العلم بوقوع المخبَر به والقدح في مثل هذا بانكشاف خلاف الخبر أحياناً ضعيف لأن وقوع ذلك في غاية الندرة ولندرته لايخطر ببال سامع الخبر بعد مشاهدة القرينة فلا يحصل له التوقف والتردد في وقوع المخبر به ولا يشترط كون المخبر ثقة لأن العلم يحصل من القرينة لامن مجرد الخبر وقد يحصل العلم من خبر الواحد اذا كان راويه ثقة مأموناً معروفاً بالحفظ والضبط لم يجرّب عليه كذب ولاكثرة اسيان لأنا نجد من أنفسنا زيادة الاطمئنان والركون الى خبر من كان بتلك الصفات حتى يبلغ بنا الأمر الى تكذيب من يخبرنا بخلاف خبره الاّ أن هذا غير مطرد في جميع الموارد ولا طريق لمن لم يصحب الأنبياء ويشاهد معجزاتهم يعلم منه وقوع المعجزات منهم واظهارهم اياها الاّ الطريق السادس والسابع والثامن وهي الأحاديث المتواترة أوالمشهورة أو المحفوفة بالقرائن وهذا مما لايرتاب فيه ذو بصيرة واكثر الأحاديث الحاكية لمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من القسم السادس وبعضها من القسم السابع فلا يتوجه القدح فيها بأن رواتها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانسباؤه كما قال النصرانيّ لأن مرجع حصول العلم منها الى نفس التواتر أوالشهرة لا الى نفس المخبرين هذا مع ان رواة المعظم منها ممن عرف صلاحهم ووثاقتهم في دينهم وتحرّجهم من الكذب ولم يجرّب أحد عليهم كذباً ولا تزويراً فلا عذر لأحد في الترديد والتشكيك فيها والواجب عقلاً وشرعاً على سامعها القبول لحصول العلم له بمضمونها مالم يكن متعصباً أو معانداً لأن التواتر والاشتهار قدصيّراها كالمشاهد المسموع أو المرئي ولو فرض أن القليل منها آحاد فهو محفوف بالقرينة وذلك أنه قد حصل القطع لكل من بلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد صدّقه لمّا ادعى النبوة جماعات من الناس وهم

المهاجرون والأنصار وتركوا لتصديقه ما ألفوه ووجدوا عليه آباءهم وعشائرهم من الدين وترك المألوف من أشد الأمور على النفوس ولم يكن ذلك من شدة شوكة له حينئذ ولا غلبة له عليهم بجند ولا ترغيب منه لهم ببذل مال ولا عظيم جاه في ذلك الوقت بل باختيار منهم ورغبة ومع ذلك فقد نابذوا جميع العرب في نصرته وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة ونصبوا لهم الحرب وقاتلوا عشائرهم وقتلوا في طاعته واجابة دعوته حلفاءهم وأقاربهم الأدنين ولم يبالوا في ذلك بذهاب أموالهم ولا بتلف نفوسهم وهم كانوا أصحاب عقول صحيحة وأذهان ثاقبة وبصائر نافذة كما علم من حالهم فان العاقل المنصف اذا تأمل في ذلك علم منه يقيناً أن القوم لو لم يشاهدوا من النبي صلى الله عليه وسلم المعجزات العظيمة الدالة على صدق نبوته ولو لم يعاينوا منه البراهين الظاهرة الموجبة لصحة رسالته لما تركوا الدين الذى ألفوه ووجدوا عليه قومهم وآباءهم ومن كان قبلهم من أسلافهم وأشياخهم ولما تحمّلوا هذه المشاق الشديدة وصبروا في أول الأمر على الاضطهاد العظيم وخاضوا في غمرات تلك الأهوال الصعاب واصطلوا بنيران تلك الحروب التي تبلغ منها القلوب الحناجر في اجابته واعلاء كلمته مع تمكنهم من الراحة والدعة بالبقاء على دين آبائهم وموافقة أقوامهم خصوصاً المهاجرين من قريش وحلفائهم فانهم في حرم معظّم وأمن لا يخافون فيه أحداً وكذلك الأنصار فانهم كانوا في منعة وعزة لم يطمع في غزوهم أحد من العرب ولم يعرض لهم فى بلادهم قوم سواهم بحرب ولا منابذة قبل اتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم ففي عدول الفريقين عن الراحة والمألوفات واحتمالهم المكاره والمشقات فى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه أقوى قرينة على مشاهدتهم منه اظهار المعجزات وأنهم لم يتبعوه بمجرد دعواه النبوة فقط.

من دون حجة قائمة وبينة عادلة وهذا بحمد الله واضح لدى كل ذي فهم ذكي وان خفي على النصراني المتعصّب الغبيّ فقبول ذلك البعض من تلك الأحاديث لازم وان كانت آحاداً لأنها قد حفّت بهذه القرينة القوية الظاهرة فلا عذر لأحد في ردها ولا في الارتياب فيها كما فعل الخصم المعاند ولا يعترض على هذا بمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم وخالفه وقاتله لأنه قد علم من حالهم أن بعضهم دعاه الى ذلك الحسد كبعض قريش وجماعة من اليهود وبعضهم دعاه الى ذلك التكبر والأنفة من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم كرؤساء قريش وأشراف العرب من غيرهم وبعضهم دعاه الى ذلك حب الجاه ومايصل اليه من الاموال من الملوك وغيرهم كبعض النصارى وبعض اليهود وأكثر أولئك دعاهم الى ذلك حب ما ألفوه ووجدوا عليه آباءهم وأقوامهم من الديانات والبقاء على المألوف أحب شيء الى النفوس وتركه من أشق الأشياء عليها كما هو ظاهر فلا قرينة في فعلهم تعارض القرينة الأولى لاستناد أفعالهم الى أغراض معروفة خصوصاً اقامتهم على أديانهم فانه لايفتقر الى علة ولاسبب وانما يحتاج الى العلة والسبب في مفارقة الدين الذي ألفه الانسان وقدسبق بيان يعرف منه هذا التوجيه الوجيه فلا محيص لعاقل عن الاعتماد على الروايات الواردة في بيان معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لسلامتها من كل وهم وتمويه أتى به النصراني

(قال) ثم اذ كان القرآن نفسه فضلاً عن عدم اثباته معجزة لمحمد ولو بالاشارة قد بين صريحاً أن محمداً لم يكن قادراً على ذلك لايبقى محل للريب ببطلان تلك الأحاديث وعدم صحتها (أقول) هذا الكلام مبني على أساس مهدوم ومتفرع على أصل مقطوع فانا قد بينا بياناً واضحاً جلياً أن القرآن لم يشر الى عدم قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على اظهار

المعجزات فضلاً عن التصريح به وأن الذى اشار اليه القرآن عدم اتيانه بما اقترحه عليه المشركون مما لا يتوقف ثبوت النبوة على الاتيان به وكثير منه ممتنع الحصول بمقتضى الحكمة الآلهية مستحيل الوقوع عقلاً وأوضحنا أن القرآن ينطق باظهار النبي صلى الله عليه وسلم المعجزات الباهرات اجمالاً وتفصيلاً ولاحاجة الى اعادته وموضعه قريب فلا يبقى بعده ريب لرشيد فى بطلان كلام النصراني العنيد

(قال) أمامعجزات المسيح فلم يخبر بها أصحابه والمؤمنون به فقط بل أقرّ سائر الملل أيضاً حتى أعداؤه معترفين ومخبرين بها وذلك يتأكد لنا من شهادة اليهود للمسيح الواردة في الانجيل ومما رواه مؤرخو الوثنيين في كتبهم بهذا الشأن على ما رأينا سابقاً (أقول) هذه كذبة غريبة من بعض كذبات النصراني التي فاق بها كبار الكذابين فان المعلوم من حال اليهود من أول الأمر الى هذا الوقت أنهم ينكرون نبوة المسيح ويجحدون كتابه ولا يثبتون له فضلاً ولا يحبون من يحبه وينسبونه مع هذا كله نسبة قبيحة نعوذ بالله من قولهم فيه وهؤلاء اليهود الآن موجودون فليأت المدّعي بقوم منهم يشهدون بأنهم سمعوا ممن كان قبلهم من آبائهم وأسلافهم الاعتراف بشيء من معجزات المسيح وروايته ان كان من الصادقين (والعجب) من هذا الرجل كيف سوّغ لنفسه ان يدعي أن اليهود يعترفون بمعجزات عيسى ويخبرون بها وهو في مواضع من كتابه يصرّح بأن اليهود يكذبون بعيسى ولا يعترفون له بنبوة وأن الفرق بينهم وبين النصارى في هذا الوجه خاصّة وقد روى عن اناجيله ان اليهود امسكوا المسيح امساكاً عنيفاً وشتموه وتفلوا في وجهه وقتلوه وصلبوه وسمّروا جسده بالمسامير وذلك بسبب تكذيبهم اياه في ادّعائه النبوة فكيف يعترف اليهود لعيسى بمعجزة تدل على النبوة

ويروونها عنه لغيرهم وهم يكذبونه في ادّعائها ويفعلون به تلك الأفاعيل الشنيعة مقدّرين انه مستحق لذلك لكذبه في ادّعاء النبوة هذا مع اخبار الرجل عنهم بأنهم لو وجدوا في توراتهم ادنى اشارة الى صدق نبوة محمد لآمنوا به وقد قدمنا نقل هــذا كله عنه في المقالة الثانية فكيف يُثبت عليهم الاعتراف بمعجزات عيسى وروايتها ويخبر عنهم بأنهم كذبوه وشتموه وفعلوا به كذا وكذا ممــا ذكره ومن يعترف بمعجزات رجل وهو على ما يدعي النصراني لايخــالف ماعرف ويفعل بذلك الرجل المظهر للمعجز تلك الأفعال الهائلة التي لايجوز فعلها بالـكفرة فضلاً عن الفسقة وكيف تتأتى للنصراني هذه الدعوى مع روايته من فعل اليهود بعيسى ماروى ولا شك ان الرجــل خارج من قانون العقلاء لايدري ماله فيما قال ولا ماعليه ثم أي موضع من الانجيل يشهد بأن اليهود اعترفوا بمعجزات عيسى واخبروا بها وجميع اناجيل النصراني تعرب عن اليهود بتكذيبهم عيسى وقتلهم اياه وكل من القولين يكذب الآخر فأبعد بذاك المدعي قائلاً وبذلك الانجيل الذي يكذب بعضه بعضاً شاهداً

(وأما) ما ذكــره من تواريخ الوثنيّين فهو من الهــذيان وأي فرقة من الوثنيين يقرّون لأحــد من الأنبياء بنبوة ويثبتون لأحــد معجزاً حتى يرووا معاجز عيسى أو غيره في تواريخهم فليأت بقوم منهم يعترفون بمــا قال وليحضر تلك التواريخ التي ادّعى رؤيتها ان كان محقاً وأما التقوّل والافتراء فلا يجديان نفعاً ولا يثبتان دعوى (وحاصل) الأمر أن اهل الأوثان ينكرون الصانع القديم فكيف يقرّون لرجل بمعجز اظهره الصانع على يديه ويثبتونه في كتبهم هــذا مالا يتصوره العقلاء ولا يأتي به مجادل في جدال ومن هــذا يتضح أنه لم يرو معجزات المسيح الا اصحابه النصارى وأن اعداءه لم يرووا منها شيئاً ولم يعترفوا

به أصلاً فان كذب النصراني بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم لأن رواتها اصحابه لزمه التكذيب بمعجزات عيسى لأنها كذلك ويلزمه التكذيب بمعجزات موسى ايضاً لما ذكره بعينه في معجزات محمد صلى الله عليه وسلم والاّ لزمه التصديق بالجميع لأن الفرق الذي ادعاه غير موجود فتأمل

(وقال) بعد ذلك بكلام واما اقوال المسيح وافعاله ومعجزاته فقد رواها كلّها وأخبر بها رجال سمعوها بآذانهم ورأوها بأعينهم (اقول) يقال لهذا الأحمق المتجاهل هل شاهدت أولئك الرجال الذين سمعوا اقوال عيسى ورأوا افعاله ومعجزاته حين سماعهم ورؤيتهم لها فان ادعى ذلك فكذبه أوضح من ضوء النهار وان قال لم يشاهدهم حين السماع والرؤية قلنا له فمن اين علمت انهم سمعوا ورأوا ومَن هؤلاء الرجال من اصحاب عيسى أو من غيرهم اخبرنا عن ذلك فان قال عرفت ذلك من طريق الرواية قلنا فمن روى لك ذلك من النصارى او من غيرهم فان قال الرواة من النصارى وأولئك الرجال من اصحاب عيسى قلنا له فقد ابطلت باعترافك هذا كل ما اعترضت به على المسلمين في احاديث معاجز نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لأنك صدّقت رواية اصحابك عن اسلافهم عن اصحاب عيسى وصحتها ولم تجعل صحبتهم لعيسى مانعة من صحة روايتهم عنه فكيف تجعل صحبة المسلمين لنبيهم صلى الله عليه وسلم مانعة من قبول روايتهم عنه والمسلمون يقولون مثل ما قلت ان اقوال محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وافعاله رواها رجال سمعوها بآذانهم ورأوها بأعينهم ويزيدون على هذا فيقولون ان الذين سمعوا اقوال محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا افعاله ومعجزاته خلق كثير يحصل من خبرهم القطع واليقين والذين سمعوا اقوال عيسى ورأوا معجزاته قليل جداً لايحصل من خبرهم الشهرة فأي اعتراض بعد ذلك بقي لك على المسلمين ان كنت تعقل وان ادعى علمه ذلك من

غير طريق الرواية وأن الرجال الذين أشار اليهم غير أصحاب عيسى فقد أتى بالمحال والزور لأنه لم يشاهد الحال ومن لم يصحب عيسى لم يسمع أقواله ولم ير أفعاله معجزات وغيرها وكذلك من لم يصحب غير عيسى من الأنبياء لم يطّلع على شيء من أقوالهم وأفعالهم الاّ من جهة رواية من صحبهم منهم وكذا في غير الانبياء (وبالجملة) فانه من المعلوم أنه لا يطّلع على حال الانسان بالمشاهدة والعيان الاّ من صحبه حق الصحبة وأما البعيدون عنه فلا يعلمون من أحواله الاّ ما جاءتهم به الروايات عن أصحابه فتبيّن بحمد الله اندفاع ما موّه به الرجل عن آخره وانقلع أساس مبناه

(وأما) ما عظّم به حمقته من ذكر البخاري ومسلم وغيرهما من جامعي الأحاديث وأنهم دوّنوا منها احاديث قبلوا بعضها وردّوا بعضها فليس فيه كبير ولا عظيم محذور لأننا لا ننكر أن جامعي كتب الأحاديث صحح بعضهم من الأخبار ما لم يصححه الآخر وقبل بعضهم منها ما لم يقبله الآخر كل ذلك بنظرهم ومبلغ علمهم في معرفة الصحيح من السقيم ولا ننكر أيضاً أن في الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو حق وفيها ما هو باطل مكذوب عليه وقد كُذب عليه في حياته حتى قام خطيباً فقال (ايها الناس انه قد كثرت عليّ القالة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار فاذا اتاكم الخبر عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاعملوا به وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط) لكن الأحاديث المختلف في صحتها هي الأحاديث المتضمنة للقضايا والأحكام وما أشبهها وأما احاديث معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فقد اتفق المحدّثون على روايتها واجمعوا على صحتها فلا يعترض بالمختلف فيه على المتفق عليه والباطل لا يبطل الحق وكذب الناس على الانبياء لا يبطل نبواتهم ولا يقدح في صدقها وفي صحة معجزاتهم فان

كذب الكاذب لايزيل صدق الصادق هذا وقد نصب لنا النبي صلى الله عليه وسلم قانوناً نعرف به صحيح الاحاديث من سقيمها ونميز به بين غثّها وسمينها وهو العرض على كتاب الله تعالى المدلول عليه بالخبر المذكور فلا اعتراض للنصراني باختلاف الاحاديث المتضمنة للأحكام ولا برفض الشيعة بعض ما يقبله اهل السنة منها على احاديث المعجزات بوجهٍ للاجماع عليها دون تلك (واما قوله) فاذ كان جامعو الاحاديث لم يسمعوا من فم محمد نفسه ما نقلوه عنه لاتكون شهادتهم بصحة الصحيح منها واعتبار المعتبر خالية من الريب فقول هجين (ويقال له) في ردّه انك صححت رواية قوم من النصارى عن المسيح بأنه ادّعى الربوبية وصححت رواية قوم آخرين عنه بأنه ادّعى أنه ابن الرب وصححت الرواية عنه بأنه فعل كذا وأظهر كذا وأبطلت الرواية عنه بأنه بشّر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقتل بل رفع الى السماء وأنت لم تسمع من فم عيسى ولم تره وانما كان كل ذلك باجتهادك ومبلغ علمك فكيف جوّزت لنفسك بالظن والتخمين قبول بعض الروايات عن عيسى وردّ بعضها ولم تجعل على نفسك في ذلك ريباً ولم تجوّز مثل ذلك للمسلمين بمبلغ علمهم واجتهادهم وادّعيت فيه حصول الريب وما الفرق في ذلك بينك وبينهم اخبرنا عنه حتى نعرفه ان كنت مصيباً وأنّى له بذاك (وأما) ما أورده من الأحاديث المرويّة في كتب المسلمين في أوصاف الجنة وأهلها والنار وأهلها وكيفية أخذ طينة الانسان من الأرض وتوالد الشياطين وغير ذلك وأرهج به فهو خالٍ من المحصّل (والجواب) عنه أن تلك الأقوال ان كانت من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم فالأمر كما قال لثبوت صدقه لأنه نبيّ وردّ الرجل لها بجهله وبنائه على انكار الجنة والنار الحسيّتين غير ملتفت اليه لأنه كفر صريح وقول غير صحيح وان كانت موضوعة عليه

فالضرر على الكاذب وسبيلها سبيل رؤيا يوحنّا الذي أسلفها الخصم ثم اعادها في آخر كتابه (وأما) ما ذكره من مناقضة بعض الأحاديث للقرآن بأن بعضها يخبر أن محمداً أظهر معجزات كثيرة وأنه كان معصوماً وأنه أفضل المخلوقات وأن الدنيا خلقت لأجله وأنه أظهر المعجزات وهو طفل وأنه ولد مؤمناً والقرآن ينطق بخلاف ذلك كلّه فانه ينطق بأن محمّداً لم يُظهر معجزة وأنه كان خاطئاً وأنه في أول أمره كان في حالة الجهل والضلالة بدلالة قوله في سورة الضحى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) وقوله في سورة الشورى (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) فواهن جداً وقد أجبنا عن جميع ما ذكره فيه سابقاً وبيّنا أن القرآن ناطق باظهار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة وبعصمته وأنه أشرف المخلوقات فلا مناقضة بين الأحاديث وبين القرآن في شيء من ذلك ولم يبق من قوله هنا الاّ الجواب عن الآيتين (فنقول) أما قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) وهو متعلق الخصم في دعواه فليس المراد به الضلال في الدين كما قدّر النصراني لعدم معرفته بمعاني الألفاظ العربية وادّعى أنه المستفاد من تفسير البيضاوي بل المراد به هنا الضياع (ومعناه) ووجدك ضائعاً بين قوم يجهلون قدرك ومنزلتك ولا يعلمون أنك نبي الله وخاتم رسله وأفضل خلقه فهدى الناس اليك والى فضلك بانزال القرآن عليك واظهاره المعجزات على يديك (والعرب) يقولون ضلّ البعير اذا ضاع من صاحبه فلم يدر أين ذهب ويسمّون الشيء الضائع من أهله مطلقاً ضالة والقرآن نزل بلغتهم (والدليل) على صحة ما قلناه في معنى الآية العلم

الجازم بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ونزول الوحي عليه لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام اذ لو عبدها وقتاً ما لكان المشركون من قريش يعارضونه لمّا عاب آلهتهم ووقع فيها وسفّه أحلامهم بعبادتها فيقولون له انك بالأمس كنت تعبدها معنا فكيف تعيبها اليوم وتظهر البراءة منها وتسفّهنا بعبادتها ولو وقعت هذه المعارضة لنقلت نقلاً متواتراً فكيف ولم يُرْوَ بها خبر ضعيف ولم يقف أحد منها على عين ولا أثر واذ لم تقع هذه المعارضة منهم له حصل العلم اليقيني أنه لم يكن على دينهم وقتاً ما وصحّ أنه كان على الدين القويم وأنه كان يتعبّد على سنة ابراهيم كما رُوِيَ من طرق أصحابنا وغيرهم في كتاب السيرة لابن هشام أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان قبل نزول الوحي عليه يتحنّف أي يتعبّد على الحنيفية وهي ملّة ابراهيم الخليل فلم يكن صلى الله عليه وسلم ضالاً في الدين البتة هذا كله مع أن ما ذكره الخصم من كلام البيضاوي وهو قوله أي وجدك ضالاً عن العلم والحكمة والأحكام فعلّمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر لا يشير الى ما حاوله النصراني من اثبات الضلالة في الدين لنبينا صلى الله عليه وسلم وغاية ما يفيده كون النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه غير عالم بما جاءه بعد من العلم والحكمة وشرع له من الأحكام فهداه الله الى ذلك كله بانزال الوحي عليه وبالالهام والتوفيق للنظر (فَضَالاًّ) على تأويله يكون بمعنى غافلاً عن ما ذكر من الأمور لا ضالاً عن توحيد الله مشركاً به فأين مفاده ممّا قصد النصراني الى اثباته ان كان يعقل وهذا التأويل وان كنا لا نرتضيه الاّ أنه لاضير فيه علينا فانا نقول أيضاً ان النبيّ صلى الله عليه وسلم غير عالم قبل نزول الوحي عليه بما نزل عليه من العلوم الآلهية وليس هذا مما اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء بل هم جميعاً

فيه مشتركون وبيانه آتٍ في الجواب عن الآية الثانية وأما قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ــ وهو القرآن أو روح القدس الذي يسدّد الأنبياء بالوحي ــ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) فليس للنصراني فيها متعلّق في غرضه أصلاً لأن المعروف من حال النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه غير عالم بالقرآن قبل أن يُوحى به من الله اليه ولا دارٍ بالايمان الخاص الذى بيّن الله حدوده وشرائطه في القرآن وكذلك عيسى لم يكن عالماً بالانجيل ولا بحدود الايمان التي بيّنت فيه قبل نزوله عليه وموسى عليه السلام لم يكن عالماً بالتوراة ولا بالايمان الذى بيّنت حدوده فيها ولم يك يتلو منها شيئاً قبل أن تنزّل عليه وقد أرسله الله جل وعلا الى بني اسرائيل والى فرعون وقومه بالعصا واليد البيضاء قبل نزول التوراة عليه بسنين ولم يكن عدم علمه بالتوراة وما فيها من حدود الايمان وما تضمّنته من الاحكام مستلزماً لجهالته وضلالته ولا مانعاً من صحّة رسالته ومن اظهاره المعجزات الباهرات فهو نبيّ مرسل بالمعجز هادٍ الى الله قبل درايته بالكتاب وعلمه بما فيه من العلوم والأحكام (وهكذا) القول فى ابراهيم ونوح وغيرهما من رسل الله فانّ الكل منهم غير عالم بالكتاب الذى نزل عليه قبل نزوله وكلّهم كانوا على الهدى والحق ولم يستلزم عدم علمهم بكتبهم وما فيها من حدود الايمان وتفصيل الأحكام كونهم جهلة ضالّين وفسقة خاطئين حتى يلزم ذلك فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (والمعلوم) من حال الانبياء قبل النبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره أنهم على توحيد الله والاقرار

بعدله وحكمته وهذا هو الايمان العام (والحاصل) أن الله سبحانه وتعالى قد بعث أنبياءه الى عباده بالمعجزات قبل انزال الكتب عليهم وعلمهم بما نزل فيها ولم يكن عدم درايتهم بالكتب وما فيها من الأحكام وحدود الايمان مستلزماً لهم الجهل والضلال عن دين الله ولا مانعاً من بعثهم بالنبوة واظهارهم المعجزات فكيف يجعل النصراني بحماقته وقلة معرفته بأحوال الأنبياء عدم دراية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن ومافيه من الأحكام وحدود الايمان موجباً له الجهل والضلالة ومانعاً له من صحة الرسالة لولا مافي قلبه من الغلّ الكامن والحقد العظيم على نبي الله الكريم فالأحاديث التي أشار اليها الخصم لاتناقض الآية في المعنى اصلاً لأن عدم دراية النبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب والايمان المحدود فيه لاينافي عصمته ولا اظهاره المعجز كما بيناه ولكن النصراني لايفهم المعاني وقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الى آخره من جملة الآيات الشاهدة للنبي صلى الله عليه وسلم بالعصمة لأنه من المعلوم الذي لاشك فيه أن هادي العباد الى دين الله لايكون ضالاً ولا خاطئاً والخاطئ لايكون هادياً الى الدين ولامرضيّاً عند ربّ العالمين حتى يصفه بهذا الوصف الجليل ويقول فيه هذا القول الجميل (فالآية) رادة لدعوى النصراني دلالة القرآن على خطأ النبي صلى الله عليه وسلم وموافقة للأحاديث المصرّحة بعصمته كغيرها من الآيات (وأما الخوارق) التي ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه مثل ماروي في ليلة مولده من تساقط النجوم ورمي الشياطين بالشهب وسقوط أربع عشرة شُرْفَةً من قصر كسرى أنوشروان وخمود نيران فارس وكانت منذدهر لم تخمد وغيض بحيرة ساوة وفيض وادي سماوة وما شاهدته مرضعته وزوجها من البركة في أموالهما اذ أخذاه وتظليل الغمامة له الذى أبصره بحيرا الراهب

وتظليل الملكين له عن الشمس عند اشتداد الهاجرة الذي عاينه ميسرة وأخبر به سيدته خديجة وغير ذلك مما وردت الأحاديث الصحيحة به فكله يسمّى في اصطلاح العلماء ارهاصاً يعني توطئة للنبوة ولا يسمّى معاجز لفقده قيدي المعجز وهما مطابقته للدعوى ومقارنتـه للتحدي اذ لادعوى حينئذ ولا معاجزة (وهكذا) كل مايظهر على أيدي الانبياء قبـل بعثهم من خوارق العادات كـكلام عيسى فى المهد يسمّى أيضاً عند العلماء ارهاصًا (فقول) النصراني ان الأحاديث تنطق بأن محمداً أظهر معجزات كثيرة وهو طفل غير جار على اصطلاح أهل العلم

وأما تكـثير النصراني القول بأن كثيراً من الأحاديث يناقض بعضاً الى آخره فليس بشيء يعترض به على أحاديث المعجزات فلا نطيل الكلام بذكر الجواب عنه (وقوله) ان عليّ بن ابراهيم سأل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن تناقض بعض الأحاديث ومخالفة بعضها للقرآن ثم أورد الرواية التي في آخرها فأرجه حتى تلقى امامك فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلـكات زاعماً أن تلك الرواية جواب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لعليّ بن ابراهيم فقول فاسد لأن عليّ بن ابراهيم بن هاشم من محدّثي أصحابنا في أواخر المائة الثالثة من الهجرة ولم يدرك هو ولا أبوه ولا جـدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والذى سأل أمير المؤمنين عن سبب اختلاف الأحاديث في تفسير القرآن وغيره هو سليم ابن قيس الهلالي وليس في سؤاله مخالفة الأحاديث للقرآن كما ادّعاه الخصم على ماجرت به عادته من تبـديل الاقوال وتحريف الكلام ليصحّح دعاويه بالأكاذيب بل المسؤول عنه اختلاف الأحاديث في تفسير القرآن كما ذكرنا وبين الأمرين اختـلاف كثير فى المعنى ولا تعلق للنصراني فى مدّعاه مناقضة الأحاديث للقرآن الا على ما زعمه فى كيفية السؤال ولم

يقع السؤال على ما قال بل على ما قلناه فليس له به استدلال ثم ان الذى أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام سابما عن سؤاله غير ما أورده النصراني والذى أورده انما هو بعض رواية عمر بن حنظلة عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (وبالجملة) انه ليس فيما ذكره وطوّل به كلامه من اختلاف الأحاديث الذى اعترفنا به فى أول الأمر ما يقدح فى ثبوت معاجز النبي صلى الله عليه وسلم لأنها من المتفق عليه بين المحدّثين وغيرهم ومن المعلوم عند المسلمين وليس من المختلف فيه فى شيء فزال اعتراض الخصم من أصله

المحاكمة الثالثة في افساد بواقي فصله

(قال) ثم ولو فرضنا أن محمداً قد أظهر معجزات لايثبت بذلك صدق القرآن وكونه موحى به من الله وذلك لمناقضته الانجيل ولا يصدق بذلك صدق نبوة محمد وذلك لأن الأنبياء الكذبة أيضاً يمكنهم إمّا بالخزعبلات وإمّا بالحيل الشيطانية أن يعملوا أعمالاً عجيبة تشبه المعجزات

(أقول) هذا الكلام فى غاية الضعف والسقوط ولو عرف قائله ما يرد عليه لم ينطق به لسانه ولم يجر به قلمه وسقوطه وضعفه لاستلزامه أمرين معلوم فسادهما (الاول) نسبة البارئ تقدس وتعالى الى تمكين الكاذب من اظهار المعجزة وهو قبيح لاستلزامه الأغراء بالجهل ونسبة القبيح الى الله تعالى كفر واضح فان كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذباً فى دعوى النبوة فلا يجوز على الله أن يمكّنه من اظهار المعجز واذ كان الله جل وعلا قد مكّنه من ذلك على ما فرض الخصم فيجب الحكم بأنه صادق لئلّا يلزم ماذكرناه من المحذور وصحة هذا الدليل معروفة عند كل ذي عقل سليم غير متعسّف ولا متعنت وقد قدّمنا وجهه فى بيان معنى المعجز (الثاني) بطلان نبوات جميع

الأنبياء لأن اليهود يتمكنون على تقدير صحة ما أصله النصراني من أن يقولوا للمسيح انك وان اظهرت معجزات فلا يثبت صدق انجيلك ولا تثبت نبوّتك لأن الأنبياء الكذبة يمكنهم امّا بالخزعبلات وامّا بالحيل الشيطانية أن يعملوا أعمالاً عجيبة تشبه المعجزات فمن أين تحقق أن ما أظهرته معجز تلزمنا حجته فكان المسيح ينقطع عن الجواب وكذا يتمكن الوثنيّ من أن يورد هذا الايراد بعينه على عيسى وموسى وغيرهما من الانبياء فيفحمهم فانّ هذا الكلام الهجين لا يعجز أحد عن الاتيان به فلا يستطيع نبي قط اثبات نبوته بالمعجز اذا كان يتوجّه على معجزاتهم مثل هذا السفه الذى طعن به النصرانيّ على معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتبطل نبوات جميع الانبياء لعدم الفرق على ماقال بين المعجز والتمويه ويكون اهل الاوثان أولى من الأنبياء بالحق وأظهر منهم في الحجة ولا شيء أوضح من فساد هذا اللازم فالملزوم مثله وانا اعلم أن الذى دعا الخصم الى هذه السفاهة أمران (احدهما) تعصبه البالغ منه كل مبلغ (الثاني) عدم تمييزه بين حقيقة المعجز وبين الخزعبلات والحيل الشيطانية التي هى تمويه محض لا حقيقة له فى الواقع نظير ما يعمله المشعبذون من التخييلات للناظرين ثم نقول له بعد هذا كله دلنا على رجل ادعى النبوة وانكشف للناس كذبه أظهر عند ادعائه اعمالاً عجيبة تشبه المعجزات حتى نقيس عليه غيره فى ذلك ان كنت ثابت القول والاّ فدعاويك العارية عن الاثبات من جملة الخزعبلات والحيل الشيطانية وهو لا يقتدر على اثبات مدعاه فسقطت دعواه ولو أغمضنا عن جميع ما يرد على سفهه وصحّحنا هجره الذى لا يصح ابداً لم يتوجه ماموّه به على ما اوردناه من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنها امور حقيقية مطابقة للواقع من افعال محققة واخبار مفصلة تبين حقها لكل ناظر

وظهر صدقها لكل سامع فهي على كل حال خارجة من حيّز الخزعبلات والحيل وداخلة فى حدود المعجزات الصحيحة التي لا يعرض فيها الريب ولا يلحقها العيب وأما صدق القرآن وكونه موحى به من الله فقد أثبتناه فيما سبق بالأدلة الصحاح فلا حاجة الى اعادته هنا واما مناقضته للانجيل الأصيل فيما لا يقع فيه النسخ فقد نفيناها بالدليل وأما النسخ فقد أوضحنا انه لا مناقضة فيه لاختلاف زمان الحكمين ومناقضته لكتب النصراني قد قدمنا انها من أقوى الأدلة على صحته بما فيه كفاية ومقنع عن اعادته وما قوّى به رجيعه من قول متّى والرسالة الى اهل غلاطية بزعمه فهو هباء منثور وما فيه من قوله من علّم او تكلّم خلافاً للانجيل فهو كذاب وارد على النصراني لا علينا لأن المراد بالانجيل هو الاصلي النازل على المسيح من عند الله المبشّر بمحمد صلى الله عليه وسلم والنصارى فى كتبهم حرّفوه وبدّلوه وعلّموا وتكلّموا بخلافه كما أوضحناه فى المقالة الاولى وغيرها فهم الكذابون بلا شك فسقط بحمد الله جميع ما أتى به الرجل من السفه فى القول (واعلم) أيها المطالع اللبيب انّ النصراني أتى فى المقام بأراجيف خالية عن الفوائد عظّم بها أمره وطوّل بها كتابه (منها) انّ محمداً أحل لنفسه ما شاء من الأزواج وحرّم على غيره ما زاد عن أربع (ومنها) أنه أسقط عن نفسه القسمة بين الزوجات وأوجبها على غيره (ومنها) انه حرّم على نفسه جاريته مارية القبطية ثم أحلها لنفسه (ومنها) انه تزوج امرأة زيد بن حارثة وهي زينب بنت جحش وقد تبنّاه قبل وهو يحرّم على الناس نكاح نساء ابنائهم وأنه أورد من قِبل نفسه آيات زعم انها أوحيت اليه من الله مصرحة بصحة ما قال وما فعل ليدفع عن نفسه ملام الناس وأنه قصد بذلك كله التوسعة على نفسه وأورد النصراني فى كلامه بعض الآيات المتضمنة لهذه الأحكام هذا

محصّل كلامه وأردفه بقول قبيح نال فيــه من النبي صلى الله عليه وسلم وصرّح بسـبّه وليس لنا فى ذكره والجواب عنـه غرض لزيادة قبحه وجزاؤه عندالله تعالى (والجواب) عن كل ما أرجف به واحد وهو أنه بعدثبوت النبوة وثبوت عصمة الأنبياء فيما يبلّغون عن الله من الاحكام التي قد وافقنا عليها النصارى وأشباههم لايبقى لأحد اعتراض فى نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بمـا اعترض به النصراني لأن الآيات المذكورة منزلة من عندالله تعالى كغيرها من آيات القرآن والله سبحانه له الخيرة فى خلقه وحكمه يحلّل ما يشاء لمن يشاء ويحرّم ما يشاء على من يشاء وليس للخلق الاعتراض على حكم الله وردّ أمره ونحن بحمد الله قد أثبتنا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالبراهين وأن القرآن موحى به من الله اليه بيقين فوجب تصديقه فيما يقول ويفعل على كل حال والحكم بأن قوله وفعله بأمر الله كما يجب الحكم بذلك فى غيره من الانبياء

وأما زينب فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن طلّقها زيد باختياره كما هو مضمون رواية الخصم فلم تكن حين تزوجها امرأة رجل آخر كما ادعى خصمنا بعد بجهله وسفهه فانّ المطلّقة اذا انقضت عدّتها احلّت للأزواج وهذا حكم القرآن وحكم التوراة معاً لايجهله ذو علم (والحكمة) فى تزويج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة زيد وقد تبنّاه من قبل أن الله تعـالى أراد ابطال أمر أهل الجاهلية فى جعلهم الدعيّ بمنزلة ولد الصلب فى الأحكام التي من جملتها تحريم زوجته على الأب كما أبطل من أمورهم غيره فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويج زوجة من تبنّاه بعد أن طلّقها وانقضت عدّتها ليقطع بذلك أصل حكم الجاهلية وقد كشف الله تعالى عن وجه هذه الحكمة فى كتابه بقوله تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا

قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً) والنصراني يعترض على الله في حكمه وحكمته ويردّ أوامره ثم انه أرهج برهج لا يرهب منه ذو فطنة وروية (فقال) فانّ محمّداً وان يكن قد استبان في سائر أعماله وتدابيره ذا بصيرة وحذاقة مظهراً كمال الهمة والمهارة في تدبير الأمور العالية ومبدياً وفور المحبة والكرم لأقربائه وأصحابه وتابعيه الاّ أنه كان لا يلتفت الى الطهارة القلبية الباطنية ولا يكترث بها أصلاً وهو فضلاً عن ذلك كان حقوداً مائلاً الى الغدر والانتقام شديد القساوة كثير الجور على أعدائه ثم أورد خبر سريّة عبدالله بن جحش بن دياب الأسدي وقتلهم عمرو بن الحضرمي وأخذهم العير بنخلة وهي عير لقريش من الطائف تؤم مكة تحمل أدماً وزبيباً في آخر ليلة من رجب وهو من الاشهر الحرم وغير منها ألفاظاً لاصلاح مراده وزعم أن ذلك غدر من النبي صلى الله عليه وسلم بقريش وذكر مقتل النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط صبراً وهما من أسرى بدر وأورد خبر مقتل عصماء بنت مروان وهي امرأة كافرة من الأنصار ومقتل أبي عفك اليهودي ومقتل كعب ابن الأشرف اليهودي الفاسق ومقتل بني قريظة وقتل سلاّم بن أبي الحقيق وكلهم من اليهود مستدلاً بذلك كله على مانسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغدر والجور على الأعداء (اقول) النبي صلى الله عليه وسلم فوق ماوصفه به النصراني من صفات الكمال وأمّا مانسبه اليه من عدم التفاته الى الطهارة القلبية وعدم الاكتراث بها فهو مبطل في دعواه ومبنى ذلك على ماقدّمه من قوله أحلّ لنفسه مايشاء من الأزواج الى آخر ماذكرناه عنه ونقضنا قوله فيه فهو مبني على أصل منقلع فلا عبرة به فقد عُلم أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم أطهر القلوب وباطنه أطهر البواطن ليس فيه ممّا رماه به النصراني شيء أصلاً بل

هذه من النصراني فرية على النبي صلى الله عليه وسلم كما هي عادته من الافتراء وقول الأفك عليه (والجواب) عن ذلك — أمّا عبدالله بن جحش وأصحابه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بحرب وانما بعث المذكور مع أصحابه ودفع اليه كتاباً وأمره أن يقرأه بعد أن يسير يومين ويعمل بما فيه فلمّا سار عبدالله يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة وهي موضع بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم وليس فى هذا الكلام أمر بقتل ولا قتال لا في الشهر الحرام ولا في غيره وغايته الأمر بتعرّف أخبار قريش ويؤكد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للقوم لما رجعوا ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام وقد أورد النصراني صورة الكتاب والقول المذكور فهو يستدل على حكم بما لا يدل عليه وما فعله عبدالله رضى الله عنه وأصحابه انما فعلوه باجتهادهم لا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فالزام الخصم النبي صلى الله عليه وسلم بفعلهم ظلم وجور فان الانسان لا يُلزم بفعل غيره اذا فعله بغير أمره وان كان هو الرئيس المطاع ثم انّ الله تعالى أنزل غدر القوم في القرآن وصوّبهم فيما فعلوه بأهل الكفر والطغيان بقوله عزّ من قائل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) الآية والنصراني على رسول الله في ذلك غضبان لزعمه أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم لا من كلام الله بناء على زعمه أن القرآن غير موحى به من الله تعالى الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الزعم قد أفسدناه وأبطلناه (وأما) النضر وابن أبي معيط فقتلهما أوجب من قتل الكلب العقور والسبع الصائل فانهما من رؤس الضلال ومن أشد المكذبين بالحق (وأما) عصماء وابن عفك فانهما كانا يهجيان النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيانه وقد أقر النصراني بذلك فاستحقا أخبث القتل ولو كفا نمسه

لكف عنهما (وأما) ابن الأشرف العنيد فانه نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورام قتله غيلة وغدراً فأنبأه الله عن قصد كعب فحذر منه ثم ذهب بعد وقعة بدر الى مكة فطفق يقول الأشعار في مراثي قتلى قريش ببدر وتحريضهم على النهوض الى حرب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ ثار قتلاهم منه ومن أصحابه ثم رجع الى المدينة وأعلن بعداوة النبي صلى الله عليه وسلم والوقيعة فيه وشبب بنساء المسلمين وأظهر الفساد وقد ذكر النصراني بعض ذلك وأخفى بعضاً ومن كان هذه حاله فهو واجب القتل على كل حال وان غضب النصراني وورم أنفه وكيف لا يجب قتل من ظاهر الكافرين على المؤمنين ولو كف الفاجر عن ذلك لكف النبي صلى الله عليه وسلم عنه (وأما) بنو قريظة اخوان القردة فانهم نقضوا عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءت الأحزاب وأرادوا استئصال شأفته وشأفة أصحابه وأخافوا سبيل المسلمين ولم يقنعوا بذا كله دون أن أعلنوا بشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه فاستوجبوا القتل بذلك يقيناً كما استوجب فرعون وقومه الغرق حين آذوا موسى والمؤمنين من قومه وأخافوا سبيلهم وابن أبي الحقيق كابن الاشرف مستحق للقتل والاهلاك ولو كفوا لكف النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فليس في شيء من ذلك غدر وانما ينسب الى الغدر لو قتلهم وهم عنه كافون وعلى العهد الذي كان بينهم وبينه مقيمون (وأما) قتلهم وهم محاربون فهو الحزم والصواب (واعلم) أن الذي أوجب للنصراني هذه الشفقة الشديدة على المشركين الفجرة حتى أخذ يناضل عنهم هو الاخوة بينهم وبينه في الشرك لأن النصارى وأهل الأوثان مشتركون في الشرك بالله الا أن النصارى أشركوا بالله انساناً فاتخذوه رباً وأهل الأوثان أشركوا بالله الأحجار والاشجار فاتخذوها آلهة (وأما) زيادة حنوه على اليهود حتى أنشأ يجادله

عنهم مع تكذيبهم لمسيحه وجحودهم لكتابه وقولهم فيه أفحش الاقوال وقتلهم اياه بزعمه فلتكذيبهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم واعلانهم بعداوته فاغتفر النصراني ذنبهم في مسيحه لعداوتهم محمداً صلى الله عليه وسلم فسبحان الله ما أظهر عداوة هذا النصراني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وماأشد بغضه له وكيف لا يمتلئ قلبه من الحقد عليه ويُظهر له العداوة الكاشحة ورسول الله قد جاء من عند الله بفضيحة النصارى وتكفيرهم في اتخاذهم المسيح ربّاً من دون الله وقولهم فيه انه ابن الله وانه ثالث ثلاثة كما جاء بفضيحة أهل الأوثان وتكفيرهم في اتخاذهم الأحجار والاشجار آلهة من دون الله وكيف لا يكذّب النصراني بالقرآن والقرآن ينطق بذم النصارى وكفرهم فيما ذكرناه من أقوالهم والله له بالمرصاد

ثم اعلم أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مبرأ مما نسبه اليه النصراني في افكه فانه صلى الله عليه وسلم كان حليماً كريماً عفوًّا رحيماً كما وصفه الله في كتابه الكريم بقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) عفا عن قريش يوم الفتح وقد كانوا كذبوه وأخرجوه وقاتلوه وأرادوا قتله مرة بعد أخرى (وعفا) عن أبي سفيان وكان قد بذل نفسه وماله في قتاله والاجلاب عليه وعن سهيل بن عمرو بعد أن كان يقوم خطيباً في قريش بذمه ونقصه وتكذيبه وهو الذي لاحاه يوم صلح الحديبية أشد الملاحاة (وعفا) عن صفوان بن امية وعن عكرمة بن أبي جهل وحالهما في عداوته وانفاق الأموال في قتاله معلومة (وعفا) عن هند بنت عتبة بعد تمثيلها بعمه حمزة (وعفا) عن هوازن بعد أن قاتلوه فرد عليهم نساءهم وذراريهم ووفد عليه عامر بن الطفيل مع جماعة قليلة من قومه بني عامر بن صعصعة وهم كفار وكانوا قد قتلوا من اصحابه سبعين رجلاً على بئر معونة لم يمضوا لحرب ولا شنّ غارة ثم هدّده عامر بالحرب

وقال يا محمد لآتينك بعسكر يضيق منه الفضاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم امض واسع سعيك فان الله يكفي منك وبنو قيلة يعني الانصار ولم يؤاخذه بفعله ولا بقوله (وعفا) عن عبدالله بن أبيّ وقد رضي قومه حتى ابنه بقتله (ومثل هذا) كثير يطول القول بنقله فأين موضع الحقد من قلبه وأين شدة الانتقام التي نسبها اليه النصراني بافترائه وجهله

ثم هوّل النصراني تهويلاً طويلاً لايهولنا أمره نقله عن نصراني آخر يسمّيه الحكيم وانا نذكر منه مايُحتاج الى ذكره (قال) ان محمّداً في أول أمره كان يظن أنّ الله قد دعاه بالحقيقة لاظهار الدين الحقّ في بلاد العرب وما كان يراه من التخيّلات والأشباح عند الاغماء عليه وغيابه عن الوجود بسبب داء الصرعة الذي كان مصاباً به منذ طفوليته قوّى فيه هذا الظن حتى آل الى الاعتقاد ويؤيد ذلك مارواه محمد بن اسحق عن شيوخه من أنّ محمّداً يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه مايصيبه قبل ذلك (أقول) هذه كذبة عظيمة عجزت كذبة الانس وفسقة الجن ومردة الشياطين عن الاتيان بمثلها فانه لم يروأحد من جامعي السيرة وأهل التاريخ لامحمد بن اسحق ولا غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم مصاب بالصرع في حال من أحواله قط وأنه كان يرقى منه ولا يعرف أحد من الناس هذا للنبي صلى الله عليه وسلم أصلاً ولا أنه كان يرقى من العين على أن الرقى من العين لو صح لم يستلزم الصرع لأن أحدهما غير الآخر وليس كل من خيف عليه العين مصروعاً وهو ظاهر فكيف ولم يُذكر من ذلك شيٌ بالمرة بل المرويّ المعروف أنه صلى الله عليه وسلم كان سليم الحواس صحيح العقل قويّ التميز ثاقب الفهم متوقده نافذ البصيرة في كل حالاته فان كان النصراني وصاحبه محقّين فليحضرا كتاب محمد بن اسحق ويطلعانا

على هذه الرواية ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم وحوشي من ذلك مصاباً بما ادعاه وائل لكان مشركو قريش أولى الناس بموافقته على ذلك لأنهم أشد الخلق تكذيباً له وأكثرهم اطلاعاً به فكانوا يقولون له حين أظهر الدعوة وعاب آلهتهم وسفه أحلامهم انك مصاب بداء الصرع منذ كنت طفلاً الى هذا الآن وما تدعيه من نزول الوحي عليك انما هو تخيلات فكيف يحسن لنا تصديقك ولم نسمع أنهم وافقوه بهذا وخاصموه به مع أنهم رموه بالجنون العارض له لما دعاهم الى الله لتوهين أمره أفيدعون عليه الحادث الموهوم ويدعون معارضته بالسابق المعلوم لو كان الامر كما افترى الخصم فالنبي صلى الله عليه وسلم اذاً بريء مما ادعاه الرجل الكذاب فيه وأنا أعلم يقيناً أن النصراني صاحب الكتاب وأخاه وائلاً المرتاب اضيق استين من أن يستخرجا هذه الكذبة الشنيعة من فهمهما وانما أخذاها مما حكاه الله في القرآن المبين عن المشركين من رميهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون مثل قوله تعالى (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) فأثبت النصرانيان أنه مصاب بالصرع من ذلك زوراً وبهتاناً ونحن لا نشك أن المشركين قالوا ذلك ولكنهم يزعمون زعماً ظاهراً لا اعتقاداً أن الجنون عرض له عند ادعائه النبوة واما قبل ذلك فانهم يعتقدون فيه كمال العقل وصحة التمييز وسلامة الحس في سريرته وعلانيته ويسمونه الأمين لما يرون من صدقه وامانته وحسن سمته وهيئته في جميع احواله من افعاله واقواله (ومما يدل) على ذلك حديث بناء قريش الكعبة لما صدع السيل بعض جوانبها وكان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين والحديث طويل مروي في السير وغيرها وفيه أن قريشاً لما بلغوا في البناء الى موضع الركن يعني الحجر اختصموا فيه كل قبيلة تريد أن

ترفعه الى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدّوا للقتال ومكثوا على ذلك اربع ليال او خمساً ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فقال لهم ابو امية بن المغيرة يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان اول داخل رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلمَّ اليّ ثوباً فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين قبل ان ينزل عليه الوحي اﻫ الخبر (فانظر) ايها المتبصّر هل ترى أن قريشاً تحكّم في أمر بعد التحاور فيه والاعداد للقتال والمشاورة رجلاً معروفاً عندهم بأنه مصروع ويقولون فيه اذ رأوه هذا الأمين رضينا هذا محمد وهذا القول منهم مع ما فيه من المدح الأكيد للنبيّ صلى الله عليه وسلم مشعر بسرورهم بكونه هو الحكم ورضاهم عن ميل ورغبة بحكمه وتوقّفهم في قبول حكم غيره لو كان ذلك الغير هو اول داخل من باب المسجد ثم انظر الى عدله في حكمه وقطعه التشاجر فيما بين القوم ظاهراً رباطناً من حيث انه لم يرجّح احداً منهم على احد اذ أمكنت المساواة بينهم وأن كلاًّ منهم نال بحكمه ما طلب واختص هو صلى الله عليه وسلم من بينهم بفضيلة وضع الركن في موضعه وهم بذلك فرحون مستبشرون أفترى يصدر هذا الحكم الباهر للعقول من رجل مصاب بالصرع ام من رجل مسدّد من الله تعالى الى الصواب ومؤيد وهل ترى تصدر تلك الأقوال الجميلة من سادات قريش وأشرافهم في رجل معروف عندهم بالصرع حاشا وكلاّ

ما أرى المصروع الذاهب العقل العادم الحس الفاقد التميز الا واثلا وصاحبه وستأتي في مقام آخر أحاديث صحيحة تدل على ما ذكرناه في هذا المقام بالتصريح والتنصيص فترقب

(قال) وقد اشتهر على بعض الألسنة كما ذكر صاحب كتاب انسان العيون أن آمنة أم محمد رقته من العين (أقول) انا لا نعرف كتاب انسان العيون ولا رأس القرون ولا ندري من صنفه أوثني أم نصراني وما ذكره من الاشتهار لم يوجد له عين ولا أثر ولا ذكره صاحب انسان العيون ولا غيره ولعل الألسنة التي اشتهر على بعضها ألسنة الشياطين الذين يلقون على لسان واثل ما يقول من البهتان والزور ثم انه قوى كذبته بأخبار زورها واختلقها من عند نفسه (فقال) وجاء عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء أن يا محمد يا محمد وفي رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما وأسمع صوتا وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر وفي رواية أخشى أن أكون كاهنا وفي رواية أخشى أن يكون بي جنون

(أقول) هذه الروايات لا نعرفها ولا نعرف موضعها ولم ينسبها المدعي الى كتاب معروف ولا الى كتاب مجهول وذلك دليل على أنها لم توجد والمروي في ابتداء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم غير ما ذكر هذا الكذاب وليس فيه من ألفاظه لفظ واحد ففي كتاب السيرة لابن هشام عن محمد بن اسحق باسناده عن عائشة أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده (وعن) ابن اسحق مسندا عن عبد الملك ابن عبيد الله الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى

تحسُر عنه البيوت ويفضي الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الاّ الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبرئيل بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان (أقول) حراء جبـل بمكة وتسليم الأحجار والأشجار على النبي صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة وهي ممّا طوينا ذكره عند تعداد معاجزه الباهرة (وعن) محمد بن اسحق بالسند عن عبيد ابن عمير الليثي وأورد رواية طويلة فيها مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم بحراء ومجيء جبرئيل عليه السلام اليه في بعض ليالي شهر رمضان بأول الوحي وهو قوله تعالى (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) مكتوباً في نمط من ديباج فأقرأها جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف وأنه لما هبّ من نومه فكأنما كتبت في قلبه كتاباً قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يامحمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل قال فرفعت رأسي الى السماء أنظر فاذا جبرئيل في صورة رجل صافّ قدميـه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل قال فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها الاّ رأيته كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم امامي وما أرجع ورائي الى أن قال ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً الى أهلي حتى أتيت خديجة فقالت يا أبا القاسم أين كنتَ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك

حتى بلغوا مكة ورجعوا الي ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الامة الخبر (وعن) محمد بن اسحق عن اسمعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فأخبرني به فجاءه جبرئيل كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة ياخديجة هذا جبرئيل قد جاءني قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى (قال) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول واجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم (قال) فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها (وفي) رواية عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلت النبي صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وماهذا بشيطان (فهذه) الأخبار التي رويت في ابتداء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها كما ترى أقل إيماء الى معنًى من معاني مختلقات واثل النصراني بخبطه وجنونه ولو قدرنا صحة موضوعاته لم تكن له فيها حجة على ما ادعاه لأنها لا تشير أدنى اشارة الى كون النبي صلى الله عليه وسلم مصاباً بصرع (وغاية) ماتدل عليه عدم تحقق النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر وقبل انكشاف الملك له أن ما يسمعه من النداء والصوت هو نداء الملك وصوته وخوفه أن يكون المنادي شيطاناً (وهذا) يدل على عظيم نزاهته وشدة احتياطه عن أن

يصيبه أيسر نقص (فهذا) غير مدّعى الخصم بل دلالته على كون النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية القصوى من كمال العقل وأنه لم يكن مصاباً بسوءٍ من قبل وخاف أن يعرض له ذلك أظهر وأوضح فدليل وائل المصروع مقلوب عليه * ثم ألحق مختلقاته السابقة بمثلها بعدادّعائه أن النبي صلى الله عليه وسلم يصيبه مايشبه الاغماء في كلام آخر قبيح فقال ومن ثَمَّ روي عن أبي هريرة أن رسول الله كان اذا نزل عليه الوحي لم يستطع أحد أن يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي (وفي لفظ) كان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرِّعدة (وفي رواية) كُرِبَ(١) لذلك وتربّد له وجهه وغمّض عينيه وربما غطّ كغطيط البَكْرِ محمرّة عيناه (وعن) عمر بن الخطاب أنه كان اذا نزل على رسول الله الوحي يسمع عند وجهه كدويّ النحل (وعن) عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني (وقالت) عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم(٢) عنه وان جبينه ليتفصّد عرقاً واستنتج مما أورده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصاباً بداء الصرعة لامحالة

(أقول) كلّ من هذه الروايات مجهول لايعرف ومنكر لايتعرّف ولا ندري أي محدّث رواه حتى يستقيم لِمُورده الاستدلال به على مدّعاه والمجهول لاتقوم به الحجة وقد عارض رواياته هذه ماأوردناه من الأحاديث في بدء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فانها ناطقة بأنه صلى الله عليه وسلم كان عند نزول الوحي عليه ثابت القدم مستقيم العقل صحيح التميز غير متزلزل ولا متغير في بدنه ولا في حسّه صارفاً نظره مستعملاً فكره في استماع مايوحى اليه وتعرّف معانيه متمكناً من

«١» بالبناء للمجهول أي شق عليه (٢) أي يقلع ملك الوحي عنه اه

التحوّل من مجلس الى مجلس آخر مكلّماً من يكلمه عارفاً بالملك حين يأتيه وبانصرافه حين ينصرف عنه ولم يكن على حالة من الحالات التي تضمّنتها روايات وائل قط (ويؤيد) ما نطقت به ويؤكده ماروي من نزول الوحي عليه وهو في منزل كعب بن الأشرف اليهودي يخبره بغدر كعب وقصده الى قتله غيلة بالقاء صخرة عظيمة عليه من أعلى السطح فنهض من مجلسه ذاك متوجهاً الى المدينة وكان معه قوم من الصحابة وجماعة من اليهود ولم يفطن الجميع منهم بنزول الوحي عليه وما ذاك الاّ لعدم تغيير حدث به (وما روي) من نزول الوحي عليه يوم بدر بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ الآية وكان حوله أصحابه ولم يحسّوا بنزول الوحي عليه حتى تلا عليهم الآية وبعث الى قريش يدعوهم الى الموادعة (وما روي) من نزول الوحي عليه في حجة الوداع وهو على المروة في آخر شوط من السعي ومعه المسلمون ولم يبصروا عليه تغييراً ولا علموا بنزول الوحي عليه حتى قال لهم هذا جبرئيل يأمرني عن الله أن آمر من لم يسُق هدياً منكم بأن يحلّ من احرامه ويجعلها عمرة يتمتع بها الى الحج ومن ساق هدياً فليبق على احرامه وتلا عليهم ما انزل عليه في ذلك وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ الآية (وما روي) من نزول الوحي عليه في حجة الوداع أيضاً وهو بعرفات يخطب الناس بقوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِيناً) ولم يشعر الناس بتغيّر له عن حاله ولا بنزول الوحي عليه حتى تلا عليهم ما أوحي به اليه (وما روي) من نزول الوحي عليه بقوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ)وحوله الجمّ الغفير من أصحابه وبين يديه نصارى نجران وهو يحاجّهم ويخاصمهم في عيسى بن مريم ولم يدرك القوم بأجمعهم له اختلاف هيئة عن هيئته الأولى حتى تلا الآيتين على الحاضرين جميعاً ودعا النصارى الى المباهلة (وما روي) من نزول الوحي عليه بآية التطهير وهي قوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وهي احدى الآيات الشاهدة بعصمته صلى الله عليه وسلم وعصمة أهل بيته وهو وقتئذ في منزل زوجته أم سلمة رضي الله عنها ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين وهم تحت كساء واحد وهو يكلّمهم وهم يكلمونه ويدعو الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيراً ولم يروا به تغيّراً حتى تلا الآية عليهم فقالت عند ذلك أم سلمة ألست من أهلك يارسول الله قال أنت الى خير (وما روي) أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله يوماً أن يجعل له وزيراً من أهله كما جعل لموسى أخاه هرون وزيراً فنزل عليه الوحي بقوله تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) والاشارة بالذين آمنوا الى علي بن أبي طالب فجعله الله تعالى وزيراً للنبي

صلى الله عليه وسلم وأشركه معه في الولاية على الناس ومن حضره لم يعلم بنزول الآية عليه حتى تلاها * وما أوردناه مسطور في السير والتفاسير في محاله التي أشرنا اليها *ومثل هذه المواضع مواضع تزيد على عددها أضعافاً مما نزل الوحي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين ظهراني الناس ولم يدرك من معه منهم اختلاف حالة حدث به أو تغير هيئة أصابه * وكل ما أوردناه هنا وما قدمناه وما أشرنا اليه رادّ لروايات النصراني ومكذّب لمضامينها غاية التكذيب لأن جميعه يصف النبي صلى الله عليه وسلم حين نزول الوحي عليه باستقامة الحس وثبات الرأي وحضور الذهن وكمال الروية ولا يصفه بشيء مما تضمنته روايات وائل المجنون من استقبال الرعدة وتغميض العينين واحمرارهما والغطّ كغطيط البكر يعني تردّد نفسه في حلقه حتى يسمع صوته وسمع كدويّ النحل عند وجهه فتكون رواياته باطلة لامحالة (ومن ذلك) يُعلم بطلان ما استنتجه منها وهوّل به ويعرف بذلك جنونه وذهاب حسّه هذا كله مع أن أكثر رواياته ليس فيها تصريح بما رام اثباته ولا أدنى ظهور لأن الخبر الذي عزاه الى أبي هريرة يحتمل احتمالا قويّا أن المراد منه أن الناس متى أحسّوا بنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع أحد أن يرفع طرفه اليه احتراماً وهيبة لالسوء منظر به ومكروه يحدث عليه(والتربّد)المذكور في الرواية ان كان هو بالزاي المعجمة كما هو مرسوم في كتاب الخصم مرتين فهو مدح لاذم لأن تزبّد الوجه عبارة عن اشراقه واضاءته وبه مدح النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم الخزاعي اذ أتاه يستصرخه على قريش ويخبره بنقضهم عهده في أبيات يقول فيها

يا ربّ اني ناشدٌ محمّدا * عهدَ أبينا وأبيكَ الأتلدا
انّ قريشاً أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكّدا

فانصر رعاك الله نصراً أبدا * وادع عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجرّدا * أبيضُ كالبدر ويسمو أصعدا
ان سِيمَ خسفاً وجهه تربّدا * في فَيْلَقٍ كالبحر يجري مُزْبِدَا

يعني أشرق وأضاء (وقال) أبو طالب في مدح الرهط الذين قاموا في نقض صحيفة الغدر التي كتبها قريش في أمر بني هاشم وقد قدمنا الاشارة اليها في ايراد معاجز النبي صلى الله عليه وسلم

جزى الله رهطاً بالحَجون تتابعوا * على ملا يهدى لحزم ويرشد
قعودٍ لدى حطم الحَجون كأنهم * مَقاوِلة (١) بل هم أعزّ وأمجد
أعان عليها كلّ صقر كأنه * اذا مامشى في رفرف الدّرع أجرد
من الأكرمين من لؤيّ بن غالب * اذا سِيم خسفاً وجهُهُ يتربّد

يعني يشرق ويضيء فالخصم أراد أن يذم فمدح من حيث لا يشعر وان كان بالراء المهملة فهو تغيّر الوجه بالاحمرار أو غيره ولا يكون ذمّا على كل حال فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب تربّد وجهه يعني احمرّ من الغضب وكان ذلك علامة يعرف بها أصحابه غضبه اذا غضب لأنه اذا غضب لا يعلو صوته ولا يتغيّظ كما يفعل الناس لوفور عقله وقوّة ملكته فكان أثر غضبه يظهر في وجهه فلم يكن ذلك ذمّا له وقد يحصل التغير في الوجه بالاحمرار لخجل أو حياء أو صرف الحواس الى تعقّل كلام يعظم خطره عند السامع وكل ذلك خارج عن معنى الصرع وداخل في حيّز صحة العقل (وروايته) عن عمر يظهر منها ظهوراً بيّناً أن المسموع همهمة الوحي لا صوت النبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال يسمع عند وجهه كدويّ النحل ولم يقل يسمع منه فهي دالّة بأوضح دلالة على ثبوت نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم لأن التخيّلات

(١) مقاولة بفتح الميم جمع مقول كمنبر وهو الملك يقول ماشاء فينفذ كما في القاموس.

التي تعرض للانسان لا يسمعها غيره ولا يراها فرواية الخصم على عكس مراده فهي حجة عليه لا له (وأما) روايته الأولى عن عائشة فلا اشعار فيها بما ادّعى أصلاً لأنها لاتحكي حال النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزول الوحي عليه وانما تخبر عن انقسام الوحي الى قسمين وهذا غير ما رامه النصراني وقصد الى اثباته فأين هي من الاشعار بمراده (وأما) روايته الثانية أيضاً عن عائشة وهي آخر رواياته فلا ظهور لها في دعواه ولا اشارة ما لأن حدوث العرق في الجبين قد يكون من الخجل كما قال الشاعر

وأخجلتها بالعتب حتى تركتها * تزيل الثريّا بالهلال عن البدر

أي تزيل العرق المنتظم كنظم الثريّا بأصبعها مقوّسة كالهلال عن جبينها وقد يكون من توقّد القوى الدرّاكة باستعمال الفكرة التامّة في استخراج معنًى دقيقٍ واستيضاحه فانّ الحرارة الغريزيّة يعرض لها عند هذه الحالة تلهّبٌ وتسعّرٌ فيحصل من ذلك اسخان الأعضاء وهو يستلزم حدوث العرق حتى في الزمان البارد وهذا مع كونه معقولاً معروف بالوجدان فانا نجده من أنفسنا في تلك الحالة التي وصفناها وقد يحدث عرق الجبين لتحمّل شيء يثقل احتماله على النفس وهو أيضاً من الامور الوجدانية فليس يتوقف عرق الجبين على حصول صرع أو جنون كما هو مظنون الخصم لعدم معرفته بالوجدانيات وقصوره عن تعقل اللوازم والملزومات فعرق جبين النبيّ صلى الله عليه وسلم حين نزول الوحي عليه سببه صرفه حواسّه وقواه الدرّاكة بهمة عالية وفطنة ثاقبة وعزمة ثابتة الى تفهّم ما يلقى اليه من الوحي وتعرّف حقائقه واستخراج دقائقه ليؤديه الى العباد على وجهه الذي أراده الله منه ولا يخفى ان هذا الامر يستلزم اشتعال الطبع والتهاب الغريزة وسخونة البدن وهو مستلزم لحدوث العرق لامحالة وهو حينئذ في كمال العقل

وتمام صحة التمييز متعرّف لمخاطبات الله تعالى الواردة عليه فأيّ عقل أتم من عقله في حاله هذه والخطاب الوارد من حضرة ذي الجلال عظيم خطره ثقيل حمله شديد استماعه وليس بالهوينا التي يظنها النصراني وائل وصاحبه وقد قال الله تعالى مخبراً عنــه (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) فلا غرو لو عرق جبين من كلّف بالاصغاء اليه وفهمه وحمله وأدائه الى عباد الله على وجهه وحقيقته ورجفت أعضاؤه عند وروده عليه وارادة حفظه وتعقل معانيه منه فليس في عرق جبين النبيّ صلى الله عليه وسلم حين نزول الوحي عليه لو صح وقوعه مايُشعر بدعوى الخصم أدنى اشــعار فعادت رواياته بأسرها خالية من أيسر دلالة على مرامه بل رجع بعضها حجة لنا عليــه ولم يبق له منها شاهد بدعواه الاّ قوله وربما غطّ كغطيط البَــكْر محمرّة عيناه وهذا لو صح لم ينهض بمقاومة بعض ما قدمناه من الأخبار المنافية لمضمونه فضلاً عن جميعها فكيف والاختــلاق والوضع من النصراني ظاهران فيه لعلمنا بالاستقراء والاستقصاء أن أحداً من المسلمين وان عظمت فريته لا يصف رسول الله صلى الله عليه وسـلم بتلك الاوصاف المستنكرة فبطل بعون الله ماادّعاه الخصم وما استنتجه وما رتّب على استنتاجه من اللغو المستقبح المستهجن * ومن ايراده تلك الروايات مستدلاّ بها على ماأرادوهي كما سمعت لاتدل عليه بواحدة من الدلالات نستنتج عدم معرفته بمعاني الكلام واصابته بالصرع والجنون، وانه لامحالة مسلوب الحس مفتون، لاستدلاله على مرام بشيء لايدل عليه وهذا ديدن أهل الصرع والجنون ،يقولون مالا يعقلون معناه ،ولا يفقهون مغزاه، فالرجل من كبرائهــم وعظمائهم

(قال) فمحمد وان يكن في أكثر أحواله قد ظهر ذا دراية وبصيرة فقــد صدرت منه بعض افعال جعلتــه في زمرة الناس العديمي الثبات

وكبّر النصراني وائل حجم ساحته هذه بأمور ذكرها نحن نوردها مختصرة (منها) أن النبي صلى الله عليه وسلم أظهر لليهود غاية المودة والمساعدة واستقبل قبلتهم بيت المقدس ليجلبهم اليه فلما تحقق منهم عدم ميلهم الى دينه نسخ ذلك الحكم واستقبل الكعبة وأظهر لليهود العداوة والبغضاء.

(أقول) أما اظهار النبيّ صلى الله عليه وسلم المودّة لليهود فلم يقع منه في وقت من الاوقات قط وما زال منذ قدم المدينة يخاصمهم ويحتج عليهم بتوراتهم ويعلن بضلالهم والقرآن مملوء من ذلك وانما صدرت بينه وبينهم مهادنة ومعاهدة على انّ لا يعرض لهم بحرب ولا يعرضوا له بها ولا يعينوا عليه أحداً من المشركين بقول ولا فعل وأن يعينوا المسلمين فيما وقع عليهم من ديات يلزمهم أداؤها فوفى لهم بالعهد ولم يتعرض لهم بسوء ماداموا على العهد فلما نقضوا عهده وأعلنوا بالوقيعة فيه وتظاهروا بعداوته وأجلبوا عليه وظاهروا عليه المشركين وراموا قتله سرًّا وجهراً شمّر لقتالهم غير وان ولا فشل فأجلى منهم بعضاً ومحا من جديد الأرض آخرين وكان ماصنعه أولا وآخراً هو الحزم وصواب الرأي فانه عاهد اليهود أولا قصداً لتمكّن أصحابه من الاستقرار في بلادهم لأن العرب بحذافيرهم محاربون لهم فأراد أن لا يكون لهم في بلادهم محارب يشغلهم فيصعب عليهم الأمر من كل وجه وقصد باجلاء اليهود وقتلهم بعد غدرهم ان لا يكون له ولأصحابه عدوّ محارب في بلادهم فانّ من أعظم المشاق على الانسان أن يكون له في دياره عدوّ محارب وهذا معلوم عند العقلاء وقد ذكر في أشعار العرب قال ذو الرّمة غيلان

وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللهِ مَيَّةُ مَا الَّذِي ... أُحَدِّثُهَا إِلاَّ الَّذِي أَنَا كَاذِبُهْ

إِذَاً فَرَمَانِي اللهُ مِنْ حَيْثُ لاَ أَرَى ... وَلاَ زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أُحَارِبُهْ

فالفعلان من النبيّ صلى الله عليه وسلم يدلاّن على مهارته وكمال درايته وبصيرته ويعربان عن تمام حذاقته في الأمور وحسن تدبيره (وأما) استقباله بيت المقدس فقد كان في أول مبعثه ومدة اقامته بمكة وهي نحو ثلاث عشرة سنة وذلك أطول زماناً من اقامته بالمدينة بعد الهجرة ولم يكن هناك يهود يستجلبهم باستقباله قبلتهم فلايبقى الا كون استقباله بيت المقدس ثم عدوله عنه الى استقبال الكعبة واقعين منه بأمر الله والانبياء يجب عليهم طاعة الله في أمره ونهيه فما فعله النبيّ صلى الله عليه وسلم من الأفعال دليل واضح على عكس ماسلح به وائل فاقد الثبت (ومنها) أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّة عيّن حدّا للنكاح وأخرى تجاوزه هو بنفسه (أقول) هذا الاعتراض قد أجبنا عنه سابقاً فلاحاجة لاعادة الجواب هنا (ومنها) أنه خرج الى أُحد تبعاً لرأي بعض أصحابه وكان الرأي عنده ان يقيم بالمدينة ولا يخرج الى قريش (ومنها) أنه بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى عوف بن أبي حارثة وهما قائدا غطفان يوم الاحزاب فبذل لهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فأبى ذلك سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وقالا أو لهما والله لا نعطيهم الاّ السيف فرجع الى رأيهما وترك رأيه (ومنها) أنه نزل أدنى ماء من بدر حين خرج لعير قريش فأفلتت وأقبلت قريش لقتاله فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله فترك رأيه واتبع رأي الحباب ونهض بالناس الى أدنى ماء من قريش

(أقول) أول مايجاب به الخصم عن هذه الأمور بأن موسى عليه السلام لما

خرج من البحر أمره الله أن ينزل مع قومه بالصحراء وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنّ والسلوى وفجّر لهم العيون من صخرة صماء فكانوا في رفاهية ودعة فلما قالوا لموسى انا لن نصبر على طعام واحد وانا نريد البقل والقثاء والبصل والعدس وكذا وكذا قال لهم اهبطوا مصراً فهبطوا وهبط هو معهم فاتبع رأيهم وترك رأيه فاذا جعل الخصم اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رأي أصحابه في مصالح الدين واظهار القوة على المشركين والاعلان بمقاومة المحاربين واعمال المكايد في تحصيل الغلبة على الظالمين موجباً لعدم ثباته ونفاذ بصيرته فليجعل رجوع موسى عن رأيه واتباعه رأي قومه فيما هو راجع الى تحصيل شهوات الأنفس فقط وليس فيه مصلحة للدين أصلاً موجباً لعدم ثباته ولضعف بصيرته وهو لا يرضى أن يثبت هذا في موسى فبالأحرى أن لا يقوله في محمد صلى الله عليه وسلم وليس له أن ينكر ما قلناه من أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم طالبوا بما أشاروا به عليه تقوية أمر الدين لا أمر الدنيا وشهوات النفوس لأن أخبار هذه الوقائع ناطقة بذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع الى رأي أصحابه في تلك الأمور عن حكم مشروع وانما رجع عن مكيدة أعملها لهم ليحوطهم بها عن العدوّ ويردّ عادية الكفرة عنهم لئلا يهنوا فيستعلي عليهم عدوهم فحين رأى منهم توطين نفوسهم على منازلة الاعداء كان الأجدر به أن يجيبهم الى ما طلبوا لأن هذا حقيقة مطلوبه منهم فكلّ من فعليه في موضعه هو الرأي الصائب وهذا الوجه كاف في دفع تمويه الخامل وائل واسكات نامّته (١) ومزيل عناقذارة سلحته (ويجاب ثانياً) عن الأمور المذكورة بأنه غير خفيّ على كل فطن لبيب أن النبوّة أمر والقتال أمر آخر ولا ملازمة بينهما فمتى أمر الله نبياً من أنبيائه بقتال أعدائه كان

---

(١) في القاموس والنامة الحس والحركة وحياة النفس اه

مرجعه في أمر القتال واعتماده فيه على ماجرت به عادة الرؤساء المقاتلين من جمع العساكر وتأليف قلوبهم واظهار اللين لهـم والاتفاق معهم في الرأي على أمر واحـد واعمال المكايد التي يرجى بها الظفر بالعدوّ لأنه يقاتل قوماً قد أعدّوا له وأعملوا الحيل والمكايد التي يقدّرون أنها توجب لهم الغلبة عليه (ومن المعلوم) أنه متى وقع الاختـلاف بين الرئيس وبين جنده أو بين بعضهم وبعض في الرأي ساءت نياتهم وتفرقت كلمتهم لعدم مناصحتهم لرئيسهم ولبعضهم بعضاً فأحاط بهم الفشل والعجز عن مقاومة عدوّهم وأدّى ذلك الى استعلاء العدوّ عليهم وظفره بهم ووقع عكس المطلوب (وكذا) اذا أهمل الرئيس أمره ولم يستوثق من اعمال المكايد لأعدائه فانه يؤدّي اهماله الأمر أيضاً الى ماذكرناه وهذا من المشاهدات فالنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يوافق أصحابه في الرأي لانتشرت كلمتهم وتبدّد جمعهم وقلّت له مناصحتهم وضعفت في نصره عزائمهم وآل الأمر الى استيلاء الأعداء عليه وعليهم ووقع ضد مراده وهـذا لامحالة من سوء التدبير وضعف الهمة فما اعتمده النبي صلى الله عليه وسلم من موافقة أصحابه في الرأي ليجمع بذلك أمرهم ويخلص في طاعته نياتهم وتنفذ في نصرته بصائرهم هو الصواب ، الذي لايشك فيه عاقل ولا يرتاب ، وقد كشف الله تعالى في كتابه العزيز عن هذا المعنى اللطيف الذي فات فهمه واثلاً فقال جـل وعلا مخاطباً لنبيه (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) وكان سادات العرب وأكابرهم يقولون انه يقبح بالرئيس المطاع أن يخالف قومه ونظرهم في ذلك الى ماذكرناه وقد اتّضح من

البيان أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم كلها دالة على كمال عقله وثباته وبلوغه الغاية القصوى في حسن السياسة وتدبير الأمور وبطل ما قاله النصراني الغبي من البهتان والزور

(قال) هذا وان عدم اعتناء محمد بتعيين خليفة يتسلم عنان الحكم بعد وفاته هو دليل على عدم كونه ذا دراية وبصيرة في تدبير الأمور

(أقول) لو كان الأمر كما ذكر النصراني من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين له خليفة يقوم بأمر أمته ويتسلم عنان الحكم بعد وفاته لكان كما قاله الخصم بلا مرية (وحاشاه) من ذلك فانه صلى الله عليه وسلم عين لأصحابه خليفته والقائم بأمر أمته بعده وأمرهم باتباعه ومناصحته وموازرته والتمسك به وأخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا متمسكين به مرة بعد أخرى ومقاماً بعد مقام وذلك الخليفة المعين هو علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وهو أول من آمن به وصدقه وعبد الله معه من أهل بيته وعشيرته من بني هاشم وقريش ووازره على أمره وهو أكثر أصحابه ورهطه جهاداً بين يديه وأشدهم نصراً له وأعظمهم عناءً في قتال عدوه وأقواهم بأساً وأغزرهم علماً وأوسعهم حلماً وأفصحهم لساناً وأوضحهم بياناً وأحسنهم منطقاً وأجمعهم لخصال الخير والفضل فان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه استخلافه اياه عليهم بياناً شافياً وأوضح لهم الأمر فيه ايضاحاً كافياً وما على الرسول الا البلاغ المبين فقال صلى الله عليه وسلم مرة لأصحابه (ألا ادلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ان ربكم الله وامامكم علي بن ابي طالب فناصحوه ووازروه) وهذا الخبر قد صححه طائفة المعتزلة وغيرهم كما ذكره ابن ابي الحديد المعتزلي الحنفي *وقال اخرى (علي مني بمنزلة هرون من موسى الا

انه لا نبي بعدي) وهذا الخبر متفق عليه رواه البخاري وغيره * وقال اخرى (عليّ وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي) * وأخرى قال (عليّ امام أمتي) * وأخرى قال فيه (عليّ سيد المسلمين وامام المتقين) * وأخرى قال فيه عن الله تعالى (هو راية الهدى وامام أوليائي ونور من أطاعني) وهذه الاحاديث في امثالها رواها كثير من المحدّثين مثل أحمد بن حنبل وغيره * وقال مرة اخرى (عليّ امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله) * وفي غدير خمّ منصرفه من حجة الوداع قام في الناس خطيباً فوعظ وحذّر وانذر وقال ما شاء أن يقول ثم قال (معاشر الناس الست اولى بكم منكم بأنفسكم فقالوا جميعاً بلى يارسول الله فأخذ بيد عليّ فرفعه حتى رآه القوم عن آخرهم فقال الا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وهذا الخبر متواتر رواه الجم الغفير من الصحابة (وروى) احمد بن حنبل وغيره من المحدثين عن البراء بن عازب وغيره من الصحابة زيادة في الخبر ان عمر بن الخطاب قال لعليّ عليه السلام بعد مقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك القول فيه بخ بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة (وقال) صلى الله عليه وسلم في آخر مقام قامه بين الناس في مرضه الذي قبض فيه وهو جالس على المنبر لا يستطيع الوقوف من شدة المرض بعد حمد الله والثناء عليه والوعظ والتذكير (ايها الناس اني مخلّف فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانّ اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وكان قد قال قبل لأصحابه مراراً كثيرة (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما) وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم اهل بيته يوم مباهلة نصارى نجران فانه اخرج معه لمباهلتهم عليًّا وفاطمة

والحسن والحسين فأجلسهم تحت شجرة واظلّهم بعباءة او كساء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي(١) فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً) وحديث التمسك بالثقلين وحديث المباهلة متواتران مجمع بين الأمة على روايتهما ومع هذا كله فقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على أن وصيه عليّ بن ابي طالب توكيداً لهذه الأقوال ففي الفصل الخامس عشر من ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي وهو باب اثبات عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عليّ وجعله وصيًّا عن مسند احمد بن حنبل بسنده عن انس ابن مالك قال قلنا لسلمان سل النبي صلى الله عليه وسلم عن وصيّه فقال سلمان يا رسول الله من وصيّك قال يا سلمان من وصيّ موسى قال يوشع بن نون قال صلى الله عليه وسلم (وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي عليّ بن ابي طالب) *وعن موفق بن احمد بسنده عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكلّ نبيّ وصيّ ووارث وان عليًّا وصيّي ووارثي)* وعنه ايضاً بسنده عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله اختار من كل نبي وصيًّا وعليّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وامّتي بعدي)* وعن الحمويني الشافعي بالسند عن ابي ذرّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا خاتم النبيّين وأنت يا عليّ خاتم الوصيّين الى يوم الدين) (قال القندوزي) الثعلبي اخرج حديث الوصيّة لعلي عن البراء بن عازب في تفسير (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وابن المغازلي اخرج حديث الوصيّة لعلي بسنده عن ابن عباس وعن جابر بن عبدالله وعن بريدة وعن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنهم انتهى ومثل هذه الأحاديث في المعنى كثيرة جداً تجلّ كثرة عن احصائها في هذا الاملاء وقد تكفّلت بجمعها كتب الفضائل وكتب الامامة

«١» الحامة خاصة الرجل من أهله وولده كما في القاموس

لأصحابنا وغيرهم واوردنا نحن منها كثيراً في كتاب منار الهدى. واخرجناها هناك من كتب اخواننا اهل السنة فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يهمل الأمر ولم يترك الناس فوضى سدى ولم يذرهم حيارى لا يعلمون من يرجعون اليه من بعده في امر دينهم ودنياهم بل عيّن. لهم أوثق الناس عنده وأقربهم اليه قرابة وأعظمهم عنده منزلة الذي. قال فيه (لا يؤدي عنّي الا انا او علي) فاستخلفه وولاّه وجعله وصيّه وأمر بالتمسك به والقاء زمام الحكم اليه (وأي) تعيين اوضح مما اوردنا بعضه. من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم ولكن القوم بعد النبي صلى الله. عليه وسلم اختاروا امراً بآرائهم لخطرات خطرت ببالهم واشياء حدّثتهم بها انفسهم فظن بذلك من جاء بعدهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين. لخلافته احداً بعينه وسرت هذه الشبهة حتى تلقى النصراني واثل شرها فاحتج بها على ماحاول ورام وليس الأمر كما توهم فكلامه باطل وحجته داحضة وليس مخالفة الامم لأنبيائهم في مثل ذلك ببدع فانّ موسى استخلف على قومه أخاه هٰرون في حياته فخالفوه واتبعوا السامري وعبدوا عجله واستخلف عليهم بعد وفاته يوشع بن نون وكان ابن عمه. فعدلوا عنه الى غيره ولم يرجعوا الى طاعته الا بعد مدة طويلة وهذه الامة تحذو حذو بني اسرائيل كما اخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم والله المستعان

(قال) النصراني واثل أما ادعاء محمد النبوة بين اهل مكة فلم يكن امراً صعباً جداً لأن ماجاء به من التعاليم والأحكام كان بالحقيقة افضل جداً مما كانوا هم عليه وتنتذ من عبادة الأصنام الشنيعة (اقول) وافضل جداً مما كان عليه النصارى من اتخاذهم المسيح من دون الله آلها وجعلهم اياه له ولداً فانّ ذلك. شبيه بما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام كما لا يخفى على ذوي الافهام

(قال) واذ كان هو (يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم) حسن الاخلاق.

فصيح اللسان يحب الضعفاء والفقراء ويحامي عنهم جلب اليه قلوب أكثر الناس

(أقول) وصف النصراني نبينا محمداً ههنا بهذه الأوصاف الجميلة يناقض ما ادّعاه فيما سبق من كلامه من أن النبي صلى الله عليه وسلم مصاب بداء الصرع وأنه عديم الثبات ليس بذي دراية ولا بصيرة تامة في تدبير الأمور فانك خبير أن ماذكره للنبي صلى الله عليه وسلم من الأوصاف التي جلبت بزعمه اليه الناس لاتصدر من مصاب بصرع ولا من عادم ثبات وانما تصدر من ذي عقل كامل وروية مستقيمة وبصيرة نافذة ودراية صحيحة يفوق بها أهل هذه الأوصاف .فقد ناقض الجاهل وائل نفسه وعاكس حكمه وليس ذلك من مثله ببعيد *ثم أورد كلاما يتضمن ما أيد الله به النبي صلى الله عليه وسلم من النصر والظفر بالعرب حتى عادت قبائل العرب في آخر أيامه خاضعة له من كان منهم قريب الدار منه أو بعيداً ونسب ذلك الى مالازمه قوّة معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالسياسة لا الى تأييد الله اياه وكلامه وان كان غير صحيح الا أنه مكذّب له فيما يدّعيه من اصابة النبي بالصرع ونقصه في تدبير الأمور فلذا أعرضنا عن مقاولته فيه مع قلة الفائدة في الجواب عنه

(قال) ولكنه مع ذلك كان البعض في المدينة نفسها يحتقرونه مزدرين به وان أكثر تابعيه قد عصوا أمره في غزوة تبوك ولم يخرجوا معه الى القتال وان أكثر العرب لم يكونوا يعتقدون بنبوّة محمد على وجه الحقيقة وانما تبعوه للخوف

(أقول) المتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من أهل المدينة قليل من المنافقين ومن الاعراب كثير وأما المهاجرون والانصار وغيرهم من المسلمين فأوعبوا معه ثم ان الرجل ان أراد بكلامه هذا ان علماء المسلمين يدّعون ان أهل المدينة

والعرب جميعاً آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة يعني ظاهراً وباطناً باخلاص نية ولم يكن فيهم من يشك في نبوته وينكرها باطناً وان ايمانهم به على الوجه المذكور هو الدليل على صحة نبوته فهو يرد عليهم دعواهم وينقض استدلالهم فكلامه في غير محله ومن قال من علماء المسلمين لهذا الجاهل الأحمق ان أهل المدينة لم يكن فيهم منافق يجحد النبي صلى الله عليه وسلم باطناً وان العرب بأسرهم آمنوا به حقيقة وان ايمانهم به هو الدليل على صحة نبوته حتى يورد عليهم ما قال وكيف يدعي أحد من علماء المسلمين ذلك والقرآن يخبر بفصيح اللسان عن المنافقين بقوله (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ)وقوله تعالى (قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) وهذان الآيتان من الآيات المخبرة عن الغيب وان أراد به ان عدم ايمان أكثر العرب بالنبي ونفاق بعض أهل المدينة دليل على عدم صدق نبوته كما هو الظاهر من مقصده نقضنا عليه بعدم ايمان اليهود بعيسى وعدم ايمان فرعون وقومه بموسى وعدم ايمان السريانيين بابراهيم وعدم ايمان ثمود بصالح وعدم ايمان عاد بهود وعدم ايمان قوم نوح به وعدم ايمان أهل الاوثان والدهرية من العرب وغيرهم بجميع الانبياء وبنفاق بعض بني اسرائيل كالسامري وقارون وأتباعهما وازدرائهم بموسى وهرون فان كان عدم ايمان أكثر العرب بنبينا محمد حقيقة أعني ظاهراً وباطناً ونفاق بعض أهل المدينة دليلا عند الخصم على عدم صدق نبوته لزمه أن يجعل عدم ايمان أولئك الأشقياء المذكورين بالأنبياء الاكرمين لا باطناً ولا

ظاهراً دليلاً على عدم صدق نبوّاتهم وكذلك أن جعل تخلف قوم من المنافقين ومن الاعراب عن محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قادحاً في رسالته فليجعل تخلف بني اسرائيل بأسرهم عن موسى في قتال القوم الجبارين قادحاً في رسالته وما أراه يتجاسر على شيء من هذا فبطل اذاً دليله وخاب تأميله (والحاصل) أن النبوّة اذا ثبتت باظهار المعجز فلا يقدح في صدقها عدم ايمان أهل الكفر والجحود بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولانفاق أهل الشك والريب بل يكونون هم الملومين ولولا ذلك لم تصح نبوّة نبيّ قط اذ ما من نبي الا وقد كذّبه قوم وهذا واضح لايحتاج الى زيادة البيان ثم ان الرجل أردف بقوله المتقدّم قصة ارتداد العرب عن الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأقول) ان الجواب عنه نظير الجواب عن سابقه وتوضيحه أن يقال ان كان مراد الخصم بما أورده ان علماء المسلمين يدّعون ان العرب جميعهم استقاموا على الاسلام ولم يرتد أحد منهم عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عدم ارتدادهم عن الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم برهان على صحة نبوّته فهو بذكر ارتداد العرب يكذب دعواهم ويبطل برهانهم فكلامه في غير موضعه أيضاً لأنه لم يدّع أحد من المسلمين ان جميع العرب أقاموا على الاسلام ولم يرتدوا عنه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وان عدم ارتدادهم هو البرهان على صحة نبوّته صلى الله عليه وسلم بل علم كل ذي علم بالتواتر والتسامع بأن كثيراً من العرب قد ارتدوا عن الاسلام بعد النبي كلهم يقر بذلك ولا ينكره وان كان مراده ان ارتداد أكثر العرب عن الاسلام برهان على عدم صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم عارضناه بارتداد بني اسرائيل عن الدين في حياة موسى وبعد وفاته مراراً (الأولى) بعد خروجهم من

البحر بلا فصل حين رأوا قوما يعبدون اصناماً فقالوا ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة (الثانية) حين مضى موسى لميقات ربه واستخلف عليهم أخاه هرون فدعاهم السامريّ الى عبادة العجل فعبده أكثرهم (الثالثة) قولهم لموسى حين دعاهم الى دخول الشام وقتال القوم الجبارين انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون كما قصه الله في الكتاب من قولهم (الرابعة) مخالفتهم لموسى لما أخبرهم بأن الله حرّم عليهم لعصيانهم دخول الارض المقدّسة ونهاهم عن التعرض للدخول اليها فخالفوا أمره وراموا دخولها وبقوا على المعصية حتى توفى هرون ثم توفى بعده موسى (الخامسة) مخالفتهم لموسى حين استخلف عليهم يوشع بن نون فعدلوا عنه واختاروا غيره ولم يرجعوا الى طاعته الاّ بعد المدة الطويلة وهذه الأمور لايسع الرجل انكار شيء منها لذكرها في الزبر السابقة وقد ارتدّ قوم ممن آمن بنوح عن الايمان به في حياته فالخصم اذ حكم بعدم صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم لارتداد كثير من العرب بعده عن الايمان به فليحكم بعدم صحة نبوّة موسى وعدم صحة نبوّة نوح لارتداد كثير من قومهما عن الايمان وهو ليس بحاكم بذلك فبطل كلامه وكذب برهانه (وبالجملة) فلا يقدح في صحة النبوّة الثابتة ارتداد مرتدٍ ولا عصيان عاصٍ بل يكون المرتد هو المخطيء والعاصي هو الملوم والاّ لم تصح نبوّة أصلا * ثم ذكر استيلاء المسلمين على بلاد أهل الشرك وانتشار دين الاسلام وأدرج فيه مالا يجديه نفعاً من الأغاليط ولا فائدة مهمة في ايراده واكثار القول بجوابه وبعده قال صاحب الكتاب فهذا ما أوضحه الحكيم وائل من أوصاف محمد وأحواله

(أقول) ونحن بعون الله قد رددنا تزويراته ودفعنا عنا عوادي جنونه وغسلنا أثواب ديننا من سلحاته فلم يبق لصاحبه بكلامه انتصار لأناصيرناه

هشيماً تذروه الرياح عن يمين ويسار

المنطق الخامس في دمغ فصله الخامس

واعلم ان ما رسمه في هذا الفصل معظمه تكرير لما أسلفه من زبرجه ومبني على ما قدمه من أغاليطه ودعاويه الزائلة وقد أجبنا فيما مضى عن ذلك كله وأوضحنا غلطه فيه وشططه واختلاقه وافتراءه حتى تركنا ما زرعه وأنبته حطيماً وصيرنا ما أوجده من الأشباح الظلمانية مفقوداً عديماً بالا حاجة الى اعادته ولم يكن في فصله هذا ماينبغي مقاولته فيه ومجادلته الا مواضع يسيرة فنحن ان شاء الله تعالى نوردها بلفظها أو بمعناها ونوضح غشها ونبين سوآتها ونلحقها في الاعدام بما سبق له من الأوهام والكلام هنا يقع في مشهدين

(المشهد الأول) في تقبيح ما صدّر به فصله من الأكاذيب وطي ما نشره من البهتان العجيب (فنقول) ان أول ما ابتدأ به الرجل في فصله كلام حاصله ان محمداً روّج بضاعته وسهّل الطريق لانتشار دينه باستعماله كلاماً يعتبر عند المسلمين في أعلى درجة من الفصاحة وحسن النظم وبتجويزه اتخاذ جملة من الأزواج وتطليقهنّ عند الارادة وبوعده بجنة تلائم أهواء الطبيعة البشرية واللذات الجسدية وبقبوله بعضاً من عقائد من كان قاطناً حينئذ في بلاد العرب من الوثنيين واليهود والنصارى وعوائدهم وادراج ذلك في القرآن قصداً لاستمالة قلوبهم (أقول) انا قد بيّنا سابقاً وجه كون القرآن في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة وخروجه في النظم والأسلوب عن نهج جميع كلام العرب من الشعر والخطب وغيرها وأوردنا على ذلك شهادة شركاء النصراني في الشرك والجحود الأعرف منه بوجوه الفصاحة والبلاغة وأنواع الكلام وأقمنا الدليل الواضح على أنه كلام الله ودفعنا جميع ما ألقاه النصراني عليه من الشبه فلا عبرة بعد ذلك بما قال وحققنا أيضاً بالبرهان

المنير صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما أمضاه من الأحكام في القرآن وغيره من تحليل وتحريم وقسمة مغنم وغير ذلك هو حكم الله عز وجل لثبوت عصمة الأنبياء في مثل ذلك باجماع أهل الملل وانه صلى الله عليه وسلم لم يحلّل شيئاً ولم يحرّم شيئاً لاستمالة أحد من الناس لاعربي ولا غيره فلا موقع لكلام الخصم هنا أصلاً (وأما) اتخاذ الازواج وتطليقهنّ عند الارادة فقد جوّزه موسى ولطقت به التوراة وكان أيضاً جائزاً في شرع ابراهيم ومن قبله فليبطل النصراني بذلك نبوّتهم ويبطل التوراة ان قدر والاّ فلا قدح له في نبوة سيد المرسلين (والوعد) بالجنة التي وصفها وارد في التوراة أيضاً فليمح الأحمق التوراة ان شاء والاّ فلاسبيل له الى الطعن بذلك على القرآن وصاحبه فانتشار دين النبي محمّد صلى الله عليه وسلم كان بتأييد الله وتصديقاً لما أخبر به هو صلى الله عليه وسلم وما أخبرت به التوراة وقد مضى ذلك كله

(قال النصراني) فبعد ان استمال اليه بعض أشخاص اذ تيقّن ان لاقدرة له على الاقامة في مكة وقد كان عالماً بالخصام الواقع بين أهلها وبين أهل المدينة هاجر الى المدينة متأكداً ان أهلها سيستقبلونه لذلك بمسرّة .

(أقول) أول ما يقال له في الجواب عن حمقته هذه ان موسى عليه السلام خرج من مصر أيضاً هارباً اذ تيقّن ان لاقدرة له على الاقامة بها فاتبعه فرعون وجنوده فلولا ان الله فرق له البحر حتى أنجاه ومن معه من قومه كما استر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عن أعين المشركين ليلة الغار لاستأصله وقومه فرعون وجنوده وابراهيم خليل الله أخرجه نمرود من بابل قهراً فلم يقتدر على الاقامة بها فان كان عدم قدرة محمد صلى الله عليه وسلم على الاقامة بمكة لظلم المشركين ايّاه وأتباعه نقصاً فيه أو في نبوته عند النصراني فليجعل عدم قدرة موسى على الاقامة بمصر وعدم قدرة ابراهيم على الاقامة ببابل

نقصاً فيهما أو في نبوتهما (وبالجملة) ان هذا النصراني الأحمق لا يدري ما يقول ثم ان كلامه قد تضمن بهتانين عظيمين * (الأول) * ادّعاؤه أن بين أهل مكة وأهل المدينة خصاماً واقعاً قبل الاسلام وهـذا باطل وزور فقد علم كل مطّلع على أخبار المتقدمين أنه لم يكن بين قريش وبين الأنصار وهم الأوس والخزرج أيام الجاهلية ما يوجب وحشة في النفوس فضلاً عن ايجابه خصاماً ظاهراً وعداوة بيّنة وأن الفريقين كانا على غاية من الصداقة والصـفاء فحجّاج الأنصار يأتون كل موسم مكة فلا يعرض لهم أهلها بسوء ولا مكروه وتجار قريش يحملون تجاراتهم الى المدينـة فيكونون بها في أمنع الجوار لا يضامون فيها ولا يظلمون وانمـا حدث الخصام بين الفريقين واستعرت بينهم نار العداوة حين عامت قريش ان الانصار أجابوا دعوة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأسلموا له فبادروهم حينئذ بالظلم وأظهروا لهم البغضاء وأشاعوا لهم العـداوة حتى منعوهم من دخول مكة ولو الى حج أو عمرة وأما قبـل ذلك فليس بين الأنصار وبين قريش ما يستلزم حقداً ولا احنة (وقد روى) ابن هشام في كتاب السيرة ان رهطاً من الأوس قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بمـا يزيد على عامين جاؤا الى مكة يلتمسون من قريش الحلف على اخوانهم من الخزرج فأبت قريش عليهم ذلك كراهة منهم لترجيح احدي قبيلتي الأنصار على الأخرى وقصدا الى جعل القبيلتين معاً في الصداقة على حد سواء فان كان للنصراني على ما ادّعى خبر معلوم أو أثر معروف فليأتِ به والاّ فقد نطق باطلاً وقال افكاً فالأمر المحقق أن الأنصار لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسـلم لخصام واقع بينهم وبين قريش كما ذكره هذا النصراني في بهتانه ولا لخصومة بينهم وبين سائر العرب ولا للقرابة التي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسـلم من جهة

أمّ جدّه عبد المطلب وهي سلمى بنت عمر الخزرجيـة ثم النجّارية كما أشار اليه وائل فيما رغبنا عن ذكره من كلامه السابق ووكلنا الردّ فيـه عليه الى هذا المقام ولا لخوف وحـذر وهو ظاهر ولا لطمع في مال ومغنم اذ لاوعد بذلك حينئذ ولقد علموا حـين أسلموا وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم أن العرب ستوتر لهم قوس العداوة وتضرم عليهم نيران الحروب قريشا وغيرهم وأنهم بايعوه موطنين أنفسهم على حرب كافّة العرب والصـبر على تلاف الأنفس وذهاب الأموال طمـعاً في ثواب الله لاغيره ويشهد لذلك (ماروي) في السير من حديث البيعة في العقبـة فعن ابن هشام عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتـادة الأنصاري انّ القوم لمـا اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالـكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزي الدنيـا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بمـا دعوتموه اليـه على نهكة الأموال وقتـل الأشراف فخذوه فهو والله خـير الدنيـا والآخرة قالوا فانا نأخـذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فمـا لنا بذلك يا رسول الله اذا نحن وفينـا قال الجنـة قالوا أبسط يدك فبسط يده فبايعوه فهذا الحديث يصرح بأن الانصار لم يبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم لوعد بمال ولا غنيمة ولا عداوة لأحد من الناس بل علموا انهـم قد جلبوا لأنفسهم ببيعتـه حرب الناس كافّة وعرّضوا أموالهـم للتلف ونفوسهم للقتـل على ان لهم بذلك الجنـة لم يعدهم النبي صـلى الله عليه وسلم بغيرها ومن هذا يتضح أن الأنصار انما آمنوا بالنبي صـلى الله عليه

وسلم واتبعوه لأمرين (الأول) ماسمعوه من أحبار اليهود في المدينة من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم واخبارهم بمبعثه وأنه نبي مرسل وبيانهم صفته ونعته وتعيينهم لزمانه ومكانه كما قدمنا ذلك في المنطق الثاني من هذه المقالة ونزيده هنا ايضاحاً (فنقول) في كتاب السيرة لابن هشام عن محمد بن اسحق في حديث عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي رهطاً من الخزرج عند عقبة منى وهم ستة أسعد بن زرارة أبو أمامة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك ابن العجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب قال ابن اسحق فحدث عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد عزّوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم ان نبيّاً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتّبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإِرم فلما كلم رسول الله أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلّموا والله انه لالنبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنّكم اليه فأجابوه فيما دعاهم بأن صدّقوه وتبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مابينهم وعسى الله أن يجمعهم بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك ثم انصرفوا الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا فلما قدموا المدينة الى

قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دارمن دورالانصار الاّ وفيها ذكرمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثناعشر رجلاً فلقوه بالعقبة فبايعوه الخبر فهذا أحدالأمرين (الثاني) مشاهدتهم لدلائل النبوة منه وظهور المعجزات على يديه لا لما ذكره وائل وصاحبه من الزوروالبهتان (وأما)من آمن برسول الله في مكة فان أمرهم أبين من أن يبيّن فانهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك مغنم يقسم ولا جاه يطلب بل كانوا لايمانهم به في نهاية المحنة وشدّة الظلم والاضطهاد عليهم من قومهم يضربون ويشتمون ويحبسون ويقتل بعضهم فصبروا على ما نالهم من البلاء وما مسّهم من الأذى وليس يحتمل أنهم آمنوا بالنبي على هذا الوجه الاّ لمعاينتهم براهين النبوة منه ورؤيتهم شواهد الرسالة ظاهرة عليه ولا يحتمل أن يكون ايمانهم به لوجه آخر لأنه مفقود *(الثاني)* ادّعاء الخصم أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة متأكداً أن أهلها سيستقبلونه بمسرة للخصام الواقع بينهم وبين قريش ومقتضى هذا دعوى النصراني أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة من غير سبق معاهدة وتقدّم معاقدة بينه وبين أهلها وهذا بهتان أعظم من الأول وأظهر كذباً فان المعلوم المقطوع به بين أهل العلم والرواية لايرتاب فيه أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجر الى المدينة الاّ بعد معاهدة أكيدة ومعاقدة وثيقة بينه وبين الأنصار على السمع له والطاعة والنصرة وبذل النصيحة ووقوع ذلك منهم ثلاث مرات (فالمرة الأولى) بايعه منهم ستة رهط قبل هجرته بأكثر من عامين كما قدمناه (والمرة الثانية) بايعه منهم اثنا عشر رجلا فيهم أسعد ابن زرارة وهو يومئذ سيد بني النّجار بايعوه على عقبة منى وهذه هي

العقبة الأولى وذلك في أيام الحج فلما أزمعوا الرحيل الى بلادهم طلبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلا من أصحابه يعلمهم القرآن ويدعو قومهم الى الاسلام فبعث معهم مصعب بن عمير أحد بني عبدالدار بن قصي وكان من أشراف قومه فمضى معهم وهو في جوار أسعد بن زرارة فأقام الى الموسم الآخر داعياً معلماً فلما خرج حجاج الانصار الى الحج خرج معهم وكان فيهم يومئذ مؤمنون ومشركون فاتعد المؤمنون مع النبي صلى الله عليه وسلم احدى ليالي منى على العقبة واجتمعوا معه في الموعد وبايعوه على الايمان بالله وتوحيده وعلى نصر النبيّ صلى الله عليه وسلم على من ناواه من جميع الناس على ان لهم بذلك الجنة كما في حديث عاصم بن عمر بن قتادة المتقدم ذكره وعلى انه لايتحوّل عنهم الى غيرهم اذا ظفر بأعدائه بل يبقى معهم ويكون الدم الدم والهدم الهدم هم منه وهو منهم كما في حديث كعب بن مالك الانصاري وهذه هي البيعة الكبرى وبعد انصرافهم أذن النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه المكيّين في الهجرة الى المدينة فهاجروا أرسالا حتى لم يبق منهم الا من لم يتمكن من الهجرة لمانع ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بعد المبايعة المذكورة بمدة تزيد على شهرين فهذا ماتواتر نقله وحصل العلم اليقيني والجزم بوقوعه لا ما أتى به النصراني في تزويره

(قال) وكان الذين دخلوا في دين الاسلام في مدة ثلاث سنوات من ادعائه النبوّة اثني عشر رجلا فقط وبعد ذلك بثلاث عشرة سنة أى في السنة الأولى للهجرة كان عدد الذين تبعوه لايزيدون على مائة وخمسين نفراً مائة رجل من أهل مكة وخمسون من أهل المدينة

(أقول) هذه فرية عظيمة تحاكي ماقبلها وتزيد فان المعروف في النقل والمتحقق عند أهل العلم والأثر خلاف ماقاله النصراني فان النبي

صلى الله عليه وسلم لبث من حين نزول الوحي عليه الى أن أظهر دعوته ثلاث سنين وكان في هذه المدّة مستتراً بالدعوة وقد أسلم في مدة الاستتار من أهل مكة من قريش وحلفائهم ما يقارب مائة انسان حتى فشا الاسلام بمكة وتحدث به ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باظهار الدعوة واشاعتها فمضى لأمر الله تعالى مطيعاً فأعلن الدعوة فتتابع الناس يدخلون في الاسلام من رجال ونساء حتى ان الذين هاجروا من المسلمين الى الحبشة لما مسّهم من أذى قريش وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة بنحو من ستّ سنين بلغ عددهم من الرجال خاصة اثنين وثمانين رجلا دون النساء فما ظنك بمن لم يهاجر اما لامتناعه من أذى قومه أو لصبره عليه وكانوا مثل عدة المهاجرين واسماؤهم مذكورة في كتب السيرة وما ظنك أيضاً بمن دخل في الاسلام من زمان هجرة القوم الى الحبشة الى زمان الهجرة الى المدينة والمسلمون يزيدون في كل يوم وينمو عـددهم حتى ان بعض أشراف المشركين من قريش لمـا أبصر توافر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرتهم حوله قال قد استفحل أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكثر أصحـابه كذا جاء في بعض الأخبار المعتبرة فهذه حال المهاجرين (وأما) الأنصار فان أكثرهم أسلم فيما بين البيعتين اللتين ذكرناهما حتى ان عدد من بايع النبي صلى الله عليه وسلم منهم في العقبة البيعة الاخرى بلغ ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وهم الذين حجّوا ذلك العام من مسلمة الأنصار وانمـا حج الأقل منهم ولما هاجر اليهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبثوا الاّ يسيراً حتي استوعبهم الاسلام ماخلا قليلاً أبطؤا عن الدخول فيه برهة ثم أسلموا وكل ماذكرناه معروف لدى الناظرين في كتب السير والتواريخ ليس فيه موضع للشـك والريب فأين ماذكره النصراني في عربدته من أن أتباع محمد زمان الهجرة كانوا مائة وخمسين رجلا منهم

خمسون من أهل المدينة لكنه لايستحي من ايراد الأكاذيب ثم لو سلّمنا له فريته ولم نناقضه فيها أصلاً لم يكن له مستند فيها على ما قصد اليه من القدح في نبوة نبينا محمد بقلّة تابعيه وجعله ايّاها علّة لنفي صحة رسالته لأن قلّة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم لاتنفي صدق نبوته ولو كان ذلك كذلك لانتفت نبوة عيسى لأن أتباعه منذ بعث الى أن رفع الى السماء كانوا اثنى عشر رجلا أو يزيدون قليلاً وانما كثر المدّعون أنهم على دينه بعد رفعه بزمان طويل وذلك بعد قبول قسطنطين ملك الروم ديانة النصارى وجبره أهل ملكه على قبولها وتجبّل قلوبهم عليها بعد تطاول السنين ولا نتفت نبوة ابراهيم لأنه لم يتبعه من قومه الاّ ابن أخيه لوط وامرأته سارة وهي ابنة عمه هاران ولانتفت نبوة نوح لأنه لم يتبعه من قومه الاّ ثمانون رجلاً وهم أقل مما قاله النصراني في عدد أتباع محمد وكثير من الأنبياء على هذا المنوال مثل يونس ولوط وهود واللوازم كلها باطلة فالملزوم مثلها (والحاصل) أن كثرة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم لاتثبت بمجردها صحة نبوته وقلّتهم لاتنفيها والاّ لزم دور ظاهر ولكن النصراني لايعقل ما يقول ولا يفهم ما يلزم على قوله لشدة عناده وجمود قريحته

﴿المشهد الثاني في ذكر مايحسن مجاراته فيه من بقية فصله﴾

(قال) على أثر ما أوردناه من افترا آته الملفّقة وهو يحكي أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ولما أصبح رئيس جيش منتصر متوفقاً في أكثر غزواته وأمر بجهاد وقتل كل من لا يجيب دعوته سطا الخوف على قلوب اعدائه وهالهم الامر جداً فأتى اليه أناس كثيرون يزدحمون تحت لوائه اما خوفاً منه أو طمعاً في اكتساب الغنائم والحصول على الاعتبار والسطوة

ووصل الخصم قوله هذا بكلام طويل يذكر فيه اسلام أبي سفيان بن حرب خوفاً من أن تضرب عنقه وذلك يوم فتح مكة ودخول أهل مكة ذلك اليوم في الاسلام خوفاً من القتل لعدم قدرتهم على قتال محمد لأنه بغتهم وهم غير متأهبين للحرب واسلام مالك ابن عوف النصرى لمال بذل له وقال بعد ذلك كله ومن التواريخ نعلم أن أكثر الصحابة والأنصار والتابعين انما أطاعوا محمداً طمعاً في اكتساب الغنائم والحصول على الشرف والجاه

(أقول) هذا الكلام كله مبني على ما أسلفه الرجل في ذكر شروط النبي صلى الله عليه وسلم الصادق النبوة فانه عدّ من جملتها ان لا يجبر النبي الناس على دينه فأراد من كلامه هنا أن يبين أن الاجبار على الدخول في الاسلام قد وقع من محمد صلى الله عليه وسلم فليس هو اذاً بنبيّ صادق النبوّة ومثل هذا ماسلف في كلام وائل وهذا الشرط قد أبطلناه في موضعه وأقمنا البرهان على فساده فالمبنيّ عليه مثله في البطلان والفساد ونجيبه هنا (فنقول) انّا من أول الامر نثبت أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى دينه من العرب وغيرهم وقاتل من أبى عن اتّباعه وخالفه وسبى نساءهم وذراريهم واغتنم أموالهم وصيّر الكل فيأً له ولأصحابه وانه رضخ لقوم رضائخ ليقوّى بهم الاسلام ونثبت أنه مبعوث من عند الله بذلك وأن هذه صفة من صفاته التي أخبرت بها التوراة وقد أوضحنا ذلك تمام الايضاح في مطلع المقالة وفي المنطق الثاني عند ايرادنا آيات التوراة المبشرة به والمشيرة اليه فما فعله صلى الله عليه وسلم من قتال المشركين واجبارهم على الدخول في الدين آية من آيات صدق نبوته وشاهد من شواهد صحة رسالته ولو لم يفعل ذلك لم نعلم أنه هو المبشّر به في التوراة وأنه المنعوت فيها بجميل الصفات فالنصراني يستدل على بطلان نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما هو الدليل الواضح عندنا على صدقها

ويحتج على نبي رسالته بما هو البرهان المبين لدينا على ثبوتها فأهون به محتجاً وأقبح به مستدلاً * وأما دخول اكثر العرب في الاسلام واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم للخوف أو للطمع فانا أيضاً لا ننكره وقد أجبنا عنه فيما سلف من نقل عبدات وائل النصراني بأحسن الجواب فلا ضرورة الى اعادته ومن احتاج الى مراجعته فهو منه قريب *وأما الصحابة من المهاجرين والانصار فقد بينا من قرب انهم لم يدخلوا في الاسلام لخوف ولا لطمع في أمر الدنيا وان آل الامر الى حصولها في أيديهم وانهم انما اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم باختيار منهم على يقين وتثبت في الامر بعد مشاهدة اعلام النبوة ومعاينة دلائل الرسالة منه صلى الله عليه وسلم فكلام النصراني لا عبرة به ولا التفات اليه * وأما ما ذكره الخصم في أثناء رجيمه من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر يوم فتح مكة بقتل أشخاص كانوا قد استهزؤا به قبلا وعفا عن آخرين فليس له فيه ملتمس في مرامه لأن المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم قد استوجبوا القتل باستهزائهم به وقتلهم حق له وصاحب الحق له أن يستوفيه وله أن يعفو عنه وله أن يستوفي بعضاً ويعفو عن بعض فالنبي صلى الله عليه وسلم اقتص من قوم وعفا عن آخرين ليخلط الشدة باللين لتندفع عنه الغلظة والوهن فما فعله هو عين المصلحة عند ذوي العقول ولو كان النصراني منهم لعرف ما عرفوه * ثم ذكر حديث قسمة مغانم هوازن وتأخير النبيّ صلى الله عليه وسلم قسمتها وأن الناس اتبعوه يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا من الابل والغنم حتى ألجؤه الى شجرة فاختطفت رداءه فقال أيها الناس ردوا عليّ ردائي فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته عليكم ثم ما الفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً ثم قام الى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه

فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها ثم قال أيها النـاس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم واستدل بهذا الخبر على مالا ننكره من ادعائه ان أكثر العرب كان اسلامهم طمعاً في حصول الغنائم كما استدل باسلام هوازن طمعاً في أن يردّ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم سبيهم وليس بشيء فانا قد أجبنا عنه مرّة بعد أخرى.

(وأقول). ان جهل الناس على الأنبياء لا يقدح في نبوتهم فقد جهل اليهود على عيسى وفرعون وقومه جهلوا على موسى وجهل نمرود وقومه على ابراهيم وجهل على نوح وهود وصالح وغيرهم أقوامهم ولم يكن ذلك قادحاً في صدق نبوة أحد منهم فلا قدح بجهل العرب في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان في الخبر زيادة تتضمن معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد له بالنبوة فانه صلى الله عليه وسلم بعد قوله والخمس مردود عليكم قال فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة قال فجاء رجل من الانصار بكبّة من خيوط شعر ثم طرحها من يده وجاء عقيل بن أبي طالب بابرة قد أخذها فألقاها في الغنائم الخبر أوردناه مختصراً وقد تضمن كما ترى أمرين (الاول) أن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم قسمة الغنائم كان لغلول الكبّة والابرة فلما ردّنا بادر صلى الله عليه وسلم فقسم على الناس فيأهم (الثاني) اخباره صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم الا من طريق الوحي فانه أخبر بوقوع غلول من الغنيمة وأشار الى المأخوذ غلولاً اشارة بيّنة بقوله أدّوا الخياط والمخيط (يعني الخيوط والابرة) ولم يعلم بهذا من جهة الظاهر لأن الجيش كلهم لم يعلموا ذلك (وهذا) معجز جليل من جملة معاجزه الدالة على صدق نبوته ونحن في تعداد معاجزه صلى الله عليه وسلم أدرجناه فيما لم نذكره منها فالنصراني اورد من الخبر ما توهم انه حجة له واهمل منه ذكر ما تيقن انه حجة

عليه وهذه سجيته وخلقه يصحّح من أحاديث المسلمين ما يظن انه له ويرد منها ما يعلم أنه عليه وهذا يدلك على ان الرجل خالٍ من العدل والانصاف ومرتكب طريق الحيف والاعتساف * ثم ذكر ما فضّل به النبي صلى الله عليه وسلم قوماً من قريش ومن العرب على غيرهم في العطاء من تلك الغنيمة يتألفهم بذلك ويستميلهم الى الاسلام وذكر الخصم أسماءهم كما ذكرت في السير (أقول) وهذا كالأول ليس فيه للخصم على ما يحاول اعتماد فان النبي صلى الله عليه وسلم له أن يرضخ من المغنم ما شاء لمن يشاء ويؤثر أحداً بشيء منه دون أحد على حسب مايراه من المصلحة في تقوية دين الله واضعاف دين الشيطان فما أمضاه فبأمر الله أمضاه فان الله يقول (فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (وهنا وجه آخر) وهو أن خمس المغنم كان للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قد رده على الجيش كما نطق به الحديث وقد أورده النصراني فما فضّل به النبي صلى الله عليه وسلم أولئك القوم فهو من الخمس لأنه كثير وللانسان أن يعطي من ماله ما يشاء ويفضّل منه في العطاء من يشاء والنصراني يلوم النبي صلى الله عليه وسلم على ما لا يلام عليه أحد ويذكر الامر ولا يفهم وجهه * ثم ذكر موجدة الانصار اذ أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً وسائر العرب تلك الغنائم ولم يعطهم منها شيئاً وقولهم في ذلك (أقول) لا ننكر هذا فان الرواية المعتبرة قد جاءت به لكن الانصار وان وجدوا في أنفسهم شيئاً وقالوا فيه قولا اذ لم يصبهم من تلك الغنيمة شيء الا أنهم بعد ما بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم الوجه في ذلك سلّموا له عن برد ورضا وعرفوا ان ما فعله هو الصواب والنصراني خلّط في الخبر وأتى به على غير وجهه ونحن نذكره بتمامه ليتّضح المقصد

ففي كتاب السيرة لابن هشام حدثني زياد بن عبدالله قال حدثنا ابن

اسحاق وقال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجد هذا الحيّ من الانصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يارسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يك في هذا الحيّ من الانصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله ما أنا الاّ من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار في تلك الحظيرة فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردّهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحيّ من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الانصار ماقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم ألم آتكم ضلاّلا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ورسوله المنّ والفضل قال صلى الله عليه وسلم أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ومخذولا فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلا فآسيناك أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألّفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء

أبناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله وتفرقوا تمام الخبر

وقد وضح منه ان الانصار اذ بين لهم الوجه فيما صنع سلموا له ورضوا وعرفوا أن صنعه بهم هو الاصلح لهم فى دينهم ورضاهم بفعله عن صميم قلب واخلاص نية دليل واضح على انهم لم يتبعوه لمجرد الطمع فى اكتساب الغنائم نظير سائر العرب كما يدّعيه الخصم ويستدل بخبر موجدتهم فى أول الامر عليه بل لما قدمناه وأوضحناه الاّ أن رضا الانصار بما قضاه النبي صلى الله عليه وسلم وأمضاه لم يرض به النصراني فهو بعد قد انتفخت أوداجه غضباً وتورم وجهه غيظاً وتفتت كبده وجداً فهو في ذلك جدير بقول الفرزدق في جرير

وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا * وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الْغُضُونِ الْخَضَارِمِ

ثم انه طفق يرقص ويغني بذكر فتح البلدان والممالك فى زمان أبي بكر وأيام عمر مثل الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان والمغرب وغيرها واستيلاء المسلمين عليها وجبرهم أهاليها على الدخول فى الاسلام أو اداء الجزية عن يد وهم صاغرون وانهم بهذا نشروا دينهم فيها فهدّد بغير محذور وهوّل بغير مهول فليغوّث بمثل هذا صارخاً ما بدا له فاننا لا نجاحده فيه ولا نحاشى من ثبوته فانه عندنا هو الحكم الالهي والقضاء الرباني وقد كشفنا مراراً عن وجه حجته المحققة وقشعنا غيوم الشبه عن شموس محجته المشرقة وما بقي فى ذلك هنا الا ان نقول ما قال الاول

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي * أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

وذكر فى رقصته تلك أمر الفرس وانهم اذ أخذوا بالاسلام وألزموا بقبوله قبله منهم قوم خوفاً من القتل وأبى آخرون وان الممتنعين بعضهم

قتل وبعضهم فر الى بلاد الهند الى أن قال ولم يزل نسل الراحلين هناك الى الآن معروفين باسم گبر او پارسيين وهم الى يومنا متمسكون بدين أجدادهم وهو مذهب زردشت (أقول) لما عاد أمر النصراني الى الانتصار على المسلمين بالمجوس الكفار عبدة النار فأخذ ينعاهم في رقصه ويبكيهم في صفقه بيده كما قال النابغة

بُكاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً * مُفَجَّعَةٍ على فَنَنٍ تغنّى

فقد فاز فوزاً عظيماً ونال منالا جسيما فإنا نقول له ان كان دين هؤلاء المجوس الارجاس نا كحي أخواتهم وبناتهم عندك صحيحاً لانهم بزعمك على دين زردشت فاللازم عليك أن تحكم ببطلان دين عيسى ودين موسى وبطلان نبوّتهما لأن المعروفين باسم گبر او پارسيين ينكرون دين عيسى وموسى ويجحدون نبوّتهما بل يلزمك ابطال نبوّات جميع الانبياء لأن المجوس عباد النار لهامنكرون فتكون على مايشاء الشيطان مجوسيا عابد النار جاحداً لأنبياء الله الابرار وتبطل نصرانيتك التي لا تفتؤ تجادل عنها وتناضل دونها أو تدعى أن الانبياء كلهم على دين المجوس يعبدون النار ويدعون الى عبادتها ويجيزون نكاح الأخوات والبنات وغيرهن من المحارم الا محمداً صلى الله عليه وسلم ومسيحك منهم فهو اذاً من عبدة النار وهذا لاينقاد لك معان فيه أيضاً فساد نصرانيتك وبطلان ماتدعيه لمسيحك من الربوبية فقبحاً لك وتعساً (وبالجملة) فمثل هذه القاذورات لا ينبغي أن يأتي بها عاقل دليلا فى المخاصمات الا ان هذا النصراني لايشعر بما يرد عليه فيما يورده فلا شك انه مغلوب عليه في عقله قدخالطه الخبل فأوقعه فى الخلل والزلل (ومما ذكرنا) تعلم أن المجوس ليسوا على دين زردشت ان كان نبياً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لايدعو الى عبادة

غيرالله وان كان مجوسياً فهو من ائمة الكفر فلا عبرة به * ثم أورد الخصم كلاماً لايبرح يكرره مراراً ونجيب عنه وقال فيه مامضمونه ان أهل مكة كانوا يقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون ويسمونه قبل هجرته ساحراً ويقولون عن القرآن انه أضغاث احلام وانه سحر مبين وانه شعر واراد بهذا الكلام الاستدلال على أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بنبي صادق النبوة وان القرآن ليس بكلام الله ومستنده في ذلك قول المشركين من أهل مكة ثم اطال القول فيما يطنب به كلامه ويطوله من ان انتشار دين الاسلام في العالم كان بالاكراه وقوّة السيف مما لاحاجة الى اعادة جوابه (وأقول) ان كان المشركون من أهل مكة قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون وساحر وشاعر وغير ذلك فقد قال اليهود في المسيح انه ساحر وكاذب وقال فرعون وقومه عن موسى انه مجنون وساحر وكذاب وقال كل قوم في نبيهم مثل ذلك فان كان قول المشركين في محمد صلى الله عليه وسلم انه مجنون او ساحر أو شاعر ناقضاً لنبوته عند النصراني فاللازم عليه ان يقضي بنقض نبوة عيسى لقول اليهود فيه مثل ذلك وبنقض نبوة موسى لقول فرعون وقومه عنه مثله ايضاً وهلم جرّا في جميع الأنبياء فيبطل دينه وكتبه التي بها يصول من توراة وانجيل وهو لايقضي بهذا فحجته داحضة وأنفه راغم * ثم ان المشركين الذين كذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا فيه ما ذكره الخصم كلهم قاطبة يكذبون بنبوة مسيحه وبنبوة موسى وجاحدون لشرعهما وكتابيهما ولا يصدقون بشئ من احكام التوراة والانجيل اذا لم يكن من احكامهم التي يتدينون بها في شركهم كما لا يخفى على كل عارف فاذا جعل النصراني تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه حجة له على عدم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم صحة كتابه فليجعل تكذيبهم بعيسى وكتابه

وبموسى وكتابه حجة على عدم صحة نبوة كل منهما وعدم صحة كتابه لعدم الفاصل بين الأمرين والاّ فلا حجة له فيما لغا به (والحاصل) انه لا يأتى بشبهة يروم بها القدح فى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفى القرآن الا وهى جارية فى نبوة مسيحه وانجيله وفى نبوة موسى وتوراته وفى نبوة كل نبي من الانبياء فان صحت شبهته أبطلت نبوات الجميع وان لم تصح لم تقدح فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا فى القرآن وكفى بذلك لصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عدلاً ودليلاً فصلا فكلام الخصم لا موضع له اصلاً ولا محصّل ولكنه لغو واسهاب فى القول بلا فائدة *واذ قد عرفت ما رسمناه (فاعلم) اننا لا نشك ولا نرتاب فى ان مشركي اهل مكة وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وانه مجنون وانه كاهن وانه كاذب متقوّل على الله تعالى وأنه مكتتب لأساطير الأولين لا ننكر ذلك من قولهم ولا نجحده ولا نحتاج فى الاعتراف به الى ما اورده الخصم محتجاً به من آيات القرآن فانّا اعلم منه بألفاظ القرآن ومعانيه وما علمنا ما قلناه الا من إخبار القرآن به لكنا نقول ان القوم لم يظهروا تلك الاقوال في النبيّ صلى الله عليه وسلم معتقدين في باطن امرهم أنه صلى الله عليه وسلم متصف بها بل كان اعتقادهم فيما يسرّون انه صلى الله عليه وسلم بريء من تلك الاوصاف القبيحة وانه متصف حقيقة باضدادها وانهم لم يصفوه بشيء منها الاّ بعد اظهاره الدعوة ودعائه اياهم الى الاجابة اضطراراً منهم الى ذلك والذي اضطرهم اليه امران (احدهما) انهم لما صمّموا العزم على ترك اجابة النبي صلى الله عليه وسلم الى مادعاهم اليه من توحيد الله والدخول فى دين الاسلام وعلموا انهم ان استمروا بعد ذلك على نعت النبي صلى الله عليه وسلم بما كانوا يعلمونه منه قبل وقتهم ذلك من تمام الامانة وكمال العقل

والصدق كانوا ملومين عند النـاس في تركهم الايمان به فأشاعوا فيه تلك الاقوال الشنيعة ليدفعوا بذلك عن أنفسهم ملام اللائمين (الثاني) أنهم حين تلكؤا عليه وأبطؤا عن اجابتـه علموا انه سيدعو غيرهم من سائر العرب الى مادعاهم اليه وانهم يجيبونه اذا شاهدوا منه البراهين وانه متى أجابه قوم من العرب ذووا عدة وعدد واتبعوه قوى بهـم جانبه واشتدت بهم شوكته وانتصر بهم على عدوه فاظهروا فيـه تلك الاقوال المستهجنة قصداً منهم الى تصغير قدره وتوهـين أمره عنـد العرب لكيما يزهدوا فيه وينفروا في ابتداء الامر عنه ولئلا يرغبوا في اتباعه على دينه ويدخلوا في طاعته فيقاتلهم بهم فيقتل من يشاء منهـم ويخرج الباقين من مكة أذلاء صاغرين لايقر لهم قرار ولا يأوون الى جوار فيضطرون الى اتباعه كما كانت حالهم كذلك يوم فتح مكة وعلى هذا المنوال قولهم في القرآن انه سحر أو شعر أو اضغاث أحلام وغير ذلك وما في باطنهم من الاعتقاد في القرآن وصاحبه هو غير ما أظهروه وبمضمون ماذكرناه جاءت الاحاديث الصحيحة والأخبار الصريحـة (منها) ما أوردناه في بيان اعجاز القرآن من قول الوليد بن المغيرة وقول عتبة بن ربيعة وهما من عظماء أهل مكة وكبرائهـم ومن المتشددين في مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم واولهما من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنها) ما أوردناه في نقض تمويهات وائل من حديث بناء الكعبة (ومنها) مارواه ابن هشام في كتاب السـيرة عن ابن اسحق ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليـه نفر من قريش وكان ذا سن فيهـم وقد حضر الموسم فقال لهم يامعشر قريش انه قد حضر هـذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً ويردّ قولـكم بعضه

بعضاً قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقـول به قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال لا والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزخرفة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا أباعبدشمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لغدق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الاّ عرف انه باطل وان أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيـه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنـه بذلك فجعـلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم أحد الا حذّروه اياه وذكروا لهم أمره قال ابن هشام قال ابن اسحق فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها

وفي الكتاب المذكور في خبر أبي جهل وحجره الذي أراد ان يفضخ به رأس النبي صلى الله عليه وسلم بجهله فرجع منهزماً يخبر قريشاً انه رأى دون النبي صـلى الله عليه وسـلم فحلا عظيماً وقد قدمناه قال ابن اسحق فلما قال لهم أبو جهل ذلك قام النضر بن الحارث بن كلدة وكان من أشراف قريش ومن أشدهم عـداوة لرسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال يامعشر قريش انه والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمـد فيكم غلاماً حدثاً ارضاكم فيكم واصدقكم حـديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم

كاهن لا والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون لقد رأينا المجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يامعشر قريش فانظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم الخبر وفي بعض التفاسير المعتبرة انّ الوليد بن المغيرة قال لبني مخزوم وذلك بعد ان سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن والله لقد سمعت من محمّد كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجنّ انّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة وانّ اعلاه لمثمر وانّ اسفله لمغدق وانّه يعلو وما يُعلى فقالت قريش صبا والله الوليد لتصبأنّ قريش فقال لهم ابو جهل انا اكفيكموه وقعد اليه حزينا وكلّمه بما احماه فقام فأتاهم فقال تزعمون انّ محمدًا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انّه كاهن فهل رايتموه يحدّث بما يتحدّث به الكهنة وتزعمون انّه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انّه كذّاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهمّ لا قالوا له فماهو ففكّر فقال ماهو الاّ ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر عن اهل بابل فتفرقوا متعجبين منه وفي السيرة لابن هشام قال ابن اسحاق وجعلت قريش حين منع الله النبي صلى الله عليه وسلم منهم يحذرون منه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدّث انّه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعراً لبيباً فقالوا له ياطفيل انّك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا قد اعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وبين ابيه وبين الرجل وبين اخيه وبين الرجل وبين زوجته وانا نخشى

عليك وعلى قومــك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً قال فوالله مازالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئاً حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كُرْسُفاً فَرَقاً (١) من ان يبلغني شيء من قوله وانا لا اريد ان اسمعه قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت منه قريباً فأبى الله الا ان يسمعني بعض قوله قال فسمعت كلاما حسناً قال فقلت في نفسي واثكل امى والله اني لرجل لبيب شاعر مايخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسناً قبلته وان كان قبيحاً تركته قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومــك قالوا لي كذا وكذا الذي قالوا فوالله مابرحوا يخوفونني امرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا اسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً فاعرض عليّ امرك قال فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ولا امراً اعدل منه قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومى وانا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما ادعوهم اليه قال اللهم اجعل له آية قال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنيـة (٢) تطلعني على الحاضر وقع نور بين عينيّ مثل المصباح قال قلت اللهم في غير وجهى اني اخشى ان يظنوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراقى دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطى كالقنديل المعلق وانا اهبط من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم الى آخر الخبر (أقول) النور الواقع في وجـه

---

(١) الكرسف القطن. والفرق بالتحريك. الخوف « ٢ » الثنية المكان المرتفع

الطفيل ثم في رأس سوطه(معجز عظيم) من معاجز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أظهره الله بدعائه على يد الطفيل نظير ما أظهره الله لرسل عيسى عليه السلام بدعائه ولم نورد هذا في الذي عددناه من معاجزه (وفي كتاب السيرة أيضاً)عن ابن اسحق مسنداً الى عبيد الله بن العباس قال اني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين لكم عن الله مابعثني به قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يابني فلان ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لأبي من هذا الذى يتبعه ويرد عليه مايقول قال هذا عمه عبدالعزى ابن عبدالمطلب أبولهب (وفي السيرة) في حديث مبارزة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيّ بن خلف الجمحي اذ دعاه الى المبارزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبله بحربة فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً أى تقلب فجعل يتدحرج فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال قتلني والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من بأس قال انه قدكان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة (فتدبر) فيما تضمنه هذا الخبر من اعتقاد مشركي العرب في النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الصدق وان مايخبر به واقع لامحالة تجده ناطقاً

بأن القوم يعلمون من حال النبي صلى الله عليه وسلم عكس ما يُظهرون (وفي السيرة) مسنداً عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حضرت قريشاً وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرّق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبيناهم في ذلك اذطلع رسول الله فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجده من القول حتى انه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر (فتأمل) في صريح هذا الحديث وما نطق به فهل ترى ان قريشاً يعتقدون في النبي صلى الله عليه وسلم أنه مجنون أو شاعر أو ساحر أو كاذب ويداخلهم من قوله جئتكم بالذبح ما أرعب قلوبهم وزعزع نفوسهم من شدة الخوف والرهبة حتى ان أشدهم عليه ليسكته بأحسن القول ويقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً وهل تعلم ان العقلاء يعبؤن بقول من يعتقدون فيه الجنون والكذب والسحر ويخافون وعيده ويرهبون تهديده كلا انما يكون ذلك لمن يعلمون استقامته وكمال عقله ويقطعون بصدقه في كل ما يخبر به ومن هذا يتضح ان اعراضهم عن قبول ما جاءهم به من الحق

الذي عرفوه انما هو تعنت واستكبار (وقد روى) في كتاب السيرة مسنداً عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب انه حدّث ان أبا سفيان ابن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكلّ لايعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا وذكر في الخبر انهم عادوا الليلة الثانية والليلة الثالثة وانهم تعاهدوا بعد الثالثة أن لايعودوا قال فلما أصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى ابا سفيان في بيته فقال اخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف مايراد بها وسمعت اشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها قال الأخنس وانا والذي حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا واعطينا حتى اذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به ابداً ولا نصدقه قال فقام عنه الاخنس وتركه

(اقول) وهذا غاية التكبر والعناد فان كلاًّ من الثلاثة لم يطعن فيما سمعه بشئ من المطاعن ومع ذلك لم يؤمن احد منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يصدق بكتابه وابو جهل كما ترى قد صرح بالعصبية تصريحاً وما يدل على ما قلناه منطوقاً ومفهوماً من الاحاديث كثير لو تعاطينا ذكر جميعه لخرج بنا الى الاطناب والملال فلنقتصر على ما أوردناه ففيه

كفاية لمن وعى وشفاء من داء الجهل والعمى (ومنه يعلم) انما أورده النصراني عن اخوانه المشركين ضلال وباطل وما اعتمد عليه في مرامه من قولهم مجتث زائل (فلو فرضنا) ان قول الكفرة الفجرة في الانبياء انهم مجانين أو سحرة قادح في صحة نبواتهم لم يكن ما رواه الخصم من قول المشركين في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قادحاً في صدق نبوته لانهم لم يقولوا فيه ذلك عن اعتقاد فليس للنصراني على قولهم فيما يحاوله استناد فاحتجاجه به عصبية ظاهرة وعناد فلا يتم له به مقصد ولا مراد

وينبغي تفسير ما في هذه الاحاديث من الالفاظ الغير المأنوسة عند الناظرين فنقول (الزمزمة) كثرة الكلام أو الصوت البعيد له دوي أو تتابع الصوت وكأن الاول ثم الثالث أنسب بالمقام (والسجع) استعمال كلام له قواف كقوافي الشعر وهذا من ديدن الكهان (والخنق) بخاء معجمة ثم نون مفتوحة مصدر خنق كتعب بمعنى اغتاظ (والتخالج) التشكيك واضطراب الرأي ويقال لاضطراب الاعضاء أيضاً (والوسوسة) حديث النفس واختلاط الذهن من غلبة السوداء (والتخليط) ضم كلام الى كلام يضاده ويعاكسه مع اعتقاد صحتهما معاً أو اعتقاد هذا مرة وهذا أخرى مع عدم الاستمرار على أمر واحد لاختلال العقل وهذه من صفات المجانين (والنفث) التفل وهو نفخ معه شئ من الريق (والعقد) كعمر جمع عقدة وهي ضم الخيط أو شبهه بعضه الى بعض في مواضع منه وهذا من عمل السحرة كان الساحر يعقد عقدة في خيط أو ما أشبهه ويتكلم عليها بكلام ثم ينفث فيها والعقدة أيضاً وصل الشئ بغيره خيطاً كان أو غيره وتقال على المواصلة بين اثنين * قال الشاعر

وكُنّا عقدْنا عُقدَةَ الوَصْلِ بيْننا فلَمّا توَاثقْنا شدَدْتُ وحَلّتِ

(والرجز) هو ما كان من الشعر على وزن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مرتين كقول لبيد

يارُبَّ هَيْجَا هِيَ خَيرٌ مُودعَهْ حَتَّى تَكونَ هَامَتِي مُقَزَّعَهْ «١»

وقول عبد المسيح بن عمرو بن نُفَيْلَةَ الغسّانى

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَنْ أَمْ فَادَ فَازْ لَمَّ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنْ «٢»

يَافَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعيَتْ مَنْ وَمَنْ اَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ «٣»

وهو كثير (والهزج) ما كان من الشعر على وزن مفاعيلن مفاعيلن كقول ذي الاصبع العَدْواني

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ «٤»

بَغَى بَعضٌ عَلى بَعْضٍ فَلَمْ يَرْعَوْا على بَعْض

وقول الحماسي

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهوَ عُرْيَانُ «٥»

وَلَمْ يَبْقَ سِوى الْعُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كما دَانُوا

(والقريض) مقابل الرجز والهزج والمقبوض مثل المضارع وهو وزن مفاعيلن فاع لاتن (والمقتضب) وهو وزن مفعولات مستفعلن (والمجتث)

---

(١) هامتي أي رأسي . ومقزعة أي محلوقة وبقيت بقايا في نواحيها (٢) الفطريف بالكسر السيد وقوله فاد أي مات وقوله فازلم به أي ذهب به مسرعا (والشأو) السبق (والعنن) عروض الموت (٣) الخطة بالضم الأمر (٤) قوله عذير الحى مفعول به لمحذوف . والعذير الحال تحاولها تعذر عليها أي هات عذرا فيما فعل بعض هذا الحى في بعض من التباغض والقتل بعد ما كانوا حية الارض التى يحذرها كل أحد (٥) صرح أي انكشف . و عريان أي جائع

وهو وزن مستفع لن فاعلاتن (والمبسوط) غير ذلك كالطويل والبسيط والمديد والكامل وهي معروفة وغير ذلك من ابحر الشعر منه مايدخل في المبسوط ومنه مايجري مجرى المقبوض وشرح الحال في هذا المطلب على ماينبغي يجاوز بنا عن مقصد الكتاب (والطلاوة) الحسن والبهجة (والجناة) الغض من الثمر الذي يجنى (والغدق) الماء الكثير والمطر الكثير ووصف الوليد القرآن بالجناة والغدق لما عرفه فيه من كثرة الخير وحسن المعاني

(قال النصراني) اما الدين المسيحي فلم يبح وسائط الجبر والاكراه اصلا بل انتشر في العالم بمجرد الوعظ والتعليم

(أقول) أما دين المسيح الحقيقي فصاحب الكتاب وأصحابه النصارى لا المام لهم به أصلا وقد أوضحنا ذلك فيما سبق وأما نصرانيتهم التي هم عليها فقد كانت خاملة الذكر ضعيفة القوى قليلة الاتباع جداً ومازالت على ذلك دهراً حتى قبلها قسطنطين الاصفري ملك الروم وجبر أهل مملكته على قبولها وألزمهم التدين بها بالقهر والغلبة ومن خالفه بسط عليه شديد العقوبة فقبلوها جبراً ودانوا بها قهراً فلم يكن انتشارها بمجرد الوعظ والتعليم كما ادعى الخصم بل بالجبر والاكراه ثم استقرت في القلوب وركنت اليها النفوس بعد تقادم العهد وتطاول المدة وصارت كالعادات المألوفة كما تكون كذلك سائر الديانات وقد ذكر ما قلناه من كان من المؤرخين معتنياً بايراد قصص الانبياء السابقين وأخبار الملوك الماضين والنصراني ذكر في أواخر بابه الثاني من ذلك بعضاً وأخفى منه ما عليه فيه الحجة فان كان انتشار دين الاسلام بالجبر والاكراه في أول الأمر دليلا عند الخصم على بطلانه فنصرانيته أيضاً باطلة لان انتشارها كان مسبباً عن الأمرين والا فما كثر به القول في شيوع دين الاسلام وانتشاره لا وجه له أصلا *واما ما اعتذر

به عن امر الله موسى بالقتال وعن حروب داود فقد أجبنا عنه بأحسن الجواب عند ذكر شروط النبيّ صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى اعادته مرة أخرى (فقد اتضح) من كل ما اوضحناه صــدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وصحة كتابه ودينه (وبطل) جميع ماجاء به النصراني من تشبيهاته وزخارفه

(قال) ولعل معترضاً يقول ان كان دين الاسلام ليس بحق فكيف سمح الله بانتشاره في هذا المقدار من البلاد ونبوته الى يومنا هذا (واجاب) عنه بما حاصله ان الله سبحانه وتعالى سمح ايضاً بانتشار العبادات الوثنية مع ظهور بطلانها وفسادها فلا يتخذ ظهور مذهب من المذاهب دليلا على حقيقته وان تدبير الله وحكمته الغامضة لا يمكن الانسان ادراكها واطال بعد هذا بمــا لا محصّل فيه

(اقول) ان هذا الرجل لا يزال يركب ظهر عمياء ويخبط خبط عشواء (وأوّل) ما يجاب به عن جوابه عن اعتراضه بان نقول له انك قد ملأت كتابك (حتى في اذناب كلامك هذا وما قبله بقليل وقد ذكرناه وأجبنا عنــه) واكثرت من التبجح بانتشار دين النّصرانية واظهار الاستدلال به على صحته فلما عرفت انّ هذا يلزمك في دين الاسلام عدلت عنه وأبديت خلافه ثم رجعت اليه ايضاً في عجز كلامك هذا فأنت لا شك موسوس مخلّط مصاب في عقلك مطبوع على قلبك لا تدري ما تقول (ونجيبه ثانياً) بأنّا لم نر ديانة باطلة من الديانات الوثنية انتشرت انتشار دين الاسلام قط بل كانت ديانة كلّ قوم من الوثنيين مقصورة عليهم لا يوافقهم عليها احد غيرهم وان كان وثنياً حتى انّ اوثان كلّ قوم التي يعبدونها غير اوثان الآخرين فليس شيء من دياناتهم يُشبه دين الاسلام في وجه من الوجوه اصلا (ونجيبه ثالثاً) بانه غير خفيّ على العارفين انّ مدّعي النبوّة

يسند دعواه واحكامه من الامر والنهي وديانته واخباره الى الله جلّ اسمه وغير خفيّ ايضاً ان امداد الله تعالى ذلك المدعي بالنصر على اعدائه والظفر بخصمائه وتأييده بالقوة والقهر الى نشر دينه واقدار أتباعه على اشاعة دعوته في اقطار الارض تصديق له من الله سبحانه في دعوى النبوّة وفي اخباره عن الله سبحانه وتعالى بما اخبربه فمحمد بن عبدالله نبينا صلى الله عليه وسلم ان كان صادقاً في دعوى النبوّة وما اخبر به عن الله جلّ وعلا من نصره واظهار دينه ونشره في اصقاع الارض وأقطار العالم فهو المطلوب وكان انتشار دين الاسلام واستمراره دليلاً واضحاً وبرهاناً لائحاً على صحّته وحقّيته وان لم يكن صادقاً فيما ادّعاه واخبر به عن الله وقد وقع ما اخبربه عياناً لزم انّ الله سبحانه صدّق الكاذب عليه في كذبه وتصديق الكاذب في كذبه قبيح عقلاً ونقلاً والقبيح لا يجوز على الله في حكمته بل هو ممتنع عليه ومستحيل فاذاً محمد صلى الله عليه وسلم صادق لا محالة والاّ لما صدّقه الله في كل ما اخبر به ومن جملة ذلك انتشار دينه واّما اهل الديانات الوثنية فانهم لا يسندون دعواهم الى الله تعالى في نبوّة ولا حكم ولا خبر بل اكثرهم يجحدون الصانع تعالى ولا يقرّون بوجوده كالدهريّة ومنهم من يقرّ به كالمشركين ولكن يسندون التدابير الى اوثانهم وكلهم ينكرون النبوّات ونزول الوحي من الله على بشر مثلهم فعدم تعجيل الله بهلاكهم وازالة دياناتهم ليس فيه تصديق لكاذب عليه لأنهم لم يسندوا اشيئاً من امورهم الى الله تعالى بل هو استدراج واملاء وتمتيع لهم في الدنيا وقد بيّن الله الفرق بين الامرين في كتابه العزيز فقال في الامر الاول (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) وقال في الثاني (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ

كَيْدِي مَتِينٌ) وقال (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذَابٍ غَلِيظٍ)
(والحاصل) انّ تأييد الله من يخبر عنه بايقاع ما اخبر به تصديق له فلا يجوز ان يصدر من الله لكاذب وترك معاجلة من لايخبر عنه على معاصيه بإملاء وهو على الله جائز فنشر دين الاسلام اذ أخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن الله انه سيجريه في العالم ويظهره دليل على صحته لكونه تصديقاً من الله لنبيه و نشر الديانات الباطلة ليس فيه دليل على صحتها اذ لا تصديق من الله في ذلك لأهلها والنصراني لما كان جاهلاً غبياً بل معتوهاً زائل العقل لم يفرق بين الوجهين ولم يفصل بين الامرين وتوهم ان الديانات كلها على حدّ واحد وانّ انتشار كلّ منها لا يدلّ على صحته فضلّ وغوى، و نطق عن الهوى، فتردّى في غمرة الغواية وثوى، فبئس ما اظهره وقبحاً لما نوى، (وايضاً) انا لم نجد ديانة باطلة حدثت في العالم الا ارسل الله بعد حدوثها رسولاً الى اهلها مؤيداً بالمعجزات يدعوهم الى تركها ويبيّن لهم ضلالتها ويرشدهم الى طريق الهدى ولم يترك خلقه من امرها في عمىً كما بعث الله نوحاً وهوداً وصالحاً وابراهيم ولوطاً وشعيبا وموسى وغيرهم من انبيائه الكرام داعين الى دينه دالّين على فساد عبادة الاوثان وآخر ما حدث من الديانات الباطلة ديانة النصارى الذين جددوا ما اخلق من الكفر واقاموا ما انكسر من عمود الشرك باتخاذهم المسيح بن مريم من دون الله آلهاً وجعلهم اياه له ولداً وأما سائر الديانات الباطلة الوثنية حتى الموجودة الآن فحدوثها سابق على حدوث ديانة النصارى فبعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وأيده بالمعجزات ليكون دالاً على بطلانها مبيناً لضلالة أهلها كما دل على فساد ديانات أهل الاوثان واجتهد في محوها ولم يدع الله الخلق من بطلانها في عمياء ولا جهالة فلو أن دين الاسلام باطل كديانة النصارى والوثنيين لأرسل الله الى أهله رسولاً

هادياً يدلهم على بطلانه ويوضح لهم فساده ويرشدهم الى الدين الاقوم ولم يذر العباد من شأنه في غرور كما هي سنته الجارية فيمن سلف من خلقه (ومن المعلوم) ان الله جل اسمه لم يبعث نبياً بعد محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الى غير دين الاسلام ويبين للخلق بطلانه كما بعث من قبله أنبياء يوضحون فساد الديانات الباطلة التي حدثت قبل أزمنتهم وكما بعثه لابطال النصرانية وغيرها من الاديان المخالفة للحق وجدّد به معالم الدين وصدّق به من مضى من الرسل وأوضح به ما استبهم من السبل وأقام به عمود الشرع الانور ورفع به لواء الدين الازهر (ومن المعلوم أيضاً) ان الله تعالى لن يبعث بعده رسولا فهو اذاً خاتم الانبياء والمرسلين ودينه هو الحق المبين وشرعه باقٍ الى يوم الدين في اذن الله تعالى بانتشاره في العالم برهان واضح على صحته بيقين (ومن هذا يعلم) ان قول النصراني في بعض كلامه ان المسلمين يؤمنون بالمسيح بعد رجوع النصارى الى طاعة الانجيل لا وجه له فان المسلمين اليوم ومن أول الاسلام غير منكرين لنبوة المسيح الذي بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر باتباعه وكيف ينكرون نبوته ونبيهم صلى الله عليه وسلم وكتابه يدعوان الى الاقرار به فايمانهم به مرة أخرى تحصيل حاصل وهو غير جائز ثم ان في كلامه اعترافاً صريحاً بأن أصحابه النصارى عادلون عن أحكام الانجيل سالكون مسالك الضلال والأمر فيه وفيهم كما قال فانهم لصدوفهم عن أمر الانجيل ونهيه كذّبوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والانجيل وصاحبه يدعوانهم الى الايمان بها كما بيناه سابقاً ولم يكفهم ذا دون ان كذّبوا عيسى في ادعائه النبوة من الله سبحانه وتعالى وقالوا انه ادعى الربوبية وحرّفوا الانجيل على حسب ما أرادوا فضلوا وأضلوا والله المستعان على مايصفون (وأيضا) انا لم نجد أحداً من البشر

ادعى النبوة كذبا فوهب الله له نصراً وأظهر له ذكراً وعلى له جاهاً ورفع له صيتاً ونشر له ديناً وعظم له منزلة وقدراً بل وجدنا من كان كذلك كمسيلمة بن حبيب واضرابه قد حبس الله عنه نصره وأخمل ذكره وقطع أثره وعمّى عليه خبره وصغّر قدره وأفسد أمره فلو ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان كاذبا في دعوى النبوة مثلهم وحاشاه من ذلك لفعل الله به كما فعل بهم ولم يعضده بالأعوان والأنصار ويظفره بالكفرة الفجار ولم ينشر دينه في الاقطار ولم يعن اتباعه ويقوّهم على فتح البلدان والامصار لان ذلك خلاف عادته وسنته فيمن ادعى النبوّة كذبا عليه لكن الله فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم عكس مافعل بالكذبة فعضده بالمهاجرين والانصار وأيّده بالنّصر والظفر على الكفّار ونشر دينه في أقطار الارض انتشار ضوء الشمس في رابعة النهار فهو لامحالة صادق في دعواه على رغم من كذّب به وناواه وانتشار دين الاسلام يكون من جملة الادلّة على صحته بغير ريب ولا اشتباه

هذا وقد روى الخصم في بابه الثاني من فصله الثاني عن الرسالة الى أهل رومية وهي من أناجيله بزعمه مالفظه لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان الاّ من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة لذلك يلزم ان يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير فانكم لاجل هذا توفون الجزية الى آخر ماقال (وهذا) يدل بصريحه على ان سلطنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتزازه وانتشار دينه من الله وان المقاومين له مقاومون لترتيب الله والخصم من جملتهم فانجيله مصدق لنا فيما نقول ومكذب لقوله (وأما) بقية ماأطنب به النصراني كلامه وختم به كتابه فهو من أعاجيب خرفات النصارى وغرائب مضحكاتهم

ومحالات أمنياتهم وقبائح أكاذيبهم وكلها. أوجلها قد قدمه الخصم وتكلمنا عليه بما يغني عن اعادة القول فيه هنا والى هذا الموضع انتهى الكلام في نقض كتاب الخصم النصراني وما جاء به فيه من الاباطيل فانحلت بعون الله نفثاته وعُقده، وانقضت قواعد شبهه وانهدم مستنده، وتضعضعت أركان تمويهه ووهن عضده، وتبدد جمعه وقل عدده، وزالت أخاشيب نقضه عن مراسيها، وتدكدكت أطواد ابرامه من أعاليها، وانقلعت مشيدات زخارفه من مبانيها، وتقطّعت أوصال أكاذيبه وبطلت أمانيها، وبكمت ألسن تقوّلاته عند المقاولة والنطاح، وردّت الى ورائها وجوه تسويلاته القباح، بما أقمناه من البينات الصحاح، فأصبح ما أنبتته يداه من الاختلاق هشيما تذروه الرياح، فتميّز الصدق من المين، وعرف الزيف من اللجين، وتبين الصبح لذي عينين، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فان الله غني عن العالمين

خاتمة

اعلم أيها الاخ الرشيد ان كتابنا هذا وان كان الغرض الاصلي من تأليفه وجمعه هو بيان صدق نبوّة نبينا محمد سيد الانام، وتصحيح ان القرآن موحى به اليه من عند الملك العلام، واثبات صحة دين الاسلام، الآ انه بالعرض قد اشتمل على الاشارة المفهمة الى التوحيد والعدل والمعاد فتضمن اجمالا وتفصيلا أربعة أمور من أصول الدين فأردنا ان نكمله بالاشارة الى خامس الاصول وهو الامامة التي هي عند المتكلمين رياسة عامة في الدين والدنيا على سائر المكلفين لشخص انساني خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم ونجعل ذلك خاتمة الكتاب ولانه قد تقدم الاشارة الى ذلك في ايرادنا آيات التوراة المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم

عند قولها في اسماعيل عليه السلام (اثني عشر رئيسا يلد) وعند ادعاء النصراني وائل ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يستخلف من يتسلم زمام الحكم بعده فأحببنا ان نصرح هنا بما أشرنا اليه في ذينك الموضعين ونختم به الكتاب ليشتمل كتابنا على الاصول الخمسة ويعم النفع به لأهل الملة ان شاء الله تعالى وكلامنا هنا يقع في مقامين

(المقام الاول) في ايراد الاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في حصر عدد الائمة بعده صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة من طرقنا وطرق اخواننا أهل السنة ونحن نورد منها بعضا في المقام من طرق أولئك الاخوان لتتم لنا بها الحجة عليهم وعلى غيرهم من أهل المذاهب والاديان (فنقول) روى الشيخ الفاضل الجليل سليمان بن الحسين القندوزي البلخي الحنفي النقشبندي المتوفي سنة ألف ومائتين وأربع وتسعين في قسطنطينية في الباب السابع والسبعين من كتابه ينابيع المودة لأولى القربى عن جمع الفوائد مسنداً عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لايزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الامة فسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم لم أفهمه فقلت لأبي مايقول قال كلهم من قريش للشيخين والترمذي وأبي داود بلفظه (وقال في الينابيع) ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً في ان الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش في البخاري من ثلاثة طرق وفي مسلم من تسعة طرق وفي أبي داود من ثلاثة طرق وفي الترمذي من طريق واحد وفي الحميدي من ثلاثة طرق (قال) وفي البخاري عن جابر رفعه يكون بعدي اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال قال كلهم من قريش (وفي مسلم) عن عامر بن سعد قال كتبت الى ابن سمرة أخبرني بشيء سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم فكتب

الي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة عشية رجم الاسلمي يقول لايزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (وفي الينابيع أيضاً) عن كتاب مودة القربى للسيد علي الهمداني عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول بعدي اثنا عشر خليفة ثم خفي صوته فقلت لأبي ماالذي أخفى به صوته قال قال كلهم من بني هاشم وعن سماك بن حرب مثل ذلك وعن الشعبي عن مسروق قال بينا نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه اذ قال له فتى هل عهد اليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة قال انك لحدث السن وان هذا شيء ماسألني عنه أحد قبلك نعم عهد الينا نبينا صلى الله عليه وسلم انه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني اسرائيل ولهذا الخبر أيضاً طرق متعددة (قال القندوزي) بعد ايراد هذه الاحاديث وغيرها قال بعض المحققين ان الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وسلم اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم ان مراد رسول الله من حديثه هذا الائمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته اذ لايمكن ان يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ولايمكن ان نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش الا عمر بن عبد العزيز ولكونهم غير بني هاشم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلهم من بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر واخفاء صوته صلى الله عليه وسلم يرجح هذه الرواية لأنهم لايحبون خلافة بني هاشم ولا يمكن ان نحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم لآية (قل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وحديث الكساء

فلا بد ان يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته لانهم كانوا اعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدهم وبالوراثة واللدنيــة كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهــل الكشف والتوفيق (ويؤيد) هذا المعنى أي ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم الائمة الاثنا عشر من أهل بيته ويشهد له ويرجحه حديث الثقلين والاحاديث المتكثرة في هذا الكتاب وغيرها (واما قوله) صلى الله عليــه وسلم كلهم تجتمع عليه الأمة في رواية عن جابر بن سمرة فمراده صلى الله عليــه وسلم ان الامة تجتمع على الاقرار بامامة كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي انتهى وما أفاده متضح المعنى من الاحاديث المذكورة (واما قوله) صلى الله عليه وسلم كلهم تجتمع عليه الامة فيحتمل ان يكون خبراً بمعنى الامر فان ايراد الجملة الخبرية في موضع الجملة الانشائية كثير في كلام العرب وقد نص عليه أهل علم المعاني والبيان وغيرهم فلا يحتاج فيه الى التأويل الذي ذكره ذلك المحقق وان كان صحيحاً ثم ان الاحاديث المذكورة تشير الى وقوع خلافتهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بلا فصــل لقوله صلى الله عليه وسلم يكون بعدي اثنا عشر أميراً كما في البخاري ومودة القربى عن جابر بن سمرة وفي حديث عبدالله بن مسعود أيضاً وتشير الى اتصال خلافتهم واحداً بعد واحد من غير فصل لاناطة قيام الدين بخلافتهم في تلك الاحاديث وتشــير الى بقاء خلافتهم واستمرارها الى آخر زمان التكليف وهــو ظاهر منها خصوصا من حديث عامر بن سعد عن جابر من قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة الى آخره (ومن هذا يعلم) ان الخليفة بعــد النبي صلى الله عليــه وسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام لاغيره وان الامام الثاني

عشر يبقى معمراً الى آخر الزمان الذي يجري فيه التكليف وهذا هو نص قول الامامية فمن عمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاخبار لزمه القول بما قالوه والا فهو مخالف لقول النبي صلى الله عليه وسلم والامر في ذلك واضح

المقام الثاني في تعريف أسماء الخلفاء المشار اليهم فيما مر من الاحاديث

فأولهم أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم (وبعده) ابنه أبو محمد الحسن بن علي المجتبى (وبعده) أبو عبد الله الحسين ابن علي سيد الشهداء (وبعده) ابنه أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين (وبعده) ابنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر (وبعده) ابنه ابو عبد الله جعفر ابن محمد الصادق (وبعده) ابنه ابو ابراهيم موسى بن جعفر الكاظم (وبعده) ابنه ابو الحسن علي بن موسى الرضا (وبعده) ابنه ابو جعفر محمد بن علي الجواد الموصوف بالتقي (وبعده) ابنه ابو الحسن علي بن محمد الهادي المعروف بالنقي (وبعده) ابنه ابو محمد الحسن بن علي العسكري المنعوت بالزكي (وبعده) ابنه ابو القاسم محمد بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه وسهل مخرجه ونصرنا به نصراً عزيزاً فهؤلاء الانقياء هم الائمة الاولياء وحجج الله الاصفياء وهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم على الامة بلا شك ولا ريب (والدليل) على ان هؤلاء هم الائمة وانهم هم الخلفاء وانهم هم المقصودون في الاحاديث المتقدمة من وجوه (الاول) ان العدد المذكور في تلك الاحاديث لا ينطبق الا عليهم (الثاني) تميزهم من بين قريش وبني هاشم وغيرهم بصفات الكمال من العلم والحلم والزهد والورع وغير ذلك وقدم هذان الوجهان من قريب (الثالث) نص كل سابق منهم على لاحقه وهو متواتر بين الامامية (الرابع) انا نشترط في الامام العصمة ولا قائل من من الامة بعصمة غير هؤلاء الاطهار اما هم فقد اجمع الامامية على

عصمتهم بأدلة واضحة (منها) خبر الثقلين الناطق بملازمتهم للقرآن (وأخبار) أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا وسيمر بعضها (ووافقنا) بعض أهل السنة على عصمة أمير المؤمنين من جهة دلالة النصوص لا من جهة إن الامام يشترط فيه العصمة فالاختلاف بيننا وبينه في الوجه الذي يثبت له العصمة ولا ضير في ذلك (ووافقنا) على عصمة المهدي صريحاً وعصمة من قبله اشارة ظاهرة محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية وقد أوضحنا ذلك تمام الايضاح في كتابنا منار الهدى (الخامس) النص عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بأسمائهم خصوصاً وعموماً والاحاديث المتضمنة لهذا المعنى كثيرة نورد منها بعضاً يكون فيه الكفاية لمن وفقه الله للهداية (فروى القندوزي) في الباب السادس والسبعين من كتاب ينابيع المودة عن كتاب فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال قدم يهودي يقال له مغثل فقال يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فان أجبتني عنها أسلمت على يديك قال سل يا أبا عمارة فقال يا محمد صف لي ربك فقال صلى الله عليه وسلم لا يوصف الا بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول ان تدركه والاوهام ان تناله والخطرات ان تحده والابصار ان تحيط به جل وعلا عما يصفه الواصفون ناءٍ في قربه وقريب في نأيه هو كيَّفَ الكيف وأيّن الأين فلا يقال له أين وهو منقطع الكيفية والأينونية فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قال صدقت يا محمد فأخبرني عن قولك انه واحد لا شبيه له أليس الله واحداً والانسان واحداً فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وعلا واحد حقيقي أحدي المعنى أي لا جزء له ولا تركّب له والانسان واحد ثنائي المعنى مركب من روح وبدن قال صدقت فأخبرني عن وصيك من هو

فما من نبي الاّ وله وصيّ وان نبينا موسى بن عمران أوصى الى يوشع ابن نون فقال صلى الله عليه وسلم ان وصيّي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين قال يا محمد فسمّهم لي قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى الحسين فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه جعفر فاذا مضى جعفر فابنه موسى فاذا مضى موسى فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه علي فاذا مضى علي فابنه الحسن فاذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر قال اخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين قال صلى الله عليه وسلم يقتل علي بضربة على قرنه والحسن يقتل بالسم والحسين بالذبح قال فأين مكانهم قال في الجنة في درجتي قال أشهد أن لا اله الاّ الله وأنك رسول الله وأشهد انهم الاوصياء بعدك ولقد وجدت في كتب الانبياء المتقدمة وفيما عهد الينا موسى بن عمران انه اذا كان آخر الزمان يخرج نبيّ يقال له أحمد ومحمد وهو خاتم الانبياء لا نبي بعده فيكون أوصياؤه بعده اثنى عشر أولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانا أخوين من ولده ويقتل امة النبي الاول بالسيف والثاني بالسم والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته ولاخراج أتباعه ومحبيه من النار وتسعة الاوصياء منهم من أولاد الثالث فهؤلاء الاثنا عشر عدد الاسباط قال صلى الله عليه وسلم أتعرف الاسباط قال نعم انهم كانوا اثنى عشر أولهم لاوي بن برخيا وهو الذي غاب عن بني اسرائيل غيبة ثم عاد فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك قال صلى الله عليه وسلم كائن في أمتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة وان الثاني عشر من

ولدي يغيب حتى لا يرى ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا يبقى من القرآن الا رسمه فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الاسلام به ويجدده طوبى لمن أحبهم وتبعهم والويل لمن أبغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهداهم ثم ذكر أبياتاً قالها مغفل يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم والمذكورين من أهل بيته تركنا ايرادها روماً للايجاز (وعن المناقب) عن واثلة بن الاصقع بن قرخاب عن جابر بن عبدالله الانصاري قال دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال صلى الله عليه وسلم اما ما ليس لله فليس لله شريك واما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود ان عزيرا ابن الله والله لا يعلم انه له ولد بل يعلم انه مخلوقه وعبده فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقاً وصدقا ثم قال اني رأيت البارحة موسى بن عمران فقال يا جندل أسلم على يد محمد خاتم الانبياء واستمسك بأوصيائه من بعده فقلت أسلم فلله الحمد أسلمت وهداني بك ثم قال اخبرني يارسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم قال أوصيائي اثنا عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة وقال يا رسول الله سمهم لي فقال صلى الله عليه وسلم أولهم سيد الاوصياء أبو الأئمة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين فاذا ولد علي زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه فقال جندل وجدنا في التوراة وفي كتب الانبياء ايليا وشبرا وشبيرا فهذا اسم علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما أساميهم قال صلى الله عليه وسلم اذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزين العابدين فبعده

ابنه محمد يلقب بالباقر فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي يدعى بالرضا فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري فبعده إبنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة فيغيب ثم يخرج فاذا خرج يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) ثم قال تعالى (أولَئِكَ حِزْبُ اللهِ ألاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فقال جندل الحمدلله الذي وفقني لمعرفتهم الخبر (وفي الينابيع) في الباب السابع والسبعين عن مودة القربى عن عباية بن ربعى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وان أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي (وعن سليم) بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الحسين على فخذيه وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول أنت سيد ابن سيد أخو سيد وانت أمام ابن امام اخو امام وأنت حجة ابن حجة أخو حجة ابو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدى قال ايضاً اخرجه الحمويني وموفق ابن احمد الخوارزمي عن ابن عباس قال سمعت رسول الله يقول انا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون ايضاً اخرجه الحمويني (وفي) الباب الثامن والسبعين من كتاب الينابيع عن كتاب فرائد السمطين للشيخ محمد بن ابراهيم الجويني الخراساني الحمويني المحدث الفقيه الشافعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلفائي واوصيائي وحجج الله على الخلق

بعدي اثنا عشر اولهم علي وآخرهم ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلف المهدي وتشرق الارض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب (وفيه) بسنده عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وان أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم المهدي وهذه الاخبار كلها تصرح بما قلناه وتنطق بما ذكرناه ومايشير الى هذا المعنى من الاحاديث كثير لايتسع لنا ايراده كله هنا فليس للريب فيما قلناه موضع ولا للشك مجال * ولو تمحل متمحل فقال انهذه الاخبار لم تكن مشهورة شائعة في زمن السلف من الصحابة والتابعين ولم يعمل بمفادها أهل الزمن الاول فكيف يصح الاعتماد عليها بعدذلك وترك ماعليه معظم الامة مما يخالف منطوقها لأجبناه بأن هذه الاحاديث ينتهي أسانيدها الى الصحابة كما سمعت في ايرادها وما زال قوم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين يروونها لمن وثقوا به ويعتمدون عليها ويعملون بمفادها ويعرفون بذلك بين الناس حتى كثر العاملون بمضمونها والمعوّلون على مفادها في زمن محمد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمد الصادق وما برحوا في زيادة حتى انتشروا في البلاد الى زماننا هذا فهم اليوم في بلاد العرب والعجم من العراق والشام ومصر وفارس وبلاد الترك والديلم وبلاد الافغان والهند والسند وغيرها ألوف مؤلفة لايحصى عددهم الا الله تعالى فلم تكن هذه الاحاديث في زمان من الازمنة مهملة ولا التعويل عليها والعمل بمفادها في وقت من أوقات الاسلام متروكا بل كان المعوّل عليها والاستناد اليها مستمراً من زمن صدورها الى هذه الغاية وما زال عدد المعوّلين عليها والعاملين بها ينمو ويزيد كما هو مشاهد موجود فليست اذاً من الاحاديث الشاذة المتروكة بل هي من قسم الصحيح الثابت الذي

عليه المعتمد والتعويل (وأماعدم) اذاعتها وشيوعها واشتهارها بين عامة المسلمين وعدم عمل جمهورهم بمضمونها فذلك لغلبة من تغلب على اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأزاحهم عن مقامهم واستبد بالأمر دونهم فان كلا من أولئك المتغلبين قصد الى اخفاء هذه الاحاديث وسترها ومحو اثرها واخمال ذكرها خصوصاً معاوية بن ابي سفيان فانه كتب الى عماله نسخة واحدة مضمونها ان يسقطوا من ديوان العطاء كل من حدّث في فضل علي بن أبي طالب وأولاده بحديث أو روى لهم منقبة وان لايولّوه ولاية ولايقبلوا له شهادة ثم لم يكفه ذلك دون ان كتب نسخة أخرى الى عمّاله تتضمن ان من عرفتموه بحب علي ابن أبي طالب وأولاده أو برواية الاحاديث في فضلهم أو اقيمت عليه البينة عندكم بذلك فاضربوا عنقه وقد روى ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في شرح نهج البلاغة عن ابن خالويه النحوي وعن المدائني وغيرهما والكل من أهل السنة وروي ذلك أيضا في بعض كتب أصحابنا المعتبرة وجرى على هذا المنوال من كان بعد معاوية من سلاطين بني أمية وملوك بني العباس بل زادوا عليه والامر فيهم بذلك شائع ذائع وهذا لعلم كل منهم انه لا يتم له الاستقرار في الملك ولا يحصل له نفوذ الامر بين الناس الا بعدم اشتهار تلك الاحاديث وعدم اطلاع عامة الامة عليها وأنه متى شاع بين عامة الناس ذكرها واشتهر أمرها أوجب ذلك زوال ملك ذلك المتغلب ورجوع الامر الي أهله فلذلك كان حملة الرواية ونقلة الاخبار وأصحاب الحديث يتحامون رواية هذه الاحاديث وما هو بمعناها خوفاً على أنفسهم من ضرب الاعناق وطمعاً فيما ينالون على اخفائها وسترها من الرغائب عند الملوك الاموية والعباسية فكان لا يحدث بها من الصحابة وغيرهم الا المخلص في محبة أهل البيت ولا يبوح بها الا لمن يعلم ثقته ومحبته لاهل

بيت رسول الله وعترته وانه يحفظ عليه ولا يفشي سره كل ذلك رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج عن ابن خالويه وغيره ورواه أبو جعفر الاسكافي المعتزلي في كتاب النقض على ابي عثمان الجاحظ وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان امته ستغدر بوصيه علي بن ابي طالب امير المؤمنين وأن أهل بيته سيظلمون بعده وقد جاءت بهذا المضمون أخبار جمة من طرقنا وطرق أهل السنة أودعنا كتاب المنار كثيراً منها (ومنها) مارواه في الينابيع عن مناقب الخوارزمي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري عن أبيه قال دفع النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر الى عليّ ففتح الله بيده ثم في غدير خم اعلم الناس انه مولى كل مؤمن ومؤمنة وقال له أنت مني وأنا منك وأنت تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل وأنت مني بمنزلة هرون من موسى وانا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك وأنت العروة الوثقى وأنت تبين مااشتبه عليهم من بعدي وأنت امام ووليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي الى ان قال ثم قال ياعلي اتق الضغائن التي هي في صدور من لايظهرها الاّ بعد موتي أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ثم بكى صلى الله عليه وسلم وقال أخبرني جبرئيل انهم يظلمونه بعدي وأن ذلك الظلم يبقى حتى اذا قام قائمهم وعلت كلمتهم واجتمعت الامة على محبتهم وكان الشانئ لهم قليلا والكاره لهم ذليلا وكثر المادح لهم وذلك حين تغيّر البلاد وضعف العباد واليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم المهدي من ولدي بقوم يظهر الله الحق بهم ويُخمد الباطل بأسيافهم ويتبعهم الناس راغبا اليهم أو خائفاً الى ان قال اللهمّ انهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا الخبر (وعن ابن ماجة) من طريق ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال بينا نحن عند رسول الله اذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي صلى

الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت يارسول الله مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال انّا أهل بيت اختار الله لناالآخرة على الدنيا وان أهل بيتي سيلقون بعدى بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قِبل المشرق الخبر وفي آخره ذكر قيام المهدى فقد انصرح مما أفصحناه ان عدم شهرة تلك الاحاديث بين عامة الناس في الزمن السابق كان لما بيناه من السبب القوي وان عدم انتشار العمل بها في ذلك الوقت بين العامة كان لما أوضحناه من المانع الشديد فعدم شياعها بين الجمهور وعدم تعويل السواد الأغلب عليها في العصر الاول لسبب معلوم ومانع معروف لايقدح في صحتها واعتبارها ولا يوجب العذر في ترك المعوّل عليها لمن بلغته لو لم يطلع على عامل بها من المتقدمين فكيف والعامل بها في كل حين موجود والعمل بها مستمر في كل عصر لايزيد المعتمدين عليها تطاول الأزمنة الاّكثرة ولا الاعتماد عليها الا قوة فلا عذر لأحد اليوم في ترك التعويل عليها والعدول عنها الى اعتقاد ماوقع بالجبر والغلبة والظلم والقهر ومخالفة نص الرسول ومناقضة حكمه ورد قوله ونقض وصيته فزال بتوفيق الله الاعتراض وسلم الدليل من العلل والامراض ثم ان تلك الاحاديث قد تضمنت أمرين آخرين (أحدهما) ان المهدى الموعود بظهوره في الاخبار الكثيرة المتواترة لفظاً أو معنى المروية فى كتب الصحاح والمسانيد وغيرها من جوامع اخواننا أهل السنة المتفق على روايتها وتواتر معناها بينهم هو ابن الحسن العسكرى وهذا متفق عليه بين الامامية وهو من جملة ضروريات مذهبهم وقد وافقنا على ذلك جماعة من فضلاء علماء أهل السنة ومحققيهم وأهل الاطلاع التام منهم على الاخبار والآثار والعلوم والاسرار (منهم) القندوزي في الينابيع (ومنهم) محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية (ومنهم)

محمد بن طلحة الشامي الشافعي في كتابه الدر المنظم ومطالب السؤل (ومنهم) صلاح الدين الصفدي في شرح الدائرة (ومنهم) المحدّث الفقيه أبوعبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان (ومنهم) المحدّث الفقيه نور الدين علي بن محمد المالكي في كتابه الفصول المهمة (ومنهم) المحدّث الفقيه محمد بن ابراهيم الجويني الحمويني الشافعي في كتابه فرائد السمطين (ومنهم) الشيخ خواجا محمد پارسا في كتابه فصل الخطاب وقد وصفه في الينابيع فقال السيد الشيخ الكامل العالم العامل خواجا محمد پارسا أسبق خلفاء بهاءالدين محمد الملقب بشاه نقشبند قدّس الله سرهما وأفاض علينا فتوحهما وبركاتهما انتهى قال في كتابه المذكور وكانت مدة بقاء الحسن العسكرى بعد أبيه ست سنين ولم يخلف ولداً غير أبي القاسم محمد المنتظر المسمّى بالقائم والحجة والمهدى انتهى (ومنهم) الشيخ ابن حجر الشافعي فى كتابه الصواعق قال في ترجمة الحسن العسكري وتوفى يعني أبا محمد الحسن ويقال انه مات بالسمّ ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله تعالى الحكمة ويسمى القائم المنتظر لأنه سُتر وغاب فلم يعرف أين ذهب انتهى (ومنهم) الشيخ العارف عبد الرحمن بن محمد البسطامي في درة المعارف قال وقد ورث هذا الكتاب النوراني واللباب الصمداني الامام المهدي وهو ورثه عن أبيه الحسن العسكري انتهى (وروي) في الينابيع هذا القول أيضاً عن شيخ الاسلام أحمد الجامي النامقي والشيخ العطار النيسابوري وشمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي والسيد نعمة الله الولي والسيد النسيمي وغيرهم وأورد أشعارهم المصرحة بذلك كل ذلك في الباب السابع والثمانين من الكتاب المذكور (ومنهم) عزيز بن محمد النسفي (ومنهم) شيخ الشيوخ سعد الدين الحموي (ومنهم)

الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر والشيخ حسن العراقي وعلي الخوّاص نقل ذلك عنهم محمد بن علي الصبان المصري الشافعي أعلم علماء مصر في كتابه اسعاف الراغبين وكل هؤلاء من أهل الطريقة وقد وافقنا على ذلك أيضاً غير من ذكرنا أسماءهم من المشايخ فلا التفات اذاً لانكار عوامّ أهل السنة وقوم من علمائهم كون المهدي الموعود به ابن الحسن العسكري لأن مبنى انكارهم ذلك على التعصب المحض ودليله مجرد الاستبعاد وقد علمت أن الاستبعاد ليس بدليل في نفسه فلا يجوز ان يعارض به نص الرسول صلى الله عليه وسلم المحققة صحته بذهاب طائفة عظيمة من الامة وهم الامامية الى العمل بمضمونه وموافقة من ذكرناهم من أفاضل اهل السنة لهم في ذلك وقد اشبعنا الكلام في هذا المطلب وفيما بعده في كتابنا منار الهدى (الامر الثاني) ان المهدى الموعود به يغيب ويستتر عن الناس ويبقى مغيباً مستوراً حتى يأذن الله له في الظهور فيقوم بأمر الله ويملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ويدل على ذلك مع مامرّ من الاحاديث مارواه في الينابيع عن كتاب فرائد السمطين للشيخ محمد بن ابراهيم الجويني الحمويني الشافعي بسنده عن الباقر عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهدي من ولدي تكون له غيبة اذا ظهر يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً) وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان عليّا وصّي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان الثابتين على القول بامامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر فقام اليه جابر بن عبد الله فقال يارسول الله وللقائم من ولدك غيبة قال أي وربي لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ثم قال ياجابر ان هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله فاياك والشك فان الشك في أمر الله عز وجل كفر) ثم روي في الكتاب المذكور عن الامام أبي الحسن الرضا مثل ذلك وقد اجمع الامامية على غيبة الامام المهدي واستتاره الى وقت ظهوره وتواترت به أخبارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم والائمة من عترته ووافقهم على ذلك من علماء أهل السنة كل من ذكرنا اسماءهم وأشرنا اليهم في بيان الامر الاول وقد ذكرنا كلام بعضهم المصرّح بذلك (وقال) الكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان ان المهدي ولد الحسن العسكري حيّ موجود باق منذ غيبته الى الآن ولا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والخضر والياس عليهم السلام انتهى وقد زاد أهل الطريقة من الصوفية على هذا فادّعى جماعة منهم الاجتماع بالمهدي في غيبته وانهم بايعوه (قال) محمد بن علي الصبان في كتابه اسعاف الراغبين المهدي من ولد الامام الحسن العسكري وهو باق الى أن يجتمع بعيسى بن مريم هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي عن الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك سيدي علي الخوّاص انتهى (ونقل القندوزي) في الينابيع عن الشيخ عبدالوهاب الشعراني انه قال في كتابه الانوار القدسية ان بعض مشايخنا قال نحن بايعنا المهدي عليه السلام بدمشق وكنا عنده سبعة ايام وقال لي الشيخ عبداللطيف الحلبي سنة ألف ومائتين وثلاث وسبعين ان ابي الشيخ ابراهيم قال سمعت بعض مشايخي من مشائخ مصر يقول بايعنا الامام المهدي انتهى وكان الشيخ ابراهيم في طريقة القادرية ومن كبار مشائخ حلب الشهباء المحروسة انتهى نقل القندوزي (فقد تحقق) باجماع الامامية المؤيد ثبوته بالاخبار النبوية وموافقة كثير من مشاهير علماء أهل السنة أن الامام المهدي مغيّب عن الناس مستور حتى يأذن الله له في القيام،

والظهور (فلاعبرة) بعد هذا بانكار من أنكر ولادته وجحد استتاره وغيبته من العوام وعلماء العامة كابن أبي الحديد وأضرابه والفضل بن روزبهان الاصفهاني وأحزابه لابتناء انكارهم على محض التعصب وموافقة أغراض الظلمة المتغلبين على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم المعينين لهم على الظلم والفساد وانكار امامة عترة النبي الأمجاد وادعاء انهم أولى منهم بمقام جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم أحق منهم بخلافته على عباد الله بغياً منهم وعدواناً فلموافقة العامة وكثير من علمائهم دعوى أولئك الظالمين انكروا امامة الأئمة الاثنى عشر من عترة الرسول فأنكروا لذلك ولادة المهدي وغيبته لأن القول بذلك والحكم به ضرورة متفرع على الحكم باختصاص الاثنى عشر من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته بخلافته والامامة من بعده وهذا مناقض لدعوى أولئك الظالمين الغاصبين ولازم مدعاهم انكار ذلك الأصل الأصيل • وجحود ذلك الفرع الأثيل • الذي ثبت كل منهما بأوضح برهان وأرجح دليل • فانكارهم ولادة الامام صاحب الزمان منكر عليل • فهو باطل بلا ترديد ولا تعليل • لمخالفته لنصوص النبي صلى الله عليه وسلم ومضامين الاحاديث الكثيرة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم وعن أهل بيته الذين أمر صلى الله عليه وسلم بالتمسك بهم من غير حجة صحيحة للمنكرين • ولا علة مؤثرة ولا سلطان مبين • (فقد تبين) مما رسمناه • واتضح من جميع ما أثبتناه • أن مذهب الامامية أصح المذاهب وامتنها دليلا • وأوضحها سبيلا • وانه هو الحق • والحق بالاتباع أحق • واليهم الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول له أميرهم تعال صلِّ بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله تعالى لهذه الامة قال الكنجي بعد ايراد

هذا الخبر هـذا حديث حسن صحيح أيضاً رواه مسلم في صحيحه انتهى (واعلم) أن النصوص على امامة أهل البيت الاثنى عشر من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم منطوقا ومفهوما وتخصيصاً وتعميماً والنصوص على قيام المهدي وانه من عترة النبي صلى الله عليه وسلم وانه خاتم أوصيائه قد تجاوزت في الكثرة حد الاحصاء في مقام واحد وقد ضمّنا كتابنا منار الهدى كثيراً منها وبينا مفاداتها وأوضحنا دلالاتها بما لا مزيد عليه من أراد الاطلاع عليها فليرجع فى ذلك اليه وأوردنا هنا بعضاً مما لم نورده هناك طلباً للاختصار. وحذراً من التطويل والاكثار. وهو مع ايجازه مرشد مفيد. ومنجز للمواعيد. فيه شفاء لما في الصدور. ووفاء لمن يفكر في عواقب الامور. فلينظر ناظر في نفسه. قبل حلوله في رمسه. فانا بحمد الله قد أقمنا على الحق الدليل. وسهلنا الى بلوغه السبيل. ولصحنا لأهل الملة ببذل الجهد وقدر الطاقة والوسع والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق للسداد. والمعين على سلوك منهج الرشاد. واليه الالتجاء والمرجع فى المبدإ والمعاد. (اسأله) سؤال خاضع متذلل اليه. (وادعوه) دعاء خاشع معتصم به ومتوكل عليه. (وأتوسل) اليه بخير خلقه وافضل بريته محمد نبيه وآله الطيبين. الاطهار الانجبين. وبأنبيائه المرسلين. وملائكته المقربين. ان يوفقني والمؤمنين لصالح الاعمال. ويسددني فى الاقوال والافعال. (وأرغب) اليه ان يختم أمري بأحسن الختام. وأن ينفع بما كتبته يدي اخواني من أهل ملة الاسلام وينصرهم به على خصمائهم فى مجال الجدال والخصام ويمنحه القبول عند ذوي العقول والافهام. من العلماء الاعلام وأن يجعله لي من أفضل ذخائر العقبى. ويمن عليّ يوم النشور بحسن مآب وزلفى. وأن يغفر لي ما اقترفته من الآثام والذنوب. ويستر عليّ ما بي من النقائص والعيوب. يوم تخشع الأبصار وترجف القلوب. ويؤجرني أجراً غير ممنون. يوم لا ينفع مال

ولا بنون. ويصيّرني رفيقاً لمن ظلم الأمن يومئذ وهم مهتدون . انه أكرم من سئل وأجود من أعطى . وأرحم من استرحم وأفضل من اسدى • وهو الذي بيده البسط والقبض في الآخرة والأولى وهو على كل شيءٍ قدير وقد وقف القلم عن جريه في مضمار هذا الرهان • وسكن عن جولانه في حومة ذلك الميدان • والقى عصاه واستقر به النوى . بعدامعان السير في منازل ذلك الشأن وثوى • مقيما خير مثوى • بعد التنقل في المناقل المخوفة واطلاق العنان • وبلغ الغاية وفاز باستحقاق السبق وحصول الاطمئنان • في ضحوة يوم الجمعة وهو العشرون من ذى القعدة الحرام احد شهور سنة ١٣٠٦ من الهجرة النبوية والحمد لله حق حمده . وصلى الله على من لا نبيّ بعده • محمد المصطفى المختار • وآله الأئمة الابرار . والسادة الاطهار • ما اظلم ليل واضاء نهار • وسلم تسليما كثيراً (واعلم) اني بعد الفراغ من تأليف كتابي هذا قلت هـذه القصيدة فأحببت ان الحقه بها لاشتمالها على الاشارة الى ماتضمنه من المطالب لتكون خاتمة الكتاب وهي هذه

ظهر المنا وتوالت الفرحات ... وتولّت الانسواء والـترحات
وعلا الهدى فوق الضلال وازهرت ... اقماره وتجلّت الظلمات
جاء البشير محمد بمحجّة ... بيضاء قد حفّت بها البركات
ومنار حق زاهر متوقدٍ ... يهدى به في العالمين هداة
ومعاجز بين الورى مشهورة ... غرّ تزول بحقها الشبهات
منها كتاب الله أبلغ ناطق ... جاءت مفصّلة به الآيات
قد أصبح البلغاء عنه بمعزلٍ ... خرِست لهم عن مثله الأصوات
سكنت شقاشقهم وحار بليغهم ... فكأنما قد نالهم إسكات
وغدا خطيبهمُ المحبّر أبكماً ... وهمُ لدى النطق البليغ كفاة
فصاقع العرب الفصاح أصابهم ... عن مثل هاذاك الكلام سُبات

لايشبه القرآنَ مقول(١)قائلٍ ... ابداً وان بَعُدت له الغايات
هو قول رب العالمين وأمره ... ذكر لقد حسنت به الحسنات
مافيه من عِوَجٍ ولا ريب ولا ... نقص وعنه تَبَعَّد الزلّات
فيه شفاء للصدور وحكمة ... قدسيّة تحيا به الاموات
يجلو العمى وينال حامله المنى ... حقّاً ومنه تكسب الخيرات
نور به الرحمن يهدي من يشا ... من خلقه ممن له إخبات
وكذا انشقاق البدر يخبر من له ... عقل وتمييز معاً وثبات
عن صدق أحمد في المقال وانه ... نعم الرسول ومن له القربات
والرمي بالحصباء في بدر له ... نبأ عظيم قد وعاه وعاة
أضحى يخبّر ان أحمد مرسل ... وله لدى رب العلا الدرجات
وكذاك عين قتادة في ردّها ... اعلان حق مابه إخفات
ان النبيّ المصطفى يُشفى به ... من قد أصابت جسمه الآفات
وهو الوليّ المستجاب دعاؤه ... فنزول عمّن يبتغي العاهات
وكذلك الاحزاب حلّ عليهم ... اذ أجمعوا لقتاله النقمات
رُدّوا بغيظهمُ ومُزّق جمعهم ... من بعد ماكانت لهم سطوات
ما زال نصر الله يأتيه على ... قوم لهم في حربه وثبات(٢)
ويمدّه ربّ السماء بجنده ... فتطيعه الاقيال(٣)والسادات
كم آية للمصطفى معروفةٍ ... عن حصرها ضاقت بنا الاوقات
تحلو بألسن مادحيه وانها ... لقلوب أرباب النهى أقوات
قد أفصحت عن فضله وعلوّه ... وبأن تابعه له الجنّات
هذا (لسان الصدق) يُعرب خاطباً ... عن جُلّها وله بها نغمات
ويردّ كل معاندٍ ومكابر ... وبذاك قد صحّت له العزمات

«١» المقول اللسان «٢» جمع وثبة «٣» جمع قيل وهو الملك في لغة حمير

قــل للنصارى المنكرين محمــداً ... فلقد دهتــكم قبــله النكبــات

قلتم بأن الله عيسى ضِــلّة (١) ... لجميــع ماجئــتم به نكرات

لا يشــبه الرحمنَ خلقٌ حادثٌ ... يبغي الغــذاء وتعــتريه سِنــات

لكن جهلتم قدر خلّاق الورى ... فمقالــكم كُشِفت له العورات

أفمــا علمتم ان أحمــد مرســل ... هــادٍ إليــه تنتهي الدعــوات

قد جاء من رب السماء مبشِّراً ... طابت بطيّب عَرْفــه الآنات

يدعو الى سبل الرشاد مؤيَّداً ... خضعت له صِيدٌ وذلّ عتــاة

قد أبصرت أهل البصائر رشدَه ... ووعاه من صلَحت له النيّــات

أنكرتموه وهو أفضل مرســل ... ظهرت له بــين الورى آيات

قدنوّه الرسل الاماجــد باسمه ... وله نعوتٌ عنــدهم وصفــات

قد بينــوا فضــل النبي محمــدٍ ... ورواه عنهــم عارفون ثقــاة

كلّ يحدّث عن علوّ مقــامــه ... وبأنه بالمجــــد لا يُفتــات (٢)

وبأنه المــولى المبجّــل والذي ... خُرِقت بآيات له العــادات

هــذا الزبور مبشر بمحمــد ... وكذلك الانجيــل والتــوراة

في الــكل منها حجّــة معروفة ... للمصطــفى فيهــا له الاثبــات

شهــدت له بنبــوّة ورســالة ... وبأن أمّتــه لهــا الرحمــات

ان كنتــمُ لاتقبــلون شهــادة ... لكتابكم هبِلتــكم (٣) الهُبَلات (٤)

أنتم اذاً في غفــلة وضــلالة ... وعن الهدى بين العباد غواة

قد ضل مسعاكم وخاب رجاؤكم ... وعن الهدى قصرت لكم خطوات

ان الذي يأبى نبــوة أحمــد ... وجبت عليــه في الورى اللعنات

هو رحمــة للعــالمين ونعــمة ... جلّت وقد شمَخت لها هضَبات

فبعلمــه ظُلَمُ الجهــالة تجــلي ... وعن البرايا تــكشف الكربات

«١» أي ضلالا «٢» أي لايسبق «٣» أي ثكلتكم «٤» قبيلة من العرب

وبوجهه يُسقى الأنام وعنهمُ تجلى اذاما أسنتوا(١) اللزْبات(٢)
وبجوده تحيا البلاد وتغتدي خضراً ويُثري من نَداه عُفاة
والمعدمون عطاؤه يغنيهمُ وبه تفرّج عنهم الضّيقات
فله حِباء (٣) لايجاريه الحيا (٤) وله نوال سابغ وهِبات
وله وقار كامل وجلالة وعليه تخْفِقُ للعلا الرّايات
وله ثبات في النِّزال وهيبة قد حدّثت عنه بذا الغزوات
قد أفصحت عن حمده وثنائه بين البرية ألسنٌ ولغات
فولاؤه حق ونهج سبيله رشد وفيه من العذاب نجاة
وولاء عترته الكرام أولى الحجي فيه مفاز للورى وزكاة
وهو المشفّع في البريّة في غدٍ وهناك منه تُطلب الحاجات
وبه ينال الفوزَ كلُّ موحدٍ يوم الحساب وتدرك الطلبات
فعليه صلى الله ماسار سرى أوعاقبت ظُلَمَ الدجى الضحوات
وعلى أطايب آله من ربهم مانسمت ريحُ الصّبا صلوات

بعد حمد الله على إفضاله . والصلاة والسلام على محمد وآله قدتم طبع كتاب لسان الصدق ، الكافل بالرد على الكتاب المسمى ميزان الحق • وهو لعمرى في هذا الباب أجل مؤلف . وأعظم مصنف • كيف لا وهو تأليف من لا يدانيه في شأوه مداني • حضرة العلامة الفاضل الشيخ على البحراني • جزاه الله خير الجزاء • وأجزل له الفضل والعطاء • هذا وقد قام بطبعه • رجاء عموم نفعه • حضرة الفاضل الشيخ محمد على المليجي الكتبي بجوار الازهر الشريف كان الله له • وبلغه أمله • بمطبعة الموسوعات بمصر في أوائل القعدة سنة ١٣٢٠ هجريه • على صاحبها افضل الصلاة واتم التحيه

«١» أى أجدبوا «٢» جمع لزبة وهي الشدة «٣» اى عطاء «٤» اى الغيث

فهرست كتاب (لسان الصدق) جواباً للكتاب المسمى بميزان الحق

صفحة

صفحة

صفحه

صفحه

﴿ تمت ﴾